Richard Gottheil

V. 1

الجزء الاول

من كتاب الف ليلة وليلة

الطبعة الأولى

بالمطبعة العامرة العثمانيه

سنة ١٣٠٢ هجريه

على صاحبها افضل الصلاة وأزكى التحيه

893.7 Ar1
K6
v.1
Stuhel

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين (وبعد) فان سير الاولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الانسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر ويطالع حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة لقوم آخرين (فمن) تلك العبر الحكايات التي تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والأمثال

حكايات الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان

(حكي) والله أعلم وأحكم وأعز وأكرم أنه كان فيما مضى وتقدم من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم وكان له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان أخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الامر مستقيما في بلادهما وكل واحد منهما في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة وهم في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة الى أن اشتاق الملك الكبير الى أخيه الصغير فأمر وزيره أن يسافر اليه ويحضر به فأجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه وبلغه السلام وأعلمه أن أخاه مشتاق اليه وقصده أن يزوره فأجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد أخيه فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره

فوجد

فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبدا أسود من العبيد فلما رأى هذا اسودت الدنيا فى وجهه وقال
فى نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عند أخى مدة
ثم انه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما فى الفراش ورجع من وقته وساعته وأمر بالرحيل وسار الى
أن وصل الى مدينة أخيه ففرح أخوه بقدومه ثم خرج اليه ولاقاه وسلم عليه ففرح به غاية الفرح وزين له
المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه زمان ما كان من أمر زوجته وحصل عنده غم زائد
واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظن فى نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه
فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه قال له فى بعض الايام يا أخى انى أراك ضعف جسمك واصفر لونك
فقال له يا أخى انا فى باطنى جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال انى أريد ان تسافر معى الى الصيد
والقنص لعلك ينشرح صدرك فأبى ذلك فسافر أخوه وحده الى الصيد وكان فى قصر الملك شبابيك تطل
على بستان أخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة أخيه
تمشى بينهم وهى فى غاية الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم واذا
بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقى العبيد فعلوا
بالجوارى ولم يزالوا فى بوس وعناق ونيك ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك قال فى نفسه
والله ان بليتى أخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغم وقال هذا أعظم مما جرى لى ولم يزل
فى أكل وشرب وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى أخيه الملك
شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعدما كان قليل الاكل فتعجب من ذلك وقال
يا أخى كنت أراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد اليك لونك فأخبرنى بحالك فقال له أما تغير لونى
فأذكره لك واعف عنى من اخبارك برد لونى فقال له أخبرنى أولا بتغير لونك وضعفك حتى أسمعه فقال له
يا أخى اعلم أنك لما أرسلت وزيرك الى يطلبنى للحضور بين يديك جهزت حالى وقد برزت من مدينتى ثم انى
تذكرت الخرزة التى أعطيتها لك فى قصرى فرجعت فوجدت زوجتى معها عبد أسود وهو نائم فى فراشى
فقتلتهما وجئت اليك وأنا متفكر فى هذا الامر فهذا سبب تغير لونى وضعفى وأما رد لونى فاعف عنى من
أن أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له أقسمت عليك بالله ان تخبرنى بسبب رد لونك فأعاد عليه جميع
ما رآه فقال شهريار لأخيه شاه زمان مرادى ان أنظر بعينى فقال له أخوه شاه زمان اجعل انك مسافر
للصيد والقنص واختف عندى وأنت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت
العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس فى الخيام وقال لغلمانه لا يدخل على أحد ثم
انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذى فيه أخوه وجلس فى الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان
واذا بالجوارى وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك الى العصر فلما رأى
الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من رأسه وقال لأخيه شاه زمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا وليس لنا
حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثلنا أولا فيكون موتنا خيرا من حياتنا فأجابه لذلك ثم انهما خرجا
من باب سر فى القصر ولم يزالا مسافرين أياما وليالى الى ان وصلا الى شجرة فى وسط مرج عندها عين ماء
بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم
بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك المرجة فلما رأيا ذلك خافا وطلعا
الى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر واذا بجنى طويل القامة عريض الهامة

واسع الصدر وعلى رأسه صندوق فطلع الى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كأنها الشمس المضية كما قال الشاعر

أشرقت في الدجى فلاح النهار * واستنارت بنورها الاسحار
من سناها الشموس تشرق لما * تبـدى وتنجلي الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها * حين تبدو وتهتك الاستار
واذا أومضت بروق حماها * هطلت بالمدامع الامطار

قال فلما نظر اليها الجنى قال ياسيدة الحرائر التي قد اختطفتها ليلة عرسها أريد أن أنام قليلا ثم ان الجنى وضع رأسه على ركبتها ونام فرفعت الصبية رأسها الى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجنى من فوق ركبتها ووضعته على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك ان تسامحينا من هذا الامر فقالت لهما بالله عليكما ان تنزلا والا نبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا عنيفا والا أنبه عليكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لأخيه الملك شاه زمان يا أخي افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلي وأخذا يتغامزان على نيكها فقالت لهما مالي أراكما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا والا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما من الجنى فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما أفيقا وأخرجت لهما من جيبها كيسا وأخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما فقالت لهما أتدرون ماهذه فقالا لها لا ندري فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة قرن هذا العفريت فأعطياني خاتميكما أنتما الاثنان الأخوان فأعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني في قاع البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا أرادت أمرا لم يغلبها شيء كما قال بعضهم

لا تأمنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن * فرضاؤهن وسخطهن * معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا * والغدر حشو ثيابهن * بحديث يوسف فاعتبر * متحذرا من كيدهن
أو ما ترى ابليس أخرج آدما من أجلهن

وقال بعضهم

كف لوماغدا يقوى الملوما * ويزيد الغرام عشقا عظيما
انا ان كنت عاشقا لم آت الا * ما أتته الرجال قبلي قديما
انما يكثر التعجب ممن * كان من فتنة النساء سليما

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية التعجب وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا فهذا شيء يسلينا ثم انهما انصرفا من ساعتهما ورجعا الى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك أعناق الجواري والعبيد وصار الملك شهريار كلما يأخذ بنتا بكرا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت ببناتها ولم يبق في تلك المدينة بنت تحمل الوطء ثم ان الملك أمر الوزير ان يأتيه ببنت على جري عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت

الكتب

الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الامم الماضين قيل انها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لأبيها مالى أراك متغيرا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم فى المعنى شعرا

قل لمن يحمل هما * ان هما لا يدوم * مثل ما يفنى السرور * هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا أبت زوجنى هذا الملك فاما ان اعيش واما ان أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطرى بنفسك ابدا فقالت له لا بد من ذلك فقال أخشى عليك ان يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذى جرى لهما يا أبت

﴿حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع﴾

(قال) اعلمى يا بنتى انه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة ألسن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده فى داره حمار وثور فأتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفى معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفى بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان فى بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيأ لك ذلك انا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفى بعض الاوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائما للحرث والطحن فقال له الحمار اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فان قمت فارقد ثانيا فاذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوما أو يومين او ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق الى الثور بعلفه أكل منه شيأ يسيرا فأصبح السواق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فرجع الرجل وأخذ الحمار مكان الثور وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب فى ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم أشد الندامة فلما كان ثانى يوم جاء الزراع وأخذ الحمار وحرثه الى آخر النهار فلم يرجع الحمار الا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيما مستريحا فما ضرنى الا فضولى ثم قال اعلم انى لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه فأعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده نطعا وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال فى غد أسرح معهم ثم ان الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المذود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أى شئ تضحك فقال لها شئ رأيته وسمعته ولا اقدر ان أبوح به فأموت فقالت له لا بد ان تخبرنى بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما اقدر ان ابوح به خوفا من الموت فقالت له أنت لم تضحك الا على ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج فى الكلام الى ان غلبت عليه وتحير فأحضر أولاده وأرسل أحضر القاضى والشهود وأراد ان يوصى ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة لانها بنت عمه وأم اولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم انه ارسل احضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن

تضربها بالله عليك اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ولو يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له أنت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فأعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله ان صاحبنا قليل العقل أنا لي خمسون زوجة أرضي هذه وأغضب هذه وهو ماله الا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح أمره معها فماله لا يأخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت أو تتوب ولا تعود تسأله عن شيء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها * ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له وما فعل قال دخل عليها الحجرة بعدما قطع لها عيدان التوت وخبأها داخل الحجرة وقال لها تعالي داخل الحجرة حتى أقول لك ولا ينظرني أحد ثم أموت فدخلت معه ثم انه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب الى ان أغمي عليها فقالت له تبت ثم انها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هي واياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا في أسر الاحوال الى الممات * فلما سمعت ابنة الوزير مقالة أبيها قالت له لا بد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت الى الملك أرسلت أطلبك فاذا جئت عندي ورأيت الملك قضى حاجته مني فقولي يا أختي حدثيني حديثا غريبا نقطع به السهر وأنا احدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله ثم ان اباها الوزير طلع بها الى الملك فلما رآه فرح وقال أتيت بحاجتي فقال نعم فلما أراد ان يدخل عليها بكت فقال لها ما لك فقالت أيها الملك ان لي أختا صغيرة أريد ان أودعها فأرسل الملك اليها فجاءت الى أختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك وأخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها أختها الصغيرة بالله عليك يا أختي حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة ان أذن لي هذا الملك المهذب فلما سمع ذلك الكلام وكان به قلق فرح بسماع الحديث

حكاية التاجر مع العفريت

فلما كانت الليلة الاولى قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوما وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه وأكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضي عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت اني على دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب الى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود اليك ولك علي عهد وميثاق أني أعود اليك فافعل بي ما تريد والله على ما أقول وكيل فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق الى أهلها وأعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونساؤه وأولاده وأوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت ابطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغما عن أنفه فأقاموا عليه العياط والصراخ فمشى الى أن وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما حصل له واذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فأخبره التاجر

بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده فى هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا أخى ما دينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالأبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس بجانبه وقال والله يا أخى لا أبرح من عندك حتى أنظر ما يجرى لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده يتحدث معه فغشى على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا بشيخ ثان قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما فى هذا المكان وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها الى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم فى هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها الى آخرها وليس فى الاعادة افادة واذا بغبيرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا بذلك الجنى وبيده سيف مسلول وعيونه ترمى بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدى وحشاشة كبدى فانتحب ذلك التاجر وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له أيها الجنى وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتى مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة أتهب لى ثلث دم هذا التاجر قال نعم أيها الشيخ اذا أنت حكيت لى الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الاول اعلم أيها العفريت أن هذه الغزالة هى بنت عمى ومن لحمى ودمى وكنت تزوجت بها وهى صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لى سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر اذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيأ فشيأ الى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لى سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمى هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتهما الى الراعى ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدى وعن أمه فقالت لى جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكى العين الى أن جاء عيد الضحية فأرسلت الى الراعى أن يخصنى ببقرة سمينة فجاءنى ببقرة سمينة وهى سريتى التى سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابى وأخذت السكين بيدى وتهيأت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديدا فقمت عنها وأمرت ذلك الراعى فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعنى الندم وأعطيتها للراعى وقلت له ائتنى بعجل سمين فأتانى بولدى المسحور عجلا فلما رآنى ذلك العجل قطع حبله وجاءنى وتمرغ على وولول وبكى فأخذتنى الرأفة عليه وقلت للراعى ائتنى ببقرة ودع هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشىء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره

﴿ فلما كانت الليلة الثانية ﴾ قالت دنيازاد لأختها شهرزاد يا أختى أتممى لنا حديثك الذى هو حديث التاجر والجنى قالت حبا وكرامة ان أذن لى الملك فى ذلك فقال لها الملك احكى فقالت بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه اليه وقال للراعى أبق هذا العجل بين البهائم ثم

ذلك والجنى يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة ياسيد ملوك الجان كل ذلك
جرى وابنة عمى هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فانه سمين فلم يهن على أن أذبحه وأمرت
الراعى أن يأخذه فأخذه وتوجه به ففى ثانى يوم أنا جالس واذا بالراعى أقبل على وقال ياسيدى انى أقول
شيأ تسر به ولى البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر ان لى بنتا كانت تعلمت السحر فى صغرها من امرأة
عجوز كانت عندنا فلما كنا بالامس وأعطيتنى العجل دخلت به عليها فنظرت اليه بنتى وغطت وجهها
وبكت ثم انها ضحكت وقالت ياأبى قد خس قدرى عندك حتى تدخل على الرجال الأجانب فقلت لها
وأين الرجال الاجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لى ان هذا العجل الذى معك ابن سيدى التاجر
ولكنه مسحور وسحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكى وأما سبب بكائى من أجل أمه حيث ذبحها
أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت اليك لأعلمك فلما سمعت أيها الجنى
كلام هذا الراعى خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذى حصل لى الى أن
أتيت الى داره فرحبت بى ابنة الراعى وقبلت يدى ثم ان العجل جاء الى وتمرغ على فقلت لابنة الراعى أحق
ماتقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم ياسيدى انه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيتها الصبية ان أنت
خلصتيه فلك عندى ماتحت يد أبيك من المواشى والاموال فتبسمت وقالت ياسيدى ليس لى رغبة فى
المال الا بشرطين * الاول أن تزوجنى به * والثانى أن أسحر من سحرته وأحبسها والا فلست آمن
مكرها فلما سمعت أيها الجنى كلام بنت الراعى قلت ولك فوق جميع ماتحت يد أبيك من الاموال زيادة
وأما بنت عمى فدمها لك مباح فلما سمعت كلامى أخذت طاسة وملأتها ماء ثم انها عزمت عليها ورشت بها
العجل وقالت له ان كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعد الى خلقتك
الأولى باذن الله تعالى واذا به انتفض ثم صار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك لى جميع
ماصنعت بك وبأمك بنت عمى فحكى لى جميع ماجرى لهما فقلت ياولدى قد قيض الله لك من خلصك
وخلص حقك ثم انى أيها الجنى زوجته ابنة الراعى ثم انها سحرت ابنة عمى هذه الغزالة وجئت الى هنا
فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبرونى بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر مايكون وهذا حديثى
فقال الجنى هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ الثانى صاحب الكلبتين
السلاقيتين وقال له اعلم ياسيد ملوك الجان أن هاتين الكلبتين اخوتى وأنا ثالثهم ومات والدى وخلف
لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت أنا دكانا أبيع فيه وأشترى وسافر أخى بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع
القوافل ثم أتى وما معه شئ فقلت له ياأخى أما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال ياأخى قدر الله عز وجل
على هذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيأ فأخذته وطلعت به الى الدكان ثم ذهبت به الى الحمام
وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا واياه وقلت له ياأخى انى أحسب ربح دكانى من السنة الى السنة
ثم أقسمه دون رأس المال بينى وبينك ثم انى عملت حساب الدكان من ربح مالى فوجدته ألفى دينار فحمدت
الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بينى وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياما ثم ان اخوتى
طلبوا السفر أيضا وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أى شئ كسبتم فى سفركم حتى أكسب أنا
فألحوا على ولم أطعهم بل أقمنا فى دكاكيننا نبيع ونشترى سنة كاملة وهم يعرضون على السفر وأنا لم
أرض حتى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم ياأخوتى اننا نحسب ما عندنا من
المال فحسبناه فاذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الارض لينفعنا اذا أصابنا أمر ويأخذ

كل

كل واحد منا ألف دينار ونتسبب فيها فالو انعم الرأى فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار وأما الثلاثة آلاف دينار الاخرى فأعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل الى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا فى الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدى وقالت ياسيدى هل عندك احسان ومعروف أجازيك عليهما فقلت نعم ان عندى الاحسان والمعروف ولو لم تجازينى فقالت ياسيدى تزوجنى وخذنى بلادك فانى قد وهبتك نفسى فافعل معى معروفا لانى ممن يصنع معه المعروف والاحسان ويجازى عليهما ولا يغرنك حالى فلما سمعت كلامها حن قلبى اليها لامر يريده الله عز وجل فأخذتها وكسوتها وفرشت لها فى المركب فرشا حسنا وأقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبى محبة عظيمة وصرت لا افارقها ليلا ولا نهارا واشتغلت بها عن اخوتى فغاروا منى وحسدونى على مالى وكثرة بضاعتى وطمحت عيونهم فى المال جميعه وتحدثوا بقتلى وأخذ مالى وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤنى وأنا نائم بجانب زوجتى وحملونى أنا وزوجتى ورمونا فى البحر فلما استيقظت زوجتى انتفضت فصارت عفريتة وحملتنى وطلعتنى على جزيرة وغابت عنى قليلا وعادت الىّ عند الصباح وقالت لى أنا زوجتك التى حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم انى جنية رأيتك فحبك قلبى وأنا مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فجئتك بالحال الذى رأيتنى فيه فتزوجت بى وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على اخوتك ولا بد أن أقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها اما هلاك اخوتى فلا ينبغى ثم حكيت لها ما جرى لى معهم من أول الزمان الى آخره فلما سمعت كلامى قالت أنا فى هذه الليلة أطير اليهم وأغرق مراكبهم وأهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلى فان صاحب المثل يقول * يا محسنا لمن أساء كفى المسىء فعله * وهم اخوتى على كل حال قالت لا بد من قتلهم فاستعطفتها ثم انها حملتنى وطارت فوضعتنى على سطح دارى ففتحت الابواب وأخرجت الذى خبأته تحت الارض وفتحت دكانى بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت دارى فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأيانى قاما الىّ وبكيا وتعلقا بى فلم أشعر الا و زوجتى قالت هؤلاء اخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت الى أختى ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون الا بعد عشر سنوات فجئت وأنا سائر اليها تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات فى هذا الحال فرأيت هذا الفتى فأخبرونى بما جرى له فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجرى بينك وبينه وهذه قصتى (قال الجنى) انها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه فى جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجنى أنا أحكى لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين وتهب لى باقى دمه وجنايته فقال الجنى نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتى سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفرى وجئت اليها فى الليل فرأيت عبدا أسود راقدا معها فى الفراش وهما فى كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتنى عجلت وقامت الىّ بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتنى وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت فى الحال كلبا فطردتنى من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائرا حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآنى صاحب الدكان أخذنى ودخل بى بيته فلما رأتنى بنت الجزار غطت وجهها منى وقالت أتجىء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت ان هذا الكلب رجل سحرته امرأة وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع

أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فأخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت على منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الأولى فصرت الى صورتي الاولى فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فأعطتني قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فانها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت أخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت اليها وقال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالاشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره

﴿فلما كانت الليلة الثالثة﴾ قالت لها أختها دنيازاد يا أختي أتمي لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الثالث لما قال للجني حكاية أعجب من الحكايتين تعجب الجني غاية العجب واهتز من الطرب وقال قد وهبت لك باقي جنايته وأطلقته لكم فأقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنؤه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذه بأعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد

﴿حكاية الصياد مع العفريت﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعنا في السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لا غير ثم انه خرج يوما من الايام في وقت الظهر الى شاطئ البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر الى ان استقرت في الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف الى البر ودق وتدا وربطها فيه ثم تعرى وغطس في الماء حول الشبكة ومازال يعالج حتى أطلعها ففرح ولبس ثيابه وأتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وأنشد يقول

يا خائضا في ظلام الليل والهلكه * أقصر عنالك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر من الأول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج الى أن خلصها وأطلعها الى البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر

يا حرقة الدهر كفي * ان لم تكفي فعفي * فلا بحظي أعطي * ولا بصنعة كفي
خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفي * كم جاهل في ظهور * وعالم متخفي

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فأنشد قول الشاعر

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط * ولا قلم يجدي عليك ولا خط

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم أني لم أرم شبكتي غير أربع مرات وقد رميت ثلاثا ثم انه معي

الله

الله ورمى الشبكة فى البحر وصبر الى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت فى الارض فقال لاحول ولا قوة الا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها الى أن طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس اصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه فى سوق النحاس فانه يساوى عشرة دنانير ذهبا ثم انه حركه فوجده ثقيلا فقال لابد أنى أفتحه وأنظر مافيه وأدخره فى الخرج ثم أبيعه فى سوق النحاس ثم انه أخرج سكينا وعالج فى الرصاص الى أن فكه من القمقم وحطه على الارض وهزه لينكب مافيه فلم ينزل منه شئ ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه فى السحاب ورجلاه فى التراب برأس كالقبة وأيد كالمدارى ورجلين كالصوارى وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمى عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله سليمان نبى الله ثم قال العفريت يانبى الله لاتقتلنى فانى لاعدت أخالف لك قولا ولا أعصى لك أمرا فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبى الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن فى آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك فى هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله أبشر ياصياد فقال الصياد بماذا تبشرنى فقال بقتلك فى هذه الساعة أشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة ياقيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لأى شئ تقتلنى وأى شئ يوجب قتلى وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وطلعتك الى البر فقال العفريت تمن على أى موتة تموتها واى قتلة تقتلها فقال الصياد ماذنبى حتى يكون هذا جزائى منك قال العفريت اسمع حكايتى ياصياد قال الصياد قل وأوجز فى الكلام فان روحى وصلت الى قدمى قال اعلم أنى من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود وأنا صخر الجنى فأرسل لى وزيره آصف بن برخيا فأتى بى مكرها وقادنى اليه وأنا ذليل على رغم أنفى وأوقفنى بين يديه فلما رآنى سليمان استعاذ منى وعرض على الايمان والدخول تحت طاعته فأبيت فطلب هذا القمقم وحبسنى فيه وختم على بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وأمر الجن فاحتملونى وألقونى فى وسط البحر فأقمت مائة عام وقلت فى قلبى كل من خلصنى أغنيته الى الابد فمرت المائة عام ولم يخلصنى أحد ودخلت على مائة أخرى فقلت كل من خلصنى فتحت له كنوز الارض فلم يخلصنى أحد فمرت على أربعمائة عام أخرى فقلت كل من خلصنى أقضى له ثلاث حاجات فلم يخلصنى أحد فغضبت غضبا شديدا وقلت فى نفسى كل من خلصنى فى هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنت قد خلصتنى ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يالله العجب أنا ماجئت أخلصك الا فى هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلى يعف الله عنك ولا تهلكنى يسلط الله عليك من يهلكك فقال المارد لابد من قتلك فتمن على أى موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عنى اكراما لما أعتقتك فقال العفريت وأنا ما أقتلك الا لاجل ماخلصتنى فقال له الصياد ياشيخ العفاريت هل اصنع معك مليح فتقابلنى بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال

فعلنا جميلا قابلونا بضده * وهذا لعمرى من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزى مجير ام عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطمع فلا بد من موتك فقال الصياد هذا جني وأنا انسي وقد اعطاني الله عقلا كاملا وها أنا أدبر أمرا في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل وأوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا اصدقك أبدا حتى أنظرك فيه بعيني * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبدا حتى أنظرك بعيني في القمقم انتفض العفريت وصار دخانا صاعدا الى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد أسرع وأخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن علي أي موتة تموتها لأرمينك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتا وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له أنواع الموت ويخيره بينها فلما سمع العفريت كلام الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم ان الصياد سجنه في سجن أحقر العفاريت وأقذرها واصغرها ثم ان الصياد ذهب بالقمقم الى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد لا بد لا بد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد أن تصنع بي يا صياد قال ألقيك في البحر ان كنت أقمت فيه الفا وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث فيه الى أن تقوم الساعة أما قلت لك أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فأبيت قولي وما أردت الا غدري فألقاك الله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى أحسن اليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون انا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما

﴿حكاية وزير الملك يونان والحكيم رويان وهي من ضمن ما قبلها﴾

(قال) الصياد اعلم أيها العفريت أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مدينة الفرس وأرض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس واعوان من سائر الاجناس وكان في جسده برص قد عجزت فيه الاطباء والحكماء ولم ينفعه منهم شرب أدوية ولا سفوف ولا ادهان ولم يقدر أحد من الاطباء أن يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالما بأصول حكمتها وقواعد أمورها من منفعتها ومضرتها وعالما بخواص النباتات والحشائش والاعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة وأقام بها أياما قلائل سمع خبر الملك وما جرى له في بدنه من البرص الذي ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء وأهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وسلمت الشمس على زين الملاح لبس أفخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض ودعا له بدوام العز والنعم وأحسن ما به تكلم وأعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك وأن كثيرا من الاطباء لم يعرفوا الحيلة في زواله وها أنا أداويك أيها الملك ولا أسقيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان أبرأتني أغنيك لولد الولد

وانعم

وأنعم عليك وكل ما تمناه فهو لك وتكون نديمي وحبيبي ثم انه خلع عليه وأحسن اليه وقال له أتبرئني من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم أبرئك بلا مشقة في جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في أي الاوقات وفي أي الايام فأسرع به يا ولدي قال له سمعا وطاعة ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتا وحط فيه كتبه وأدويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعل منها صولجانا وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك في اليوم الثاني ودخل عليه وقبل الارض بين يديه وأمره أن يركب الى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجاب والوزراء وأرباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش في الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في سائر جسدك فاذا عرقت وأثر الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك اخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم وأمسكه بيده وركب الجواد ورمت الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان وما زال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان أن الدواء سرى في جسده فأمره بالرجوع الى قصره وأن يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وأمر ان يخلوا له الحمام فأخلوه له وتسارعت الفراشون وتسابقت المماليك وأعدوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدا ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من أمر الملك يونان * وأما ما كان من أمر الحكيم رويان فانه رجع الى داره وبات فلما اصبح الصباح طلع الى الملك واستأذن عليه فأذن له في الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه واشار الى الملك بهذه الابيات

زهت الفصاحة اذ ادعيت لها أبا * واذا دعت يوما سواك لها أبى
يا صاحب الوجه الذي أنواره * تمحو من الخطب الكريه غياهبا
ما زال وجهك مشرقا متهللا * كيلا ترى وجه الزمان مقطبا
أوليتني من فضلك المنن التي * فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
وصرفت جل المال في طلب العلا * حتى بلغت من الزمان مآربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه وعانقه وأجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية ولما خرج الملك من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيأ من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام اليه مسرعا واجلسه بجانبه واذا بموائد الطعام قد مدت فأكل صحبته وما زال عنده ينادمه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم ألفي دينار وغير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا داواني من ظاهر جسدي ولم يدهني بدهان فوالله ما هذه الا حكمة بالغة فيجب علي لهذا الرجل الانعام والاكرام وان اتخذه جليسا وأنيسا مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحا بصحة جسمه وخلاصه من مرضه فلما أصبح الملك وجلس على كرسيه ووقفت أرباب دولته بين يديه وجلست الامراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم رويان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام له الملك وأجلسه بجانبه وأكل معه وحياه

وخلع عليه وأعطاه ولم يزل يتحدث معه الى أن أقبل الليل فرسم له بخمس خلع وألف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر للملك فلما أصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد أحدقت به الامراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير ان الملك قرب الحكيم رويان وأعطاه هذا الانعام حسده عليه وأضمر له الشر كما قيل فى المعنى ما خلا جسد من حسد وقيل فى المعنى الظلم كمين فى النفس القوة تظهره والعجز يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك العصر والاوان أنت الذى شمل الناس احسانك ولك عندى نصيحة عظيمة فان أخفيتها عنك أكون ولد زنا فان أمرتنى أن أبديها أبديتها لك فقال الملك وقد أزعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال أيها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر فى العواقب فما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث أنعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد أحسن اليه وأكرمه غاية الاكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذى تزعم انه عدوى وأحسن اليه فقال له أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ فأنا أشير الى الحكيم رويان فقال له الملك ان هذا صديقى وهو أعز الناس عندى لانه داوانى بشىء قبضته بيدى وأبرأنى من مرضى الذى عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله فى هذا الزمان فى الدنيا غربا وشرقا فكيف أنت تقول عليه هذا المقال وأنا من هذا اليوم أرتب له الجوامك والجرايات وأعمل له فى كل شهر ألف دينار ولو قاسمته فى ملكى لكان قليلا عليه وما أظن انك تقول ذلك الا حسدا كما بلغنى عن الملك السندباد ثم قال الملك يونان ذكر والله أعلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فقالت لها أختها يا أختى ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة المقبلة ان عشت وأبقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه حديث عجيب ثم انهم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح ثم خرج الملك الى محل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى وعزل وأمر ونهى الى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد

﴿فلما كانت الليلة الخامسة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير أنت دخلك الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد ان أقتله وبعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل الباز فقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له باز رباه ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ويبيت طول الليل حامله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة فى رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا أوان الخروج الى الصيد فاستعد الملك للخروج وأخذ البازى على يده وساروا الى أن وصلوا الى واد ونصبوا شبكة الصيد واذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد واذا بالغزالة أقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الارض للملك فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت الى البر فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال يا وزير ماذا يقول العساكر فقال يقولون انك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسى لأتبعنها حتى أجىء بها ثم طلع الملك فى أثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها الى أن أعماها ودوخها

ودوّخها فسحب الملك دوبساوضربها فقلبها وترل فذبحها وسلخها وعلقها فى قربوس السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفرا لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابسا فى كفه جلدا فأخذ الطاسة من رقبة البازى وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه واذا بالبازى لطش الطاسة فقلبها فأخذ الملك الطاسة ثانيا وملأها وظن ان البازى عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى وأخذ الطاسة ثالثا وقدمها للحصان فقلبها البازى بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا أشأم الطيور أحرمتنى من الشرب وأحرمت نفسك وأحرمت الحصان ثم ضرب البازى بالسيف فرمى أجنحته فصار البازى يقيم رأسه ويقول بالاشارة أنظر الذى فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذى يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازى ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل الى مكانه الاول فألقى الغزالة الى الطباخ وقال له خذها واطبخها ثم جلس الملك على الكرسى والبازى على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزنا وأسفا على قتل البازى حيث خلصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد * فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له أيها الملك العظيم الشان وما الذى فعلته من الضرورة ورأيت منه سوأ انما أفعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فان قبلت منى نجوت والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك * كان لذلك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فأمر الملك ذلك الوزير ان يكون مع ابنه أينما توجه فخرج يوما من الأيام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فسارا جميعا فنظر الى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش فى البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين يذهب واذا بجارية على رأس الطريق وهى تبكى فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فى البرية فأدركنى النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسى فصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته وأردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية ياسيدى أريد أن أزيل ضرورة فأنزلها الى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهى لاتعلم به فاذا هى غولة وهى تقول لأولادها يا أولادى قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ائتينا به يا أمنا نأكله فى بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم أيقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشى على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفا فقال لها ان لى عدوا وأنا خائف منه فقالت الغولة انك تقول أنا ابن الملك قال لها نعم قالت له مالك لا تعطى عدوك شيأ من المال فترضيه به فقال لها انه لايرضى بمال ولا يرضى الا بالروح وأنا خائف منه وأنا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم فاستعن بالله عليه فانه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه الى السماء وقال يامن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء انصرنى على عدوى واصرفه عنى انك على ماتشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى أبيه وحدثه بحديث الوزير وأنت أيها الملك متى أمنت لهذا الحكيم قتلك أقبح القتلات وان كنت أحسنت اليه وقربته منك فانه يدبر فى هلاكك أما ترى أنه أبرأك من المرض من ظاهر الجسد بشىء أمسكته بيدك فلا تأمن أن يهلكك بشىء تمسكه أيضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتى جاسوسا فى طلب هلاكى واذا كان أبرأنى بشىء امسكته بيدى فانه يقدر أن يهلكنى بشىء أشمه ثم ان

الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل اليه فى هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفى شره وتستريح منه وأغدر به قبل أن يغدر بك فقال الملك يونان صدقت أيها الوزير ثم ان الملك أرسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ماقدره الرحمن كما قال بعضهم فى المعنى

يا خائفا من دهره كن آمنا * وكل الأمور الى الذى بسط الثرى
ان المقدر كائن لاينمحى * ولك الامان من الذى ماقدرا

وانشد الحكيم مخاطبا قول الشاعر

اذا لم أقم يوما لحقك بالشكر * فقل لى لمن أعددت نظمى مع النثر
لقد جدت لى قبل السؤال بأنعم * أتتنى بلا مطل لديك ولا عذر
فمالى لا أعطى ثناءك حقه * وأثنى على علياك فى السر والجهر
سأشكر ما أوليتنى من صنائع * يخف لها فمى وان أثقلت ظهرى

(وأيضا فى المعنى)

كن عن همومك معرضا * وكل الأمور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ماقد مضى
فلرب أمر مسخط * لك فى عواقبه رضا
الله يفعل مايشا * فلا تكن متعرضا

(وأيضا فى المعنى)

سلم أمورك للحكيم العالم * وأرح فؤادك من جميع العالم
واعلم بأن الامر ليس كما تشا * بل مايشاء الله أحكم حاكم

(وأيضا فى المعنى)

لا تبتئس وانس الهموم جميعها * ان الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبدا عاجزا * فاتركه تسلم فى نعيم دائم

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الملك أحضرتك لأقتلك وأعدمك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلنى وأى ذنب بدا منى فقال له الملك قد قيل لى انك جاسوس وقد أتيت لتقتلنى وها أنا أقتلك قبل أن تقتلنى ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم أبقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول مثل ماقلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعنى بل تريد قتلى فقال الملك يونان للحكيم رويان انى لا آمن الا أن قتلتك فانك أبرأتنى بشئ امسكته بيدى فلا آمن ان تقتلنى بشئ أشمه أو غير ذلك فقال الحكيم ايها الملك أهذا جزائى منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لا بد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ماصنع من الجميل مع غير أهله كما قيل فى المعنى

ميمونة من سمات العقل عارية * لكن ابوها من الالباب قد خلقا
لم يمش فى يابس يوما ولا وحل * الا بنور هداه يتقى الزلقا

وبعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيفه وقال ائذن والحكيم يبكى ويقول للملك ابقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله وأنشد قول الشاعر

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا * فاوقعنى نصحى بدار هوان
فان عشت لم أنصح وان مت فانع لى * ذوى النصح من بعدى بكل لسان

ثم ان الحكيم قال للملك أ يكون هذا جزائي منك فتجازيني مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني أن أقولها وأنا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال أيها الملك هب لي دم هذا الحكيم لأننا ما رأيناه فعل معك ذنبا وما رأيناه الا أبرأك من مرضك الذي أعيا الاطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلي لهذا الحكيم وذلك لاني ان أبقيته فأنا هالك لا محالة ومن ابرأني من المرض الذي كان بي بشيء امسكته بيدي فيمكنه أن يقتلني بشيء اشمه فأنا اخاف ان يقتلني ويأخذ علي جعالة لانه ربما كان جاسوسا وما جاء الا ليقتلني فلا بد من قتله وبعد ذلك آمن على نفسي فقال الحكيم أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له ايها الملك ان كان لا بد من قتلي فأمهلني حتى انزل الى داري فأخلص نفسي واوصي اهلي وجيراني ان يدفنوني وأهب كتب الطب وعندي كتاب خاص الخاص أهبه لك هدية تدخره في خزانتك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شيء لا يحصى واقل ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت رأسي وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاثة أسطر من الصحيفة التي على يسارك فان الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له ايها الحكيم وهل اذا قطعت راسك تكلمت فقال نعم ايها الملك وهذا امر عجيب ثم ان الملك ارسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم الى داره وقضى اشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني ثم طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتوني بطبق فأتوه بطبق وكب فيه الذرور وفرشه وقال ايها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع راسي فاذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وامر بكبسها على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحط اصبعه في فمه وبله بريقه وفتح اول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك ايها الحكيم ما فيه شيء مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن الا قليلا من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزحزح الملك وصاح وقال قد سرى في السم فأنشد الحكيم رويان يقول

تحكموا فاستطالوا في حكومتهم * وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى * عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم * هذا بذاك ولا عتب على الزمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتا من وقته فاعلم أيها العفريت أن الملك يونان لو ابقى الحكيم رويان لأبقاه الله ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله وانت أيها العفريت لو ابقيتني لأبقاك الله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح * فقالت لها أختها دنيازاد ما أحلى حديثك فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك وباتوا تلك الليلة في نعيم وسرور الى الصباح ثم طلع الملك الى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع بأهله

* فلما كانت الليلة السادسة * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لو ابقيتني كنت أبقيتك لكن ما اردت الا قتلي فأنا اقتلك محبوسا في هذا القمقم والقيك في هذا البحر صرخ المارد

وقال بالله عليك ايها الصياد لا تفعل وابقنى كرما ولا تؤاخذنى بعملى فاذا كنت انا مسيأ كن انت محسنا
وفى الامثال السائرة يا محسنا لمن اساء كفى المسىء فعله ولا تعمل كما عمل أمامة مع عاتكة قال الصياد وما
شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وانا فى السجن حتى تطلعنى منه وأنا احدثك بشأنهما فقال
الصياد لابد من القائك فى البحر ولا سبيل الى اخراجك منه فانى كنت استعطفك وأتضرع اليك
وأنت لا تريد الا قتلى من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوأ قط ولم أفعل معك الا خيرا لكونى
أخرجتك من السجن فلما فعلت معى ذلك علمت انك ردىء الاصل واعلم أننى ما رميتك فى هذا البحر الا
لاجل ان كل من أطلعك أخبره بخبرك وأحذره منك فيرميك فيه ثانيا فتقيم فى هذا البحر الى آخر الزمان
حتى ترى أنواع العذاب فقال له العفريت أطلقنى فهذا وقت المروآت وأنا أعاهدك انى لم أسؤك أبدا بل
أنفعك بشىء يغنيك دائما فأخذ الصياد عليه العهد أنه اذا أطلقه لا يؤذيه أبدا بل يعمل معه الجميل فلما
استوثق منه بالايمان والعهود وحلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج
وتكامل فصار عفريتا مشوه الخلقة ورفس القمقم فرماه فى البحر فلما رأى الصياد رمى القمقم فى البحر
أيقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم انه قوى قلبه وقال أيها العفريت قال الله تعالى
وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأنت قد عاهدتنى وحلفت أنك لا تغدر بى فان غدرت بى
يجزك الله فانه غيور يمهل ولا يهمل وأنا قلت لك مثل ما قال الحكيم رويان للملك يونان أبقنى يبقك الله
فضحك العفريت ومشى قدامه وقال أيها الصياد اتبعنى فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة الى أن
خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا الى برية متسعة واذا فى وسطها بركة ماء فوقف العفريت
عليها وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة وفيها السمك ألوانا الابيض
والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه طرح شبكته وجذبها فوجد فيها أربع سمكات
كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها الى السلطان وقدمها اليه فانه يعطيك
ما يغنيك وبالله اقبل عذرى فاننى فى هذا الوقت لم أعرف طريقا وأنا فى هذا البحر مدة ألف وثمانمائة
عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا فى هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم الا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق
الارض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت
ثم أخذ السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملأه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل
الماجور فى الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع الصياد
الى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذى قدمه اليه الصياد لانه لم ير فى
عمره مثله صفة ولا شكلا فقال ألقوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد أهداها له
ملك الروم منذ ثلاثة أيام وهو لم يجربها فى طبيخ فأمرها الوزير ان تقليه وقال لها يا جارية ان الملك يقول
لك ما ادخرت دمعتى الا لشدتى ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فان السلطان جاء اليه واحد
بهدية ثم رجع الوزير بعد ما أوصاها فأمره الملك ان يعطى الصياد أربعمائة دينار فأعطاه الوزير اياها
فأخذها فى حجره وتوجه الى منزله لزوجته وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما هم محتاجون اليه هذا ما كان
من أمر الصياد ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الجارية فانها أخذت السمك ونظفته ورصته فى الطاجن ثم انها
تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثانى واذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها
صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيج لابسة كوفية من خز

ازرق

أزرق وفى اذنيها حلق وفى معاصمها أساور وفى أصابعها خواتم بالفصوص المثمنة وفى يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب فى الطاجن وقالت ياسمك هل أنت على العهد مقيم فلما رأت الجارية هذا غشى عليها وقد أعادت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جميعه هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذى دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم أفاقت الجارية فرأت الاربع سمكات محروقة مثل الفحم الأسود فقالت تلك الجارية من أول غزوته حصل كسر عصبته فبينما هى تعاتب نفسها واذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتى السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال وبالذى جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ماهذا الا امر عجيب ثم انه أرسل الى الصياد فأتوا به اليه فقال له أيها الصياد لابد ان تجىء لنا بأربع سمكات مثل التى جئت بها أولا فخرج الصياد الى البركة وطرح شبكته ثم جذبها واذا بأربع سمكات فأخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها قومى أقليها قدامى حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته فى الطاجن على النار فما استقر الا قليلا واذا بالحائط قد انشقت والصبية قد ظهرت وهى لابسة ملبسها وفى يدها القضيب فغرزته فى الطاجن وقالت ياسمك ياسمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسها وانشدت هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذى جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لا يمكن خفاؤه عن الملك ثم انه تقدم الى الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لابد ان أنظر بعينى فأرسل الى الصياد وأمره ان يأتى بأربع سمكات مثل الاولى وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد الى البركة وأتاه بالسمك فى الحال فأمر الملك ان يعطوه أربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له سو أنت السمك ههنا قدامى فقال الوزير سمعا وطاعة فأحضر الطاجن ورمى فيه السمك بعد ان نظفه ثم قلبه واذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبد أسود كأنه ثور من الثيران أو من قوم عاد وفى يده فرع من شجرة خضرا وقال بكلام فصيح مزعج ياسمك ياسمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وأنشد هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع الى أن صار فحما اسود ثم ذهب العبد من حيث أتى فلما غاب العبد عن أعينهم قال الملك هذا أمر لا يمكن السكوت عنه ولابد ان هذا السمك له شأن غريب فأمر باحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك فقال له من بركة بين أربع جبال وراء هذا الجبل الذى بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا الى ان طلعوا الجبل ونزلوا منه الى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التى نظروها بين أربع جبال والسمك فيها على أربعة ألوان أحمر وأبيض وأصفر وازرق

فوقف الملك متعجبا وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأى هذه البركة فى هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال الملك والله لا أدخل مدينتى ولا أجلس على تخت ملكى حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم أمر الناس بالنزول حول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فلما حضر بين يديه قال له انى أردت أن أعمل شيأ فأخبرك به وذلك أنه خطر ببالى أن أنفرد بنفسى فى هذه الليلة وأبحث عن خبر هذه البركة وسمكها فاجلس على باب خيمتى وقل للامراء والوزراء والحجاب ان السلطان متشوش وأمرنى أن لا آذن لاحد فى الدخول عليه ولا تعلم أحدا بقصدى فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم ان الملك غير حالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله الى الصباح فلم يزل سائرا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلى أجد من يخبرنى بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد وأحد شقى بابه مفتوح والآخر مغلق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق رابعا دقا مزعجا فلم يجبه أحد فقال لاشك أنه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليزه ثم صرخ وقال يا أهل القصر انى رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شئ من الزاد وأعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه أحدا غير أنه مفروش وفى وسطه فسقية عليها أربع سباع من الذهب الاحمر تلقى الماء من أفواهها كالدرر والجواهر وفى دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه أحدا يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الابواب يتفكر واذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر

لما خفيت ضنى ووجدى قد ظهر ❊ والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت وجدا قد تزايد بى الفكر ❊ يا وجد لا تبقى على ولا تذر ❊ ها مهجتى بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الانين نهض قائما وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسى خده كترس من عنبر كما قال الشاعر

ومهفهف من شعره وجبينه ❊ مشت الورى فى ظلمة وضياء
ما أبصرت عيناك أحسن منظرا ❊ فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ ❊ ـحمراء تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبى جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه أثر الحزن فرد السلام على الملك وقال له يا سيدى اعذرنى فى عدم القيام فقال الملك أيها الشاب أخبرنى عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وما سبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكى بكاء شديدا فتعجب الملك وقال له ما يبكيك أيها الشاب فقال كيف لا أبكى وهذه حالتى ومد يده الى أذياله فرفعها فاذا نصفه التحتانى الى قدميه حجر ومن سرته الى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم أيها الملك أن لهذا السمك أمرا عجيبا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك يا سيدى أنه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الاربعة فأقام فى الملك سبعين عاما ثم توفى والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمى وكانت تحبنى

محبة عظيمة بحيث اذا غبت عنها لا تأكل ولا تشرب حتى تراني فمكثت في عصمتي خمس سنين الى أن ذهبت يوما من الايام الى الحمام فأمرت الطباخ أن يجهز لنا طعاما لاجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت في الموضع الذي أنام فيه وأمرت جاريتين أن يروّحا على وجهي فجلست واحدة عند رأسي والاخرى عند رجلي وقد قلقت لغيابها ولم يأخذني نوم غير أن عيني مغمضة ونفسي يقظانة فسمعت التي عند رأسي تقول للتي عند رجلي يا مسعودة ان سيدنا مسكين شبابه ويا خسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الاخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التي كل ليلة تبيت في غير فراشه فقالت التي عند رأسي ان سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أوهي تخليه باختياره بل تعمل له عملا في قدح الشراب الذي يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجري ولم يعلم أين تذهب ولا بما تصنع لانها بعد ما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتغيب الى الفجر وتأتي اليه وتبخره عند أنفه بشيء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضياء في وجهي ظلاما وما صدقت أن الليل أقبل وجاءت بنت عمي من الحمام فمددنا السماط وأكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذي أشربه عند المنام فناولتني الكاس فتراوغت عنه وجعلت أني أشربه مثل عادتي ودلقته في عبي ورقدت في الوقت والساعة واذا بها قالت نم ليتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسي من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت في أسواق المدينة الى أن انتهت الى أبواب المدينة فتكلمت بكلام لا أفهمه فتساقطت الاقفال وانفتحت الابواب وخرجت وأنا خلفها وهي لا تشعر حتى انتهت الى ما بين الكيمان وأتت حصنا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هي وصعدت أنا على سطح القبة وأشرفت عليها واذا بها قد دخلت على عبد اسود احدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتلي وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الارض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه اليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك الى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وأنا ما رضيت أن أشرب من شأنك فقالت يا سيدي وحبيب قلبي أما تعلم أني متزوجة بابن عمي وأنا أكره النظر في صورته وأبغض نفسي في صحبته ولولا أني أخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابا يصيح فيها البوم والغراب وانقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وأنا أحلف وحق فتوة السودان والا تكون مروأتنا مروأة البيضان ان بقيت تقعدي الى هذا الوقت من هذا اليوم لا اصاحبك ولا اضع جسدي على جسدك يا خائنة اتغيبين علي من اجل شهوتك يا منتنة يا اخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامها وانا انظر بعيني ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما ولم اعرف روحي في أي موضع وصارت بنت عمي واقفة تبكي عليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبي وثمرة فؤادي ما احد غيرك بقي لي فان طردتني يا ويلي يا حبيبي يا نور عيني وما زالت تبكي وتتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت وقلعت ثيابها ولباسها وقالت له يا سيدي هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفي اللقان فان تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومرمشيها وقومي لهذه القوارة تجدي فيها بوظة فاشربيها فقامت واكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التي قد فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت

واخذت السيف من بنت عمى وهممت ان اقتل الاثنين فضربت العبد اولا على رقبته فظننت انه قد قضى عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما اصبح الصباح دخل الملك الى محل الحكم واحتبك الديوان الى آخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها اختها دنيازاد يا اختى تمى لنا حديثك قالت حبا وكرامة

(فلما كانت الليلة الثامنة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لأقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت انى قتلته فشخر شخيرا عاليا فتحركت بنت عمى وقامت بعد ذهابى فأخذت السيف وردته الى موضعه وأتت المدينة ودخلت القصر ورقدت فى فراشى الى الصباح ورأيت بنت عمى فى ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمى لا تلمنى فيما أفعله فانه بلغنى ان والدتى توفيت وان والدى قتل فى الجهاد وان أخوى أحدهما مات ملسوعا والآخر رديما فيحق لى أن أبكى وأحزن فلما سمعت كلامها سكتت عنها وقلت لها افعلى ما بدالك فانى لا أخالفك فمكثت فى حزن وبكاء وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لى أريد أن ابنى لى فى قصرك مدفنا مثل القبة وأنفرد فيه بالاحزان وأسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلى ما بدالك فبنت لها بيتا للحزن وبنت فى وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وأنزلته فيه وهو ضعيف جدا لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليوم الذى جرحته فيه ما تكلم الا انه حى لان أجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكى عنده وتعدد عليه وتسقيه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحالة صباحا ومساء الى ثانى سنة وأنا أطول بالى عليها الى أن دخلت عليها يوما من الايام على غفلة فوجدتها تبكى وتلطم وجهها وتقول هذه الابيات

عدمت وجودى فى الورى بعد بعدكم * فان فؤادى لا يحب سواكم
خذوا كرما جسمى الى أين ترتموا * وأين حللتم فادفنونى حذاكم
وان تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم * أنين عظامى عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفى مسلول فى يدى هذا كلام الخائنات اللاتى ينكرن العشرة ولا يحفظن الصحبة وأردت ان أضربها فرفعت يدى فى الهواء فقامت وقد علمت انى أنا الذى جرحت العبد ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا أفهمه وقالت جعل الله بسحرى نصفك حجرا ونصفك الآخر بشرا فصرت كما ترى وبقيت لا أقوم ولا أقعد ولا أنا ميت ولا أنا حى فلما صرت هكذا سحرت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا أربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهود ومجوسا فسحرتهم سمكا فالابيض مسلمون والاحمر مجوس والازرق نصارى والاصفر يهود وسحرت الجزائر الاربع أربعة جبال وأحاطتها بالبركة ثم انها كل يوم تعذبنى وتضربنى بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسنى من تحت هذه الثياب ثوبا من الشعر على نصفى الفوقانى ثم ان الشاب بكى وأنشد هذا الشعر

صبرا لحكمك يا الهى والقضا * أنا صابر ان كان فيه لك الرضا
قد ضقت بالامر الذى قد نابنى * فوسيلتى آل النبى المرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال له أيها الشاب زدتنى هما على همى ثم قال له وأين تلك المرأة قال فى المدفن الذى فيه العبد راقد فى القبة وهى تجىء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجىء الى وتجردنى من ثيابى وتضربنى بالسوط مائة ضربة وأنا ابكى وأصيح ولم يكن فى حركة حتى ادفعها عن نفسى ثم بعد ان تعاقبنى

تذهب

تذهب الى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار قال الملك والله يافتى لافعلن معك معروفا أذكر به وجميلا يؤرخونه سيرا من بعدى ثم جلس الملك يتحدث معه الى ان أقبل الليل ثم قام الملك وصبر الى ان جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض الى المحل الذى فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل ورأى البخور والادهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه فى بئر كانت فى القصر ثم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل فى القبة والسيف معه مسلول فى طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه وأخذت سوطا وضربته فقال آه يكفينى ما أنا فيه فارحمينى فقالت هل كنت أنت رحمتنى وأبقيت لى معشوقى ثم ألبسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت ياسيدى كلمنى ياسيدى حدثنى وأنشدت تقول

فالى متى هذا التجنب والجفا * ان الذى فعل الغرام لقد كفى
كم قد تطيل الهجر لى متعمدا * ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت ياسيدى كلمنى وحدثنى فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لاحول ولاقوة الا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشى عليها ثم انها استفاقت وقالت لعل سيدى صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال ياعاهرة أنت لاتستحقى ان أكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه انك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى أحرمتينى النوم من العشاء الى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعو عليك حتى أقلقنى صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذى منعنى عن جوابك فقالت عن اذنك اخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه وأريحينا فقالت سمعا وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة الى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلى كما يغلى القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما تلوته ان تخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولاترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت فى وجهه فخرج من بين يديها وعادت الى القبة ونزلت وقالت ياسيدى اخرج الى حتى أنظرك فقال لها بكلام ضعيف اى شئ فعلتيه أرحتينى من الفرع ولم تريحينى من الاصل فقالت ياحبيبى وما هو الاصل قال أهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعو على وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمى فخلصيهم وتعالى خذى بيدى وأقيمينى فقد توجهت الى العافية فلما سمعت كلام الملك وهى تظنه العبد قالت له وهى فرحة ياسيدى على رأسى وعينى بسم الله ثم نهضت وقامت وهى مسرورة تجرى وخرجت الى البركة وأخذت من مائها قليلا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصبية الساحرة لما أخذت شيأ من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لايفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين فى الحال وانفك السحر عن أهل المدينة وصارت المدينة عامرة والاسواق منصوبة وصار كل واحد فى صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة رجعت الى الملك فى الحال وهى تظن أنه العبد وقالت له ياحبيبى ناولنى يدك الكريمة أقبلها فقال الملك بكلام خفى تقربى منى فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به فى صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا فى انتظاره فهنأه بالسلامة

وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك أتقعد فى مدينتك أم تجىء معى الى مدينتى فقال الشاب ياملك الزمان أتدرى ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ ان بينك وبين مدينتك سنة للمجد وما أتيت فى يومين ونصف الا لان المدينة كانت مسحورة وأنا أيها الملك لا أفارقك لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذى من على بك فأنت ولدى لانى طول عمرى لم أرزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر وأخبر الملك الذى كان مسحورا أرباب دولته أنه مسافر الى الحج الشريف فهيؤا له جميع ما يحتاج اليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكا ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة حتى أقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعدما قطعوا الرجاء منه وأقبلت العساكر وقبلت الارض بين يديه وهنؤه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسى ثم أقبل على الوزير وأعلمه بكل ماجرى على الشاب فلما سمع الوزير ماجرى على الشاب هنأه بالسلامة ولما استقر الحال أنعم السلطان على ناس كثيرة ثم قال للوزير على بالصياد الذى أتى بالسمك فأرسل الى ذلك الصياد الذى كان سببا لخلاص أهل المدينة فاحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فأخبره أن له ابنا وبنتين فتزوج الملك باحدى بنتيه وتزوج الشاب بالاخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم أرسل الوزير الى مدينة الشاب التى هى الجزائر السود وقلده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكا الذين جاؤا معه وأرسل معه كثيرا من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرا واستقر السلطان والشاب وأما الصياد فانه قد صار أغنى أهل زمانه وبناته زوجات الملوك الى أن أتاهم الممات وما هذا بأعجب مما جرى للحمال

﴿حكاية الحمال مع البنات﴾

فانه كان انسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو فى السوق يوما من الايام متكئا على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصلى من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سود باهداب وأجفان وهى ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعنى فما صدق الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها الى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصرانى فأعطته دينارا وأخذت منه مقدارا من الزيتون ووضعته فى القفص وقالت له أحمله واتبعنى فقال الحمال هذا والله نهار مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهانى واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عمانيا وياسمينا حلبيا وبنوفرا دمشقيا وخيارا نيليا وليمونا مصريا وأترجا سلطانيا ومرسينا وريحانيا وتمر حنا وأقحوانا وشقائق النعمان وبنفسجا وجلنارا ونسرينا ووضعت الجميع فى قفص الحمال وقالت أحمل فحمل وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت له اقطع عشرة أرطال لحما فقطع لها ولفت اللحم فى ورق موز ووضعته فى القفص وقالت احمل ياحمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلى وأخذت من سائر النقل وقالت للحمال احمل واتبعنى فحمل القفص وتبعها الى أن وقفت على دكان الحلوانى واشترت طبقا وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطائف بالمسك محشية وصابونية وأقراص ليمونية وميمونية وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضى ووضعت جميع أنواع الحلاوة فى الطبق ووضعته فى القفص فقال الحمال لو أعلمتينى لجئت معى ببغل فحمل عليه هذه الامور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وماء خلاف

وغير

وغير ذلك واخذت قدرا من السكر وأخذت مرش ماء ورد مسك وشمعى لبان ذكر وعودا وعنبرا ومسكا وأخذت شمعا اسكندرانيا ووضعت الجميع فى القفص وقالت احمل قفصك واتبعنى فحمل القفص وتبعها الى أن أتت دارا مليحة وقدامها رحبة فسيحة وهى عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بشقتين من الآبنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقا لطيفا واذا بالباب انفتح بشقتيه فنظر الحمال الى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر فى الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوى تحت الثياب كطى السجل للكتاب فلما نظر الحمال اليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقع من فوق رأسه ثم قال ما رأيت عمرى أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبا وهى من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب وسدلات وخزائن عليها الستور مرخيات وفى وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الاطلس الاحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشمس المضية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد * أضحى القياس به زورا وبهتانا
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسيا * وأنت أحسن ما نلقاك عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا الى أن صارت فى وسط القاعة عند أختيها وقالت ما وقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحططن عن الحمال وفرغن ما فى القفص وصفوا كل شئ فى محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه يا حمال فنظر الى البنات وما هن فيه من الحسن والطبائع الحسنات فلم ير أحسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لا تروح هل أنت استقللت الاجرة والتفتت الى أختها وقالت لها أعطيه دينارا آخر فقال الحمال والله يا سيداتى ان أجرتى نصفان وما استقللت الأجرة وانما اشتغل قلبى وسرى بكن وكيف حالكن وأنتن وحدكن وما عندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وانتن تعرفن ان المنارة لا تثبت الا على أربعة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء الا بالرجال كما قال الشاعر

انظر الى أربع عندى قد اجتمعت * جنك وعود وقانون ومزمار

وأنتن ثلاثة فتفتقرن الى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا وللاسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف ان نودع السر عند من لا يحفظه وقد قرأنا فى الاخبار شعرا

صن عن سواك السر لا تودعه * من أودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن انى رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطالعت التواريخ اظهر الجميل وأخفى القبيح وأعمل بقول الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذى ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندى فى بيت له غلق * ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمع البنات الشعر والنظام وما أبداه من الكلام قلن له أنت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من

المال فهل معك شيء تجازينا به فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لان خاطرك أن تجلس عندنا وتصير نديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار اذا كانت بغير المال محبة فلا تساوي وزن حبة وقالت البوابة ان لم يكن معك شيء رح بلا شيء فقالت الدلالة يا أختي نكف عنه فوالله ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه علينا ومهما جاء عليه أغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم الا منك فقلن له اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القناني وروّقت المدام وعملت الخضرة على جانب البحر وأحضرت ما يحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هي واختها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه في المنام ثم قدمت باطية المدام وملأت أول قدح وشربته والثاني والثالث ثم ملأت وناولت اختها والاخرى ثم ملأت وناولت الحمال فأخذ الحمال منها الكأس وأنشد هذا الشعر

اشرب الراح فائزا بالعوافي * ان هذا الشراب للداء شافي

وقال أيضا هذا البيت

لا يشرب الراح الا من به طرب * يكون بالسكر في افراحه وافي

وبعد هذا الشعر قبل أيديهن وشرب معهن ثم نزل عند صاحبة المحل وقال يا سيدتي أنا عبدك ومملوكك وخدامك وأنشد يقول على الباب عبد من عبيدك واقف * بجودك والاحسان والشكر عارف

فقالت اشرب هنيأ وعافية في مجاري الصحة فأخذ الكاس وقبل يديها وترنم بقول الشاعر

ناولتها شبه خديها مشعشعة * حمراء يحكي سناها ضوء مقباس

فقبلتها وقالت وهي ضاحكة * فكيف تسقي خدود الناس للناس

قلت اشربي فهي من دمعي وحمرتها * دمي ومازجها في الكاس أنفاسي

فأخذت الصبية القدح وشربته ونزلت عند أختها ولا زالن والحمال بينهن في رقص وغناء ومشمومات ولم يزل الحمال معهن في عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها في تلك البحيرة ولعبت في الماء وأخذت الماء في فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها في حجر الحمال وقالت له يا حبيبي ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت يوه يوه أما تستحي ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة يا حبق الجسور ثم انهم أداروا الكاس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في تلك البحيرة وعملت مثل الاولى وطلعت ورمت نفسها في حجر الحمال وأشارت الى فرجها وقالت يا نور عيني ما اسم هذا قال فرجك قالت أما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفا طن له سائر ما في القاعة فقال حبق الجسور فقالت لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها وألقت نفسها في حجر الحمال وقالت له أيضا ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا الى ان قال لها وهي تضربه وما اسمه فقالت خان أبي منصور ثم بعد ساعة قام الحمال ونزع ثيابه ونزل في البحيرة وذكره يسبح في الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه في حجر سيدتهن ورمى ذراعيه

فى حجر البوّابة ورمى رجليه فى حجر الدلالة ثم أشار الى ايره وقال ياسيدتى ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا وأخذ من كل واحدة عضة قلن ايرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة العاشرة * قالت لها أختها دنيازاد يا أختى أتمى لنا حديثك قالت حبا وكرامة قد بلغنى أيها الملك السعيد انهن لم يزلن يقلن زبك ايرك وهو يقبل ويعض ويعانق وهن يتضاحكن الى أن قلن له وما اسمه قال اسمه البغل الجسور الذى يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت فى خان أبى منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا الى منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى ان أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا عرض أكتافك فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح الى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتى عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فانه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط ان تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوبا فقام الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال الحمال اشهدوا انى لا أتكلم فيما لا يعنينى ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولا فأكلوا ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا فى أكل وشرب واذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهم الى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفانا فى هذه الليلة لانى وجدت بالباب ثلاثة أعجام ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق وهم ناس غرباء قد حضروا من ارض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فان دخلوا نضحك عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون واشرطى عليهم ان لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشواربهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقام لهم البنات واقعدوهم فنظر الثلاثة رجال الى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول اما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن اننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الاكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوّابة تسقيهم ولما دار الكاس بينهم قال الحمال للصعاليك يا اخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فدبت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فأحضرت لهم البوّابة دفا موصليا وعودا عراقيا وجنكا عجميا فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذ واحد العود وأخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فقامت البوّابة لتنظر من بالباب وكان السبب فى دق الباب أن فى تلك الليلة نزل الخليفة هرون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الاخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته ان يتنكر فى صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى فى المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهى فقال الخليفة لجعفر انى اريد أن ندخل هذه الدار ونشاهد صاحب هذه الاصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى ان يصيبنا منهم شر فقال لا بد من دخولنا واريد ان تتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوّابة وفتحت الباب فقال لها يا سيدتى نحن تجار من طبرية ولنا فى بغداد عشرة ايام ومعنا تجارة ونحن نازلون فى خان التجار وعزم علينا تاجر فى هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما فأكلنا ثم

تنادمنا عنده ساعة ثم اذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فقتهنا عن الخان الذى نحن فيه فنرجوا من مكارمكم ان تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة اليهم فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فوافقتاها أدخليهم فرجعت وفتحت لهم الباب فقالوا لها أندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلن مرحبا واهلا وسهلا بأضيافنا ولنا عليكم شرط ان لا تتكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعوا ما لا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة الى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر الى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمروا فى المنادمة والحديث وأتين للخليفة بشراب فقال انا حاج وانعزل عنهم فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصينى وسكبت فيها ماء الخلاف وارخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال فى نفسه لا بد ان اجازيها فى غد على فعلها من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم اخذت بيد الدلالة وقالت يا اختى قومى لنقضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة واطلعت الصعاليك خلف الابواب قدامهن وذلك بعد أن اخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما انت غريب بل انت من اهل الدار فقام الحمال وشد وسطه وقال ما تردن فقلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدنى فرأى كلبتين من الكلاب السود فى رقبتيهما جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما الى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها واخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهما فجرها فى الجنزير وقدمها والكلبة تبكى وتحرك رأسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ ولا زالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالأولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفرا أن يسألها فقال له بالاشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها قومى لقضاء ما عليك قالت نعم ثم ان صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا ما عندكما فأما البوابة فانها صعدت على سرير بجانبها وأما الدلالة فانها دخلت مخدعا واخرجت منه كيسا من الاطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس وأخرجت منه عودا وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الابيات

ردوا على جفنى النوم الذى سلبا * وخبرونى بعقلى أية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة * أن المنام على جفنى قد غضبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما * أغواك قلت اطلبوا من لحظه السببا
انى له عن دمى المسفوك معتذر * أقول حملته فى سفكه تعبا
ألقى بمرآة فكرى شمس صورته * فعكسها شب فى أحشائى اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد * أجرى بقيته فى ثغره شنبا
ماذا ترى فى محب ماذكرت له * الا شكا أو بكى أو حن أو طربا
يرى خيالك فى الماء الزلال اذا * رام الشراب فيروى وهو ما شربا

وأنشدت أيضا سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عينى تمايله

فما السلاف سلتني بل سوالفه * وما الشمول شلتني بل شمائله
لوى بعزمي أصداغ لوين له * وغال عقلي عاتحوى غلائله

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة عليه أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها وأتت اليها بحلة وألبستها اياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر الى هذه المرأة وما عليها من أثر الضرب فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا ولا أستريح الا ان وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا شرطا وهو أن لا نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته الى نهدها وغمزته بأناملها وأنشدت تقول

ان شكونا الهوى فماذا نقول * أو تلفنا شوقا فماذا السبيل
أو بعثنا رسلا نترجم عنا * ما يؤدى شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما لنا من بقاء * بعد فقد الاحباب الا قليل
ليس الا تأسفا ثم حزنا * ودموعا على الخدود تسيل
أيها الغائبون عن لمح عيني * وهم في الفؤاد مني حلول
هل حفظتم لدى الهوى عهد صب * ليس عنه مدى الزمان يحول
أم نسيتم على التباعد صبا * شفه فيكم الضنى والنحول
واذا الحشر ضمنا أتمنى * من لدن ربنا حسابا يطول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الأولى وصرخت ثم ألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد أن رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غني لي لأوفي ديني فما بقي غير هذا الصوت فأصلحت الدلالة العود وأنشدت هذه الابيات

فالى متى هذا الصدود وذا الجفا * فلقد جرى من أدمعي ما قد كفى
كم قد أطلت الهجر لي متعمدا * ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى
لو أنصف الدهر الخؤن لعاشق * ما كان يوما للعواذل منصفا
فلمن أبوح بصبوتي يا قاتلي * يا خيبة الشاكي اذا فقد الوفا
ويزيد وجدي في هواك تلهفا * فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا
يا مسلمون خذوا بثار متيم * ألف السهاد لديه طرف ما غفا
أيحل في شرع الغرام تذللي * ويكون غيري بالوصال مشرفا
ولقد كلفت بحبكم متلذذا * وغدا عذولي في الهوى متكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه أثر ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك ليتنا ما دخلنا هذه الدار وكنا بتنا على الكيمان فقد تكدر مبيتنا هنا بشيء يقطع الصلب فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة أما انتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع الا للرجل الذي عندكم فقال الحمال والله ما رأيت هذا الموضع الا هذه الليلة وليتني بت على الكيمان ولم ابت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فان لم يجبننا

طوعا احببتنا كرها اتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأى سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفى به ولم يبق من الليل الا القليل وكل منا يمضى الى حال سبيله ثم انه غمز الخليفة وقال ما بقى غير ساعة وفى غد نحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لى صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة فى أى شئ تتكلمون فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتى سألتك بالله واقسم عليك به ان تخبرينا عن حال الكلبتين وبأى سبب تعاقبينهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وان تخبرينا عن سبب ضرب اختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة صحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم الا جعفرا فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الأذية البالغة وتقدم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه أما كفى اننا ادخلناكم منزلنا واطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وانما الذنب لمن أوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الارض ثلاث ضربات وقالت عجلوا واذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا ايتها المخدرة ائذنى لنا فى ضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله يا سيدتى لا تقتلينى بذنب الغير فان الجميع اخطؤا ودخلوا فى الذنب الا انا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لأخربوها ثم انشد يقول

ما احسن الغفران من قادر * لاسيما عن غير ذى ناصر

بحرمة الود الذى بيننا * لا تقتلى الاول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية عشرة﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت بعد غيظها اقبلت على الجماعة وقالت اخبرونى بخبركم فما بقى من عمركم الا ساعة ولولا انتم اعزاء او اكابر قومكم او حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا والا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغى الهزل فى وقت الجد كل منهما له وقت ثم ان الصبية اقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل انتم اخوة فقالوا لها لا والله ما نحن الا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا والله وانما قد جرى لى أمر عجيب حين تلفت عينى ولهذا الامر حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثانى والثالث فقالا لها مثل الاول ثم قالوا ان كل واحد منا من بلد وان حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكى حكايته وما سبب مجيئه الى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح الى حال سبيله فأول من تقدم الحمال فقال يا سيدتى انا رجل حمال حملتنى هذه الدلالة وأتت بى هنا وجرى لى معكن ما جرى وهذا حديثى والسلام فقالت له ملس على رأسك ورح فقال والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائى فتقدم الصعلوك الاول وقال لها يا سيدتى اعلمى ان سبب حلق ذقنى وتلف عينى ان والدى كان ملكا وله أخ وكان أخوه ملكا فى مدينة أخرى واتفق ان أمى ولدتنى فى اليوم الذى ولد فيه ابن عمى ثم مضت سنون وأعوام وأيام حتى كبرنا وكنت أزور عمى فى بعض السنين وأقعد عنده اشهرا عديدة فزرته مرة فاكرمنى ابن عمى غاية الاكرام وذبح لى الاغنام وروق لى المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال لى ابن عمى يا ابن

عمى ان لى عندك حاجة مهمة وأريد أن لا تخالفنى فيما أريد ان افعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق منى بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوى مبلغا عظيما فالتفت الى والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقنى على الجبانة الفلانية ووصفها الى فعرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرنى هناك فلم يمكنى المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لاجل اليمين الذى حلفته فأخذت المرأة وسرت الى ان دخلت التربة انا واياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمى ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم انه أخذ القدوم وجاء الى قبر فى وسط التربة ففكه ونقض أحجاره الى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم فى الارض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت الى المرأة بالاشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت الى وقال يا ابن عمى تمم المعروف اذا نزلت انا فى ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذى فى الكيس وهذا الماء الذى فى الطاسة اعجن منه الجبس وجبس القبر فى دائر الاحجار كما كان أول حتى لا يعرفها أحد ولا يقول هذا فتح جديد وبطنه عتيق لان لى سنة كاملة وأنا أعمل فيه وما يعلم به الا الله وهذه حاجتى عندك ثم قال لى لا أوحش الله منك يا ابن عمى ثم نزل على السلم فلما غاب عن عينى قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرنى به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت الى قصر عمى وكان عمى فى الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيها بينى وبين ابن عمى وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم ثم خرجت الى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد ليها فرجعت الى القصر ولم آكل ولم أشرب وقد اشتغل خاطرى بابن عمى من حيث لا أعلم له حالا فاغتممت غما شديدا وبت ليلتى مغموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمى وندمت على سماعى منه وقد فتشت فى الترب جميعا فلم أعرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقا فزادبى الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجا دون أن سافرت ورجعت الى أبى فساعة وصولى الى مدينة أبى نهض الى جماعة عن باب المدينة وكتفونى فتعجبت كل العجب لانى ابن سلطان المدينة وهم خدم أبى وغلمانى ولحقنى منهم خوف زائد فقلت فى نفسى يا ترى ما جرى على والدى وصرت أسأل الذين كتفونى عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا ثم بعد حين قال لى بعضهم وكان خادما عندى ان أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فأخذونى وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الاخبار التى سمعتها عن أبى فلما تمثلت بين يدى الوزير الذى قتل أبى وكان بينى وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أنى كنت مولعا بضرب البندق فاتفق انى كنت واقفا يوما من الايام على سطح قصرى واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا هناك فأردت ان اضرب الطير واذا بالبندقة أخطأت الطير وأصابت عين الوزير فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

دع الاقدار تفعل ما تشاء * وطب نفسا بفعل القضاء
ولا تفرح ولا تحزن بشئ * فان الشئ ليس له بقاء

وكما قال الآخر

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى ارض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما أتلفت عين الوزير لم يقدر ان يتكلم لان والدى كان ملك المدينة فهذا سبب

العداوة بيني وبينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف امر بضرب عنقي فقلت له أتقتلني بغير ذنب فقال اى ذنب اعظم من هذا واشار الى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فأنا أفعله بك عمدا ثم قال قدموه بين يدي فقدموني بين يديه فمد أصبعه في عيني الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت اعور كما تروني ثم كتفني ووضعني في صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به الى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بي السياف وسار حتى خرج من المدينة وأخرجني من الصندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد ان يغمي عيني ويقتلني فبكيت وانشدت هذه الابيات

جعلتكم درعا حصينا لتمنعوا * سهام العدا عني فكنتم نصالها
وكنت أرجي عند كل ملمة * تخص يميني ان تكونوا شمالها
دعوا قصة العذال عني بمعزل * وخلوا العدا ترمي الي نبالها
اذا لم تقوا نفسي مكايدة العدا * فكونوا سكوتا لا عليها ولا لها

وانشدت ايضا هذه الابيات

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف أبي وكان لي عليه الاحسان قال ياسيدي كيف أفعل وأنا عبد مأمور ثم قال لي فز بعمرك ولا تعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكني معك كما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعي من بناها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل * وأرض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى * بأنفسها تولت ما عناها

فلما قال لي ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان علي تلف عيني بنجاتي من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمي فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدي وبما جرى لي من تلف عيني فبكى بكاء شديدا وقال لقد زدتني هما على همي وغما على غمي فان ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بما جرى له ولم يخبرني أحد بخبره وبكى حتى أغمي عليه فلما استفاق قال ياولدي قد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وأنت زدتني بما حصل لك ولابيك غما على غمي ولكن ياولدي بعينك ولا بروحك ثم انه لم يمكني السكوت عن ابن عمي الذي هو ولده فأعلمته بالذي جرى له كله ففرح عمي بما قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه وقال أرني التربة فقلت والله ياعمي لم أعرف مكانها لاني رحت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمي الى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ففرحت أنا وعمي فرحا شديدا ودخلت أنا واياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت أنا وعمي مقدار خمسين درجة فلما وصلنا الى آخر السلم واذا بدخان طلع علينا فغشي أبصارنا فقال عمي الكلمة التي لا يخاف قائلها وهي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقا وحبوبا ومأكولا وغير ذلك

ورأينا

ورأينا في وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمي الى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التي قد نزلت معه صارا فحما اسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا في جب نار فلما نظر عمي ذلك بصق في وجهه وقال تستحق يا خبيث فهذا عذاب الدنيا وبقي عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية عشرة﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يسمعون الكلام ثم ان عمي ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الاسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمي حيث صار هو والصبية فحما اسود ثم قلت بالله يا عمي خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سري وخاطري بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحما اسود اما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخي ان ولدي هذا كان من صغره مولعا بحب اخته وكنت انهاه عنها واقول في نفسي انهما صغيران فلما كبرا وقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم اصدق ولكن زجرته زجرا بليغا وقلت له احذر من هذه الفعال القبيحة التي لم يفعلها احد قبلك ولا يفعلها احد بعدك والا نبقى بين الملوك بالعار والنقصان الى الممات وتشيع اخبارنا مع الركبان واياك ان تصدر منك هذه الفعال فاني اسخط عليك واقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منهما فلما رآني حجبته فعل هذا المكان الذي تحت الارض خفية ونقل فيه المأكول كما تراه واستغفلني لما خرجت الى الصيد وأتى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى واحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم بكى وبكيت معه وقال لي أنت ولدي عوضا عنه ثم اني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير والدي واخذه مكانه وتلف عيني وما جرى لابن عمي من الحوادث الغريبة فبكيت ثم اننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الابطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل ان وزير اخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة واهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه فقلت في نفسي متى وقعت أنا في يده قتلني وتراكمت على الاحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت لأبي وأمي ولم أعرف كيف العمل فان ظهرت عرفني واهل المدينة وعسكر ابي فيسعون في قتلي وهلاكي فلم اجد شيأ انجو به الا حلق ذقني فحلقتها وغيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعل احدا يوصلني الى امير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى احكي له قصتي وما جرى لي فوصلت الى هذه المدينة في هذه الليلة فوقفت حائرا ولم ادر اين امضي واذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال وأنا غريب أيضا فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال أنا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت الصبية ملس على رأسك وروح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله أنا ما رأيت مثل الذي جرى لهذا الصعلوك * ثم تقدم الصعلوك الثاني وقبل الارض وقال يا سيدتي أنا ما ولدت أعور وانما لي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك ابن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت في سائر العلوم حتى فقت أهل زماني فعظم حظي عند سائر

الكتابة وشاع ذكرى فى سائر الاقاليم والبلدان وشاع خبرى عند سائر الملوك فسمع بى ملك الهند
فأرسل يطلبنى من أبى وارسل اليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزنى أبى فى ست مراكب وسرنا فى البحر
مدة شهر كامل حتى وصلنا الى البر واخرجنا خيلا كانت معنا فى المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا
قليلا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد الاقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون
فارسا وهم ليوث عوابس فتأملناهم واذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة
احمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وأشرعوا الرماح بين ايديهم نحونا فأشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم
نحن رسل الى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا فى ارضه ولا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض
الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد ان جرحت جرحا بليغا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التى
كانت معنا فصرت لا أدرى اين اذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا وسرت الى ان أتيت رأس الجبل
فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت الى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده
واقبل عليها الربيع بورده ففرحت بوصولى اليها وقد تعبت من المشى وعلانى الهم والاصفرار فتغيرت
حالتى ولا ادرى اين اسلك فملت الى خياط فى دكان وسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى وباسطنى
وسألنى عن سبب غربتى فأخبرته بما جرى لى من اوله الى آخره فاغتم لأجلى وقال يا فتى لا تظهر ما عندك
فانى اخاف عليك من ملك هذه المدينة لانه أكبر اعداء ابيك وله عنده ثار ثم احضر لى مأكولا ومشروبا
فأكلت وأكل معى وتحادثت معه فى الليل واخلى لى محلا فى جانب حانوته واتانى بما احتاج اليه من فراش
وغطاء فأقمت عنده ثلاثة ايام ثم قال لى أما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له انى فقيه طالب علم كاتب
حاسب فقال ان صنعتك فى بلادنا كاسدة وليس فى مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال فقلت
والله لا ادرى شيأ غير الذى ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فأسا وحبلا واحتطب فى البرية حطبا
تتقوت به الى ان يفرج الله عنك ولا تعرف احدا بنفسك فيقتلوك ثم اشترى لى فاسا وحبلا وارسلنى مع
بعض الحطابين واوصاهم على فخرجت معهم واحتطبت فأتيت بحمل على رأسى فبعته بنصف دينار
فأكلت ببعضه وأبقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتى الى
البرية لاحتطب منها ودخلتها فوجدت فيها خميلة اشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة وأتيت شجرة
وحفرت حولها وأزلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس فى حلقة نحاس فنظفت التراب واذا هى فى
طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى أسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا محكم
البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفى عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت اليها سجدت
لخالقها لما ابدع فيها من الحسن والجمال فنظرت الى وقالت لى انت انسى ام جنى فقلت لها انسى فقالت
ومن اوصلك الى هذا المكان الذى لى فيه خمسة عشرون سنة ما رأيت فيه انسيا ابدا فلما سمعت كلامها
وجدت له عذوبة وقلت لها يا سيدتى اوصلنى الله الى منزلك ولعله يزيل همى وغمى وحكيت لها ما جرى لى
من الاول الى الآخر فصعب عليها حالى وبكت وقالت انا الاخرى اعلمك بقصتى فاعلم انى بنت ملك اقصى
الهند صاحب جزيرة الآبنوس وكان قد زوجنى بابن عمى فاختطفنى ليلة زفافى عفريت اسمه جرجريس
ابن رجموس بن ابليس فطار بى ونزل فى هذا المكان ونقل فيه كل ما احتاج اليه من الحلى والحلل
والقماش والمتاع والطعام والشراب وفى كل عشرة ايام يجيئنى مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدنى اذا عرضت
لى حاجة ليلا أو نهارا ان المس بيدى هذين السطرين المكتوبين على القبة فما ارفع يدى حتى اراه عندى

ومنذ

ومنذ كان عندي له اليوم اربعة ايام وبقي له ستة ايام حتى يأتي فهل لك أن تقيم عندي خمسة ايام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على اقدامها واخذت بيدي وادخلتني من باب مقنطر وانتهت بي الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابي وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة واجلستني معها واتت بسكر مسك وسقتني ثم قدمت لي مأكولا فاكلنا وتحادثنا ثم قالت لي نم واسترح فانك تعبان فنمت يا سيدتي وقد نسيت ما جرى لي وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله اني كنت ضيقة الصدر وانا تحت الارض وحدي ولم اجد من يحدثني خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذي ارسلك الي ثم انشدت

لو علمنا مجيئكم لفرشنا * مهجة القلب او سواد العيون
وفرشنا خدودنا والتقينا * ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها في قلبي وذهب عني همي وغمي ثم جلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري واصبحنا مسرورين فقلت لها هل اطلعك من تحت الارض وأريحك من هذا الجني فضحكت وقالت اقنع واسكت ففي كل عشرة أيام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب علي الغرام فأنا في هذه الساعة أكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجي حتى اقتله فاني موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي أنشدت تقول

يا طالبا للفراق مهلا * بحيلة قد كفى اشتياق
اصبر فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم ألتفت لكلامها بل رفست القبة رفسا قويا * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثالثة عشرة * قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصعلوك الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفست القبة رفسا قويا قالت لي المرأة ان العفريت قد وصل الينا اما حذرتك من هذا والله لقد آذيتني ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت نعلي وفاسي فلما طلعت درجتين التفت لأنظرهما فرأيت الارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ما هذه الزعجة التي ارعشتيني بها فما مصيبتك فقالت ما اصابني شيء غير ان صدري ضاق فأردت ان اشرب شرابا يشرح صدري فنهضت لاقضي اشغالي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر في القصر يمينا وشمالا فرأى النعل والفاس فقال لها ما هذه الامتاع الانس من جاء اليك فقالت ما نظرتهما الا في هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لا ينطلي علي يا عاهرة ثم انه اعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن علي ان اسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورا من الخوف فلما وصلت الى اعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهي لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها الا بسببي وتذكرت ابي ومملكته وكيف صرت حطابا فقلت هذا البيت

اذا ما اتاك الدهر يوما بنكبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقي الخياط فلقيته من اجلي على مقالي النار وهو لي في الانتظار فقال لي انى بت البارحة وقلبي عندك وخفت عليك من وحش او غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علي

ودخلت خلوتى وجعلت اتفكر فيما جرى لى والوم نفسى على رفسى هذه القبة واذا بصديقى الخياط دخل على وقال لى فى الدكان شخص اعجمى يطلبك ومعه فاسك ونعلك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم انى خرجت وقت اذان المؤذن لاجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم اعلم لمن هما فدلونى على صاحبهما فدله الخياطون عليك وها هو قاعد فى دكانى فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لونى وتغير حالى فبينما انا كذلك واذا بارض محلى قد انشقت وطلع منها الاعجمى واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشىء فأخذ الفاس والنعل وقال لها ان كنت جرجيس من ذرية ابليس فأنا اجىء بصاحب هذا الفاس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة الى الخياطين ودخل على ولم يمهلنى بل اختطفنى وطار وعلا بى ونزل بى وغاص فى الارض وانا لا اعلم بنفسى ثم طلع بى القصر الذى كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناى بالدموع فأخذها العفريت وقال لها يا عاهرة هذا عشيقك فنظرت الى وقالت له لا أعرفه ولا رأيته الا فى هذه الساعة فقال لها العفريت أهذه العقوبة ولم تقرى فقالت ما رأيته عمرى وما يحل من الله ان اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنت لا تعرفينه فخذى هذا السيف واضربى عنقه فأخذت السيف وجاءتنى ووقفت على رأسى فأشرت لها بحاجبى ودمعى يجرى على وجنتى ففهمت وغمزتنى وقالت أنت الذى فعلت بنا هذا كله فأشرت لها ان هذا وقت العفو ولسان حالى يقول

يترجم طرفى عن لسانى لتعلموا * ويبدو لكم ما كان صدرى يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم * خرست وطرفى بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها * وأومى اليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضى الحوائج بيننا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية اشارتى رمت السيف من يدها يا سيدتى فناولنى العفريت السيف وقال لى اضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أنكد عليك فقلت نعم وأخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدى فقالت لى بحاجبها أنا ما قصرت فى حقك فهملت عيناى بالدموع ورميت السيف من يدى وقلت أيها العفريت الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقى فكيف يحل لى أن أضرب عنقها ولم أرها عمرى فلا أفعل ذلك أبدا ولو سقيت من الموت كاس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مودة ثم أخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطع أربعها بأربع ضربات وأنا انظر بعينى فأيقنت بالموت ثم أشارت الى بعينها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت الى وقال يا أنسى نحن فى شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهى بنت اثنتى عشرة سنة ولم تعرف أحدا غيرى وكنت أجيئها فى كل عشرة أيام ليلة واحدة فى زى رجل أعجمى فلما تحققت انها خانتنى قتلتها وأما انت فلم أتحقق أنك خنتنى فيها ولكن لا بد أنى ما أخليك فى عافية فتمن على أى ضرر ففرحت يا سيدتى غاية الفرح وطمعت فى العفو وقلت له وما أتمناه عليك قال تمن على أى صورة أسحرك فيها اما صورة كلب واما صورة حمار واما صورة قرد فقلت له وقد طمعت أنه يعفو عنى والله ان عفوت عنى يعفو الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذك وتضرعت اليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له أنا مظلوم فقال لى لا تطل على الكلام أما القتل فلا تخف منه وأما العفو عنك فلا تطمع فيه وأما

مضرك فلابد منه ثم شق الارض وطار بى الى الجو حتى نظرت الى الدنيا حتى كأنها قصعة ماء ثم حطنى على جبل وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشنى وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن مائة سنة فلما رأيت نفسى فى هذه الصورة القبيحة بكيت على روحى وصبرت على جور الزمان وعلمت أن الزمان ليس لأحد وانحدرت من أعلى الجبل الى أسفله وسافرت مدة شهر ثم ذهبت الى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة واذا أنا بمركب فى وسط البحر قد طاب ريحها وهى قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وصرت الى أن اتيت وسط المركب فقال واحد منهم أخرجوا هذا المشؤم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتله بهذا السيف فأمسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعى فحن على الريس وقال لهم يا تجار ان هذا القرد استجار بى وقد اجرته وهو فى جوارى فلا أحد يتعرض له ولا يشوش عليه ثم ان الريس صار يحسن الى ومهما تكلم به أفهمه وأقضى حوائجه كلها وأخدمه فى المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم الا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد أرسل اليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد يكتب فيه سطرا فقمت وأنا فى صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا أنى أقطعه وأرميه فى الماء فنهرونى وأرادوا قتلى فأشرت لهم أنى أكتب فقال لهم الريس دعوه يكتب فان لخبط الكتابة طردناه عنا وان أحسنها اتخذته ولدا فانى ما رأيت قردا أفهم منه ثم أخذت القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر

لقد كتب الدهر فضل الكرام * وفضلك للآن لا يحسب
فلا أيتم الله منك الورى * لأنك للفضل نعم الاب

(وكتبت بالقلم الريحان هذا الشعر)

له قلم عم الاقاليم نفعه * لتوقيعه للعالمين منافع
وخمسة أنهار أنامله التى * تسيل على الاقطار خمس أصابع

(وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين)

ومامن كاتب الا سيفنى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شئ * يسرك فى القيامة ان تراه

(وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين)

اذا فتحت دواة العز والنعم * فاجعل مدادك من جود ومن كرم
وا كتب بخير اذا ما كنت مقتدرا * بذاك شرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به الى الملك فلما تأمل الملك ما فى ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد الا خطى فقال لاصحابه توجهوا الى صاحب هذا الخط وألبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدى فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم بأمر فتضحكون على فقال أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذى كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميا وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد أن اشترى هذا القرد ثم بعث رسلا الى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لا بد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا الى المركب

وأخذوني من المركب وألبسوني الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك ورأيته قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات فأمرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الحاضرون من أدبي وكان الملك أكثرهم تعجبا ثم ان الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا الملك والطواشي ومملوك صغير وأنا ثم امر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فأشار الى الملك أن كل فقمت وقبلت الارض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدي وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين

أناجر الضأن ترياق من العلل * وأصحن الحلو فيها منتهى أملي
يالهف قلبي على مدّ السماط اذا * ماجت كنافته بالسمن والعسل

وكتبت أيضا هذين البيتين

اليك اشتياقي يا كنافة زائد * وليس غنى لي عنك كلا ولا صبر
فلازلت أكلي كل يوم وليلة * ولازال منهلا بجرمائك القطر

ثم قمت وجلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هل يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله ان هذا من أعجب العجب ثم قدم للملك شطرنج فقال لي الملك أتلعب قلت برأسي نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق أهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب الى سيدتك وقل لها كلمي الملك حتى تجيء فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشي وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرت الي غطت وجهها وقالت يا ابي كيف طاب على خاطرك ان ترسل الي فيراني الرجال الاجانب فقال يا بنتي ما عندي سوى المملوك الصغير والطواشي الذي رباك وهذا القرد وانا ابوك فمن تغطين وجهك فقالت ان هذا القرد ابن ملك واسم أبيه ايمار صاحب جزائر الآبنوس الداخلة وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذي هو من ذرية ابليس وقد قتل زوجته بنت ملك أقناموس وهذا الذي تزعم انه قرد انما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر الي وقال أحق ما تقول عنك فقلت برأسي نعم وبكيت فقال الملك لابنته من أين عرفت أنه مسحور فقالت يا أبت كان عندي وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتني صناعة السحر وقد حفظته واتقنته وعرفت مائة وسبعين بابا من ابوابه أقل باب منها أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف واجعلها لجة بحر واجعل أهلها سمكا في وسطه فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصي لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيري وهل فيك هذه الفضيلة ولم أعلم خلصيه حتى أجعله وزيري لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم اخذت بيدها سكينا وعملت دائرة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة عشرة﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية ياسيدتي ثم ان بنت الملك أخذت بيدها سكينا مكتوبا عليها أسماء عبرانية وخطت بها دائرة في وسط القصر وكتبت فيها أسماء وطلاسم وعزمت بكلام وقرأت كلاما لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد انطبقت علينا واذا بالعفريت قد تدلى علينا في أقبح صفة بأيد كالمداري ورجلين كالصواري وعينين كشعلتين يوقدان نارا ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا أهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو في صورة أسد يا خائنة كيف خنت اليمين أما تحالفنا على انه لا يتعرض أحد للآخر فقالت له يا لعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خذي ما جاءك ثم انقلب أسدا وفتح فاه وهجم على الصبية فأسرعت وأخذت

شعرة

شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا وضربت ذلك الاسد نصفين فصارت
رأسه عقربا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهجمت على هذا اللعين وهو فى صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا
ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب واستمرت ساعة زمانية ثم انقلب
العقاب قطا أسود فانقلبت الصبية ذئبا فتشاحنا فى القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدا فرأى
القط نفسه مغلوبا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة فى بركة فقصدها الذئب فارتفعت
فى الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر
حبا فانقلب ذلك الذئب ديكا لاجل أن يلتقط ذلك الحب حتى لا يترك منه حبة فبالامر المقدر تدارت
حبة فى جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف بأجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول ثم
صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها أن القصر قد انقلب علينا ودار فى أرض القصر كلها حتى رأى الحبة
الذى تدارت فى جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا بالحبة سقطت فى وسط الماء الذى فى البركة
فصارت سمكة وقد غاصت فى الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا ونزل خلفها وغاب ساعة واذا بنا قد سمعنا
صراخا عاليا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار فألقى من فمه نارا ومن عينيه ومنخريه نارا
ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فأردنا أن نغطس فى ذلك الماء خوفا على أنفسنا من الحريق والهلاك
فما نشعر الا والعفريت قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا فى الليوان ونفخ فى وجوهنا بالنار فلحقته
الصبية ونفخت فى وجهه بالنار أيضا فأصابنا الشرر منها ومنه فأما شررها فلم يؤذنا وأما شرره فلحقنى منه
شرارة فى عينى فأتلفتها وأنا فى صورة القرد ولحق الملك شرارة منه فى وجهه فأحرقت نصفه التحتانى بذقنه
وحنكه ووقعت أسنانه التحتانية ووقعت شرارة فى صدر الطواشى فاحترق ومات من وقته وساعته
فأيقنا بالهلاك وقطعنا رجاءنا من الحياة فبينما نحن كذلك واذا بقائل يقول الله أكبر الله أكبر قد فتح
ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر واذا بالقائل بنت الملك قد أحرقت العفريت فنظرنا اليه فرأيناه
قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية الينا وقالت الحقونى بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام
لا نفهمه ثم رشتنى بالماء وقالت أخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى فصرت
بشرا كما كنت أولا ولكن تلفت عينى فقالت الصبية النار النار يا والدى أنا ما بقيت أعيش لانى موعودة
بالقتل ولو كان من الانس لقتلته من أول الامر وما تعبت الاوقد فرط الرمانة حين لقطت حبها ونسيت
الحبة التى فيها روح الجنى فلو لقطتها لمات من ساعته ولكن ما رأيتها بالقضاء والقدر ولم أشعر الا وهو
قد أتى وجرى لى معه حرب شديد تحت الارض وفى الهواء والماء وكلما فتح على بابا فتحت عليه بابا أعظم
منه الى أن فتح على باب النار وقل من فتح عليه باب النار ونجا منه انما ساعدنى عليه القدر حتى أحرقته
قبلى وكنت أعهد منه التدين بدين الاسلام وها أنا ميتة والله خليفتى عليكم ثم انها لم تزل تستغيث من
النار واذا بشرر أسود قد طلع الى صدرها وطلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت وقالت اشهد أن لا اله
الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها ورأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها
وتمنيت لو كنت مكانها ولا أرى ذلك الوجه المليح الذى عمل فى هذا المعروف يصير رمادا لكن حكم الله
لا يرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل
وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة العدم وعنده كومان رماد فتعجبوا
وداروا حول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء

والجوارى وعملوا العزاء سبعة أيام ثم ان الملك أمر أن يبنى على رمادا بنته قبة عظيمة وأوقد فيها الشموع والقناديل وأما رماد العفريت فانهم أذروه فى الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا أشرف منه على الموت واستمر مرضه شهرا وعادت اليه العافية فطلبنى وقال لى يافتى قد قضينا زماننا فى أهنا عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فأقبلت علينا الاكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأينا طلعتك القبيحة التى بسببها صرنا فى حالة العدم فأولا عدمت ابنتى التى كانت تساوى مائة رجل وثانيا جرى لى من الحريق ماجرى وعدمت أضراسى ومات خادمى ولكن ما بيدك حيلة بل جرى قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتى وأهلكت نفسها فاخرج ياولدى من بلدى وكفى ماجرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت ياسيدتى من عنده وما صدقت بالنجاة ولا أدرى أين أتوجه وخطر على قلبى ماجرى لى وكيف خلونى فى الطريق سالما منهم ومشيت شهرا وتذكرت دخولى فى المدينة غريبا واجتماعى بالخياط واجتماعى بالصبية تحت الارض وخلاصى من العفريت بعد ان كان عازما على قتلى وتذكرت ماحصل لى من المبتدا الى المنتهى فحمدت الله وقلت بعينى ولا بروحى ودخلت الحمام قبل أن أخرج من المدينة وحلقت ذقنى وجئت ياسيدتى وفى كل يوم أبكى وأتفكر المصائب التى عاقبتها تلف عينى وكلما أتذكر ماجرى لى أبكى وأنشد هذه الأبيات

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى * وحلت بى الاحزان من حيث لا أدرى
سأصبر حتى يعلم الناس اننى * صبرت على شئ أمر من الصبر
وما أحسن الصبر الجميل من التقى * وما قدر المولى على خلقه يجرى
سرائر سرى ترجمان سريرتى * اذا كان سر السر سرك فى سرى
ولو أن مابى بالجبال لهدمت * وبالنار أطفاها وبالريح لم يسر
ومن قال ان الدهر فيه حلاوة * فلابد من يوم أمر من المر

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلى أتوصل الى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى لى فوصلت الى بغداد هذه الليلة فوجدت أخى هذا الاول واقفا متحيرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا باخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم أنا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة وما فينا أحد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت له ان كان حكايتك غريبة فامسح على رأسك واخرج الى حال سبيلك فقال لا أخرج حتى أسمع حديث رفيقى فتقدم الصعلوك الثالث وقال أيتها السيدة الجليلة ما قصتى مثل قصتهما بل قصتى أعجب وذلك ان هذين جاءهما القضاء والقدر وأما انا فسبب حلق ذقنى وتلف عينى أننى جلبت القضاء لنفسى والهم لقلبى وذلك انى كنت ملكا ابن ملك ومات والدى وأخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت واحسنت للرعية وكان لى محبة فى السفر فى البحر وكانت مدينتى على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فأردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت فى عشرة مراكب وأخذت معى مؤنة شهر وسافرت عشرين يوما ففى ليلة من الليالى هبت علينا رياح مختلفة الى أن لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم اننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا الى البر وطبخنا شيئا نأكله فأكلنا ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلف علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع على

الصارى

الصارى ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس رأيت عن يمينى سمكا على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح تارة أسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الارض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس أبشروا بهلاكنا جميعا ولا يسلم منا احد وشرع يبكى وكذلك نحن الجميع نبكى على أنفسنا فقلت أيها الريس أخبرنا عما رأى الناظور فقال ياسيدى اعلم أننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح الا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا فى البحر ولم نزل تائهين احد عشر يوما من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل الى جبل من حجر أسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا الى جهته فيتمزق المركب ويروح كل مسمار فى المركب الى الجبل ويلتصق به لان الله وضع فى حجر المغناطيس سرا وهو أن جميع الحديد يذهب اليه وفى ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلى ذلك البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه أسماء وطلاسم فيها أيها الملك مادام هذا الفارس راكبا على هذه الفرس تنكسر المراكب التى تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم ان الريس ياسيدتى بكى بكاء شديدا فتحققنا أننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه اليه غصبا فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله فى آخر النهار وتمزقت المركب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لان تلك الامواج واختلاف الارياح أدهشتهم وأما أنا ياسيدتى فنجانى الله تعالى لما أراده من مشقتى وعذابى وبلوتى فطلعت على لوح من الالواح فألقاه الريح والامواج الى جبل فأصبت طريقا متطرقا الى أعلاه على هيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❋ فلما كانت الليلة الخامسة عشرة ❋ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت أتمسك بالنقر التى فيه حتى أسكن الله الريح فى تلك الساعة وأعاننى على الطلوع فطلعت سالما على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح ولم يكن لى دأب الا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكرا لله على سلامتى ثم انى نمت تحت القبة فسمعت قائلا يقول يا ابن خصيب اذا انتبهت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم فخذ القوس والنشابات وارم الفارس الذى على القبة وارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وادفنه فى موضعه فاذا فعلت ذلك يطغو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجىء اليك وفى يده مجذاف فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام الى أن يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك وهذا اغا يتم لك اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومى وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس فرميته فوقع فى البحر ووقع القوس من يدى فأخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذى أنا عليه فلم البث غير ساعة حتى رأيت زورقا فى

وسط البحر يقصدني فحمدت الله تعالى فلما وصل الى الزورق وجدت فيه شخصا من النحاس في صدره
لوح من الرصاص منقوش بأسماء وطلاسم فنزلت في الزورق وأنا ساكت لا أتكلم فحملني الشخص
أول يوم والثاني والثالث الى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن شدة
فرحي ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني من الزورق في البحر ثم رجع في البحر
وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل حتى كلت سواعدي وتعبت اكتافي وصرت في المهلكات
ثم تشهدت وايقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني وقذفتني
قذفة صرت بها فوق البر لما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابي ونشفتها على الارض وبت فلما أصبحت
لبست ثيابي وقمت انظر أين امشي فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذي أنا فيه
جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت في نفسي كلما أخلص من بلية أقع في أعظم منها فبينما انا متفكر في
أمري وأتمنى الموت اذ نظرت مركبا فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة واذا بالمركب التصقت بالبر وطلع
منها عشرة عبيد معهم مساحي فمشوا حتى وصلوا الى وسط الجزيرة وحفروا في الارض وكشفوا عن طابق
فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم عادوا الى المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا واغناما وجميع
ما يحتاج اليه الساكن وصار العبيد مترددين بين المركب وباب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون
في الطابق الى ان نقلوا جميع ما في المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب احسن ما يكون وفي
وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمنا طويلا واضعفه الدهر حتى صار فانيا وبيد ذلك الشيخ صبي قد
أفرغ في قالب الجمال والبس من الحسن حلة الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال وهو كالقضيب
الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا يا سيدتي سائرين حتى اتوا الى الطابق ونزلوا
فيه وغابوا عن عيني فلما توجهوا قمت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب
ونقلته وصبرت نفسي حتى أزلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب مقدار حجر الطاحون
فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت
شيئا نظيفا ووجدت بستانا وثانيا وثالثا الى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان ارى فيه ما يكل عنه الوصف
من أشجار وأنهار وأثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت في نفسي ما الذي في هذا المكان فلا بد أن أفتحه
وأنظر ما فيه ثم فتحته فوجدت فيه فرسا مسرجا ملجما مربوطا ففككته وركبته فطار بي الى أن حطني
على سطح وأنزلني وضربني بذيله فأتلف عيني وفر مني فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شباب عور
فلما رأوني قالوا لا مرحبا بك فقلت لهم اتقبلوني اجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من
عندهم حزين القلب باكي العين وكتب الله لي السلامة حتى وصلت الى بغداد فحلقت ذقني وصرت
صعلوكا فوجدت هذين الاثنين الاعورين فسلمت عليهما وقلت لهما انا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا
سبب تلف عيني وحلق ذقني فقالت له امسح على رأسك ورح فقال والله لا اروح حتى اسمع قصة هؤلاء
ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم اخبروني بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها
الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض
فخرجوا الى ان صاروا في الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة الى أين تذهبون فقالوا ما ندري
أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وبيتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لي غدا حتى
ننظر ما يكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره ولم يجئه نوم في تلك

الليلة

الليلة فلما أصبح جلس على كرسي المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت الى جعفر بعد ان طلعت أرباب الدولة وقال ائتني بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر واحضرهم بين يديه فأدخل الصبايا تحت الاستار والتفت اليهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما اسلفتن من الاحسان الينا ولم تعرفننا فها انا اعرفكن وأنتن بين يدى الخامس من بنى العباس هرون الرشيد فلا تخبرنه الا حقا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين ان لى حديثا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة عشرة) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدى امير المؤمنين قالت ان لى حديثا عجيبا وهو ان هاتين الصبيتين أختاى من أبى من غير امى فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت انا اصغرهن سنا فتجهز اختاى وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا مدة ثم ان كل واحد من أزواجهما هيأ متجرا وأخذ من زوجته ألف دينار وسافروا مع بعضهم وتركونى فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما فى بلاد الناس فجاءانى فى هيئة الشحاتين فلما رأيتهما ذهلت عنهما ولم أعرفهما ثم انى لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا ان الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فارسلتهما الى الحمام والبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا أختى انتما الكبيرتان وانا الصغيرة وانتما عوض عن ابى وامى والارث الذى نابنى معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته وأحوالى جليلة وأنا وانتما سواء وأحسنت اليهما غاية الاحسان فمكثتا عندى مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالى فقالتا ان الزواج خير لنا وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا اختى لم تريا فى الزواج خيرا فان الرجل الجيد قليل فى هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامى وتزوجا بغير رضاى فزوجتهما من مالى وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فأقاما مدة يسيرة ولعب عليهما زوجاهما وأخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندى وهما عريانتان واعتذرتا وقالتا لا تؤاخذينا فأنت اصغر منا سنا وأكمل عقلا وما بقينا نذكر الزواج ابدا فقلت مرحبا بكما يا اختى ما عندى أعز منكما وقبلتهما وزدتهما اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فأردت ان اجهز لى مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما احتاج اليه فى المركب وقلت يا اختى هل لكما ان تقعدا فى المنزل حتى اسافر وارجع او تسافرا معى فقالتا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فأخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالى نصفين فأخذت النصف وخبأت النصف الثانى وقلت ربما يصيب المركب شئ ويكون فى العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيأ ينفعنا ولم نزل مسافرين اياما وليالى فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحرا غير البحر الذى نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة أيام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التى اشرفنا عليها فقال والله لا اعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمرى هذا البحر ولكن جاء الامر بسلامة فما بقى الا ان تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فان حصل لكم بيع فبيعوا وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا اطلعوا الى المدينة وتعجبوا من صنع الله فى خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها ممسوخا حجارة سوداء فاندهشنا من ذلك ومشينا فى الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له امر عجيب وتفرقنا فى شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش

واما انا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الأواني من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر والجوهر فيه كل درة تضيء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفا حوله خمسون مملوكا لابسين أنواع الحرير وفي أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلي ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها استارا من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بأنواع الجواهر وفي عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهي ممسوخة حجرا أسود ووجدت بابا مفتوحا فدخلته ووجدت فيه سلما بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مرخما مفروشا بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر ونظرت نورا لامعا في جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسي صغير وهو يضيء كالشمعة ونورها ساطع ومفروش على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت الى ذلك تعجبت ورايت في ذلك المكان شموعا موقدة فقلت في نفسي لابد ان احدا اوقد هذه الشموع ثم اني مشيت حتى دخلت موضعا غيره وصرت افتش في الاماكن ونسيت نفسي مما ادهشني من التعجب من تلك الاحوال واستغرق فكري الى ان دخل الليل فأردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت الى الجهة التي فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد ان قرأت شيأ من القرآن واردت النوم فلم استطع ولحقني القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت الى مخدع فرأيت بابه مفتوحا فدخلت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد علي السلام فقلت له اسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله ان تجيبني عن سؤالي فتبسم وقال اخبريني عن سبب دخولك هذا المكان وانا أخبرك بجواب ما تسأليني عنه فاخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم انني سألته عن خبر هذه المدينة فقال امهليني ثم طبق المصحف وأدخله في كيس من الاطلس واجلسني بجنبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر حسن الاوصاف لين الاعطاف بهي المنظر رشيق القد اسيل الخد زهي الوجنات كأنه المقصود من هذه الابيات

رصد المنجم ليله فبداله * قد المليح يميس في برديه
وأمده زحل سواد ذوائب * والمسك هادى الخال في خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمي النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فنظرت له نظرة اعقبتني ألف حسرة واوقدت بقلبي كل جمرة فقلت له يا مولاي اخبرني عما سألتك فقال سمعا وطاعة اعلمي ان هذه المدينة مدينة والدي وجميع اهله وقومه وهو الملك الذي رأيتيه على الكرسي ممسوخا حجرا واما الملكة التي رأيتها فهي امي وقد كانوا مجوسا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور وكان ابي ليس له ولد فرزق بي في آخر عمره فرباني حتى نشأت وقد سبقت لي السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة في السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله

في

فى الباطن وتوافق اهلى فى الظاهر وكان ابى يعتقد فيها ما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويزيد فى اكرامها وكان يعتقد انها على دينه فلما كبرت سلمنى ابى اليها وقال خذيه وربيه وعليه احوال ديننا واحسنى تربيته وقومى بخدمته فأخذتنى العجوز وعلمتنى دين الاسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتنى القرآن فلما اتممت ذلك قالت لى يا ولدى اكتم هذا الامر عن ابيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم ازل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد اهل المدينة فى كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا مناديا ينادى بأعلى صوت مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند اهل المدينة فزع واجتمعوا عند ابى وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذى سمعناه فاندهشنا من شدة هوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول ابى ولم يزالوا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوا ثلاث مرات على ثلاث سنين فى كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سودا وكذلك دوابهم وانعامهم ولم يسلم من اهل هذه المدينة غيرى ومن يوم جرت هذه الحادثة وانا على هذه الحالة فى صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد سئمت من الوحدة وما عندى من يؤانسنى فعند ذلك قلت له يا ايها الشاب هل لك ان تروح معى الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والى الفقهاء فتزداد علما وفقها وأكون انا جاريتك مع انى سيدة قومى وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندى مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببا فى اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب فى اجتماعنا ولم ازل ارغبه فى التوجه حتى اجابنى اليه * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة عشرة) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهى لا تصدق بما هى فيه من الفرح ثم قالت فلما اصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن واخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون على فلما راونى فرحوا بى وسألونى عن سبب غيابى فأخبرتهم بما رايت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ اهل هذه المدينة وما جرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رآنى اختاى ومعى ذلك الشاب حسدتانى عليه وصارتا فى غيظ واضمرتا المكر لى ثم نزلنا المركب وانا بغاية الفرح واكثر فرحى بصحبة هذا الشاب واقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعد اختاى عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لى يا اختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدى ان اتخذه بعلا ثم التفت اليه واقبلت عليه وقلت يا سيدى قصدى أن أقول لك شيأ فلا تخالفنى فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت الى أختى وقلت لهما يكفينى هذا الشاب وجميع هذه الاموال لكما فقالتا نعم ما فعلت ولكنهما أضمرتا لى الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الامان وسافرنا أياما قلائل الى أن قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا أبنيتها فأدركنا المساء فلما أخذنا النوم قامت أختاى وحملتانى أنا والغلام بفرشنا ورمتانا فى البحر فأما الشاب فانه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء وأما أنا فكتبت من السالمين فلما سقطت فى البحر رزقنى الله بقطعة خشب فركبتها وضربتنى الامواج الى أن رمتنى على ساحل جزيرة فلم أزل أمشى فى الجزيرة باقى ليلتى فلما أصبح الصباح

رأيت طريقا فيه أثر مشى على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابى فيها وسرت فى الطريق ولم أزل سائرة الى أن قربت من البر الذى فيه المدينة واذا أنا بحية تقصدنى وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فأخذتنى الشفقة عليها فعمدت الى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وطارت فى الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت فى موضعى ساعة فلما أفقت وجدت تحت رجلى جارية وهى تكبس رجلى فجلست واستحيت منها وقلت لها من أنت وما شأنك فقالت ما أسرع ما نسيتنى أنت التى فعلت معى الجميل وقتلت عدوى فأنا الحية التى خلصتينى من الثعبان فانى جنية وهذا الثعبان جنى وهو عدوى وما نجانى منه الا أنت فلما نجيتينى منه طرت فى الريح وذهبت الى المركب التى رماك منها أختاك ونقلت جميع ما فيها الى بيتك وأغرقتها وأما أختاك فانى سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فانى عرفت جميع ما جرى لك معهما وأما الشاب فانه غرق ثم حملتنى أنا والكلبتين وألقتنا فوق سطح دارى فرأيت جميع ما كان فى المركب من الاموال فى وسط بيتى ولم يضع منه شيء ثم ان الحية قالت لى وحق النقش الذى على خاتم سليمان اذا لم تضربى كل واحدة منهما فى كل يوم ثلثمائة سوط لآتين وأجعلنك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم أزل يا أمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب وأشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وأنت ما سبب الضرب الذى على جسدك فقالت يا أمير المؤمنين انى كان لى والد فمات وخلف مالا كثيرا فأقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فأقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين ألف دينار بمقتضى ما خصنى بالفريضة الشرعية فعملت عشر بدلات كل بدلة بألف دينار فبينما أنا جالسة فى يوم من الايام اذ دخلت على عجوز بوجه مسعوط وحاجب ممعوط وعيون مفجرة وأسنان مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر

عجوز النحس ابليس يراها * تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة ألف بغل * اذا نفروا بخيط العنكبوت

وكما قال الآخر

وعجوز لها الكهانة طبع * حللت فى الحرام مالن يجوزا
بعبصت طفلة ولبطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

فلما دخلت العجوز سلمت على وقالت ان عندى بنتا يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدى لك الاجر والثواب فاحضرى عرسها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلى فأخذتنى الرحمة والرأفة فقلت سمعا وطاعة فقالت جهزى نفسك فانى وقت العشاء أجى وآخذك ثم قبلت يدى وذهبت فقمت وهيأت نفسى وجهزت حالى واذا بالعجوز قد أقبلت وقالت يا سيدتى ان سيدات البلد قد حضرن وأخبرتهن بحضورك ففرحن وهن فى انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جوارى معى وسرت حتى أتينا الى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفى داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط معلقا فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا فى الدهليز الى أن دخلنا قاعة فلم يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقا فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفى صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من

الاطلس

الاطلس واذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لى مرحبا وأهلا وسهلا يا أختى آنستنى وجبرت خاطرى وأنشدت تقول

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت * واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأعلنت بلسان الحال قائلة * أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت لى يا أختى ان لى أخا وقد رآك فى بعض الافراح وهو شاب أحسن منى وقد أحبك قلبه حبا شديدا وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت هذه الحيلة لأجل اجتماعه بك ويريد اخى ان يتزوجك بسنة الله ورسوله وما فى الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد انحجزت فى الدار قلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر

قد زاد حسنا تبارك الله * جل الذى صاغه وسواه
قد حاز كل الجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * أشهد أن لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبى له ثم جاء وجلس واذا بالقاضى قد دخل ومعه أربعة شهود فسلموا وجلسوا ثم انهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب الىّ وقال ليلتنا مباركة ثم قال ياسيدتى انى شارط عليك شرطا فقلت ياسيدى وما الشرط فقام وأحضر لى مصحفا وقال احلفى لى أنك لا تختارى أحدا غيرى ولا تميلى اليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقنى فأخذت محبته بمجامع قلبى وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا ودخل علينا الليل فأخذنى ونام معى على الفراش وبتنا فى عناق الى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن فى هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته فى انى اسير الى السوق واشترى بعض قماش فأذن لى فى الرواح فلبست ثيابى واخذت العجوز معى ونزلت فى السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لى هذا ولد صغير مات ابوه وخلف له مالا كثيرا ثم قالت له هات اعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا وطاعة فصارت العجوز تثنى عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لان مرادنا ان نأخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فأخرج لنا ما طلبناه واعطيناه الدراهم فأبى ان يأخذ شيأ وقال هذه ضيافتكم اليوم عندى فقلت للعجوز ان لم يأخذ الدراهم اعطه قماشه فقال والله لا آخذ منك شيأ والجميع هدية من عندى فى قبلة واحدة فانها عندى احسن من جميع ما فى دكانى فقالت العجوز ما الذى يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتى قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شىء اذا اخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها أما تعرفين انى حالفة فقالت خليه يقبلك وانت ساكتة ولا عليك شىء وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لى الامر حتى ادخلت راسى فى الجراب ورضيت بذلك ثم انى غطيت عينى وداريت بطرف ازارى من الناس وحط فمه تحت ازارى على خدى فلما قبلنى عضنى عضة قوية حتى قطع اللحم من خدى فغشى على ثم أخذتنى العجوز فى حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لى الحزن وتقول ما دفع الله كان اعظم ثم قالت لى قومى بنا الى البيت واعملى نفسك ضعيفة وانا اجىء اليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعا فبعد ساعة قمت من مكانى وانا فى غاية الفكر واشتد بى الخوف ومشيت حتى وصلت الى البيت واظهرت حالة المرض واذا بزوجى داخل وقال ما الذى اصابك ياسيدتى فى هذا الخروج فقلت له ها انا طيبة فنظر الى وقال لى ما هذا الجرح الذى بخدك وهو فى المكان الناعم فقلت لما استأذنتك وخرجت فى هذا النهار

لأشترى القماش زاحمنى جمل حامل حطبا فشرمط نقابى وجرح خدى كما ترى فان الطريق ضيق فى هذه المدينة فقال غدا أروح للحاكم واشكوله فيشنق كل حطاب فى المدينة فقلت بالله عليك لا تحمل خطيئة احد فانى ركبت حمارا فنفربى فوقعت على الارض فصادفنى عود فخدش خدى وجرحنى فقال غدا اطلع لجعفر البرمكى واحكى له الحكاية فيقتل كل حمار فى هذه المدينة فقلت هل انت تقتل الناس كلهم بسببى وهذا الذى جرى لى بقضاء الله وقدره فقال لا بد من ذلك وشدد على ونهض قائما وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبونى من فرشى ورمونى فى وسط الدار ثم امر عبدا منهم ان يمسكنى من اكتافى ويجلس على رأسى وأمر الثانى أن يجلس على ركبتى ويمسك رجلى وجاء الثالث وفى يده سيف فقال ياسيدى أضربها بالسيف فأقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها فى بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الايمان والمودة وانشد هذا الشعر

اذا كان لى فيمن احب مشارك * منعت الهوى روحى ولو تلفنى وحدى

وقلت لها يانفس موتى كريمة * فلا خير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها ياسعد فجرد السيف وقال اذكرى الشهادة وتذكرى ما كان لك من الحوائج وأوصى فان هذا آخر حياتك فقلت له ياعبد الخير مهل على قليلا حتى أتشهد وأوصى ثم رفعت رأسى ونظرت الى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز فجرت عبرتى وبكيت وانشدت هذه الابيات

اقمتم فؤادى فى الهوى وقعدتم * واسهرتم جفنى القريح ونمتم

ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى * فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يكتم

وعاهدتمونى أن تقيموا على الوفا * فلما تملكتم فؤادى غدرتم

ولم ترحموا وجدى بكم وتلهفى * أأنتم صروف الحادثات امنتم

سألتكم بالله ان مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

لعل شجيا عارفا لوعة الهوى * يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعرى بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكائى ازداد غيظا على غيظه وانشد هذين البيتين

تركت حبيب القلب لاعن ملالة * ولكن جنى ذنبا يؤدى الى الترك

اراد شريكا فى المحبة بيننا * وايمان قلبى لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وقلت فى نفسى اتواضع له والين له الكلام لعله يعفو عنى من القتل ولو كان يأخذ جميع ما املك ثم شكوت اليه ما اجده وانشدته هذه الابيات

وحقك لو انصفتنى ماقتلتنى * ولكن حكم البين مافيه منصف

وحملتنى ثقل الغرام واننى * لأعجز عن حمل القميص واضعف

وما عجب اتلاف روحى وانما * عجبت لجسمى بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعرى بكيت فنظرنى ونهرنى وشتمنى وانشد هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * واظهرتم الهجران ماهكذا كنا

سنترككم لما تركتم مرامنا * ونصبر عنكم مثل صبركم عنا

ونهوى سواكم مذ جنحتم لغيرنا * ونجعل قطع الوصل منكم ولا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له اشطرها نصفين فليس لنا فيها فائدة فلما تقدم العبد الى

ايقنت

أيقنت بالموت ويئست من الحياة وسلمت أمرى لله تعالى واذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشاب وقبلتهما وقالت يا ولدى بحق تربيتى لك تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك وأنت شاب صغير فأخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال عفوت عنها ولكن لا بد لى أن أعمل فيها أثرا يظهر عليها بقية عمرها ثم أمر العبيد فجذبونى من ثيابى وأحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدى بالضرب ولم يزل يضربنى ذلك الشاب على ظهرى وجنبى حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتى ثم أمر العبيد أنه اذا دخل الليل يحملوننى ويأخذون العجوز معهم ويرموننى فى بيتى الذى كنت فيه سابقا ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورمونى فى بيتى فتعهدت نفسى وداويت جسمى فلما شفيت بقيت أضلاعى كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت فى مداواة نفسى أربعة أشهر حتى شفيت ثم جئت الى الدار التى جرى لى فيها ذلك الامر فوجدتها خربة ووجدت الزقاق مهدوما من أوله الى آخره ووجدت فى موضع الدار كيمانا ولم أعلم سبب ذلك فجئت الى اختى هذه التى من ابى فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبرى وبجميع ما جرى لى فقالت لى من ذا الذى من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذى جعل الامر بسلامة ثم أخبرتنى بخبرها وبجميع ما جرى لها مع أختيها وقعدت أنا وهى لا نذكر خبر الزواج على ألسنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة وفى كل يوم تخرج فتشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح واستمرينا على هذه الحالة الى هذه الليلة التى مضت فخرجت اختنا تشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح على جرى عادتها فوقع لنا ما وقع من مجىء الحمال والصعاليك ومن مجيئكم فى صفة تجار فلما صرنا فى هذا اليوم لم نشعر الا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا فى خزانته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة عشرة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة فى الدواوين ويجعلوها فى خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندك خبر بالعفريتة التى سحرت أختيك قالت يا أمير المؤمنين انها أعطتنى شيأ من شعرها وقالت متى أردت حضورى فأحرقى من هذا الشعر شيأ فأحضر اليك عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة أحضرى لى الشعر فأحضرته الصبية فأخذه الخليفة وأحرق منه شيأ فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم أن هذه الصبية زرعت معى جميلا ولا أقدر أن أكافئها عليه فهى أنقذتنى من الموت وقتلت عدوى ورأيت ما فعله معها أختاها فما رأيت الا أنى أنتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعب عليها وان أردت خلاصهما يا أمير المؤمنين أخلصهما كرامة لك ولها فانى من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع فى أمر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فاذا ظهر لى صدقها أخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا أمير المؤمنين أنا أدلك على من فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها وأخذ مالها وهو أقرب الناس اليك ثم ان العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عودا الى صورتكما الاولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا أمير المؤمنين ان الذى ضرب الصبية ولدك الامين فانه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ما جرى للصبية فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم ان

الخليفة أحضر ولده الأمين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى فأخبره على وجه الحق فأحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة وأحضر الصبية الاولى واختيها اللتين كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين أخبروهم أنهم كانوا ملوكا وعملهم حجابا عنده وأعطاهم ما يحتاجون اليه وأنزلهم فى قصر بغداد ورد الصبية المضروبة لولده الامين وأعطاها مالا كثيرا وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم ان الخليفة تزوج بالدلالة ورقد فى تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبا وشيد لها قصرا * ثم قال لجعفر ليلة من الليالى انى أريد أن ننزل فى هذه الليلة الى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا فى المدينة ومشوا فى الاسواق مروا بزقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصا وهو ماش على مهله وينشد هذه الابيات

يقولون لى أنت بين الورى * بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعونى من قولكم * فلا علم الا مع المقدره
فلو رهنونى وعلمى معى * وكل الدفاتر والمحبره
على قوت يوم لما أدركوا * قبول الرهان الى الآخره
فأما الفقير وحال الفقير * وعيش الفقير فما أكدره
وفى الصيف يعجز عن قوته * وفى البرد يدفا على المجمره
تليه الكلاب اذا ما مشى * ذليلا مهانا فما أحقره
اذا ما شكا حاله لامرئ * وبين عذرا فلم يعذره
اذا كان هذا حياة الفقير * فأصلح ما كان فى المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم ان الخليفة تقدم اليه وقال له ياشيخ ما حرفتك قال ياسيدى صياد وعندى عائلة وخرجت من بيتى من نصف النهار الى هذا الوقت ولم يقسم الله لى شيأ أقوت به عيالى وقد كرهت نفسى وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك أن ترجع معنا الى البحر وتقف على شاطئ الدجلة وترمى شبكتك على بختى وكل ما طلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسى أرجع معكم ثم ان الصياد رجع الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم انه جذب الخيط وجر الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة حسه فوجده ثقيلا فأعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة الى القصر واوقدوا الشموع والصندوق بين يدى الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها ازارا فرفعوا الازار فوجدوا تحته صبية كأنها سبيكة فضة مقتولة ومقطعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب الوزراء أتقتل القتلى فى زمنى ويرمون فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتى والله لابد أن اقتص لهذه الصبية ممن قتلها واقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبى بالخلفاء من بنى العباس ان لم تأتنى بالذى قتل هذه لانصفها منه لاصلبنك على باب قصرى أنت وأربعين من بنى عمك واغتاظ الخليفة فقال جعفر أمهلنى ثلاثة أيام قال أمهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى فى المدينة وهو حزين وقال فى نفسه من أين أعرف من قتل هذه الصبية حتى

احضره

أحضره للخليفة وان أحضرت له غيره يصير معلقا بذمتى ولا أدرى ما أصنع ثم ان جعفرا جلس فى بيته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أرسل اليه الخليفة يطلبه فلما مثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير المؤمنين هل أنا أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب قصره وأمر مناديا أن ينادى فى شوارع بغداد من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكى وزير الخليفة وصلب أولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب أولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم تحته لاجل الصلب وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون على جعفر وعلى أولاد عمه فبينما هم كذلك واذا بشاب حسن نقى الاثواب يمشى بين الناس مسرعا الى أن وقف بين يدى الوزير وقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء وكهف الفقراء انا الذى قتلت القتيلة التى وجدتموها فى الصندوق فاقتلنى فيها واقتص لها منى فلما سمع جعفر كلام الشاب وما أبداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم فى الكلام واذا بشيخ كبير يفسح الناس ويمشى بينهم بسرعة الى أن وصل الى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال أيها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فانه ما قتل هذه الصبية الا انا فاقتص لها منى فقال الشاب أيها الوزير ان هذا شيخ كبير خرفان لا يدرى ما يقول وأنا الذى قتلتها فاقتص لها منى فقال الشيخ يا ولدى أنت صغير تشتهى الدنيا وأنا كبير شبعت من الدنيا وأنا أفديك وأفدى الوزير وبنى عمه وما قتل الصبية الا أنا فبالله عليك أن تعجل بالاقتصاص منى فلما نظر الى ذلك الامر تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال يا أمير المؤمنين قد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة أين هو فقال ان هذا الشاب يقول أنا القاتل وهذا الشيخ يكذبه ويقول لا بل أنا القاتل فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب ما قتلها الا أنا وقال الشيخ ما قتلها الا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واصلبهما فقال جعفر اذا كان القاتل واحدا فقتل الثانى ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الارض انى أنا الذى قتلت الصبية وهذه أمارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة أن الشاب هو الذى قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ما سبب قتلك هذه الصبية بغير حق وما سبب اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها منى فقال الشاب اعلم يا أمير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتى وبنت عمى وهذا الشيخ أبوها وهو عمى وتزوجت بها وهى بكر فرزقنى الله منها ثلاثة أولاد ذكور وكانت تحبنى وتخدمنى ولم أر عليها شيئا فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضا شديدا فأحضرت لها الاطباء حتى حصلت لها العافية فأردت أن أدخلها الحمام فقالت انى أريد شيئا قبل دخول الحمام لانى اشتهيه فقلت لها وما هو فقالت انى اشتهى تفاحة أشمها واعض منها عضة فطلعت من ساعتى الى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم أجده فبت تلك الليلة وأنا متفكر فلما أصبح الصباح خرجت من بيتى ودرت على البساتين واحدا واحدا فلم أجده فيها فصادفنى خولى كبير فسألته عن التفاح فقال يا ولدى هذا شئ قل أن يوجد لانه معدوم ولا يوجد الا فى بستان أمير المؤمنين الذى فى البصرة وهو عند الخولى يدخره للخليفة فجئت الى زوجتى وقد حملتنى محبتى اياها على أن هيأت نفسى وسافرت خمسة عشر يوما ليلا ونهارا فى الذهاب والاياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولى البصرة بثلاثة دنانير ثم انى دخلت وناولتها اياها فلم تفرح بها بل تركتها فى جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل فى ضعفها الى أن مضى لها عشرة أيام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت

وذهبت الى دكانى وجلست فى بيعى وشرائى فبينما أنا جالس فى وسط النهار واذا بعبد أسود مر علىّ وفى يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبتى وانا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت ان زوجى الديوث سافر من شأنها الى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين اسودت الدنيا فى وجهى وقفلت دكانى وجئت الى البيت وانا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدرى ولا أعرف اين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكينا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها وأعضاءها وحطيتها فى القفة بسرعة وغطيتها بالازار وحطيت عليها شقة بساط وانزلتها فى الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتى ورميتها فى الدجلة بيدى فبالله عليك يا أمير المؤمنين أن تعجل بقتلى قصاصا لها فانى خائف من مطالبتها يوم القيامة فانى لما رميتها فى بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت الى البيت فوجدت ولدى الكبير يبكى ولم يكن له علم بما فعلت فى أمه فقلت له ما يبكيك فقال انى أخذت تفاحة من التفاح الذى عند أمى ونزلت بها الى الزقاق ألعب مع اخوانى واذا بعبد أسود طويل خطفها منى وقال لى من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبى وجاء بها من البصرة من أجل أمى وهى ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها منى وضربنى وراح بها فخفت من أمى أن تضربنى من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت أن العبد هو الذى افترى الكلام الكذب على بنت عمى وتحققت انها قتلت ظلما ثم انى بكيت بكاء شديدا واذا بهذا الشيخ وهو عمى والدها قد أقبل فأخبرته بما كان فجلس بجانبى وبكى ولم نزل نبكى الى نصف الليل واقمنا العزاء خمسة أيام ولم نزل الى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة أجدادك أن تعجل بقتلى وتقتص لها منى فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا اقتل الا العبد الخبيث * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة عشرة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل الا العبد لان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له أحضر لى هذا العبد الخبيث الذى كان سببا فى هذه القضية وان لم تحضره فأنت تقتل عوضا عنه فنزل يبكى ويقول من أين أحضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لى فى هذا الامر حيلة والذى سلمنى فى الاول يسلمنى فى الثانى والله ما بقيت أخرج من بيتى ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم أقام فى بيته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أحضر القاضى وأوصى وودع أولاده وبكى واذا برسول الخليفة أتى اليه وقال له ان أمير المؤمنين فى أشد ما يكون من الغضب وأرسلنى اليك وحلف أنه لا يمر هذا النهار الا وأنت مقتول ان لم تحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعا فضمها الى صدره وبكى على فراقها فوجد فى جيبها شيأ مكببا فقال لها ما الذى فى جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولها معى أربعة أيام وما أعطاها لى حتى أخذ منى دينارين فلما سمع جعفر بذكر العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم انه أمر باحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال يا سيدى من مدة خمسة أيام كنت ماشيا فدخلت فى بعض أزقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لأمى وهى مريضة واشتهت على أبى تفاحا فسافر الى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاث دنانير فأخذت هذه ألعب بها ثم

يبكى

بكى فلم ألتفت اليه وأخذتها وجئت بها هنا فأخذتها سيدتى الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين

ومن كانت رزيته بعبد * فالنفس تجعله فداها
فانك واجد خدما كثيرا * ونفسك لم تجد نفسا سواها

ثم انه قبض على العبد وطلع به الى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيرا بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هى بأعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأى حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا أمير المؤمنين لا أحدثك الا بشرط أن تعتق عبدى من القتل فقال قد وهبت لك دمه

﴿حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه﴾

فقال جعفر اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان فى مصر سلطان صاحب عدل واحسان له وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كانهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير فى الحسن والجمال وليس فى زمانه أحسن منه حتى أنه شاع ذكره فى البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده الى بلده لاجل رؤية جماله فاتفق أن والدهما مات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما فى مرتبة أبيكما ففرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا العزاء لابيهما شهرا كاملا ودخلا فى الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة واذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق فى ليلة من الليالى أن السلطان كان عازما على السفر فى الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الاخوان يتحدثان فى تلك الليلة اذ قال الكبير يا أخى قصدى أن أتزوج انا وأنت فى ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخى ما تريد فانى موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا فى ليلة واحدة ووضعتا فى يوم واحد وأراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتى ببنت نزوجهما لبعضهما لانهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخى ما تأخذ من ولدى فى مهر بنتك قال آخذ من ولدك فى مهر بنتى ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فان عقد الشاب عقده بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذى شرطته على ولدى أما تعلم اننا اخوان ونحن الاثنان وزيران فى مقام واحد وكان الواجب عليك أن تقدم ابنتك لولدى هدية من غير مهر فانك تعلم ان الذكر أفضل من الانثى وولدى ذكر ونذكر به بخلاف ابنتك فقال وما لها قال لا نذكر بها بين الامراء ولكن أنت تريد أن تفعل معى على رأى الذى قال ان أردت ان تطرده فاجعل الثمن غاليا وقيل ان بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده فى حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين أراك قد قصرت لانك تعمل ابنك أفضل من بنتى ولا شك أنك ناقص عقل وليس لك اخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وأنا ما أدخلتك معى فى الوزارة الا شفقة عليك ولاجل أن تساعدنى وتكون لى معينا ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا أزوج بنتى لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتاظ وقال وأنا لا أزوج ابنى ابنتك فقال شمس الدين أنا لا أرضاه لها بعلا ولولا أنى أريد السفر لكنت عملت معك العبر ولكن لما أرجع من السفر يفعل الله ما يريد فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد فى ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى الى الجزيرة وقصد الاهرام وصحبته الوزير شمس الدين وأما أخوه نور الدين فبات فى

تلك الليلة فى أشد ما يكون من الغيظ فلما اصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى خزانته واخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول اخيه واحتقاره اياه وافتخاره عليه فأنشد هذه الابيات

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان لذيذ العيش فى النصب
مافى المقام لذى لب وذى ادب * معزة فاترك الاوطان واغترب
انى رايت وقوف الماء يفسده * فان جرى طاب اولم يجر لم يطب
والبدر لولا افول منه ما نظرت * اليه فى كل حين عين مرتقب
والاسد لولا فراق الغاب ما قنصت * والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والتبر كالترب ملقى فى اماكنه * والعود فى ارضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه * وان أقام فلا يعلو الى رتب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه ان يشد له بغلة زرزورية عالية سريعة المشى فشدها ووضع عليها سرجا مذهبا بركابات هندية وعباآت من القطيفة الاصبهانية فسارت كأنها عروس مجلية وأمر أن يجعل عليها بساط حرير وسجادة وأن يوضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدى ان أتفرج خارج المدينة وأروح نواحى القليوبية وابيت ثلاث ليال فلا يتبعنى منكم احد فان عندى ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة واخذ معه شيأ قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح واراح البغلة واكل شيأ واخذ من بلبيس ما يحتاج اليه وما يعلق به على بغلته ثم استقبل البر فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح واراح بغلته واخرج شيأ أكله ثم حط الخرج تحت راسه وفرش البساط ونام فى مكان والغيظ غالب عليه ثم انه بات فى ذلك المكان فلما اصبح الصباح ركب وصار يسوق البغلة الى ان وصل الى مدينة حلب فنزل فى بعض الخانات وأقام ثلاثة أيام حتى استراح وأراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافرا ولا يدرى أين يذهب فلم يزل سائرا الى ان وصل الى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل فى الخان وأنزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره ان يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق أن وزير البصرة جالس فى شباك قصره فنظر البغلة ونظر ما عليها من العدة الثمينة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل فى ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتنى بهذا البواب فذهب الغلام الى البواب وأتى به الى الوزير فتقدم البواب وقبل الارض بين يديه وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب ياسيدى ان صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قادما عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له ياولدى من أين أقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يامولاى انى قدمت من مدينة مصر وكان أبى وزيرا فيها وقد انتقل الى رحمة الله وأخبره بما جرى من المبتدا الى المنتهى ثم قال وقد عزمت فى نفسى انى لا أعود أبدا حتى أنظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له ياولدى لا تطاوع النفس فترميك فى الهلاك فان البلاد خراب وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه أمر بوضع الخرج على البغلة والبساط والسجادة وأخذ نور الدين معه الى بيته وأنزله فى مكان ظريف وأكرمه

واحسن

وأحسن اليه وأحبه حبا شديدا وقال له ياولدي أنا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لي ولد ذكر وقد رزقني الله بنتا تقاربك في الحسن ومنعت عنها خطابا كثيرة وقد وقع حبك في قلبي فهل لك ان تأخذ ابنتي جارية لك خدمة وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك أطلع الى سلطان البصرة وأقول له انه ولد أخي وأوصلك اليه حتى أجعلك وزيرا مكاني وألزم أنا بيتي فاني بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعا وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه أن يصنعوا له طعاما وان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الأمراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم انه كان لي أخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وأنا كما تعلمون رزقني الله بنتا وكان أخي أوصاني أن أزوج بنتي لاحد أولاده فأجبته الى ذلك فلما استحقت الزواج أرسل الى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني أحببت ان أكتب كتابه على بنتي ويدخل بها عندي فقالوا انعم مافعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فانه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل اليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للعشرين﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفي غد أطلع بك الى السلطان وأرجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من أمر نور الدين ﴿وأما﴾ ما كان من أمر أخيه فانه غاب مع السلطان مدة في السفر ثم رجع فلم يجد أخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنا متوجه الى جهة القليوبية فأغيب يوما أو يومين فان صدري ضاق ولا يتبعني منكم أحد ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال في نفسه ما سبب ذلك الا اني أغلظت عليه في الحديث ليلة سفري مع السلطان فلعله تغير خاطره وخرج مسافرا فلابد ان ارسل خلفه ثم طلع واعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها الى نوابه في جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة في مدة غياب اخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من اخيه وقال لقد اغظت اخي بكلام لا محل له من جهة زواج الاولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلك الا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه في خلقه وكان الامر كما قالاه فاتفق ان الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى في مصر أحسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يرى في زمانه أحسن منه كما قال الشاعر

ومهفهف يغني النديم بريقه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

(وقال آخر)

ان جاء الحسن كي يقاس به * ينكس الحسن رأسه خجلا

او قيل يا حسن هل رايت كذا * يقول اما نظير ذاك فلا

فسموه حسنا وفي سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا اسمطة تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة اخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان فانشد قول الشاعر

هذا الذي عم الانام بعدله * وسطا فمهد سائر الآفاق

اشكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق

والثم انامله فلسن انامـلا * لكنهن مفاتح الارزاق

فاكرمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من اولها الى آخرها وقال له هذا ابن اخي فقال له وكيف يكون ابن اخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لي اخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس في مرتبة والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت اني لا ازوج بنتي الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وانا صرت شيخا كبيرا وقل سمعي وعجز تدبيري والقصد من مولانا السلطان ان يجعله في مرتبتي فانه ابن اخي وزوج ابنتي وهو اهل للوزارة لانه صاحب راي وتدبير فنظر السلطان اليه فاعجبه واستحسن راي الوزير بما اشار عليه من تقديمه في رتبة الوزارة فانعم عليه بها وامر له بخلعة عظيمة وبغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهما في غاية الفرح وقالا ان قدم هذا المولود مبارك ثم ان نور الدين توجه ثاني يوم الى الملك وقبل الارض وانشد هذين البيتين

سعادات تجدد كل يوم * واقبال وقد رغم الحسود

فلا زالت لك الايام بيضا * وايام الذي عاداك سود

فامره السلطان بالجلوس في مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى امور خدمته ونظر بين الناس في امورهم ومحاكماتهم كما جرت به عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من امره وذكاء عقله وحسن تدبيره وتبصر في احواله فحبه وقربه اليه ولما انفض الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكى لصهره ما وقع ففرح ولم يزل الوزير يربي المولود المسمى حسنا الى ان مضت عليه ايام ولم يزل نور الدين في الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان في ليل ولا في نهار وزاد له الجوامك والجرايات الى ان اتسع عليه الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر املاكا كثيرة ودواليب وبساتين الى ان بلغ عمر ولده حسن اربع سنين فتوفي الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه في التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ اشده احضر له فقيها يقرئه في بيته واوصاه بتعليمه وحسن تربيته فاقراه وعلمه فوائد في العلم بعد ان حفظ القرآن في مدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالا وحسنا واعتدالا كما قال الشاعر

قمر تكامل في المحاسن وانتهى * فالشمس تشرق من شقائق خده

ملك الجمال باسره فكانما * حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه في قصر ابيه ومن حين نشاته لم يخرج من قصر الوزارة الى ان اخذه والده الوزير نور الدين يوما من الايام والبسه بدلة من افخر ملبوسه واركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين فانبهر من حسنه واما اهل المملكة فانه لما مر عليهم

اول

أول مرة وهو طالع مع أبيه الى الملك تحيروا من فرط حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله وتحققوا فيه معنى قول الشاعر

رصد المنجم ليله فبدا له * قد المليح يميس في برديه
وتأمل الجوزاء اذ نثرت به * حب الجمان يلوح في عطفيه
وأمده زحل سواد ذوائب * والمسك هادي الخال في خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمي النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فلما رآه السلطان أحبه وأنعم عليه وقال لابيه يا وزير لا بد أنك تحضره معك في كل يوم فقال سمعا وطاعة ثم عاد الوزير بولده الى منزله ومازال يطلع به الى السلطان في كل يوم الى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما ثم ضعف والده الوزير نور الدين فأحضره وقال يا ولدي اعلم ان الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء وأريد أن أوصيك وصايا فافهم ما أقول لك واصغ قلبك اليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم ان نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده وبكى على فرقة الاحباب وسحت دموعه وقال يا ولدي اسمع قولي فان لي أخا يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد أنك تأخذ درجا من الورق وتكتب ما أمليه عليك فأحضر قرطاسا وصار يكتب فيه كل ما قاله أبوه فأملى عليه جميع ما جرى له من أوله الى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فان ورقتها فيها أصلك وحسبك ونسبك فان أصابك شيء من الامور فاقصد مصر واستدل على عمك وسلم عليه وأعلمه اني مت غريبا مشتاقا اليه فأخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها وألف عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكي على أبيه من أجل فراقه وهو صغير ومازال نور الدين يوصي ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فأقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزالوا في حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان وأقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيرا جديدا مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى ماله وعلى عماراته وعلى أملاكه فنزل الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا الى بيت الوزير نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به الى السلطان ليعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفى فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك الى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فأعلمه بما جرى فقال له هل في الامر مهلة حتى أدخل فآخذ معي شيئا من الدنيا لأستعين به على الغربة فقال له المملوك انج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشيا الى أن صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان أرسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى ليختم على ماله وأماكنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به اليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج الى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير الى تربة والده فدخل المقبرة ومشى بين القبور الى ان جلس عند قبر أبيه وأزال ذيله من فوق رأسه وبينما هو جالس عند تربة أبيه اذ قدم عليه يهودي من البصرة وقال له يا سيدي مالي أراك متغيرا فقال له اني كنت نائما في هذه الساعة فرأيت أبي يعاتبني على عدم زيارتي قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت أن

يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الامر فقال له اليهودى ياسيدى ان أباك كان أرسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادى أن اشترى منك وسق كل مركب قدمت بألف دينار ثم أخرج اليهودى كيسا ممتلئا من الذهب وعدّ منه ألف دينار ودفعه الى حسن ابن الوزير ثم قال له اليهودى اكتب لى ورقة واختمها فأخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودى فلان جميع وسق كل مركب وردت من مراكب ابيه المسافرين بألف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فأخذ اليهودى الورقة وصار حسن يبكى ويتذكر ما كان فيه من العز والاقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنه من الحور العين ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك أن تروح معى حتى تنظر الى حسن الشاب النائم فى المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا فى المقبرة فقالت له هل رأيت فى عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا أختى ان أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثنى فقال لها انى رأيت مثل هذا الشاب فى اقليم مصر وهى بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من ابيها الوزير شمس الدين فقال له يا مولانا السلطان اقبل عذرى وارحم عبرتى فانك تعرف ان اخى نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكى فى الوزارة وسبب خروجه أنى جلست اتحدث معه فى شأن الزواج فغضب منى وخرج مغضبا وحكى للملك جميع ما جرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سبب الغيظه وانا حالف ان لا ازوج بنتى الا لابن اخى من يوم ولدتها امها وذلك نحو ثمان عشرة سنة ومن مدة قريبة سمعت ان اخى تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها بولد وانا لا ازوج بنتى الا له كرامة لاخى ثم انى أرخت وقت زواجى وحمل زوجتى وولادة هذه البنت وهى باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال له كيف يخطب مثلى من مثلك بنتا فتمنعها منه وتحتج بحجة باردة وحياة رأسى لا أزوجها الا لاقل منى برغم أنفك وكان عند الملك سائس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراه فأمر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وأمر أن يدخل عليها فى هذه الليلة وبعمل له زفافا وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم حوله فى أيديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون منه على باب الحمام وأما بنت الوزير فانها جالسة تبكى بين المنقشات والمواشط وهى أشبه الناس بهذا الشاب وقد حجروا على أبيها ومنعوه أن يحضرها وما رأيت يا اختى اقبح من هذا الاحدب واما الصبية فهى احسن من هذا الشاب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الحادية والعشرون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجنى لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وان الملك كتب كتابها على السائس الاحدب وهى فى غاية الحزن وانه لا احد يشبهها فى الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب احسن اهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله يا اختى ان الصبية احسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما ولعلهما أخوان او ولدا عم فيا خسارتها مع هذا الاحدب فقالت له يا اخى دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى

الصبية

الصبية التي تقول عليها وننظر ايهما احسن فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب وليس هناك احسن من هذا الرأي الذي اخترتيه فأنا احمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في ركابه تحاذيه الى ان نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر ابيه في ارض البصرة والتفت يمينا وشمالا فلم يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فاراد ان يصيح فغمزه العفريت واوقد له شمعة وقال له اعلم اني جئت بك وانا اريد ان اعمل معك شيأ لله فخذ هذه الشمعة وامش بها الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشيا معهم حتى تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخش احدا واذا دخلت فقف على يمين العريس الاحدب وكل ما جاءك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك في جيبك تجده مملوا ذهبا فاكبش وارم لهم ولا تتوهم انك تدخل يدك ولا تجده مملوا بالذهب فأعط كل من جاءك بالحفنة ولا تخش من شيء وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال يا ترى اي شيء هذه القضية وما وجه الاحسان ثم مشى واوقد الشمعة وتوجه الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما وقفت المغنيات للناس ينقطوهن يضع يده في جيبه فيلقاه مملوا بالذهب فيكبش ويرمي في الطار للمغنيات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا الى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه غمرنا باحسانه ولا تجلي العروسة الا وهو حاضر وعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح واجلسوه برغم أنف العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن ملثمات وصرن صفوفا يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر اللوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وما هو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه هلال مالت جميع النساء اليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا ان هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن في خدمته واطعنه فيما يقول فازدحم النساء عليه بالشمع ونظرن الى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود ان تكون في حضنه سنة او شهرا او ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الالباب وقلن هنيأ لمن كان هذا الشاب له او عليه ثم دعون على ذلك السائس الاحدب ومن كان سببا في زواجه هذه المليحة وكلما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغنيات ضربن بالدفوف واقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها والبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلي والحلل من لباس الملوك الاكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسبول عليها من فوق حوائجها وفي عنقها عقد يساوي الالوف قد حوى كل فص من الجوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كأنها البدر اذا اشرق في ليلة اربعة عشر ولما اقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها بهية واحدق بها النساء فصرن كالنجوم وهي بينهن كالقمر اذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصري جالسا والناس ينظرون اليه فخطرت العروسة واقبلت وتمايلت فقام اليها السائس الاحدب ليقبلها فاعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحك الناس فلما رأوها

مالت الى نحو حسن بدر الدين وحط يده في جيبه وكبش الذهب ورمى في طار المغنيات ففرحو
وقالوا كان نشتهى أن تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسايس الاحدب وحده كأنه
قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعدا في الظلام يمقت في نفسه وهؤلاء الناس محدقون
به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجاب يتحير من شعاعها أولوا الالباب وأما العروسة
فانها رفعت كفيها الى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلى وأرحني من هذا السايس الاحدب
وصارت المواشط تجلى العروسة الى آخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصرى والسايس الاحدب
وحده فلما فرغوا من ذلك أذنوا للناس بالانصراف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء
والاولاد ولم يبق الا حسن بدر الدين والسايس الاحدب ثم ان المواشط أدخلن العروسة
ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السايس الاحدب الى حسن بدر
الدين وقال ياسيدى آنستنا في هذه الليلة وغمرتنا باحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال
له بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يابدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت
الراحة فادخل أنت واجلس في المخدع فاذا أقبلت العروسة فقل لها انا زوجك والملك ما عمل تلك
الحيلة الا لانه يخاف عليك من العين وهذا الذى رأيته سايس من سياسنا ثم أقبل عليها واكشف
وجهها ولا تخش بأسا من أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسايس دخل بيت الراحة
وقعد على الكرسى فطلع له العفريت من الحوض الذى فيه الماء في صورة فار وقال زيق فقال
الاحدب ماجابك هنا فكبر الفار وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبا وقال عو عو فلما نظر السايس
ذلك فزع وقال اخسأ يامشؤم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق
فانزعج السايس وقال الحقونى يا أهل البيت واذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان
وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أنتن السياس فلحق السايس البطن وقعد على الملاق
بأثوابه واشتبكت أسنانه ببعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الارض فلا تتزوج الا بمعشوقتى
فسكت السايس فقال له رد الجواب والا أسكنتك التراب فقال والله مالى ذنب الا انهم غصبونى
وما عرفت أن لها عشاقا من الجواميس ولكن أنا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت أقسم بالله
ان خرجت في هذا الوقت من هذا الموضع أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لاقتلنك فاذا طلعت
الشمس فاخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت أبدا ثم ان العفريت قبض على السايس
الاحدب وقلب رأسه في الملاق وجعلها الى أسفل وجعل رجليه الى فوق وقال له استمر هنا وانا أحرسك
الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب (وأما) ما كان من قصة حسن بدر الدين البصرى فانه
خلى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس في داخل المخدع واذا بالعروسة أقبلت
ومعها عجوز فوقفت العجوز في باب المخدع وقالت يا أباشهاب قم وخذ عروستك وقد استودعتك الله ثم
ولت العجوز ودخلت العروسة في صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت في قلبها والله
لا أمكنه من نفسى ولو طلعت روحى فلما دخلت الى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت حبيبي والى هذا
الوقت أنت قاعد لقد قلت في نفسى لعلك أنت والسايس الاحدب مشتركان فيّ فقال حسن بدر
الدين وأى شئ أوصل السايس اليك ومن أين له أن يكون شريكي فيك فقالت ومن زوجي أأنت أم
هو فقال بدر الدين ياسيدتى نحن ما عملنا هذا الا مسخرة به لنضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغنيات

واهلك

وأهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه أبوك بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد أطفأت نارى فبالله خذنى عندك وضمنى الى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها الى نحرها فبان ما قدامها وورائها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذى كان أخذه من اليهودى ووضع فيه ألف دينار ولفه فى سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسى وبقى بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدر الدين اليه وعانقها وأخذ رجلها فى وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة وأطلقه فهدم البرج فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها وعلى بشبابها ولم يزل يركب المدفع ويرد الى غاية خمس عشرة مرة فعلقت منه فلما فرغ بدر الدين وضع يده تحت رأسها وكذلك الاخرى وضعت يدها تحت رأسه ثم انهما تعانقا وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الأبيات

زر من تحب ودع كلام الحاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من امر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه (واما) ما كان من امر العفريت فانه قال للعفريتة قومى وادخلى تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم واخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فاذن الله الملائكة ان ترمى العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت بدر الدين فى موضع ما احرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفا عليه وكان بالامر المقدر ذلك الموضع فى دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من ابوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت ابواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان فى النوم فلما رآه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة ويا ليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر مساكين اولاد الناس لعل هذا يكون فى هذه الساعة خرج من المسكرة لبعض شغله فقوى عليه السكر فتاه عن المكان الذى كان قصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلقا فنام ههنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهوى هب على بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وافخاذ مثل البلور فصار الناس يتعجبون فانتبه بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال اين انا يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم على وما حكايتى معكم فقالوا نحن رأيناك عند اذان الصبح ملقى على هذا الباب نائما ولا نعلم من امرك غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله يا جماعة انى كنت نائما هذه الليلة فى مصر فقال واحد هل أنت تأكل حشيشا وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون بائتا فى مصر وتصبح نائما فى مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخير لم أكذب عليكم أبدا وانا كنت البارحة بالليل فى

ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شئ عجيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا ياخسارة شبابه والله ما في جنونه خلاف ثم انهم قالوا له ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسا في ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذي تقول في المنام فتحير حسن في نفسه وقال لهم والله ما هذا منام وأين السايس الاحدب الذي كان قاعدا عندنا والكيس الذهب الذي كان معي وأين ثيابي ولباسي ثم قام ودخل المدينة ومشى في شوارعها واسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان اهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ الى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت في قلبه محبته فقال له من أين انت يافتى فاحك لي حكايتك فانك صرت عندي أعز من روحي فحكى له ماجرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ ياسيدي بدر الدين اعلم ان هذا أمر عجيب وحديث غريب ولكن ياولدي اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك واقعد عندي في هذا المكان وأنا ما لي ولد فأتخذك ولدي فقال له بدر الدين الامر كما تريد ياعم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين أقمشة مفتخرة وألبسه اياها وتوجه به الى القاضي وأشهد على نفسه انه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين في مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده في الدكان يقبض الدراهم وقد استقر أمره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من امر حسن بدر الدين (واما) ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسن بدر الدين قاعدا عندها فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بابيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه الذي هو السايس الاحدب وقال في نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى الى أن وصل الى المخدع ووقف على بابه وقال ياست الحسن فقالت له نعم ياسيدي ثم انها خرجت وهي تتمايل من الفرح وقبلت الارض بين يديه وازداد وجهها نورا وجمالا لعناقها لذلك الغزال فلما نظرها ابوها وهي بتلك الحالة قال لها ياخبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفي ماجرى منك والناس يضحكون علي ويعايروني بهذا السايس الذي ما يجي في أصبعي قلامة ظفر ان زوجي والله مابت طول عمري ليلة أحسن من ليلة البارحة التي بتها معه فلا تهزأ بي وتذكر لي ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك أي شئ هذا الكلام الذي تقولينه ان السايس الاحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لي قبحه الله وقبح اباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السايس الا مكتري بعشرة دنانير وأخذ اجرته وراح وجئت أنا ودخلت المخدع فنظرت زوجي قاعدا بعد ما جلى علي المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقراء الحاضرين وقد بت في حضن زوجي الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وقال لها يافاجرة ما هذا الذي تقولينه أين عقلك فقالت له ياابت لقد فتت كبدي لاي شئ تتغافل فهذا زوجي الذي اخذ وجهي قد دخل بيت الراحة واني قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلاء فوجد السايس الاحدب ورأسه مغروزة في الملاق ورجلاه مرتفعة الى فوق فبهت فيه الوزير وقال أما هذا هو الاحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الاحدب انه العفريت * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما﴾

﴿فلما كانت الليلة الثانية والعشرون﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد أن السائس الاحدب لما كلمه الوزير ظن انه العفريت فلم يرد عليه لانه ظن انه لا يكلمه الا العفريت فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم والا اقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا الموضع ما رفعت رأسي فبالله عليك ان ترفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فاني ابو العروسة ما انا عفريت فقال ليس عمري في يدك ولا تقدر ان تأخذ روحي فرح الى حال سبيلك قبل ان يأتيك الذي فعل بي هذه الفعال فأنتم لا تزوجوني الا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها ولعن من كان السبب في ذلك ثم ان السائس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة ويقول لعن الله من كان السبب في ذلك فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس فاخرج وروح الى حال سبيلك فهل طلعت الشمس اولا فاني لا أقدر أن أطلع من موضعي الا أن طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من أتى بك الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لأقضي حاجتي وازيل ضرورتي واذا بفار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلاما دخل في أذني فخلني ورح لعن الله العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير واخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وما صدق ان الشمس طلعت وطلع الى السلطان واخبره بما اتفق له مع العفريت وأما الوزير أبو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل في أمر ابنته فقال يا بنتي اكشفي لي عن خبرك فقالت ان الظريف الذي كنت أنجلي عليه بات عندي البارحة وأزال بكارتي وعلقت منه وان كنت لم تصدقني فهذه عمامته بلفتها على الكرسي ولباسه تحت الفراش وفيه شيء ملفوف لم اعرف ماهو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن أخيه ففي الحال أخذها في يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء الا أنها موصلية ثم نظر الى حرز مخيط في طربوشه فأخذه وفتقه وأخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه ألف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي واسم حسن بدر الدين بن نور الدين البصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما أفاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شيء وقال يا بنتي هل تعرفين من الذي أخذ وجهك قالت لا قال انه ابن أخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبا فيها بخط أخيه نور الدين المصري أبي حسن بدر الدين فلما نظر خط أخيه أنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب في مواطنهم دموعي
وأسأل من بفرقتهم رماني * يمن علي يوما بالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره الى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ما جرى لاخيه على ما جرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر موافقين تاريخا ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة حسن بدر الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فأخذ الورقتين وطلع بهما الى السلطان وأعلمه بما جرى من أول الأمر الى آخره فتعجب الملك وأمر ان يؤرخ هذا الامر في الحال ثم أقام الوزير ينتظر ابن أخيه فلم يقع له على خبر فقال والله لأعملن عملا ما سبقني اليه أحد * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون﴾ قال بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال والله لأعلمن عملا ما سبقني اليه أحد ثم أخذ دواة وقلما وكتب فيه أمتعة البيت وان الخشخانة في موضع كذا والستارة الفلانية في موضع كذا وكتب جميع ما في البيت ثم طوى الكتاب وأمر بخزن جميع الامتعة وأخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظها عنده وأما بنت الوزير فانها لما كملت اشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده من الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى المرضعات وسموه عجيبا فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصاه ان يربيه ويحسن تربيته فأقام في المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلي انا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون الى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف أنا اعلمكم شيأ تقولونه له لما يجي فيتوب عن المجي للمكتب وذلك أنه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم امه واسم أبيه ومن لم يعرف اسم أمه واسم أبيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الأولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمي ماجد وامي علوي وأبي عز الدين وقال الآخر مثل قوله وقال الآخر كذلك الى أن جاء الدور الى عجيب فقال انا اسمي عجيب وأمي ست الحسن وابي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو أبوك فقال لهم عجيب الوزير أبي حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه أولاد وصفقوا عليه وقالوا أنت ما تعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف اسم أبيه وفي الحال تفرق الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره واختنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد ان أباك جدك الوزير أبو أمك ست الحسن ان أباك ما تعرفه أنت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للسايس الاحدب وجاءت الجن فناموا عندها فان لم تعرف لك أبا يجعلوك بينهم ولد زنا الا ترى ان ابن البائع يعرف أباه فوزير مصر انما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكو لها وهو يبكي ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له يا ولدي ما الذي أبكاك فأحك لي قصتك فحكى لها ما سمعه من الاولاد ومن العريف وقال يا والدتي من هو أبي قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبي فلا تكذبي علي فان الوزير أبوك أنت لا أبي أنا فمن هو أبي فان لم تخبريني بالصحيح قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر أبيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصري وما جرى لها معه وأنشدت هذه الأبيات

أهاجوا الحب في قلبي وساروا * وقد شطت بهم تلك الديار
وبان العقل مني حيث بانوا * وفارقني هجوع واصطبار
وقد ساروا ففارقني سروري * وقد عدم القرار فلا قرار
واجروا بالفراق دموع عيني * فأدمعها تجاريها البحار
اذا ما اشتقت يوما أن أراهم * وزاد لهم حنين وانتظار
يمثل شخصهم في وسط قلبي * غرام واشتياق وادكار
أيا من ذكرهم اضحى دثاري * ومالي غير حبهم شعار

احبتنا

أحببتنا الى كم ذا التمادى * وكم هذا التباعد والنفار

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فأخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما فى باطن الامر ثم قام الوزير فى الحال ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك وأخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابن أخيه وطلب من السلطان أن يكتب له مراسيم لسائر البلاد اذا وجد ابن أخيه فى أى موضع يأخذه ثم بكى بين يدى السلطان فرق له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل فى الحال وتجهز للسفر وأخذ ما يحتاج اليه وأخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم حتى وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار كما قال الشاعر

من بعد يوم فى دمشق وليلتى * حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل فى غفلاته * ومن الصباح عليه فرع أشمط
والطل فى تلك الغصون كأنه * درر يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

فنزل الوزير فى ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشترى وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بنى أمية الذى ما فى الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشى خلف عجيب وفى يده سوط لو ضرب به جملا لسقط ولم يقم فلما نظر أهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال ألطف من نسيم الشمال وأحلى للظمآن من الماء الزلال وألذ من العافية لصاحب الاعتلال فلما رآه أهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجرى وراءه وتتبعه وتقعد فى الطريق حتى يجىء عليهم وينظرونه الى أن وقف العبد بالامر المقدر على دكان أبيه حسن بدر الدين الذى أجلسه فيه الطباخ الذى اعترف عند القضاة والشهود أنه ولده فلما وقف عليه العبد فى ذلك اليوم وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين الى ولده فأعجبه حين وجده فى غاية الحسن فحن اليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى واشتدت به المحبة الالهية فنادى من الوجد وقال يا سيدى يا من ملك قلبى وفؤادى وحن اليه كبدى هل لك أن تدخل عندى وتجبر قلبى وتأكل من طعامى ثم فاضت عيناه بالدموع من غير اختياره وتذكر ما كان فيه فيما مضى وما هو فيه فى تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام أبيه حن اليه قلبه والتفت الى الخادم وقال له ان هذا الطباخ حن قلبى اليه وكأنه قد فارق ولدا له فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ونأكل ضيافته لعل الله يجمع شملنا بأبينا بجبرنا خاطره فلما سمع الخدام كلام سيده عجيب قال والله يا سيدى لا ينبغى كيف تكون ولد الوزير وتأكل فى دكان الطباخ ولكن أنا أحجب الناس عنك بهذه العصا خوفا أن ينظروا اليك والا فما عكنك أن تدخل الدكان أبدا فلما سمع حسن بدر الدين كلام الخادم تعجب والتفت الى الخادم وقد سالت دموعه على خدوده وقال له ان قلبى حبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت أبو عجيب للخادم وقال له يا كبير لاى شىء لا تجبر خاطرى وتدخل عندى يا من كأنه قسطل أسود وقلبه أبيض يا من قال فيه بعض واصفيه كذا وكذا من المدح حتى ضحك الخادم وقال اى شىء تقول فبالله قل واوجز فأنشد فى الحال هذين البيتين

لولا تأدبه وحسن ثقاته * ما كان فى دار الملوك محكما

وعلى الحريم فياله من خادم * من حسنه خدمته أملاك السما

فتعجب الخادم من هذا الكلام وأخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف حسن بدر الدين زبدية من حب الرمان وكانت بلوز وسكر فأكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين آنستمونا كلوا هنيأ مريأ ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال حسن بدر الدين يا ولدى هل بليت على صغر سنك بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم ياعم احرق قلبي بفراق الاحباب والحبيب الذى فارقنى هو والدى وقد خرجت أنا وجدى نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملى به وبكى بكاء شديدا وبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم وأكلوا جميعا الى أن اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فأحس أن روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر أن يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم أنه ولده وأسرع فى مشيه حتى لحقهم قبل أن يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشي وقال له مالك يا طباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندى كأن روحى خرجت من جسمى ولى حاجة فى المدينة خارج الباب فأردت أن أرافقكم حتى أقضى حاجتى وأرجع فغضب الطواشي وقال لعجيب ان هذه أكلة مشؤمة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ واحمر وجهه وقال للخادم دعه يمشى فى طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وخرج معنا وعرفنا انه يتبعنا نطرده فأطرق رأسه ومشى والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين الى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب مخافة ان يقولوا انه دخل دكان الطباخ وان الطباخ تبعه فالتفت حتى صارت عيناه فى عين أبيه وقد بقى جسدا بلا روح ورأى عجيب عينه كأنها اعين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبا فأخذ حجرا وضرب به والده فوقع الحجر فى جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب هو والخادم الى الخيام وأما حسن بدر الدين فانه لما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال انا ظلمت الصبي حيث غلقت دكانى وتبعته حتى ظن انى خائن ثم رجع الى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقا الى والدته التى فى البصرة ويبكى عليها وأنشد هذين البيتين

لا تسأل الدهر انصافا لتظلمه * فلست فيه ترى يا صاح انصافا

خذ ما تيسر واز والهم ناحية * لابد من كدر فيه وان صافى

ثم ان حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه واما الوزير عمه فانه أقام فى دمشق ثلاثة أيام ثم رحل متوجها الى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش فى طريقه أينما حل وجهه فى سيره الى ان وصل الى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه واكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فأخبره بقصته وان اخاه الوزير على نور الدين فترحم عليه السلطان وقال ايها الصاحب انه كان وزيرى وكنت احبه كثيرا وقد مات من مدة خمسة عشر عاما وخلف ولدا وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير ان امه عندنا لانها بنت وزيرى الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال يا ملك انى اريد ان اجتمع بها فأذن له فى الحال ان ينزل عندها فى دار اخيه فنزل نور الدين ودخل عندها فى دار اخيه وجال بطرفه فى نواحيها وقبل اعتابها وتذكر اخاه نور الدين على وكيف مات غريبا وهو مشتاق اليه فبكى وانشد

امر

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة فوجد بابا مقوصرا معقودا بالحجر الصوان مجزعا بأنواع الرخام من سائر الألوان فمشى فى نواحى الديار ونظرها وجال بطرفه فيها فوجد اسم أخيه نور الدين مكتوبا بالذهب على جدرانها فأتى الى الاسم وقبله وبكى وأحرقه فراقه فأنشد هذه الابيات

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت * وأسأل البرق عنكم كلما لمعا
أبيت والشوق يطوينى وينشرنى * فى راحتيه ولا أشكوله وجعا
أحبابنا ان يكن طال المدى فلكم * قد قطع القلب منى بعدكم قطعا
فلو مننتم على طرفى برؤيتكم * لكان أحسن شئ بيننا وقعا
لا تحسبوا أننى بالغير مشتغل * ان الفؤاد لحب الغير ما وسعا

ثم انه صار يمشى الى أن وصل الى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصرى وكانت فى مدة غيبة ولدها قد لازمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام فى وسط القاعة وصارت تبكى عليه ليلا ونهارا ولا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر لا أنت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هى كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها وأعلمها أنه أخو زوجها ثم أخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها ان ابنتى حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معى وانه ولدك وولد ولدك من ابنتى فلما سمعت خبر ولدها وانه حى ورأت أخا زوجها قامت اليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وأنشدته هذين البيتين

لله در مبشرى بقدومهم * فلقد أتى بأطايب المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تقطع ساعة التوديع

ثم ان الوزير أرسل الى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله ان يجمع شملنا وشملك بولدك ابن أخى فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها وتجهزت فى الحال ثم طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر وسافر من وقته هو وزوجة أخيه ولم يزل سائرا حتى وصل الى مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه اننا نقيم بدمشق جمعة الى أن نشترى للسلطان هدايا وتحفا ثم قال عجيب للطواشى يا غلام انى اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى سوق دمشق ونعتبر أحوالها وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذى قد كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع أنه قد كان أحسن الينا ونحن أسأناه فقال الطواشى سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشى وحركته القرابة الى التوجه لوالده ودخلا مدينة دمشق وما زالا سائرين الى أن وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفا فى الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الامر أنه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظره عجيب حن اليه قلبه ونظر الى أثر الضربة بالحجر فى جبينه فقال

السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطرى عندك فلما نظر اليه حسن بدر الدين تعلقت أحشاؤه به وخفق فؤاده اليه وأطرق برأسه الى الارض وأراد أن يدير لسانه فى فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا اليه وأنشد هذه الابيات

تمنيت من أهوى فلما رأيته * ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا
وأطرقت اجلالا له ومهابة * وحاولت اخفاء الذى بى فلم يخف
وكنت معد العتاب صحائفا * فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفا

ثم قال لهما اجبرا قلبى وكلا من طعامى فوالله ما نظرت اليك أيها الغلام الا حن قلبى اليك وما كنت اتبعتك الا وأنا بغير عقل فقال عجيب والله انك محب لنا ونحن أكلنا عندك لقمة فلازمتنا عقبها وأردت أن تهتكنا ونحن لا نأكل لك أكلا الا بشرط أن تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا والا لا نعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون فى هذه المدينة جمعة حتى يأخذ جدى هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم فى الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح حسن بدر الدين وأكل معهم وهو لم يغض طرفه عن النظر فى وجهه وقد تعلق به قلبه وصارت كل جوارحه معه فقال له عجيب ألم تعلم أنى قلت لك انك عاشق ثقيل فحسبك لا تطل النظر الى والى وجهى فلما سمع حسن بدر الدين كلامه انشد هذه الابيات

لك فى القلوب سريرة لا تظهر * مطوية وحديثها لا ينشر
يا فاضح القمر المنير بحسنه * وبوجهه افتضح الصباح المسفر
لى فى سناك امارة لا تنقضى * ومعاهد أبدا تزيد وتكثر
فأذوب من حرق ووجهك جنتى * وأموت من ظمئى وريقك كوثر

فصار حسن بدر الدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطواشى ساعة وكب على أيديهما الماء حتى غسلا وحل فوطة حرير من وسطه فمسح أيديهما بها ورش عليهما ماء الورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان ثم عاد بقلتين من شربات ممزوجة بماء الورد الممسك وقدمهما بين ايديهما وقال لهما تمما احسانكما فأخذ عجيب وشرب وناول الخادم ولا يزالا يشربان حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ثم انصرفا وأسرعا فى مشيهما حتى وصلا الى خيامهما ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت ولدها حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ثم انها أنشدت هذين البيتين

لولم أرج بأن الشمل يجتمع * ما كان لى فى حياتى بعد كم طمع
أقسمت ما فى فؤادى غير حبكم * والله ربى على الاسرار مطلع

ثم قالت لعجيب يا ولدى أين كنت قال فى مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم فى نفسه والله ما لنا شهية فى الاكل ثم جلس الخادم وأما عجيب فانه لما جلس كان بطنه ممتلئا بما أكل وشرب فأخذ لقمة وغمسها فى حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعانا فتضجر وقال اى شىء هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدى أتعيب طبيخى وانا طبخته ولا احد يحسن الطبيخ مثلى الا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله يا سيدتى ان طبيخك هذا غير متقن نحن فى هذه الساعة رأينا فى المدينة طباخا طبخ حب الرمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فانه يشهى نفس المتخوم ان تأكل وأما طعامك بالنسبة اليه فانه

لا

لايساوى كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ونظرت الى الخادم * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت الى الخادم وقالت له ويلك هل انت افسدت ولدى لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشى وانكر وقال مادخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله لقد دخلنا وأكلنا وهو احسن من طعامك فقامت جدته واخبرت اخاها وجهاوأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدى دكان الطباخ فخاف الخادم وقال مادخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا واسقانا الطباخ شرابا بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فأنكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم واراد ان يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال ياسيدى انى شبعان من البارحة فعرف الوزير انه اكل عند الطباخ فأمر الجوارى ان يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال ياسيدى انى شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما اكلت عمرى مثله ولا رأيت اقبح من هذا الذى قدامنا فغضبت ام حسن بدر الدين وقالت لابد ان تذهب الى هذا الطباخ وتجىء لنا بزبدية حب رمان من الذى عنده وتريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن وأطيب فقال الخادم نعم ففى الحال اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك فى بيت سيدنا لان هناك حب رمان طبخه اهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وأدر بالك فى طبيه واتقنه فقد اكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله ان هذا الطعام لايحسنه احد الا انا ووالدتى وهى الآن فى بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية واخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل اليهم فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودته فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة أفاقت وقالت ان كان ولدى فى الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا الا هو وهو ولدى حسن بدر الدين لاشك فيه ولا محالة لان هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره الا أنا لانى علمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه الى رؤية ابن أخى أترى تجمع الايام شملنا به وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضى منكم عشرون رجلا الى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا الى مكانى من غير ايذاء يحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته وساعته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق وأطلعه على الكتب التى معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففى الحال أمر حجابه أن يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شىء فيها مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم به وصاروا منتظرين مجىء الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول فى نفسه يا ترى أى شىء رأوا فى حب الرمان حتى صار لى هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له فى أخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فأحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين الى عمه بكى بكاء شديدا وقال يامولاى ما ذنبى عندكم فقال له أنت الذى طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيأ يوجب ضرب الرقبة فقال له الوزير هذا أقل جزائك فقال له ياسيدى

أما توقفني على ذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن بدر الدين معهم وأدخلوه في صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى أن أقبل الليل فحطوا وأكلوا شيأ من الطعام وأخرجوا حسن بدر الدين فأطعموه وأعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى مكان فأخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه الى الصندوق وساروا الى أن وصلوا الى مصر وقد نزلوا في الزيدانية فأمر باخراج حسن بدر الدين من الصندوق وأمر باحضار نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال أصلبك وأسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أي شيء تفعل بي ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو ناقص فلفلا فقال له وهل لكونه ناقصا فلفلا تصنع معي هذا كله أما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني أكلة واحدة فقال له الوزير من أجل كونه ناقص فلفل ما جزاؤك الا القتل فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر في نفسه فقال له الوزير في أي شيء تتفكر فقال له في العقول السخيفة التي مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معي هذه الفعال لأجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا ان نؤدبك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين ان الذي فعلته معي أقل شيء فيه أدبي فقال لا بد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر اليه ولم يزالوا كذلك الى ان أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه في الصندوق وقال في غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار الى أن دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن عمك قومي وافرشي البيت مثل فرشه ليلة الجلاء فأمرت الجواري بذلك فقمن وأوقدن الشمع وقد أخرج الوزير الورقة التي كتب فيها أمتعة البيت ثم قرأها وأمر أن يضعوا كل شيء في مكانه حتى ان الرائي اذا رأى ذلك لا يشك في أنه ليلة الجلاء بعينها ثم ان الوزير أمر أن تحط عمامة حسن بدر الدين في مكانها الذي حطها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم ان الوزير أمر ابنته أن تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولي له قد أبطأت علي في دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثي معه الى النهار وكتب هذا التاريخ ثم ان الوزير أخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وقلع ما عليه من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم بذلك ثم انتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه في دهليز نير فقال في نفسه هل أنا في أضغاث أحلام أو في اليقظة ثم قام بدر الدين فمشى قليلا الى باب ثان ونظر واذا هو في البيت الذي انجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى وقال في نفسه هل هذا في المنام أو في اليقظة وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التي انجلت فيه علي فاني أنا كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له يا سيدي أما تدخل فانك أبطأت علي في بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها ضحك وقال ان هذه أضغاث أحلام ثم دخل وتنهد وتفكر فيما جرى له وتحير في أمره وأشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذي فيه الالف دينار فقال الله أعلم اني في أضغاث أحلام وصار من فرط التعجب متحيرا فعند ذلك قالت له ست الحسن مالي أراك متعجبا متحيرا أما كنت هكذا في أول الليل فضحك وقال كم عام لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك أنت انما خرجت الى

الكنيف

الكنيف لتقضى حاجة وترجع فأى شئ جرى فى عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكننى لما خرجت من عندك غلبنى النوم فى بيت الراحة فحلمت انى كنت طباخا فى دمشق وأقمت بها عشر سنين وكأنه جاءنى صغير من أولاد الاكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم ان حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال والله ياسيدتى كأنه حق لانه ضربنى على جبينى فشجه فكأنه فى اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت وغنا فرأيت فى المنام كأنى سافرت الى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخا ثم بهت ساعة وقال والله كأنى رأيت انى طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كأنى الا نمت فى بيت الراحة فرأيت هذا كله فى المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك أى شئ رأيته زيادة على ذلك فحكى لها جميع ما رآه ثم قال والله لولا انى انتبهت لكانوا صلبونى على لعبة خشب فقالت له على أى شئ فقال على قلة الفلفل فى حب الرمان ورأيت كأنهم أخربوا دكانى وكسروا مواعينى وحطونى فى صندوق وجاؤا بالنجار ليصنع لى لعبة من خشب لانهم أرادوا صلبى عليها فالحمد لله الذى جعل لى ذلك كله فى المنام ولم يجعله فى اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تذكر وقال والله ما كأنه الا فى اليقظة فأنا ما عرفت أى شئ الخبر ولا حقيقة الحال ثم انه نام وهو متحير فى أمره فتارة يقول رأيته فى المنام وتارة يقول رأيته فى اليقظة ولم يزل كذلك الى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك أما أنت الذى أمرت بتكتيفى وتسمير دكانى من شان حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال الوزير اعلم ياولدى انه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا أنت ابن أخى وما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذى دخلت على بنتى تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التى كتبتها بخطك والتى كتبها والدك أخى فانى ما رأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك وأما أمك فانى جئت بها معى من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير ياولدى ان سبب ذلك كله ما جرى بينى وبين والدك وحكى له جميع ما جرى بينه وبين أخيه وأخبره بسبب سفر والده الى البصرة ثم ان الوزير أرسل الى عجيب فلما رآه والده قال هذا هو الذى ضربنى بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وأنشد هذه الابيات

ولقد بكيت على تفرق شملنا * زمنا وفاض الدمع من أجفانى
ونذرت ان جمع المهيمن شملنا * ماعدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور علىّ حتى انه * من فرط ما قد سرنى أبكانى

فلما فرغ من شعره التفتت اليه والدته وألقت روحها عليه وأنشدت هذين البيتين

الدهر أقسم لايزال مكدرى * حنثت يمينك يازمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمر

ثم ان والدته حكت له جميع ما وقع لها بعده وحكى لها جميع ما قاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم ان الوزير طلع الى السلطان وأخبره بما جرى له فتعجب وأمر ان يؤرخ ذلك فى السجلات ليكون حكاية على ممر الاوقات ثم ان الوزير أقام مع ابن أخيه وبنته وابنها وزوجة أخيه فى ألذ عيش الى ان أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات * وهذا يا أمير المؤمنين ماجرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الدين فقال

الخليفة هرون الرشيد والله ان هذا الشئ عجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له ما يعيش به وصار من ينادمه * ثم ان البنت قالت وما هذا بأعجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع لهم قال الملك وما حكايتهم

حكاية الخياط والأحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم

قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف الدهر والأوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الأحيان يتفرجان على غرائب المتنزهات فخرجا يوما من أول النهار ورجعا آخره الى منزلهما عند المساء فوجدا في طريقهما رجلا أحدب رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والأحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم انهما عزما عليه ان يروح معهما الى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فأجابهما الى ذلك ومشى معهما الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام الاحدب وجلسوا يأكلون فأخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة في نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت في حلقه لاجل انقضاء أجله فمات * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون قالت بلغني أيها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت الاحدب الجزلة السمك مات لانقضاء أجله في وقته فقال الخياط لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا المسكين ما كان موته الا هكذا على أيدينا فقالت المرأة وما هذا التواني أما سمعت قول الشاعر

مالي أعلل نفسي بالمحال على * أمر يكون به هم وأحزان
ماذا القعود على نار وما خمدت * ان القعود على النيران خسران

فقال لها زوجها وما أفعله قالت له قم واحمله في حضنك وانشر عليه فوطة حرير وأخرج أنا قدامك وأنت ورائي في هذه الليلة وقل هذا ولدي وهذه امه ومرادنا ان نوديه الى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الاحدب في حضنه وزوجته تقول يا ولدي سلامتك أين محل وجعك وهذا الجدري كان لك في أي مكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدري ولم يزالا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودي فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغيرا وأمه معه فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب فخذي الربع دينار وأعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الاحدب هنا ونفوز بأنفسنا فأوقفه الخياط وأسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته وأما الجارية فانها دخلت على اليهودي وقالت له في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطياني ربع دينار لك وتصف لهما ما يوافقه فلما رأى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل في الظلام فأول ما نزل عثرت رجله في الاحدب وهو ميت فقال يا للعزير يا للمولى والعشر كلمات يا لهرون ويوشع بن نون كأني عثرت في هذا المريض فوقع الى أسفل فمات فكيف أخرج بقتيل من بيتي فحمله وطلع به من حوش البيت الى زوجته وأعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت أرواحنا فأنا وأنت نطلع به الى السطح ونرميه

فى بيت جارنا المسلم فانه رجل مباشر على مطبخ السلطان وكثيرا ماتأتى القطط فى بيته وتأكل مما فيه من الاطعمة والفيران وان استمر فيه ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه فطلع اليهودى وزوجته وهما حاملان الاحدب وانزلاه بيديه ورجليه الى الارض وجعلاه ملاصقا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الاحدب الا والمباشر قد جاء الى البيت وفتحه وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفا فى الزاوية فى جانب المطبخ فقال ذلك المباشر ماهذا والله ان الذى يسرق حوائجنا ماهو الا ابن آدم فيأخذ ماوجده من لحم أودهن ولو خبأته من القطط والكلاب وان قتلت قطط الحارة وكلابها جميعا لا يفيد لانه ينزل من السطوح ثم أخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتا فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدى ثم نظر اليه فاذا هو أحدب فقال أما يكفى انك أحدب حتى تكون حراميا وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرنى بسترك الجميل ثم حمله على اكتافه ونزل به من بيته فى آخر الليل ومازال سائرا به الى أول السوق فأوقفه بجانب دكان فى رأس عطفة وتركه وانصرف واذا بنصرانى وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان المسيح قريب فمازال يمشى ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحت منه التفاتة فوجد واحدا واقفا وكان النصرانى قد خطفوا عمامته فى أول الليل فلما رأى الاحدب واقفا اعتقد انه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع فى الارض وصاح النصرانى على حارس السوق ثم نزل على الأحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه خنقا فجاء الحارس فوجد النصرانى باركا على المسلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم اليه الحارس فوجده ميتا فقال كيف يقتل النصرانى مسلما ثم قبض على النصرانى وكتفه وجاء به الى بيت الوالى والنصرانى يقول فى نفسه يامسيح ياعذراء كيف قتلت هذا وما أسرع ما مات فى لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان الاحدب والنصرانى باتا فى بيت الوالى وأمر الوالى السياف أن ينادى عليه ونصب للنصرانى خشبة وأوقفه تحتها وجاء السياف ورمى فى رقبة النصرانى الحبل واراد أن يعلقه واذا بالمباشر قد شق فرأى النصرانى وهو واقف تحت المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لا تفعل أنا الذى قتلته فقال له الوالى لاى شىء قتلته قال انى دخلت الليلة بيتى فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحى فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به الى السوق وأوقفته فى موضع كذا فى عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفانى أنى قتلت مسلما حتى يقتل بسبب نصرانى فلا تشنق غيرى فلما سمع الوالى كلام المباشر أطلق النصرانى السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فأخذ الحبل من رقبة النصرانى ووضعه فى رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة وأراد أن يعلقه واذا باليهودى الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال له لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك أنه جاءنى فى بيتى ليتداوى فنزلت اليه فعثرت فيه برجلى فمات فلا تقتل المباشر واقتلنى فأمر الوالى بقتل اليهودى الطبيب فأخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه فى رقبة اليهودى الطبيب واذا بالخياط جاء وشق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك انى كنت بالنهار أتفرج وجئت وقت العشاء فلقيت هذا الاحدب سكران ومعه دف وهو يغنى بفرحة فوقفت أتفرج عليه وجئت به الى بيتى واشتريت سمكا وقعدنا نأكل فأخذت زوجتى قطعة سمك ولقمة ودستهما فى فمه فزور فمات لوقته فأخذته أنا وزوجتى وجئنا به لبيت اليهودى فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولى لسيدك ان بالباب امرأة

ورجلا ومعهما ضعيف تعال انظره وصف له دواء واعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدها واسندت الاحدب الى جهة السلم ومضيت انا وزوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن أنه قتله ثم قال الخياط لليهودي أصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالي وقال له اطلق اليهودي واشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من أمر الاحدب وقال ان هذا أمر يؤرخ في الكتب ثم قال للسياف أطلق اليهودي واشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقال هل نقدم هذا ونؤخر هذا ولا نشنق واحدا ثم وضع الحبل في رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه فلما سكر الاحدب غاب عنه تلك الليلة وثاني يوم الى نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يامولانا طلع به الوالي وهو ميت وامر بشنق قاتله فنزل الوالي ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ماقتله الا أنا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله له فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل الى الوالي وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل واعلم الوالي أن القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الاحدب معه محمولا والخياط واليهودي والنصراني والمباشر وطلع بالجميع الى الملك فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض وحكى له جميع ماجرى من الجميع وليس في الاعادة افادة فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر أن يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم النصراني وقال ياملك الزمان ان أذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصراني اعلم يا ملك الزمان اني لما دخلت تلك الديار أتيت بمتجر وأوقعني المقدور عندكم وكان مولدي بمصر وأنا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمسارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمسارا مكانه فبينما أنا قاعد يوما من الأيام واذا بشاب أحسن مايكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حمارا فلما رآني سلم علي فقمت اليه تعظيما له فأخرج منديلا وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوي الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكيالين واعمد الى خان الجوالي في باب النصر تجدني فيه وتركني ومضى وأعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهما فأخذت معي أربعة تراسين ومضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام الى المخزن وفتحه فكلناه فجاء جميع مافيه خمسين أردبا فقال الشاب لك في كل أردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لي أربعة آلاف وخمسمائة فاذا فرغ بيع حواصلي جئت اليك وأخذتها فقلت له الامر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم ألف درهم وغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقلت ها هي حاضرة فقال احفظها حتى أجيء اليك فآخذها فقعدت انتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك أن تأكل عندنا شيأ فأبى وقال لي احفظ الدراهم حتى أمضي وأجيء فآخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا فقلت في نفسي ان هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر وكأنه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو بخد أحمر وجبين ازهر وشامة كأنها قرص عنبر وفي مثل ذلك قال الشاعر

البدر والشمس فى برج قد اجتمعا * فى غاية الحسن والاقبال قد طلعا
وزاد حسنهما للناظرين هوى * فيا له عندما داعى السرور دعا
فى الحسن والظرف قد زادا وقد كملا * اليهما الروح راحت والفؤاد سعى
تبارك الله مخلوقاته عجب * ماشاء رب العلى فى خلقه صنعا

فلما رأيته قلبت يديه ودعوت له وقلت له ياسيدى أما تقبض دراهمك فقال مهلا على حتى أفرغ من قضاء مصالحى وآخذها منك ثم ولى فقلت فى نفسى والله اذا جاء لأضيفنه لكونى انتفعت بدراهمه وحصل لى منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الاولى فحلفت عليه أن ينزل عندى ويضيفنى فقال لى بشرط أن ما تنفقه من مالى الذى عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ما ينبغى من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت له باسم الله فتقدم الى المائدة ومد يده الشمال وأكل معى فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت ياسيدى فرج عنى كربة لأى شئ أكلت بيدك الشمال لعل فى يدك اليمين شيأ يؤلمك فلما سمع كلامى أنشد هذين البيتين

خليلى لاتسأل على ما بمهجتى * من اللوعة الحرى فتظهر أسقام
وما عن رضا فارقت سلمى معوضا * بديلا ولكن للضرورة أحكام

ثم أخرج يده من كمه واذا هى مقطوعة زند بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لى لا تعجب ولا تقل فى خاطرك انى أكلت معك بيدى الشمال عجبا ولكن لقطع يدى اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم أنى من بغداد ووالدى من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقى ذلك فى خاطرى حتى مات والدى فأخذت أموالا كثيرة وهيأت متجرا من قماش بغدادى وموصلى ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لى حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الابيات

قد يسلم الأكمه من حفرة * يسقط فيها الباصر الناظر
ويسلم الجاهل من لفظة * يهلك فيها العالم الماهر
ويعسر المؤمن فى رزقه * ويرزق الكافر الفاجر
ما حيلة الانسان ما فعله * هو الذى قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر وأنزلت القماش فى خان مسرور وفككت أحمالى وأدخلتها وأعطيت الخادم دراهم ليشترى لنا بها شيأ نأكله ونمت قليلا فلما أفقت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتى فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت فى نفسى أقوم لأشق فى بعض الاسواق وأنظر الحال فأخذت بعض القماش وحملته لبعض غلمانى وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلنى السماسرة وكانوا علموا بمجيئى فأخذوا منى القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لى شيخ الدلالين ياسيدى أنا أعرف لك شيأ تستفيد به وهو أن تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك الى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفى وتأخذ ما تحصل من ذلك فى كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأى سديد فأخذت معى الدلالين وذهبت الى الخان فأخذوا القماش الى القيسرية فبعته الى التجار وكتبت عليهم وثيقة الى الصيرفى وأخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت الى الخان وأقمت أياما كل يوم أفطر على قدح من الشراب وأحضر

اللحم الضاني والحلويات حتى دخل الشهر الذي استحقيت فيه الجباية فبقيت كل خميس واثنين أقعد
على دكاكين التجار وعبدي الصيرفي والكاتب فيجيئان بالدراهم من التجار ويأتياني بها الى أن
دخلت الحمام يوما من الايام وخرجت الى الخان ودخلت موضعي وأفطرت على قدح من الشراب ثم
نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت وذهبت الى دكان رجل تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما
رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه فبينما نحن كذلك واذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبي وعليها
عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلي بحسنها وجمالها ورفعت الازار فنظرت الى أحداق
سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من
قلبي فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فأخرج لها
تفصيلة فقالت للتاجر هل آخذها وأذهب ثم أرسل اليك ثمنها فقال لها التاجر لا يمكن يا سيدتي لان هذا
صاحب القماش وله علي قسط فقالت ويلك ان عادتي ان آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم
وأربحك فيها فوق ما تريد ثم أرسل اليك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر الى الثمن في هذا اليوم فأخذت
التفصيلة ورمته بها في صدره وقالت ان طائفتكم لا تعرف لأحد قدرا ثم قامت مولية فظننت ان روحي
راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها يا سيدتي تصدقي علي بالالتفات وارجعي بخطواتك الكريمة
فرجعت وتبسمت وقالت لأجلك رجعت وقعدت قصادي على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة
كم ثمنها عليك قال ألف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فأكتب لك فيها ثمنها
فأخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي وأعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي أنت وروحي وان شئت
هاتي ثمنها الى في السوق وان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالي وجعلك بعلي
فتقبل الله الدعوة وقلت لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك أيضا مثلها ودعيني أنظر وجهك
فكشفت القناع عن وجهها فلما نظرت وجهها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت
لا أملك عقلي ثم رخت القناع وأخذت التفصيلة وقالت يا سيدي لا توحشني وقد ولت وقعدت في
السوق الى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب سألت التاجر
عنها حين أردت القيام فقال لي ان هذه صاحبة مال وهي بنت أمير مات والدها وخلف لها مالا كثيرا
فودعته وانصرفت وجئت الى الخان فقدم الى العشاء فتذكرتها فلم آكل شيئا ونمت فلم يأتني نوم
فسهرت الى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التي كانت علي وشربت قدحا من الشراب وأفطرت على
شيء قليل وجئت الى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من
الاولى ومعها جارية فجلست وسلمت علي دون بدر الدين وقالت لي بلسان فصيح ما سمعت أعذب ولا
أحلى منه أرسل معي من يقبض الالف والمائتي درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولاي شيء العجلة
فقالت لا عدمناك وناولتني الثمن وقعدت أتحدث معها فأومأت اليها بالاشارة ففهمت أني اريد
وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت أنا خارج السوق في أثرها واذا
بجارية أتتني وقالت يا سيدي كلم سيدتي فتعجبت وقلت ما يعرفني هنا أحد فقالت الجارية ما أسرع
ما نسيتها سيدتي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها الى الصيارف فلما رأتني زوتني
لجانبها وقالت يا حبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبي ومن ساعة رأيتك لم يطب لي نوم ولا أكل
ولا شرب فقلت لها عندي أضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت يا حبيبي أجيء عندك أو

تجيء

تجى عندى فقلت لها أنا رجل غريب ومالى مكان يأوينى الا الخان فان تصدقت على بأن أكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة مافيها شىء الا ان كان فى غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبى شامة فانى ساكنة هناك ولا تبطىء فانى فى انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت للخان الذى أنا فيه وبت طول الليل سهران فما صدقت أن الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسى وتعطرت وتطيبت وأخذت معى خمسين دينارا فى منديل ومشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بى الى الحبانية فمضى فى أقل من لحظة فما أسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقرى فقلت له ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت امش قدامى الى القاعة فمشى حتى اوصلنى الى المنزل فقلت له فى غد تجيئنى هنا وتودينى فقال الحمار بسم الله فناولته ربع دينار ذهبا فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لى بنتان صغيرتان بكران منهدتان كأنهما قمران فقالتا ادخل ان سيدتنا فى انتظارك لم تنم الليلة لولعها بك فدخلت قاعة مغلقة بسبعة ابواب وفى دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الالوان وبه انهار دافقة وطيور ناطقة وهى مبيضة بياضا سلطانيا يرى الانسان وجهه فيها وسقفها مطلى بذهب وفى دائرها طرازات مكتوبة باللازورد قد حوت أوصافا حسنة وأضاءت للناظرين وارضها مفروشة بأرخام المجزع وفى أرضها فسقية وفى أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب فلما دخلت جلست * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة والعشرون) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الشاب التاجر قال للنصرانى فلما دخلت وجلست لم اشعر الا والصبية قد اقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهى منقشة مخططة فلما رأتنى تبسمت فى وجهى وحضنتنى ووضعتنى على صدرها وجعلت فمها على فمى وجعلت تمص لسانى وانا كذلك وقالت أصحيح أتيت عندى أم هذا منام فقلت لها انا عبدك فقالت اهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك مالذ لى نوم ولا طاب لى طعام فقلت وانا كذلك ثم جلسنا نتحدث وانا مطرق برأسى الى الارض حياء ولم امكث الا قليلا حتى قدمت لى سفرة من أفخر الالوان من محمر ومرقق ودجاج محشى فأكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا الى الطشت والابريق فغسلت يدى ثم تطيبنا بماء الورد الممسك وجلسنا نتحدث فأنشدت هذين البيتين

لو علمنا قدومكم لفرشنا * مهجة القلب مع سواد العيون
ووضعنا خدودنا للقاكم * وجعلنا المسير فوق الجفون

وهى تشكو الى ما لاقت وانا أشكو اليها ما لاقيت وتمكن حبها عندى وهان على جميع المال ثم أخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل الى ان أقبل الليل فقدمت لنا الجوارى الطعام والمدام فاذا هى حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فنمت معها الى الصباح فما رأيت عمرى مثل هذه الليلة فلما اصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت ياسيدى متى ارى هذا الوجه المليح فقلت لها اكون عندك وقت العشا فلما خرجت اصبت الحمار الذى جاء بى بالامس على الباب ينتظرنى فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت واعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعال فى وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وافطرت ثم خرجت اطالب بثمن القماش

ثم رجعت وقد عملت لها خروفا مشويا واخذت حلاوة ثم دعيت الجمال ووصفت له المحل واعطيته اجرته ورجعت فى اشغالى الى الغروب فجاءنى الحمار فأخذت خمسين دينارا وجعلتها فى منديل ودخلت فوجدتهم مسحوا الرخام وجلوا النحاس وعمروا القناديل واوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروّقوا الشراب فلما رأتنى رمت يديها على رقبتى وقالت اوحشتنى ثم قدمت الموائد فأكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجوارى المائدة وقدمت المدام فلم نزل فى شراب ونقل وحظ الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا وتحتهم أرزا مفلفلا وعملت قلقاسا مقليا ونحو ذلك وأخذت فاكهة ونقلا ومشموما وأرسلتها وسرت الى البيت وأخذت خمسين دينارا فى منديل وخرجت فركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا الى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة ولم أزل على تلك الحالة مدة الى أن بت وأصبحت لا أملك درهما ولا دينارا فقلت فى نفسى هذا من فعل الشيطان وأنشدت هذه الابيات

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
ان غاب لا يذكر بين الورى * وان أتى فماله من نصيب
يمر فى الاسواق مستخفيا * وفى الفلا يبكى بدمع صبيب
والله ما الانسان من أهله * اذا ابتلى بالفقر الا غريب

ثم تمشيت الى أن وصلت بين القصرين ولا زلت أمشى حتى وصلت الى باب زويلة فوجدت الخلق فى ازدحام والباب منسدا من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جنديا فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدى على جيبه فحسيته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت الى تلك الصرة فأخذتها من جيبه فأحس الجندى بأن جيبه خف فحط يده فى جيبه فلم يجد شيأ والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسى فسقطت الى الارض فأحاط الناس بنا وأمسكوا لجام فرس الجندى وقالوا أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامى سارق فعند ذلك أفقت ورأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيأ فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القيل والقال وجذبنى الناس وأرادوا خلاصى منه فبالامر المقدر جاء الوالى هو وبعض الحكام فى هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علىّ وعلى الجندى فقال الوالى ما الخبر فقال الجندى والله يا أمير ان هذا حرامى وكان فى جيبى كيس أزرق فيه عشرون دينارا فأخذه وأنا فى الزحام فقال الوالى للجندى هل كان معك أحد فقال الجندى لا فصرخ الوالى على المقدم وقال امسكه وفتشه فأمسكنى وقد زال الستر عنى فقال له الوالى أعره من جميع ما عليه فلما أعرانى وجدوا الكيس فى ثيابى فلما وجدوا الكيس أخذه الوالى وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندى فغضب الوالى وصاح على أتباعه وقال قدموه فقدمونى بين يديه فقال لى يا صبى قل الحق هل أنت سرقت هذا الكيس فأطرقت برأسى الى الارض وقلت فى نفسى ان قلت ما سرقته فقد أخرجه من ثيابى وان قلت سرقته وقعت فى العناء ثم رفعت رأسى وقلت نعم أخذته فلما سمع منى الوالى هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقى هذا كله فى باب زويلة فأمر الوالى السياف بقطع يدى فقطع يدى اليمنى فرق قلب الجندى وشفع فى عدم قتلى وتركنى الوالى ومضى وصارت الناس حولى وسقونى قدح

شراب وأما الجندى فانه أعطانى الكيس وقال أنت شاب مليح ولا ينبغى أن تكون لصا فأخذته منه وأنشدت هذه الابيات

والله ما كنت لصا ياأخا ثقة * ولم أكن سارقا ياأحسن الناس
ولكن رمتنى صروف الدهر عن عجل * فزاد همى ووسواسى وافلاسى
ومارميت ولكن الاله رمى * سهما فطير تاج الملك عن راسى

فتركنى الجندى وانصرف بعد ان أعطانى الكيس وانصرفت أنا ولففت يدى فى خرقة وأدخلتها عبى وقد تغيرت حالتى واصفر لونى بما جرى لى فتمشيت الى القاعة وأنا على غير استواء ورميت روحى على الفراش فنظرتنى الصبية متغيرا اللون فقالت لى ماوجعك ومالى أرى حالتك تغيرت فقلت لها رأسى توجعنى وما أنا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلى وقالت لاتحرق قلبى ياسيدى اقعد وارفع رأسك وحدثنى بما حصل لك اليوم فقد بان لى فى وجهك كلام فقلت دعينى من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك منا فانى أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثنى وأنا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لى الطعام فامتنعت وخشيت أن ترانى آكل بيدى الشمال فقلت لا أشتهى أن آكل فى هذه الساعة فقالت حدثنى بما جرى لك فى هذا اليوم ولاى شىء أراك مهموما مكسور الخاطر والقلب فقلت فى هذه الساعة أحدثك على مهلى فقدمت لى الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلابد أن تشرب وتحدثنى بخبرك فقلت لها ان كان ولابد فاسقينى بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتنى اياه فتناولته منها بيدى الشمال وفرت الدمعة من جفنى فأنشدت هذه الابيات

اذا أراد الله أمرا لامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى قلبه * وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد اليه عقله ليعتبر

فلما فرغت من شعرى تناولت القدح بيدى الشمال وبكيت فلما رأتنى أبكى صرخت صرخة قوية وقالت ماسبب بكائك قد أحرقت قلبى ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان بيدى حبة فقالت أخرجها حتى أفقعها لك فقلت ماهو وقت فقعها لا تطيلى على فما أخرجها فى تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقينى حتى غلب السكر على فنمت مكانى فأبصرت يدى بلا كف ففتشتنى فرأت معى الكيس الذى فيه الذهب فدخل عليها من الحزن مالا يدخل على أحد ولازالت تتألم بسببى الى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هيأت لى مسلوقة وقدمتها فاذا هى اربعة طيور من الدجاج واسقتنى قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت اين تروح فقلت الى مكان كذا لأزحزح بعض الهم عن قلبى فقالت لاتروح بل اجلس فجلست فقالت لى وهل بلغت محبتك اياى الى ان صرفت جميع مالك على وعدمت كفك فأشهدك على والشاهد الله أنى لا أفارقك وسترى صحة قولى ولعل الله استجاب دعوتى بزواجك وارسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابى على هذا الشاب واشهدوا انى قبضت المهر فكتبوا كتابى عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالى الذى فى هذا الصندوق وجميع ماعندى من المماليك والجوارى لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت انا التمليك وانصرفوا بعدما اخذوا الاجرة ثم اخذتنى من يدى واوقفتنى على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لى انظر هذا الذى فى الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذى اخذته منك فكلما اعطيتنى منديلا فيه خمسون دينارا الفه

وأرمه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده الله عليك وأنت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت عينك وأنا لا اقدر على مكافأتك ولو بذلت روحي لكان ذلك قليلا ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت ما في صندوقها الى صندوقي وضممت مالها الى مالي الذي كنت أعطيتها اياه وفرح قلبي وزال همي فقمت فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك في محبتي فكيف اقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان ذلك قليلا وما اقوم بواجب حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة الا مهمومة من اجلي حين حكيت لها ما وقع لي وبت معها ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر وقوي بها الضعف وزاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها في التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلا وأملاكا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التي بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالي عنك هذه المدة الا اني بعت بقية الحواصل والى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فأرجو منك أنك لا تخالفني فيما أقوله لك لاني أكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا سبب أكلي بيدي الشمال فقلت له لقد أحسنت الي وتفضلت علي فقال لي لا بد أن تسافر معي الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك في مصاحبتي فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك واشتريت به متجرا وسافرت أنا وذلك الشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره واشترى متجرا عوضه من بلادكم ومضى الى الديار المصرية فكان نصيبي في قعودي هذه الليلة حتى حصل ما حصل من غربتي * فهذا يا ملك الزمان ما هو أعجب من حديث الاحدب فقال الملك لا بد من شنقكم كلكم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والعشرون * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لا بد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر الى ملك الصين وقال ان أذنت لي حكيت لك حكاية اتفقت لي في تلك المدة قبل أن أجد هذا الاحدب وان كانت أعجب من حديثه تهب لنا أرواحنا فقال الملك هات ما عندك فقال اعلم اني كنت الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرؤن وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قدموا رزباجة فتقدمنا لنأكل من الرزباجة فتأخر واحد منا وامتنع من الاكل منها فحلفنا عليه فأقسم أنه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا علي فكفاني ما جرى من أكلها ثم أنشد هذا البيت

اذا صديق أنكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ما سبب امتناعك من الاكل من هذه الرزباجة فقال لاني لا آكل منها الا ان غسلت يدي أربعين مرة بالاشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مرة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء وبالذي طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده في الرزباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له بالله عليك مالابهامك هكذا أهو خلقة الله أم اصابه حادث فقال يا اخواني ما هو هذا الابهام وحده ولكن ابهام الاخرى وكذلك رجلاي الاثنان ولكن انظروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناها

مثل

مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رأيناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك والاخبار بسبب قطع ابهامي يديك وابهامي رجليك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار وكان أكبر تجار مدينة بغداد في أيام الخليفة هرون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيأ فجهزته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه أياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الا يسيرا ووجدت عليه ديونا كثيرة فصبرت أصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع واشتري وأعطي من الجمعة الى الجمعة أصحاب الديون ولازلت على هذه الحالة مدة الى أن وفيت الديون وزدت على رأس مالي فبينما أنا جالس يوما من الايام اذ رأيت صبية لم ترعيني أحسن منها عليها حلي وحلل فاخرة وهي راكبة بغلة وقدامها عبد ووراءها عبد فأوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل خلفها خادم وقال ياسيدتي اخرجي ولا تعلمي أحدا فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم فلما نظرت الى دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكاني فلما وصلت الى جهتي والخادم خلفها جلست على دكاني وسلمت علي فما سمعت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظرتها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها وجعلت أكرر النظر الى وجهها وأنشدت هذين البيتين

قل للمليحة في الخمار الفاختي * الموت حقا من عذابك راحتي
جودي علي بزورة أحيا بها * ها قد مددت الى نوالك راحتي

فلما سمعت انشادهما أجابتني بهذه الابيات

عدمت فؤادي في الهوى ان سلاكم * فان فؤادي لا يحب سواكم
وان نظرت عيني الى غير حسنكم * فلا سرها بعد البعاد لقاكم
حلفت يمينا لست أسلو هواكم * وقلبي حزين مغرم بهواكم
سقاني الهوى كاسا من الحب صافيا * فيا ليته لما سقاني سقاكم
خذوا رمقي حيث استقرت بكم نوى * وأين حللتم فادفنوني حداكم
وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم * أنين عظامي عند رفع نداكم
فلو قيل لي ماذا على الله تشتهي * لقلت رضا الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتي مملوكك فقير ولكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم وأجيء لك بما تريدينه ثم تحدثت أنا واياها وأنا غارق في بحر محبتها تائه في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت وأخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم وناولت الخادم جميع ذلك فأخذه الخادم وذهبا الى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من أين هي واستحييت اني أذكر لها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت غرامة خمسة آلاف درهم وجئت البيت وأنا سكران من محبتها فقدموا الي العشاء فأكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فاشتغلت عن الاكل وأردت ان أنام فلم يجئني نوم ولم أزل على هذه الحالة أسبوعا وطالبتني التجار بأموالهم فصبرتهم أسبوعا آخر فبعد الاسبوع أقبلت وهي راكبة البغلة ومعها خادم وعبدان فسلمت علي وقالت ياسيدي أبطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفي واقبض الثمن فجاء الصيرفي وأخرج له الطواشي الثمن فقبضته وصرت أتحدث أنا واياها الى أن عمر السوق وفتحت التجار فقالت خذ لي كذا وكذا فأخذت لها من التجار ما أرادت وأخذته ومضت ولم تخاطبني في ثمن فلما مضت ندمت على ذلك وكنت أخذت الذي

طلبته بألف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي أي شيء هذه المحبة أعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت شيأ بألف دينار فخفت الافلاس وضياع مال الناس وقلت ان التجار لم يعرفوا الا أنا فما كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتني بحسنها وجمالها ورأتني صغيرا فضحكت علي ولم أسألها عن منزلها ولم أزل في وسواس وطالت غيبتها أكثر من شهر فطالبني التجار وشددوا علي فعرضت عقاري للبيع وأشرفت على الهلاك ثم قعدت وأنا متفكر فلم أشعر الا وهي نازلة على باب السوق ودخلت علي فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه وأقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فأعطتني ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكلام فكدت أن أموت فرحا وسرورا حتى قالت لي هل أنت لك زوجة فقلت لا اني لا أعرف امرأة ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت من شيء خطر ببالي ثم اني أخذت بعض دنانير وأعطيتها للخادم وسألته أن يتوسط في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك أكثر منك ومالها بالقماش حاجة وانما هو لاجل محبتها لك تخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرأتني وأنا أعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي على مملوكك واسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فأعجبها ذلك وأجابتني وقالت هذا الخادم يأتي برسالتي واعمل أنت بما يقوله لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت سلمت التجار أموالهم وحصل لهم الربح الا أنا فانها حين ذهبت حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم أنم طول ليلي فما كان الا أيام قلائل وجاءني خادمها فأكرمته وسألته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم اشرح لي أمرها قال ان هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد وهي من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فأذنت لها في ذلك فصارت تخرج وتدخل حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت بك سيدتها وسألتها ان تزوجها بك فقالت سيدتها لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد في هذه الساعة أن ندخل بك الدار فان دخلت الدار ولم يشعر بك أحد وصلت الى تزويجك اياها وان انكشف أمرك ضربت رقبتك فماذا تقول قلت نعم أروح معك وأصبر على الامر الذي حدثتني به فقال لي الخادم اذا كانت هذه الليلة فامض الى المسجد الذي بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هناك فقلت حبا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيه وبت هناك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلا في زورق ومعهما صناديق فارغة فأدخلوها في المسجد وانصرفوا وتأخر واحد منهما فتأملته واذا هو الذي كان واسطة بيني وبينها فبعد ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتي فلما أقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتني وبكت وتحدثنا ساعة فأخذتني ووضعتني في صندوق وأغلقته علي ولم أشعر الا وأنا في دار الخليفة وجاؤا الي بشيء كثير من الامتعة بحيث يساوي خمسين ألف درهم ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهن نهد أبكار وبينهن الست زبيدة وهي لم تقدر على المشي مما عليها من الحلي والحلل فلما أقبلت تفرقت الجواري من حواليها فأتيت اليها وقبلت الارض بين يديها فأشارت لي بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألني عن حالي وعن نسبي فأجبتها عن كل ما سألتني عنه ففرحت وقالت والله ما خابت تربيتنا في هذه الجارية ثم قالت لي اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهي وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجي اياها ثم أمرتني ان أقيم عندهم عشرة أيام فأقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدري من هي الجارية الا ان بعض الوصائف تأتيني بالغداء والعشاء لاجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين في زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار فأرسلت السيدة زبيدة الى القاضي والشهود

وكتبوا

وكتبوا كتابي عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة أيام أخر وبعد العشرين يوما أدخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم انهم قدموا سفرة فيها طعام ومن جملته خافقية زرباجة محشية بالسكر وعليها ماء ورد ممسك وفيها أصناف الدجاج المحمرة وغيره من سائر الالوان مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ما أمهلت نفسي حتى نزلت على الزرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدي ونسيت ان أغسلها ومكثت جالسا الى ان دخل الظلام وأوقدت الشموع وأقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله وبعد ذلك أقبلوا بها على ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها في الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها شمت في يدي رائحة الزرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل لها الجواري من كل جانب فارتجفت ولم أعلم ما الخبر فقالت الجواري مالك يا أختنا فقالت لهم أخرجوا عني هذا المجنون فأنا أحسب انه عاقل فقلت لها وما الذي ظهر لك من جنوني فقالت يا مجنون لأي شيء أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطا ونزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم انها قالت للجواري خذوه وامضوا به الى متولى المدينة ليقطع يده التي أكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة الا بالله أتقطع يدي من أجل أكل الزرباجة وعدم غسلي اياها فدخلت عليها الجواري وقلن لها يا أختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لا بد ان أقطع شيئا من أطرافه ثم راحت وغابت عني عشرة أيام ولم أرها وبعد العشرة أيام أقبلت على وقالت لي يا اسود الوجه انا لا أصلح لك فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجواري فكتفوني وأخذت موسى ماضيا وقطعت ابهامي يدي وابهامي رجلي كما ترون يا جماعة فغشي على ثم ذرت على بالذرور فانقطع الدم وقلت في نفسي لا آكل الزرباجة ما بقيت حتى أغسل يدي أربعين مرة بالاشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فأخذت على ميثاقا اني لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدي كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغير لوني وقلت في نفسي هذه سبب قطع ابهامي يدي ورجلي فلما غصبتم على قلت لا بد ان أوفي بما حلفت فقلت له والجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ورغت واياها وأقمنا مدة على هذا الحال وبعد تلك المدة قالت ان أهل دار الخلافة لم يعلموا بما حصل بيني وبينك فيها وما دخلها أجنبي غيرك وما دخلت فيها الا بعناية السيدة زبيدة ثم أعطتني خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير واخرج واشتر لنا بها دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها من النعم وما ادخرته من الاموال والقماش والتحف الى هذه الدار التي اشتريتها فهذا سبب قطع ابهامي فأكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى لي مع الاحدب ما جرى وهذا جميع حديثي والسلام فقال الملك ما هذا بأعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب أعذب من ذلك ولا بد من صلبكم جميعا ثم ان اليهودي تقدم وقبل الارض وقال يا ملك الزمان انا أحدثك بحديث أعجب من حديث الاحدب فقال له ملك الصين هات ما عندك فقال أعجب ما جرى لي في زمن شبابي اني كنت في دمشق الشام وتعلمت منه صنعة فعملت فيها فبينما انا أعمل في صنعتي يوما من الايام اذ أتاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت فرأيت في صدر الايوان سريرا من المرمر بصفائح الذهب وعليه آدمي مريض راقد وهو شاب لم ير أحسن منه في زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفاء فأشار الي بعينه

فقلت له ياسيدى ناولنى يدك فأخرج لى يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى ياالله العجب ان هذا الشاب مليح ومن بيت كبير وليس عنده أدب ان هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له ورقة ومكثت أتردد عليه مدة عشرة أيام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج فخلع على الصاحب خلعة مليحة وجعلنى مباشرا عنده فى المارستان الذى بدمشق فلما دخلت معه الحمام وقد أخلوه لنا من جميع الناس ودخل الخادم بالثياب وأخذ ثيابه التى كانت عليه من داخل الحمام فبعد أن تعرى رأيت يده اليمين قطع أصبعها فلما رأيته أخذنى التعجب وحزنت عليه ونظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع فصرت أتعجب من أجل ذلك فنظر الى الشاب وقال لى ياحكيم الزمان لاتعجب من أمرى فسوف أحدثك بحديث حتى نخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام ووصلنا الى الدار وأكلنا الطعام واسترحنا قال الشاب هل لك أن تتفرج فى الغرفة فقلت نعم فأمر العبيد أن يطلعوا الفراش الى فوق وأمرهم أن يشووا خروفا وأن يأتوا الينا بفاكهة ففعل العبيد ما امرهم به وأتوا بالفاكهة فأكلنا وأكل هو بيده الشمال فقلت له حدثنى بحديثك فقال لى ياحكيم الزمان اسمع حكاية ماجرى لى اعلم اننى من اولاد الموصل وكان لى والد قد توفى ابوه وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدى وكان أكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدى بى وأما أخوته التسعة فلم يرزقوا بأولاد فكبرت أنا وصرت بين أعمامى وهم فرحون بى فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم مع والدى فى جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعا وأما والدى وأعمامى فانهم قعدوا يتحدثون فى عجائب البلاد وغرائب المدن الى أن ذكروا مصر فقال بعض أعمامى ان المسافرين يقولون ماعلى وجه الارض أحسن من مصر ونيلها ولقد أحسن من قال فيها وفى نيلها هذين البيتين

بالله قل للنيل عنى أننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك أن يكون جميلا

ثم انهم أخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت انا هذه الاوصاف التى فى مصر صار خاطرى مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم الى منزله فبت تلك الليلة لم يأتنى نوم من شغفى بها ولم يطب لى أكل ولا شرب فلما كان بعد أيام قلائل تجهز أعمامى الى مصر فبكيت على والدى لاجل الذهاب معهم حتى جهز لى متجرا ومضيت معهم وقال لهم لاتدعوه يدخل مصر بل اتركوه فى دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدى وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصلنا الى حلب فأقمنا به اياما ثم سافرنا الى أن وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات أشجار وانهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا فى بعض الخانات واستمر بها أعمامى حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتى فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركنى أعمامى وتوجهوا الى مصر فكنت بعدهم وسكنت فى قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر بدينارين وصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب حتى صرفت المال الذى كان معى فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوما من الايام واذا بصبية أقبلت على وهى لابسة أفخر الملابس مارأت عينى أفخر منها فغمزت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب على وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت ازارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبى فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة ومايحتاج اليه المقام وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها فى

اطيب

أطيب ليلة الى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير فحلفت أنها لا تأخذ الدنانير مني ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكون عندك وهيئ لنا بهذه الدنانير مثل هذا وأعطتني هي عشرة دنانير وودعتني وانصرفت فأخذت عقلي معها فلما مضت الايام الثلاثة أتت وعليها من المزركش والحلي والحلل أعظم مما كان عليها أولا وكنت هيأت لها ما يليق بالمقام قبل أن تحضر ثم أكلنا وشربنا وغنا مثل العادة الى الصباح ثم أعطتني عشرة دنانير وواعدتني بعد ثلاثة أيام انها تحضر عندي فهيأت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت في قماش أعظم من الاول والثاني ثم قالت لي يا سيدي هل أنا مليحة فقلت اى والله فقالت هل تأذن لي أن أجيء معي بصبية احسن مني وأصغر سنا مني حتى تلعب معنا ونضحك وإياها فانها سألتني ان تخرج معي وتبيت معنا لنضحك وإياها ثم اعطتني عشرين دينارا وقالت لي زد لنا المقام لأجل الصبية التي تأتي معي ثم انها ودعتني وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب واذا بها قد اتت ومعها واحدة ملفوفة بازار فدخلتا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع واستقبلتهما بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر في تمامه فلم أر احسن منها فقمت وقدمت لهما الأكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة وأملأ لها القدح وأشرب معها فغارت الصبية الأولى في الباطن ثم قالت بالله ان هذه الصبية مليحة أما هي أظرف مني قلت اى والله قالت خاطري أن تنام معها قلت على رأسي وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة الى وقت الصبح فلما اصبحت وجدت يدي ملوثة بدم ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت رأسها عن بدنها فظننت انها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت ثيابي وحفرت في القاعة ووضعت الصبية ورددت عليها التراب واعدت الرخام كما كان ثم لبست واخذت بقية مالي وخرجت وجئت الى صاحب القاعة ودفعت له اجرة سنة وقلت له انا مسافر الى اعمامي بمصر ثم سافرت انا لمصر واجتمعت بأعمامي ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي ما سبب مجيئك فقلت لهم اشتقت اليكم وخفت أن لا يبقى معي شيء من مالي فأقمت عندهم سنة وانا اتفرج على مصر ونيلها ووضعت يدي في بقية مالي وصرت اصرف منه وآكل واشرب حتى قرب سفر اعمامي فهربت منهم فقالوا لعله سبقنا ورجع الى دمشق فسافروا وخرجت انا فأقمت بمصر ثلاث سنين وصرت أصرف حتى لم يبق معي من المال شيء وأنا في كل سنة أرسل الى صاحب القاعة أجرتها وبعد الثلاث سنين ضاق صدري ولم يبق معي الا اجرة السنة فقط فسافرت حتى وصلت الى دمشق ونزلت في القاعة ففرح بي صاحبها فدخلت القاعة ومسحتها من دم الصبية المذبوحة ورفعت المخدة فوجدت تحتها العقد الذي كان في عنق تلك الصبية فأخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم اقمت يومين وفي اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت أثوابي وأنا ما معي شيء من الدراهم فجئت يوما الى السوق فوسوس لي الشيطان لاجل انفاذ القدر فأخذت العقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام لي وأجلسني بجانبه وصبر حتى عمر السوق وأخذه الدلال ونادى عليه خفية وأنا لا أعلم واذا بالعقد ثمن بلغ ثمنه ألفي دينار فجاءني الدلال وقال لي ان هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الى ألف درهم فقلت له نعم هذا كنا صنعناه لواحدة نضحك عليها به وورثته زوجتي فأردنا بيعه فرح واقبض الالف درهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال اقبض
الألف درهم وسمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فتوجه بالعقد الى كبير السوق وأعطاه اياه
فأخذه وتوجه به الى الوالى وقال له ان هذا العقد سرق من عندى ووجدنا الحرامى لابسا لباس أولاد
التجار فلم أشعر الا والظلمة قد أحاطوا بى وأخذونى وذهبوا بى الى الوالى فسألنى الوالى عن ذلك العقد
فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالى وقال ما هذا كلام الحق فلم أدر الا وحواشيه جردونى من ثيابى
وضربونى بالمقارع على جميع بدنى فأحرقنى الضرب فقلت أنا سرقته وقلت فى نفسى ان الاحسن انى
أقول أنا سرقته ولا أقول ان صاحبته مقتولة عندى فيقتلونى فيها فلما قلت انى سرقته قطعوا يدى
وقلوها فى الزيت فغشى على فسقونى الشراب حتى أفقت فأخذت يدى وجئت الى القاعة فقال
صاحب القاعة حيث ما جرى لك هذا فادخل القاعة وانظر لك موضعا آخر لانك متهم بالحرام فقلت له
ياسيدى اصبر على يومين أو ثلاثة حتى أنظر لى موضعا قال نعم ومضى وتركنى فبقيت قاعدا أبكى وأقول
كيف أرجع الى أهلى وأنا مقطوع اليد والذى قطع يدى لم يعلم انى برىء فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا
وصرت أبكى بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عنى لحقنى غم شديد فتشوشت يومين وفى اليوم
الثالث ما أدرى الا وصاحب القاعة جاءنى ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى على انى سرقت
العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلونى بل كتفونى ووضعوا فى رقبتى جنزيرا وقالوا لى ان العقد
الذى كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد قد ضاع من بيت
الصاحب من مدة ثلاث سنين ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلى وقلت فى
نفسى هم يقتلونى ولا محالة والله لابد أنى أحكى للصاحب حكايتى فان شاء قتلنى وان شاء عفا عنى
فلما وصلنا الى الصاحب أوقفونى بين يديه فلما رآنى قال أهذا الذى سرق العقد ونزل به ليبيعه انكم قطعتم
يده ظلما ثم أمر بسجن كبير السوق وقال له اعط هذا دية يده والا أشنقك وآخذ جميع مالك ثم صاح
على أتباعه فأخذوه وجروه وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد أن فكوا الغل من عنقى باذنه وحلوا
وثاقى ثم نظر الى الصاحب وقال لى ياولدى حدثنى وأصدقنى كيف وصل اليك هذا العقد فقلت
يامولاى انى أقول لك الحق ثم حدثته بجميع ما جرى لى مع الصبية الاولى وكيف جاءتنى بالثانية وكيف
ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامى هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى
ساعة ثم أقبل على وقال لى اعلم ياولدى ان الصبية الكبيرة بنتى وكنت احجر عليها فلما بلغت ارسلتها
الى ولد عمها بمصر فمات فجاءتنى وقد تعلمت العهر من أولاد مصر وجاءتك أربع مرات ثم جاءتك بأختها
الصغيرة والاثنتان شقيقتان وكانتا محبتين لبعضهما فلما جرى للكبيرة ما جرى أخرجت سرها على
أختها فطلبت منى الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكى عليها وقالت لا أعلم لها خبرا
ثم قالت لأمها سرا جميع ما جرى من ذبحها أختها فأخبرتنى أمها سرا ولم تزل تبكى وتقول والله لا أزال
أبكى عليها حتى أموت وكلامك ياولدى صحيح فانى أعلم بذلك قبل أن تخبرنى به فانظر ياولدى ما جرى وأنا
أشتهى منك أن لا تخالفنى فيما أقول لك وهو انى أريد أن أزوجك ابنتى الصغيرة فانها ليست شقيقة
لهما وهى بكر ولا آخذ منك مهرا وأجعل لكما راتبا من عندى وتبقى عندى بمنزلة ولدى فقلت له الامر
كما تريد ياسيدى ومن أين لى أن أصل الى ذلك فأرسل الصاحب فى الحال من عنده بريدا وأتانى بمالى
الذى خلفه والدى وأنا اليوم فى أرغد عيش فتعجبت منه وأقمت عنده ثلاثة أيام وأعطانى مالا كثيرا

وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذه فطابت لى فيها المعيشة وجرى لى مع الاحدب ما جرى * فقال ملك الصين ما هذا با عجب من حديث الاحدب ولا بدلى من شنقكم جميعا وخصوصا الخياط الذى هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان حدثتنى بشئ أعجب من حديث الاحدب وهبت لكم ذنوبكم

﴿حكاية مزين بغداد﴾

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان الذى جرى لى أعجب مما جرى للجميع لأنى كنت قبل أن أجتمع بالاحدب أول النهار فى وليمة لبعض أصحابى أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من أهل بغداد وعلى ذلك الشاب أحسن ما يكون من الثياب وهو فى أحسن ما يكون من الجمال غير أنه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا فلما أراد الجلوس رأى فينا انسانا مزينا فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاى لا تتعرض لى بشئ فان سبب خروجى هذا المزين الذى هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا اليه وقلنا له احك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة انه جرى لى مع هذا المزين أمر عجيب فى بغداد بلدى وكان هو سبب عرجى وكسر رجلى وحلفت أنى ما بقيت أقاعده فى مكان ولا أسكن فى بلد هو ساكن بها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت فى هذه المدينة وأنا الليلة لا أبيت الا مسافرا فقلنا له بالله عليك أن تحكى لنا حكايتك معه فاصفر لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا يا جماعة الخير أن والدى من أكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيرى فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفى والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا وخدما وحشما فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكان الله سبحانه وتعالى بغضنى فى النساء الى أن كنت ماشيا يوما من الايام فى أزقة بغداد واذا بجماعة تعرضوا الى فى الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت فى آخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة واذا بطاقة قبالة المكان الذى أنا فيه فتحت وطلت منها صبية كالبدر فى تمامه لم أر فى عمرى مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا ثم قفلت الطاقة وغابت عنى فانطلقت فى قلبى النار واشتغل خاطرى بها وانقلب بغضى للنساء محبة فلا زلت جالسا فى هذا المكان الى المغرب وأنا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضى المدينة راكب وقدامه عبيد وورآءه خدام فنزل ودخل البيت الذى طلت منه تلك الصبية فعرفت أنه أبوها ثم انى جئت منزلى وأنا مكروب ووقعت على الفراش مهموما فدخلت على جوارى وقعدن حولى ولم يعرفن ما بى وأنا لم أبد لهن أمرا ولم أرد لخطابهن جوابا وعظم مرضى فصارت الناس تعودنى فدخلت على عجوز فلما رأتنى لم يخف عليها حالى فقعدت عند رأسى ولاطفتنى وقالت لى يا ولدى قل لى خبرك فحكيت لها حكايتى فقالت يا ولدى ان هذه بنت قاضى بغداد وعليها الحجر والموضع الذى رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له قاعة كبيرة أسفل وهى وحدها وأنا كثيرا ما أدخل عندهم ولا تعرف وصالها الا منى فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسى حين سمعت حديثها وفرح أهلى فى ذلك اليوم وأصبحت متماسك الاعضاء مترجيا تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت يا ولدى لا تسأل عما جرى منها لما قلت لها ذلك فانها قالت لى ان لم تسكتى يا عجوز النحس عن هذا الكلام لأفعلن بك ما تستحقينه ولا بد أن

أرجع اليها ثانى مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى فلما كان بعد أيام أتت العجوز
وقالت ياولدى أريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحى الى جسمى وقلت لها لك عندى كل خير
فقالت انى ذهبت بالامس الى تلك الصبية فلما نظرتنى وأنا منكسرة الخاطر باكية العين قالت ياخالتى
مالى أراك ضيقة الصدر فلما قالت لى ذلك بكيت وقلت لها يا بنتى وسيدتى انى أتيتك بالامس من عند فتى
يهواك وهو مشرف على الموت من أجلك فقالت لى وقد رق قلبها ومن أين يكون هذا الفتى الذى تذكرينه
قلت هو ولدى وثمرة فؤادى ورآك فى الطاقة من أيام مضت وأنت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك
عشقا وأنا أول مرة أعلمته بما جرى لى معك فزاد مرضه ولزم الوساد وما هو الا ميت ولا محالة فقالت وقد
اصفر لونها اهل هذا كله من أجلى قلت اى والله فماذا تأمرين قالت امضى اليه وأقرئيه منى السلام
واخبريه أن عندى أضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء الى الدار وأنا أقول افتحوا
له الباب وأطلعه عندى وأجتمع واياه ساعة ويرجع قبل مجىء أبى من الصلاة فلما سمعت كلام العجوز
زال ما كنت أجده من الالم واستراح قلبى ودفعت اليها ما كان على من الثياب وانصرفت وقالت لى طيب
قلبك فقلت لها لم يبق فى شىء من الالم وتباشر أهل بيتى وأصحابى بعافيتى ولم أزل كذلك الى يوم الجمعة
واذا بالعجوز دخلت على وسألتنى عن حالى فأخبرتها انى بخير وعافية ثم لبست ثيابى وتعطرت ومكثت
أنتظر الناس يذهبون الى الصلاة حتى أمضى اليها فقالت العجوز ان معك فى الوقت اتساعا زائدا فلو
مضيت الى الحمام وأزلت شعرك لاسيما من أثر المرض لكان فى ذلك صلاحك فقلت لها ان هذا هو
الرأى الصواب لكن أحلق رأسى أولا ثم أدخل الحمام فأرسلت الى المزين ليحلق لى رأسى وقلت للغلام
امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا قليل الفضول لا يصدع رأسى بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى
بهذا الشيخ فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال أذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان عنك
فقلت تقبل الله منك فقال ابشر ياسيدى فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعرك أو اخراج دم فانه ورد
عن ابن عباس انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء وروى عنه أيضا انه قال من
احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم فى هذه الساعة
احلق لى رأسى فانى رجل ضعيف فقام ومد يده وأخرج منديلا وفتحه واذا فيه اصطرلاب وهو سبع
صفائح فأخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لى اعلم انه مضى من
يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما أوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق أنه
قارنه عطارد وذلك يدل على أن حلق الشعر جيد جدا ودل عندى على انك تريد الاقبال على شخص وهو
مسعود لكن بعده كلام يقع وشىء لا أذكره لك فقلت له والله لقد أضجرتنى وأزهقت روحى وفولت على وأنا
ماطلبتك الا لتحلق رأسى فقم واحلق رأسى ولا تطل على الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الامر
لطلبت منى زيادة البيان وأنا أشير عليك انك تعمل اليوم بالذى آمرك به بمقتضى حساب الكواكب
وكان سبيلك أن تحمد الله ولا تخالفنى فانى ناصح لك وشفيق عليك وأود أن أكون فى خدمتك سنة
كاملة وتقوم بحقى ولا أريد منك أجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلى فى هذا اليوم ولا محالة
﴿وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح﴾

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال له انك قاتلى فى

هذا

هذا اليوم فقال يا سيدى أنا الذى تسمينى الناس الصامت لقلة كلامى دون اخوتى لان أخى الكبير اسمه البقبوق والثانى الهدار والثالث بقبق والرابع اسمه الكوز الاصوانى والخامس اسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو أنا فلما زاد على هذا المزين بالكلام رأيت أن مرارتى انفطرت وقلت للغلام أعطه ربع دينار وخله ينصرف عنى لوجه الله فلا حاجة لى فى حلاقة رأسى فقال هذا المزين حين سمع كلامى مع الغلام أى شىء هذا المقال يا مولاى والله لا آخذ منك أجرة حتى أخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب على خدمتك وقضاء حاجتك ولا أبالى اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لا تعرف قدرى فأنا أعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا الاحسان لانه كان كريما والله لقد أرسل والدك خلفى يوما مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال لى أخرج لى دما فأخذت الاصطرلاب وأخذت له الارتفاع فوجدت طالع الساعة نحسا واخراج الدم فيها صعبا فأعلمته بذلك فامتثل وصبر الى أن أتت الساعة الحميدة وأخرجت له فيها الدم ولم يخالفنى بل شكرنى وكذلك شكرنى الجماعة الحاضرون وأعطانى والدك مائة دينار فى نظير اخراج الدم فقلت له لا رحم الله أبى الذى عرف مثلك فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت أظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقد قال الله فى كتابه العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وأنت معذور على كل حال وما أدرى سبب عجلتك وأنت تعلم أن والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتى وقد قيل ان المستشار مؤتمن وما تجد أحدا أعرف منى بالامور فأنا واقف على أقدامى أخدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت أنت منى وأنا أصبر عليك لاجل ما لابيك على من الفضل فقلت له والله لقد أطلت على الخطاب وزدت على فى المقال وأنا قصدى أن تحلق رأسى وتنصرف عنى وأظهرت الغضب وأردت أن اقوم وان كان قد بل رأسى فقال قد علمت أنه قد غلب عليك الضجر منى لكن لا أؤاخذك لان عقلك ضعيف وأنت صبى ومن زمن قريب كنت أحملك على كتفى وأمضى بك الى المكتب فقلت له يا أخى بحق الله عليك انصرف عنى حتى أقضى شغلى وقم الى حال سبيلك ثم مزقت أثوابى فلما رآنى فعلت ذلك أخذ الموسى وسنه ولا زال يسنه حتى كادت روحى أن تفارق جسمى ثم تقدم الى رأسى وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يا مولاى العجلة من الشيطان ثم انه أنشد هذين البيتين

تأن ولا تعجل لأمر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

ثم قال يا مولاى ما أظنك تعرف بمنزلتى فان يدى تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفى مثلى قال الشاعر

جميع الصنائع مثل العقود * وهذا المزين در السلوك
فيعلو على كل ذى حكمة * وتحت يديه رؤس الملوك

فقلت دع ما لا يعنيك فقد ضيقت صدرى وأشغلت خاطرى فقال أظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهى تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الامور ما كان فيه تأن وأنا والله رابنى أمرك فأشتهى أن تعرفنى ما الذى أنت مستعجل من أجله ولعله خير فانى أخشى أن يكون شيأ غير ذلك وقد بقى من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات

لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فأخذ الموسى وسنه كما فعل أولا وحلق بعض رأسي وقال أنا مهموم من مجلسك فلو أطلعتني على سببها لكان خيرا لك لأنك تعلم أن والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتي فلما علمت ان مالي منه خلاص قلت في نفسي قد جاء وقت الصلاة وأريد أن أمضي قبل أن تخرج الناس من الصلاة فان تأخرت ساعة لا أدري أين السبيل الى الدخول اليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فاني أريد ان أمضي الى دعوة عند أصحابي فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من أصدقائي ونسيت أن أجهز لهم شيأ يأكلونه وفي هذه الساعة تذكرت ذلك وافضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الامر بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب لك ان أنجزت امري وعجلت حلاقة راسي فقال جزاك الله خيرا صف لي ما عندك لأضيافي حتى أعرفه فقلت عندي خمسة اوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال أحضرها لي حتى أنظر فأحضرت له جميع ذلك فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي قال أحضره فأحضرته له قال لله درك ما أكرم نفسك لكن بقي البخور والطيب فأحضرت له درجا فيه ند وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدري فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع راسي بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله ما آخذه حتى ارى جميع ما فيه فأمرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى كادت روحي ان تفارق جسمي ثم تقدم وأخذ الموسى وحلق من راسي شيأ يسيرا وقال والله ياولدي ما ادري أأشكرك أم أشكر والدك لان دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك وليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي زيتون الحمامي وصليع الفسخاني وعوكل الفوال وعكرشة البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل من هؤلاء رقصة يرقصها وأبيات ينشدها وأحسن ما فيهم أنهم مثل المملوك عبدك أنا لا اعرف كثرة كلام ولا فضول اما الحمامي فانه يقول ان لم اذهب اليها تجيني بيتي وأما الزبال فانه ظريف خليع كثيرا ما يرقص ويقول الخبز عند زوجتي ما صار في صندوق وكل واحد من اصحابي له لطائف لا توجد في الآخر وليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا كان ذلك احب اليك والينا واترك رواحك الى اصدقائك الذين قلت لي انك تريد الذهاب اليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى أقوام كثيري الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم وربما يكون فيهم واحد فضولي وأنت قلقت روحك من المرض فقلت ان شاء الله يكون ذلك في غير هذا اليوم فقال لي الانسب أن تقدم حضورك عند اصحابي لتغتنم مؤانستهم وتفوز بلطفهم وتعمل بقول الشاعر

لا تؤخر لذة ان أمكنت * انما الدهر سريع العطب

فضحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له أقض شغلي وأسير أنا في أمان الله تعالى وتمضي أنت الى أصحابك فانهم منتظرون قدومك فقال ما طلبت الا أن أعاشرك بهؤلاء الاقوام فانهم من أولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له تمم الله سرورك بهم ولا بد أن أحضرهم عندي يوما فقال اذا أردت ذلك وقدمت دعوة اصحابك في هذا اليوم فاصبر حتى أمضي بهذا الاكرام الذي أكرمتني به وأدعه عند أصحابي يأكلون ويشربون ولا ينتظروني ثم أعود اليك وامضي معك الى أصدقائك فليس بيني وبين أصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم والعود اليك عاجلا وامضي معك أينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم امض أنت الى أصدقائك وانشرح معهم ودعني

امضي

أمضى الى أصدقائى وأكون معهم فى هذا اليوم فانهم ينتظرون قدومى فقال المزين لا أدعك تمضى وحدك فقلت له ان الموضع الذى أمضى اليه لا يقدر أحد أن يدخل فيه غيرى فقال أظنك اليوم فى ميعاد واحدة والا كنت تأخذنى معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد فانى أخاف أن تدخل على امرأة أجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر أحد أن يعمل فيها شيأ من هذه الاشياء لا سيما فى مثل هذا اليوم وهذا والى بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ الشر أى شئ هذا الكلام الذى تقابلنى به فسكت سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسى فقلت له امض الى أصحابك بهذا الطعام والشراب وانا أنتظرك حتى تعود وتمضى معى ولم ازل أخادعه لعله يمضى فقال لى انك تخادعنى وتمضى وحدك وترمى نفسك فى مصيبة لا خلاص لك منها فالله الله لا تبرح حتى اعود اليك وأمضى معك حتى اعلم ما يتم من أمرك فقلت له نعم لا تبطئ علىّ فأخذ ما أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندى فسلمه الى الحمال ليوصله الى منزله واخفى نفسه فى بعض الأزقة ثم قمت من ساعتى وقد أعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابى وخرجت وحدى وأتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذى رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفى ولا أعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين علم هذا الشيطان بى فاتفق فى هذه الساعة لامر يريده الله من هتك سترى أن صاحب الدار أذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين أنه يضربنى فصاح ومزق أثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدى فى بيت القاضى ثم مضى الى دارى وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل بيتى وغلمانى فما دريت الا وهم قد أقبلوا يصيحون واسيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو يمزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو فى أوائلهم يصرخ وهم يقولون واقتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التى أنا فيها فلما سمع القاضى ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فبهت وقال يا قوم ما القصة فقال له الغلمان انك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذى فعله سيدكم حتى أقتله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن القاضى قال للغلمان ما الذى فعله سيدكم حتى اقتله ومالى ارى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين أنت ضربته فى هذه الساعة بالمقارع وانا اسمع صياحه فقال القاضى وما الذى فعله حتى أقتله ومن أدخله دارى ومن أين جاء والى أين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخا نحسا فأنا أعلم الحكاية وسبب دخول دارك وحقيقة الامر كله فبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت أنه قد دخل دارك وأمرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجنى الى أن أدخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت باخراجه فالتجم القاضى عن الكلام وصار فى غاية الخجل من الناس وقال للمزين ان كنت صادقا فادخل أنت وأخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين دخل أردت أن اهرب فلم أجد لى مهربا غير انى رأيت فى الطبقة التى أنا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت الى غير الجهة التى أنا فيها بل قصد الموضع الذى أنا فيه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الا الصندوق الذى أنا فيه فحمله على رأسه فلما فعل ذلك غاب رشدى ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركنى فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسى على الارض فانكسرت رجلى فلما توجهت

الى الباب وجدت خلقا كثيرا لم أرفى عمرى مثل هذا الازدحام الذى حصل فى ذلك اليوم فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجرى فى أزقة بغداد وهذا المزين خلفى وأى مكان دخلت فيه يدخل خلفى وهو يقول أرادوا أن يفجعونى فى سيدى الحمد لله الذى نصرنى عليهم وخلص سيدى من أيديهم فمازلت ياسيدى مولعا بالعجلة لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله عليك بى ما كنت خلصت من هذه المصيبة التى وقعت فيها وربما كانوا يرمونك فى مصيبة لاتخلص منها ابدا فاطلب من الله أن أعيش لك حتى أخلصك والله لقد أهلكتنى بسوء تدبيرك وكنت تريد أنك تروح وحدك ولكن لانؤاخذك على جهلك لأنك قليل العقل عجول فقلت له أما كفاك ماجرى منك حتى تجرى ورائى فى الاسواق وصرت أتمنى الموت لاجل خلاصى منه فلا أجده وتاينقذنى منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا فى وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عنى وجلست فى مخزن وقلت فى نفسى ما بقيت أقدر ان افترق من هذا المزين بل يقيم عندى ليلا ونهارا ولم يبق فى قدرة على النظر الى وجهه فأرسلت فى الوقت أحضرت الشهود وكتبت وصية لأهلى وفرقت مالى وجعلت انسانا ناظرا عليهم وأمرته أن يبيع الدار والعقارات وأوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى أتخلص من ذلك القواد ثم جئت الى بلادكم فسكنتها ولى فيها مدة فلما عزمتم على وجئت اليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم فى صدر المكان فكيف يستريح قلبى ويطيب مقامى عندكم مع هذا وقد فعل معى هذه الفعال وانكسرت رجلى بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين أحق ما قاله هذا الشاب عنك فقال والله أنا فعلت ذلك بمعرفتى ولولا أنى فعلت لهلك وما سبب نجاته الا أنا ومن فضل الله عليه بسببى أنه أصيب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثا جرى لى حتى تصدقوا أنى قليل الكلام وما عندى فضول من دون اخوتى وذلك أنى كنت ببغداد فى أيام خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما أنه غضب على عشرة أشخاص فأمر المتولى ببغداد أن يأتيه بهم فى زورق فنظرتهم أنا فقلت ما اجتمع هؤلاء الا لعزومة وأظنهم يقطعون يومهم فى هذا الزورق فى أكل وشرب وما يكون نديمهم غيرى فقمت ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا فى الجانب الآخر فجاء لهم أعوان الوالى بالاغلال ووضعوها فى رقابهم ووضعوا فى رقبتى غلا من جملتهم فهذا ياجماعة ماهو من مروأتى وقلة كلامى لانى ما رضيت أن أتكلم فأخذونا جميعا فى الاغلال وقدمونا بين يدى المنتصر بالله أمير المؤمنين فأمر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وقد بقيت أنا فالتفت الخليفة فرآنى فقال للسياف ما بالك لاتضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذى بين يدى هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال عدوهم فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك فى هذا الوقت وكيف صرت مع أصحاب الدم فلما سمعت خطاب أمير المؤمنين قلت له اعلم يا أمير المؤمنين انى أنا الشيخ الصامت وعندى من الحكمة شئ كثير وأما رزانة عقلى وجودة فهمى وقلة كلامى فانه لانهاية لها وصنعتى الزيانة فلما كان أمس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت أنهم فى عزومة فما كان غير ساعة واذا هم أصحاب جرائم فحضرت اليهم الاعوان ووضعوا فى رقابهم الاغلال ووضعوا فى رقبتى غلا من جملتهم فمن فرط مروأتى سكت ولم أتكلم فعدم كلامى فى ذلك الوقت من فرط

مروأتى فساروا بنا حتى اوقفونا بين يديك فأمرت بضرب رقاب العشرة وبقيت أنا بين يدى السياف ولم اعرفكم بنفسى أما هذه مروأة عظيمة قد أحوجتنى الى أن أشاركهم فى القتل ولكن طول دهرى هكذا أفعل الجميل فلما سمع الخليفة كلامى وعلم انى كثير المروأة قليل الكلام ما عندى فضول كما يزعم هذا الشاب الذى خلصته من الاهوال قال الخليفة واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا ولا بقوا ان كانوا مثلى ولكن ذممتنى يا أمير المؤمنين ولا ينبغى لك ان تقرن اخوتى بى لانهم من كثرة كلامهم وقلة مروأتهم كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد أعرج وواحد أعور وواحد أفلح وواحد أعمى وواحد مقطوع الاذنين والانف وواحد مقطوع الشفتين وواحد أحول العينين ولا تحسب يا أمير المؤمنين انى كثير الكلام ولا بد ان أبين لك انى أعظم مروأة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وان شئت ان أحكى لك فاعلم يا أمير المؤمنين أن الاول وهو الاعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط فى دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان فى أسفل دار الرجل طاحون فبينما أخى الاعرج جالس فى الدكان فى بعض الايام يخيط اذ رفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع فى روشن الدار وهى تنظر الى الناس فلما رآها أخى تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر اليها وترك اشتغاله بالخياطة الى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخط شيأ يساوى درهما فاتفق ان صاحب الدار جاء الى أخى يوما من الايام ومعه قماش وقال له فصل لى هذا وخطه أقمصة فقال أخى سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء وهو لم يذق طعاما ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخى فأشارت اليه الصبية بعينها الا تأخذ منه شيأ وكان محتاجا الى فلس واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الا القليل بسبب اجتهاده فى تلك الخياطة فلما فرغ من الخياطة التى لهم أتى اليهم بالاقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال أخى وأخى لا يعلم ذلك واتفقت هى وزوجها على استعمال أخى فى الخياطة بلا أجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ أخى من جميع أشغالهما عملا عليه حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالا له بت الليلة فى الطاحون الى غد يكون خيرا فاعتقد أخى أن لهما قصدا صحيحا فبات فى الطاحون وحده وراح زوج الصبية يغمز الطحان عليه ليدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحان فى نصف الليل وجعل يقول ان هذا الثور بطال مع أن القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فأنا أعلقه فى الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه فى الطاحون الى قرب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى أخى معلقا فى الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى وبعد ذلك جاءت الجارية التى عقد عليها وكان مجيئها فى بكرة النهار فحلته من الطاحون وقالت قد شق على وعلى سيدتى ما جرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب ثم ان أخى رجع الى منزله واذا بالشيخ الذى كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك الله زواجك مبارك انك بت الليلة فى النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له أخى لا سلم الله الكاذب يا ألف قواد والله ما جئت الا لاطحن فى موضع الثور الى الصباح فقال له حدثنى بحديثك فحدثه أخى بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت أن أغير لك عقد العقد أغيره لك بأحسن منه لاجل ان يوافق نجمك نجمها فقال له انظر ان بقى لك حيلة اخرى ثم ان اخى تركه وأتى الى دكانه ينتظر احدا يأتى اليه بشغل يتقوت من اجرته واذا هو بالجارية قد أتت اليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له ان سيدتى مشتاقة اليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن

فلم يشعر اخى الا وهى قد طلعت له من الروشن وصارت تبكى وتقول لأى شئ قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ما وقع له فى الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر اخى الى حسنها وجمالها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس فى خياطته مدة وبعد ذلك ذهبت اليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتى وتقول لك ان زوجها قد عزم على انه يبيت عند بعض اصدقائه فى هذه الليلة فاذا مضى عندهم تكون انت عندنا وتبيت مع سيدتى فى انعم عيش الى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل فى مجيئه عندك حتى آخذه واجره الى الوالى فقالت دعنى احتال عليه بحيلة وافضحه فضيحة يشتهر بها فى هذه المدينة واخى لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما اقبل المساء جاءت الجارية الى أخى وأخذته ورجعت به الى سيدتها فقالت له والله يا سيدى انى مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلى بقبلة قبل كل شئ فلم يتم كلامه الا وقد حضر زوج الصبية من بيت جاره فقبض على أخى وقال له والله لا أفارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه أخى فلم يسمعه بل حمله الى دار الوالى فضربه بالسياط وأركبه جملا ودوّره فى شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار أعرج ثم نفاه الوالى من المدينة فخرج لا يدرى أين يقصد فاغتظت أنا فلحقته وأتيت به والتزمت بأكله وشربه الى الآن فضحك الخليفة من كلامى وقال أحسنت فقلت لا أقبل هذا التعظيم منك دون أن تصغى الىّ حتى أحكى لك ما وقع لبقية اخوتى ولا تحسب أنى كثير الكلام فقال الخليفة حدثنى بما وقع لجميع اخوتك وشنف مسامعى بهذه الرقائق واسلك سبيل الاطناب فى ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا أمير المؤمنين ان أخى الثانى كان اسمه بقبق وقد وقع له أنه كان ماشيا يوما من الايام متوجها الى حاجة له واذا بعجوز قد استقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلا حتى أعرض عليك أمرا فان أعجبك فاقضه لى فوقف أخى فقالت له أدلك على شئ وأرشدك اليه بشرط أن لا يكون كلامك كثيرا فقال لها أخى هات كلامك قالت له ما قولك فى دار حسنة وماؤها يجرى وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من العشاء الى الصباح فان فعلت ما أشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخى كلامها قال لها يا سيدتى وكيف قصدتينى بهذا الامر من دون الخلق أجمعين فأى شئ أعجبك منى فقالت لأخى ما قلت لك لا تكن كثير الكلام واسكت وامض معى ثم ولت العجوز وسار أخى تابعا لها طامعا فيما وصفته له حتى دخلا دارا فسيحة وصعدت به من أدنى الى أعلى فرأى قصرا ظريفا فنظر أخى فرأى فيه أربع بنات ما رأى الراؤن أحسن منهن وهن يغنين بأصوات تطرب الحجر الاصم ثم ان بنتا منهن شربت قدحا فقال لها أخى بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى أخى ذلك منها خرج مغضبا ومكثرا للكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعنى ارجع فرجع وجلس ولم ينطق فأعادت الصفع على قفاه الى أن أغمى عليه ثم قام أخى لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له اصبر قليلا حتى تبلغ ما تريد فقال لها أخى الى كم أصبر قليلا فقالت له العجوز اذا سكرت بلغت مرادك فرجع أخى الى مكانه وجلس فقامت البنات كلهن وأمرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وأن يرششن على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك وقالت الصبية البارعة الجمال منهن أعزك الله قد دخلت منزلى فان صبرت على شرطى بلغت مرادك فقال لها أخى يا سيدتى أنا عبدك وفى قبضة يدك فقالت له اعلم ان الله شغفنى بحب الطرب فمن أطاعنى نال ما يريد ثم أمرت الجوارى أن يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت

الجارية

للجارية خذى سيدك واقضى حاجته وائتنى به فى الحال فأخذت الجارية أخى وهو لا يدرى ما يصنع
به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقى الا القليل فأقبل أخى على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت
ما تريد وانما بقى شىء واحد وهو أن تحلق ذقنك فقال لها أخى وكيف أعمل فى فضيحتى بين الناس فقالت
له العجوز انها ما أرادت أن تفعل بك ذلك الا لأجل أن تصير أمرد بلا ذقن ولا يبقى فى وجهك شىء
يشكها فانها صار فى قلبها لك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنى فصبر أخى وطاوع الجارية وحلق ذقنه
وجاءت به الى الصبية واذا هو محلوق الحاجبين والشاربين والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت
حتى استلقت على قفاها وقالت يا سيدى لقد ملكتنى بهذه الاخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها أن يقوم
ويرقص فقام ورقص فلم تدع فى البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجوارى صرن يضربنه
بمثل نارنجة وليمونة وأترجة الى أن سقط مغشيا عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم فى وجهه
الى أن قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم أنه ما بقى عليك من الضرب شىء وما بقى الا شىء واحد
وذلك ان من عادتها أنها اذا سكرت لا تمكن أحدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة
من جميع ثيابها وأنت الآخر تقلع ثيابك وتجرى وراءها وهى تجرى قدامك كأنها هاربة منك ولم تزل
تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب
عن الوجود وقلع ثيابه جميعا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أخا المزين لما قالت له
العجوز قم اقلع ثيابك قام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه وصار عريانا فقالت الجارية لأخى قم الآن
واجر ورائى وأجرى أنا قدامك واذا أردت شيأ فاتبعنى فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل من محل
الى محل وتخرج من محل الى محل آخر وأخى وراءها وقد غلب عليه الشبق وايره قائم كأنه مجنون ولم تزل
تجرى قدامه وهو يجرى وراءها حتى سمع منها صوتا رقيقا وهى تجرى قدامه وهو يجرى وراءها فبينما
هو كذلك اذ رأى نفسه فى وسط زقاق وذلك الزقاق فى وسط الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه
الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا
عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشى عليه وحملوه على
حمار حتى أوصلوه الى الوالى فقال ما هذا قالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه
الوالى مائة سوط وخرجت أنا خلفه وجئت به وأدخلته المدينة سرا ثم رتبت له ما يقتات به فلولا مروأتى
ما كنت احتمل مثله * وأما أخى الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طمعا
أن يكلمه صاحبها فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخى يقول بصوت عال
من هذا فلم يكلمه أخى وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ما تريد قال له أخى شيأ لله تعالى
فقال له هل أنت ضرير قال له أخى نعم فقال له ناولنى يدك فناوله يده فأدخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم
الى سلم حتى وصل الى أعلى السطوح وأخى يظن انه يطعمه شيأ أو يعطيه شيأ فلما انتهى الى أعلى مكان
قال لأخى ما تريد يا ضرير قال أريد شيأ لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له أخى يا هذا أما كنت تقول
لى ذلك وأنا فى الأسفل فقال له يا أسفل السفلة لم تسألنى شيأ لله حين سمعت كلامى أول مرة وأنت تدق
الباب فقال أخى وفى هذه الساعة ما تريد أن تصنع بى فقال له ما عندى شىء حتى أعطيك اياه قال له انزل
بى الى السلالم فقال له الطريق بين يديك فقام أخى واستقبل السلالم وما زال نازلا حتى بقى بينه وبين

الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعا منحدرا فى السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لا يدرى أين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقالوا له أى شئ حصل لك فى هذا اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخوانى أريد أن آخذ شيأ من الدراهم التى بقيت معنا وأنفق منه على نفسى وكان صاحب الدار مشى خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه وأخى لا يدرى بأن الرجل يسعى خلفه الى أن دخل أخى مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لا يشعر به وقعد أخى ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام اخى قام وتعلق بحبل كان فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا احدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب اخى واخرجوا الدراهم التى معهم وعدوها فاذا هى عشرة آلاف درهم فتركوها فى زاوية البيت واخذ كل واحد مما زاد عنها ما يحتاج اليه ودفنوا العشرة آلاف درهم فى التراب ثم قدموا بين ايديهم شيأ من الاكل وقعدوا يأكلون فأحس اخى بصوت غريب فى جهته فقال للاصحاب هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمين دخل علينا لص يريد أن يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فتعامى الرجل الغريب صاحب الدار الذى ادعوا عليه انه لص واغمض عينيه واظهر انه اعمى مثلهم بحيث لا يشك فيه احد وصاح يا مسلمين انا بالله والسلطان انا بالله والوالى انا بالله والامير فان عندى نصيحة للامير فلم يشعروا الا وقد احتاط بهم جماعة الوالى فأخذوهم واخى معهم واحضروهم بين يديه فقال الوالى ما خبركم فقال ذلك الرجل اسمع كلامى ايها الوالى لا يظهر لك حقيقة حالنا الا بالعقوبة وان شئت فابدأ بعقوبتى قبل رفقائى فقال الوالى اطرحوا هذا الرجل واضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما اوجعه الضرب فتح احدى عينيه فلما ازداد عليه الضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالى ما هذه الفعال يا فاجر فقال اعطنى الامان وانا اخبرك فأعطاه الامان فقال نحن اربعة نعمل اروحنا عميانا ونمر على الناس وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال فى فسادهن واكتساب الاموال من طرفهن وقد حصلنا من ذلك مكسبا عظيما وهو عشرة آلاف درهم فقلت لرفقائى اعطونى حقى الفين وخمسمائة فقاموا وضربونى واخذوا مالى وانا مستجير بالله وبك وانت احق بحصتى من رفقائى وان شئت ان تعرف صدق قولى فاضرب كل واحد اكثر مما ضربتنى فانه يفتح عينيه فعند ذلك امر الوالى بعقوبتهم واول ما بدأ بأخى ولا زالوا يضربونه حتى كاد ان يموت ثم قال لهم الوالى يا فسقة تجحدون نعمة الله وتدعون انكم عميان فقال اخى الله الله الله ما فينا بصير فطرحوه الى الضرب ثانيا ولم يزالوا يضربونه حتى غشى عليه فقال الوالى دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم امر بضرب اصحابه كل واحد اكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا اعينكم والا جددوا عليكم الضرب ثم قال للوالى ابعث معى من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون اعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث الوالى معه من اتاه بالمال فأخذه واعطى الرجل منه الفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغما عنهم ونفى اخى وباقى الثلاثة خارج المدينة فخرجت انا يا امير المؤمنين ولحقت اخى وسألته عن حاله فاخبرنى بما ذكرته لك فأدخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة من حكايتى وقال صلوه بجائزة دعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيأ حتى أبين لامير المؤمنين ما جرى لبقية اخوتى واوضح له انى قليل الكلام فقال له الخليفة اصدع آذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك فقلت واما اخى الرابع يا امير

المؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربي الخرفان وكانت الكبار واصحاب الاموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالا عظيما واقتنى الدواب والدور ثم اقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو فى دكانه يوما من الايام اذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال اعطنى بها لحما فأخذ منه الدراهم وأعطاه اللحم وانصرف فتأمل أخى فى فضة الشيخ فرأى دراهمه بيضا بياضها ساطع فعزلها وحدها فى ناحية وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخى يطرح دراهمه فى صندوق وحدها ثم أراد أن يخرجها ويشترى غنما فلما فتح الصندوق رأى جميع ما فيه ورقا أبيض مقصوصا فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه ثم رجع اخى الى الدكان على عادته فذبح كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه خارج الدكان وصار يقول فى نفسه لعل ذلك الشيخ يجىء فاقبض عليه فما كان الا ساعة وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخى وتعلق به وصار يصيح يا مسلمين الحقونى واسمعوا قصتى مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له أى شىء أحب اليك أن تعرض عن فضيحتى أو أفضحك بين الناس فقال له أخى بأى شىء تفضحنى قال بانك تبيع لحم الناس فى صورة لحم الغنم فقال له أخى كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذى عنده رجل معلق فى الدكان فقال له أخى ان كان الامر كما ذكرت فمالى ودمى حلال لك فقال الشيخ يا معاشر الناس ان هذا الجزار يذبح الآدميين ويبيع لحمهم فى صورة لحم الغنم وان أردتم أن تعلموا صدق قولى فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان أخى فرأوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا فلما رأوا ذلك تعلقوا بأخى وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار أعز الناس اليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ أيها الامير ان هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على انه لحم غنم وقد أتيناك به فقم واقض حق الله عز وجل فدافع أخى عن نفسه فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة عصا وأخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا أخى من المدينة فخرج هائما لا يدرى أين يتوجه حتى دخل مدينة كبيرة واستحسن ان يعمل اسكافا ففتح دكانا وقعد يعمل شيأ يتقوت منه فخرج ذات يوم فى حاجة فسمع صهيل خيل فبحث على سبب ذلك فقيل له ان الملك خارج الى الصيد والقنص فخرج أخى ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من خسة رأيه حيث انتقل من صنعة الجزارة الى صنعة الاساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين أخى فاطرق الملك رأسه وقال اعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وانصرف راجعا فرجع جميع العسكر وأمر الملك غلمانه أن يلحقوا اخى ويضربوه فلحقوه وضربوه ضربا وجيعا حتى كاد أن يموت ولم يدر أخى ما السبب فرجع الى موضعه وهو فى حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا اخى اعلم ان الملك لا يطيق أن ينظر الى أعور ولا سيما ان كان العور شمالا فانه لا يرجع عن قتله فلما سمع اخى ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة ثم ارتحل منها وتحول الى مدينة أخرى لم يكن فيها ملك واقام بها زمنا طويلا ثم بعد ذلك تفكر فى امره وخرج يوما ليتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال جاء أمر الله وفر يطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبا فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فرأى دهليزا طويلا فاستمر داخلا فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا له الحمد لله الذى امكننا منك يا عدو الله هذه ثلاث ليال ما ارحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا مضجع بل اذقتنا طعم الموت فقال أخى يا قوم ما امركم الله فقالوا انت تراقبنا وتريد ان تفضحنا وتفضح صاحب البيت اما يكفيك أنك افقرته وأفقرت اصحابك ولكن

اخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا في وسطه السكين التي يقطع بها النعال فقال
يا قوم اتقوا الله في أمري واعلموا أن حديثي عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا أن يطلقوه
فلم يسمعوا منه ما قاله ولم يلتفتوا اليه بل ضربوه ومزقوا أثوابه فلما تمزقت أثوابه وانكشف بدنه وجدوا
أثر الضرب بالمقارع على جنبيه فقالوا له يا ملعون هذا أثر الضرب يشهد على جرمك ثم أحضروا
أخي بين يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت بذنوبي وما يخلصني الا الله تعالى فلما حضر بين يدي
الوالي قال له يا فاجر ما حملك على ان ضربت بالمقارع الا جرم عظيم ثم ضرب أخي مائة سوط ثم حملوه
على جمل ونادوا عليه هذا جزاء من يهجم على بيوت الناس فلما سمعت به أنا خرجت اليه وما زالت دائرا
معه وهم ينادون عليه حتى تركوه فأتيت اليه وأخذته وأدخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب
وأما أخي الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا أمير المؤمنين وكان رجلا فقيرا يسأل الناس ليلا وينفق
ما يحصله بالسؤال نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا طاعنا في السن فخلف لنا سبعمائة درهم فأخذ كل واحد
منا مائة درهم * وأما أخي الخامس هذا فانه لما أخذ حصته تحير ولم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ وقع
في خاطره انه يأخذ بها زجاجا من كل نوع ليتجر فيه ويربح فاشترى بالمائة درهم زجاجا وجعله في قفص
كبير وقعد في موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فأسند ظهره اليها وقعد متفكرا في نفسه وقال
ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم وأنا أبيعه بمائتي درهم ثم أشتري بالمائتي درهم زجاجا وأبيعه
بأربعمائة درهم ولا أزال أبيع واشتري الى ان يبقى معي مال كثير فاشتري به من جميع المتاجر
والعطريات حتى يربح ربحا عظيما وبعد ذلك اشتري دارا حسنة واشتري المماليك والخيل والسروج
المذهبة وآكل وأشرب ولا أخلي مغنية في المدينة حتى أجيء بها في بيتي وأسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب
في نفسه وقفص الزجاج قدامه ثم قال وأبعث جميع الخاطبات في خطبة بنات الملوك والوزراء وأخطب
بنت الوزير فقد بلغني انها كاملة الحسن بديعة الجمال وأمهرها بألف دينار فان رضي أبوها حصل المراد
وان لم يرض أخذتها قهرا على رغم أنفه فان حصلت في داري اشتري عشرة خدام صغار ثم اشتري لي
كسوة الملوك والسلاطين وأصوغ لي سرجا من الذهب مرصعا بالجواهر ثم أركب ومعي المماليك يمشون
حولي وقدامي وخلفي حتى اذا رآني الوزير قام اجلالا لي واقعدني مكانه ويقعد هو دوني لانه صهري ويكون
معي خادمان بكيسين في كل كيس ألف دينار فاعطيه ألف دينار مهر بنته واهدي اليه الالف الثاني
انعاما حتى أظهر له مروأتي وكرمي وصغر الدنيا في عيني ثم انصرف الى داري فاذا جاء أحد من جهة امرأتي
وهبت لهم دراهم وخلعت عليه خلعة وان أرسل الي الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم أقبلها منه
حتى يعلموا اني عزيز النفس ولا أخلي نفسي الا في أعلى مكانة ثم أقدم اليهم في اصلاح شاني وتعظيمي
فاذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها ثم أصلح داري اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست أفخر ثيابي وقعدت
على مرتبة من الديباج لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي ورزانة فهمي وتجيء امرأتي وهي كالبدر في
حليها وحللها وأنا لا انظر اليها عجبا وتيها حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين
يديك فأنعم عليها بالنظر فقد أضر بها القيام ثم يقبلون الارض قدامي مرارا فعند ذلك أرفع رأسي وانظر
اليها نظرة واحدة ثم اطرق برأسي الى الارض فيمضون بها وأقوم أنا وأغير ثيابي وألبس أحسن مما كان
علي فاذا جاؤا بالعروسة المرة الثانية لا أنظر اليها حتى يسألوني مرارا فانظر اليها ثم أطرق الى الارض ولم
أزل كذلك حتى يتم جلاؤها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

﴿فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أخا المزين الخامس قال ثم
أطرق الى الارض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم انى آمر بعض الخدام ان يرمى كيسا فيه خمسمائة
دينار للمواشط فاذا أخذته المواشط آمرهن ان يدخلننى عليها فاذا ادخلننى عليها لا انظر اليها ولا أكلمها
احتقارا لها لاجل ان يقال انى عزيز النفس حتى تجىء أمها تقبل رأسى ويدى وتقول لى ياسيدى انظر
جاريتك فانها تشتهى قربك فاجبر خاطرها بكلمة فلم أرد عليها جوابا ولم تزل كذلك تستعطفنى حتى تقوم
وتقبل يدى ورجلى مرارا ثم تقول ياسيدى ان بنتى صبية مليحة ما رأت رجلا فاذا رأت منك هذا
الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لى قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تأخذ القدح
لتعطينى فاذا جاءتنى تركتها قائمة بين يدى وأنا متكىء على مخدة مزركشة بالذهب لا انظر اليها من كبر
نفسى وجلالة قدرى حتى تظن فى نفسها انى سلطان عظيم الشأن فتقول ياسيدى بحق الله عليك
لا ترد القدح من يد جاريتك فانى جاريتك فلا أكلمها فتلح على وتقول لا بد من شربه وتقدمه لى فى
فأنفض يدى فى وجهها وأرفسها واعمل هكذا ثم رفس أخى برجله فجاءت فى قفص الزجاج وكان فى
مكان مرتفع فنزل على الارض فتكسر كل ما فيه ثم قال أخى هذا كله من كبر نفسى ولو كان أمره
الى يا امير المؤمنين لضربته الف سوط وشهرته فى البلد ثم بعد ذلك صار أخى يلطم على وجهه ومزق
ثيابه وجعل يبكى ويلطم والناس ينظرون اليه وهم رائحون الى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من
لم يفكر فيه وهو على تلك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالسا يبكى واذا بامرأة مقبلة الى
صلاة الجمعة وهى بديعة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها بغلة بردعتها من الديباج مزركشة
بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت الى الزجاج وحال أخى وبكائه اخذتها الشفقة عليه ورق
قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فأصابه ما تنظرينه
فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذى معك الى هذا المسكين فدفع له صرة فأخذها فلما فتحها
وجد فيها خمسمائة دينار فكاد ان يموت من شدة الفرح واقبل أخى بالدعاء لها ثم عاد الى منزله غنيا
وقعد متفكرا واذا بداق يدق الباب فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له ياولدى اعلم ان الصلاة
قد قرب زوال وقتها وانا بغير وضوء واطلب منك ان تدخلنى منزلك حتى اتوضأ فقال لها سمعا وطاعة ثم
دخل أخى واذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت اقبلت الى الموضع الذى هو
جالس فيه وصلت هناك ركعتين ثم دعت لأخى دعاء حسنا فشكرها على ذلك واعطاها دينارين فلما
رأت ذلك قالت سبحان الله انى لأعجب ممن احبك وانت بسمة الصعاليك فخذ مالك عنى وان كنت غير
محتاج اليه فاردده الى التى اعطتك اياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها أخى يا امى كيف الحيلة فى
الوصول اليها قالت ياولدى انها تميل اليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فاذا اجتمعت
بها فلا تترك شيأ من الملاطفة والكلام الحسن الا وتفعله معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع
ما تريده فأخذ أخى جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشى وأخى يمشى
وراءها حتى وصلا الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية ففتحت الباب فدخلت العجوز وامرت
أخى بالدخول فدخل دارا كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلسا كبيرا مفروشا وستائر مسبلة فجلس أخى
ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا وجارية اقبلت ما رأى مثلها الراؤن وهى لابسة
أفخر القماش فقام أخى على قدميه فلما رأته ضحكت فى وجهه وفرحت به ثم ذهبت الى الباب واغلقته ثم

اقبلت على اخى واخذت يده ومضيا جميعا الى ان اتيا الى حجرة منفردة قد خلاها واذا هى مفروشة بأنواع الديباج فجلس اخى وجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى اجىء اليك وغابت عن اخى ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد أسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه بالبصر وقال لاخى يا ويلك من جاء بك الى هذا المكان يا اخس الانس يا ابن الزنا وتربية الخنى فلم يقدر اخى ان يرد عليه جوابا بل انعقد لسانه فى تلك الساعة فأخذه العبد وأعراه ولم يزل يضربه بالسيف صفحا ضربات متعددة اكثر من ثمانين ضربة الى ان سقط من طوله على الارض فرجع العبد عنه واعتقد انه مات وصاح صيحة عظيمة بحيث ارتجت الارض من صوته ودوى له المكان وقال اين المليحة فأقبلت اليه جارية فى يدها طبق مليح فيه ملح ابيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشو الجراحات التى فى جلد اخى حتى تهورت واخى لا يتحرك خيفة ان يعلموا أنه حى فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الاولى فجاءت العجوز الى اخى وجرته من رجله الى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر فى مكانه يومين كاملين وكان الله سبحانه وتعالى جعل الملح سببا لحياته لانه قطع سيلان عروق الدم فلما رأى اخى فى نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة فى الحائط وخرج من مكان القتلى واعطاه الله عز وجل الستر فمشى فى الظلام واختفى فى ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز فى طلب صيد آخر فخرج اخى فى اثرها وهى لا تعلم به حتى اتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برىء ولم يزل يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهى تأخذ الناس واحدا بعد واحد وتوصلهم الى تلك الدار واخى لا ينطق بشىء ثم لما رجعت اليه صحته وكملت قوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا وشده فى وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس ثياب العجم واخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما راى العجوز قال لها بكلام العجم يا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لى ولد صغير صيرفى عنده سائر الموازين فامض معى اليه قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال اخى امشى قدامى فسارت وسار اخى خلفها حتى اتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت فى وجهه فقالت العجوز اتيتكم بلحمة سمينة فأخذت الجارية بيد اخى وادخلته الدار التى دخلها سابقا وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لاخى لا تبرح حتى أرجع اليك وراحت فلم يستقر اخى الا والعبد اقبل ومعه السيف المجرد فقال لاخى قم يا مشؤم فقام اخى وتقدم العبد امامه واخى وراءه ومد يده الى سيفه الذى تحت ثيابه وضرب به العبد فرمى رأسه وسحبه من رجله الى السرداب ونادى اين المليحة فجاءت الجارية وبيدها الطبق الذى فيه الملح فلما رأت اخى والسيف بيده ولت هاربة فتبعها اخى وضربها فرمى رأسها ثم نادى اين العجوز فجاءت فقال لها اتعرفيننى يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاى فقال لها انا صاحب الدنانير الذى جئت وتوضأت عندى وصليت ثم تحيلت على حتى اوقعتنى هنا فقالت اتق الله فى امرى فالتفت اليها وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج فى طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الامان فأمنها ثم قال لها ما الذى اوقعك عند هذا الاسود فقالت انى كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجوز تتردد على فقالت لى يوما من الايام ان عندنا فرحا ما راى احد مثله فأحب ان تنظرى اليه فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست احسن ثيابى واخذت معى صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى ادخلتنى هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الا وهذا الاسود اخذنى ولم ازل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها اخى هل له فى الدار شىء فقالت عنده شىء كثير فان كنت تقدر على نقله فانقله فقام اخى ومشى معها ففتحت له

صناديق

صناديق فيها اكياس فبقى اخى متحيرا فقالت له الجارية امض الآن ودعنى هنا وهات من ينقل المال
فخرجوا اكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل الى الباب وجده مفتوحا ولم ير الجارية ولا الاكياس وانما
راى شيأ يسيرا من المال وراى القماش فعلم انها خدعته فعند ذلك اخذ المال الذى بقى وفتح الخزائن
واخذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك فى الدار شيأ وبات تلك الليلة مسرورا فلما اصبح الصباح وجد
بالباب عشرين جنديا فلما خرج اليهم تعلقوا به وقالوا له ان الوالى يطلبك فأخذوه وراحوا الى الوالى فلما
راى اخى قال له من اين لك هذا القماش فقال اخى اعطنى الامان فأعطاه منديل الامان فحدثه بجميع
ما وقع له مع العجوز من الاول الى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالى والذى اخذته خذ منه ما شئت
ودع لى ما اتقوت به فطلب الوالى جميع المال والقماش وخاف ان يعلم به السلطان فأخذ البعض واعطى
اخى البعض وقال له اخرج من هذه المدينة والا اشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان
فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا اذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه واخذت اليه ثيابا
وجئت به الى المدينة مسرورا ورتبت له ما يأكله وما يشربه * واما اخى السادس يا امير المؤمنين وهو مقطوع
الشفتين فانه كان فقيرا جدا لا يملك شيأ من حطام الدنيا الفانية فخرج يوما من الايام يطلب شيأ يسد به
رمقه فبينما هو فى بعض الطرق اذ راى دارا حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وامر ونهى
فسأل بعض الواقفين هناك فقال هى لانسان من اولاد الملوك فتقدم اخى الى البوابين وسألهم شيأ فقالوا
ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل الى دار فى غاية ما يكون
من الملاحة والظرف وفى وسطها بستان ما راى الراؤن احسن منه وارضها مفروشة بالرخام وستورها
مسبولة فصار اخى لا يعرف اين يقصد فمضى نحو صدر المكان فراى انسانا حسن الوجه واللحية فلما راى
اخى قام اليه ورحب به وسأله عن حاله فأخبره انه محتاج فلما سمع كلام اخى اظهر غما شديدا ومد يده الى
ثياب نفسه ومزقها وقال هل اكون انا ببلد وانت بها جائع لا صبر لى على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لابد
ان تمالحنى فقال ياسيدى ليس لى صبر وانى شديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والابريق ثم قال
له يا ضيفى تقدم واغسل يدك ثم اوما كأنه يغسل يده ثم صاح على اتباعه ان قدموا المائدة فجعلت اتباعه
تغدو وتروح كأنها تهيئ السفرة ثم اخذ اخى وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل
يومئ ويحرك شفتيه كأنه يأكل ويقول لاخى كل ولا تستح فانك جائع وانا اعلم ما انت فيه من شدة الجوع
فجعل اخى يومئ كأنه يأكل وهو يقول لاخى كل وانظر هذا الخبز وانظر بياضه واخى لا يبدى شيأ ثم ان
اخى قال فى نفسه ان هذا رجل يحب ان يهزأ بالناس فقال له ياسيدى عمرى ما رايت احسن من بياض
هذا الخبز ولا الذ من طعمه فقال هذا خبزته جارية لى كنت اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار
يا غلام قدم لنا السكباج الذى لا يوجد مثله فى طعام الملوك ثم قال لاخى كل يا ضيفى فانك شديد الجوع
ومحتاج الى الاكل فصار اخى يدور حنكه ويمضغ كأنه يأكل واقبل الرجل يستدعى لونا بعد لون من
الطعام ولا يحضر شيء ويأمر اخى بالاكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق ثم قال كل
ما لم تأكل مثله قط فقال ياسيدى ان هذا الاكل لا نظير له فى اللذة واقبل يومئ بيده الى فم اخى حتى
كأنه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخى بهذه الاوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار
بشهوة رغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت أطيب من أبازير هذه الاطعمة فقال له أخى
لا ياسيدى فقال أكثر الاكل ولا تستح فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه أن

قدموا الحلويات فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لأخي كل من هذا النوع فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي وخذ هذه القطيفة قبل أن ينزل منها الجلاب فقال له أخي لا عدمتك يا سيدي واقبل اخي يسأله عن كثرة المسك الذي في القطائف فقال له ان هذه عادتي في بيتي فدائما يضعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله وأخي يحرك رأسه وفمه ويلعب بين شدقيه كأنه يتلذذ بأكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على اتباعه ان احضروا النقل فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم أحضروا النقل وقال لأخي كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن الزبيب ونحو ذلك وصار يعدد له أنواع النقل ويقول له كل ولا تستح فقال له اخي يا سيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة على اكل شيء فقال يا ضيفي ان اردت ان تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لا تكن جائعا ثم فكر اخي في نفسه وفي استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لأعملن فيه عملا يتوب بسببه الى الله عن هذه الفعال ثم قال الرجل لأتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم في الهواء حتى كأنهم قدموا الشراب ثم اوما صاحب المنزل كأنه ناول أخي قدحا وقال خذ هذا القدح فانه اعجبك فقال له يا سيدي هذا من احسانك وأوما أخي بيده كأنه يشربه فقال له هل اعجبك فقال له يا سيدي ما رأيت الذ من هذا الشراب فقال له اشرب هنيأ وصحة ثم ان صاحب البيت اوما وشرب ثم ناول اخي قدحا ثانيا فخيل انه شربه وأظهر أنه سكران ثم ان أخي غافله ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية فقال له الرجل ما هذا يا اسفل العالمين فقال يا سيدي انا عبدك الذي انعمت عليه وادخلته منزلك واطعمته الزاد واسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك اعلى من ان تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام اخي ضحك ضحكا عاليا ثم قال له ان لي زمانا طويلا اسخر بالناس واهزأ بجميع اصحاب المزاح والمجون ما رأيت منهم من له طاقة على ان افعل به هذه السخرية ولا من له فطنة يدخل بها في جميع اموري غيرك والآن عفوت عنك فكن نديمي على الحقيقة ولا تفارقني ثم امر باخراج عدة من انواع الطعام المذكورة اولا فأكل هو واخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه جوار كأنهن الاقمار فغنين بجميع الالحان واشتغلن بجميع الملاهي ثم شربا حتى غلب عليهما السكر وانس الرجل بأخي حتى كأنه اخوه واحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلما اصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الاكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات وقبض السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج اخي من البلد هاربا فلما وصل الى نصف الطريق خرج عليه العرب فأسروه وصار الذي اسره يعذبه ويقول له اشتر روحك مني بالاموال والا اقتلك فجعل اخي يبكي ويقول انا والله لا املك شيأ يا شيخ العرب ولا اعرف طريق شيء من المال وأنا اسيرك وصرت في يدك فافعل بي ما شئت فأخرج البدوي الجبار من حزامه سكينا عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد الى الوريد واخذها في يده اليمنى وتقدم الى اخي المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه في المطالبة وكان للبدوي زوجة حسنة وكان اذا خرج البدوي تتعرض لأخي وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق أن راودت أخي يوما من الايام فقام ولاعبها وأجلسها في حجره فبينما هما كذلك واذا بزوجها داخل عليهما فلما نظر الى أخي قال له ويلك يا خبيث أتريد الآن أن تفسد على زوجتي وأخرج سكينا وقطع بها ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار الى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فأطعموه وسقوه واعلموني بخبره فذهبت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها أنا جئت عندك

يا أمير المؤمنين وخفت أن أرجع الى بيتي قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائي ستة اخوة وأنا اقوم بهم فلما سمع أمير المؤمنين قصتي وما أخبرته به عن اخوتي ضحك وقال صدقت يا صامت أنت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه المدينة واسكن غيرها ثم نفاني من بغداد فلم أزل سائرا في البلاد حتى طفت الاقاليم الى أن سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت الى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه أحسن الفعال ولولا أنا لقتل وقد أتهمني بشيء ما هو فيّ وجميع ما نقله عني من الفضول وكثرة الكلام وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل يا جماعة * ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وتحققنا فضوله وكثرة كلامه وأن الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنين ثم أكلنا وشربنا وتمت الوليمة على احسن حالة ولم نزل جالسين الى ان اذن العصر فخرجت وجئت منزلي وعشيت زوجتي فقالت انت طول النهار في حظك وانا قاعدة في البيت حزينة فان لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فأخذتها وخرجت بها وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فعزمت عليه فأجابني وخرجت لاشتري سمكا مقليا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فأخذت زوجتي لقمة وقطعة سمك وادخلتهما فاه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة ما لقيته البارحة اما هي أعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه أن يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لا بد من حضوره لاسمع كلامه ويكون ذلك سببا في خلاصكم جميعا وندفن هذا الاحدب ونواريه في التراب فانه ميت من أمس ثم نعمل له ضريحا لانه كان سببا في اطلاعنا على هذه الاخبار العجيبة فما كان الا ساعة حتى جاءت الحجاب هم والخياط بعد ان مضوا الى الحبس واخرجوا منه المزين وساروا به الى أن أوقفوه بين يدي هذا الملك فلما رآه تأمله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الاذنين طويل الانف في نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال يا صامت أريد أن تحكي في شيأ من حكاياتك فقال المزين يا ملك الزمان ما شأن هذا النصراني وهذا اليهودي وهذا المسلم وهذا الاحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هؤلاء فقال سؤالي عنهم حتى يعلم الملك اني غير فضولي ولا اشتغل بما لا يعنيني وانني بريء مما اتهموني به من كثرة الكلام وان لي نصيبا من اسمي حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر

وقلما ابصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فتشت في لقبه

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وما جرى له في وقت العشاء واشرح له ما حكى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع وليس في الاعادة افادة فحرك المزين راسه وقال والله ان هذا الشيء عجاب اكشفوا لي عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند راسه واخذ راسه على حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكا عاليا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الاسباب وموتة هذا الاحدب من عجب العجاب يجب ان تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضى من هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال يا صامت احك لنا سبب كلامك هذا فقال

يا ملك وحق نعمتك ان الاحدب فيه الروح ثم ان المزين اخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الاحدب وغطاها حتى عرقت ثم اخرج كلبتين من حديد ونزل بهما فى حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما اخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الاحدب واقفا على قدميه وعطس عطسة واستفاق فى نفسه وملس بيديه على وجهه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجب الحاضرون من الذى راوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشى عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رايت اغرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر هل رايتم فى عمركم احدا يموت ثم يحيا بعد ذلك ولولا رزقه الله بهذا المزين لكان اليوم من الآخرة فانه كان سببا لحياته فقالوا والله ان هذا من العجب العجاب ثم ان ملك الصين امر ان تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها فى خزانة الملك ثم خلع على اليهودى والنصرانى والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب واصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا فى الذ عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التى فيها ذكر انيس الجليس قال الملك وما حكاية الوزيرين

﴿حكاية الوزيرين التى فيها ذكر انيس الجليس﴾

(قالت) بلغنى ايها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه

جعل القنا اقلامه وطروسه * مهج العدا وراى المداد دماءها
واظن ان الاقدمين لذا راوا * ان يجعلوا خطية اسماءها

وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزينى وكان له وزيران احدهما يقال له المعين بن ساوى والثانى يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانه حسن السيرة اجمعت القلوب على محبته واتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لانه محضر خير مزيل للشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضر سوء كما قال فيه بعض واصفيه

تجمعت من نطف ذاته * فركبت من عنصر فاسد
ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فلكل من هذين الوزيرين نصيب من قول الشاعر

لذ بالكرام بنى الكرام فانما * تلد الكرام بنو الكرام كراما
ودع اللئام بنى اللئام فانما * تلد اللئام بنو اللئام لئاما

وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم ان الملك محمد ابن سليمان الزينى كان قاعدا يوما من الايام على كرسى مملكته وحوله ارباب دولته اذ نادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له انى اريد جارية لا يكون فى زمانها احسن منها بحيث تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال حميدة الخصال فقال ارباب الدولة هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار امر السلطان ونزل الوزير بعدما امره السلطان ان يعمد الى السوق فى كل يوم ويوصى السماسرة على

ماذكره وانه لاتباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير امره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوما من الايام ان بعض السماسرة اقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا متوجها الى قصر الملك فقبض على ركابه وانشد هذين البيتين

يا من اعاد رميم الملك منشورا * انت الوزير الذى لازال منصورا
احييت ماما مات بين الناس من كرم * لازال سعيك عند الله مشكورا

ثم قال ياسيدى ان الجارية التى صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير على بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها احسن مايكون من الثياب ورضابها احلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها ارق من النسيم اذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لاهراء ولانزر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولين بالالباب ماتفعل الخمر
فياحبها زدنى جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها * اذا اسفرت يوما يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير اعجبته غاية الاعجاب فالتفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجئ ثمن الفراريج التى اكلتها ولا ثمن الخلع التى خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير واصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير على بسيدها فاحضره السمسار فى الوقت والساعة فاذا هو رجل اعجمى عاش زمنا طويلا حتى صيره الدهر عظما فى جلد كما قال الشاعر

ارعشنى الدهر اى رعش * والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت امشى ولست اعيا * واليوم اعيا ولست امشى

فقال له الوزير رضيت ان تأخذ فى هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزينى فقال العجمى حيث كانت للسلطان فالواجب على ان اقدمها اليه هدية بلا ثمن فعند ذلك امر الوزير باحضار الاموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمى ثم اقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ماعندك فقال عندى من الرأى ان لا تطلع بهذه الجارية الى السلطان فى هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك فى القصر عشرة ايام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم ادخلها الحمام وألبسها احسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك فى ذلك الحظ الاوفر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فأتى بها الى قصره واخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ماتحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كأنه البدر اذا اشرق بوجه اقمر وخد احمر عليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر فى مثله هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه ان يجتنى
لاتمددوا الايدى اليه فطالما * شنوا الحروب لأن مددنا الاعينا

يا قلبه القاسي ورقة خصره * هلا نقلت الى هنا من ههنا
لو كان رقة خصره فى قلبه * ما جار قط على المحب ولا جنى
يا عاذلى فى حبه كن عاذرى * من لى بجسم قد تملكه الضنى
ما الذنب الا للفؤاد وناظرى * لولاهما ما كنت فى هذا العنا

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده اوصاها وقال لها يا بنتي اعلمى انى ما اشتريتك الا سرية للملك محمد بن سليمان الزينى وان لى ولدا ما خلا بصبية فى الحارة الا فعل بها فاحفظى نفسك منه واحذرى ان تريه وجهك او تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالامر المقدر ان الجارية دخلت يوما من الايام الحمام الذى فى المنزل وقد حماها بعض الجوارى ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيما يا انيس الجليس كيف حالك فى هذا الحمام فقالت يا سيدتى ما كنت محتاجة الا الى حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجوارى قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن امرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التى فيها انيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكنا احدا من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة فى المقصورة واذا بابن الوزير الذى اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن امه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية انيس الجليس كلام على نور الدين ابن الوزير وهى من داخل المقصورة فقالت فى نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبي الذى قال لى الوزير عنه انه ما خلا بصبية فى الحارة الا واقعها والله انى اشتهى ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهى باثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى على نور الدين فاذا هو صبي كالبدر فى تمامه فاورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبي التفاتة اليها فنظرها نظرة اورثته الف حسرة ووقع كل منهما فى شرك هوى الآخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التى اشتراك لى ابى فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان فى حال السكر واخذ رجليها وجعلهما فى وسطه وهى شبكت يديها فى عنقه واستقبلته بتقبيل وشهيق وغنج ومص لسانها ومصت لسانه فأزال بكارتها فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية انيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبي حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفر من الخوف عقب الفعل الذى فعله فلما سمعت سيدة البيت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ما سبب هذا الصراخ الذى فى الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين أقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأياها قالتا ان سيدى على نور الدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على أنيس الجليس وعانقها وما ندرى أى شئ عمل بعد ذلك فلما صحنا لك هرب فعند ذلك تقدمت سيدة البيت الى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت يا سيدتى أنا قاعدة واذا بصبي جميل الصورة دخل على وقال لى أنت التى اشتراك أبى لى فقلت نعم والله يا سيدتى اعتقدت أن كلامه صحيح فعند ذلك أتى الى وعانقنى فقالت لها هل فعل بك شيأ غير ذلك قالت نعم وأخذ منى ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هى والجوارى خوفا على نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم كذلك واذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف أن ما قلته لك تسمعه قال نعم فاخبرته بما

فعله

فعل ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا أعطيك من مالى عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك أنا مالى حاجة بثمنها ولكن خوفى ان تروح روحى ومالى فقالت له ياسيدى ما سبب ذلك قال لها أما تعلمين أن وراءنا هذا العدو الذى يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال لزوجته أما تعلمين أن وراءنا عدوا يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذى تزعم أنه يحبك أخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما رأى أحد مثلها فلما أعجبته قال لابنه خذها أنت أحق بها من السلطان فأخذها وأزال بكارتها وها هى الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن أذنك أهجم عليه وآتيك بها فيأذن له فى ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدى السلطان ثم يسألها فلا تقدر أن تنكر فيقول له ياسيدى أنت تعلم انى ناصح لك ولكن مالى عندكم حظ فيمثل بى السلطان والناس كلهم يتفرجون على وتروح روحى فقالت له زوجته لا تعلم أحدا وهذا الامر حصل خفية وسلم أمرك الى الله فى هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر على نور الدين فانه خاف عاقبة الامر فكان يقضى نهاره فى البساتين ولا يأتى الا فى آخر الليل لأمه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهرا وهو لم ير وجه أبيه فقالت امه لأبيه ياسيدى هل تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء فأمسكه واصطلح أنت واياه واعطه الجارية فانها تحبه وهو يحبها وأعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أتى ولده امسكه وأراد نحره فأدركته أمه وقالت له اى شئ تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لأبيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدى كيف هان عليك ذهاب مالى وروحى فقال الصبى اسمع ياوالدى ما قال الشاعر

هبنى جنيت فلم تزل اهل النهى * يهبون للجانى سماحا شاملا
ماذا عسى يرجو عدوك وهو فى * درك الحضيض وأنت أعلا منزلا

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وشفق عليه وقام الصبى وقبل يد والده فقال ياولدى لو علمت أنك تنصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال ياوالدى كيف لا أنصفها قال أوصيك ياولدى انك لا تتزوج عليها ولا تضاررها ولا تبيعها قال له ياوالدى أنا احلف لك أن لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له أيمانا على ما ذكر ودخل على الجارية فأقام معها سنة وانسى الله تعالى الملك قصة الجارية * وأما المعين بن ساوى فانه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدى ان الرزق مقسوم والأجل محتوم ولابد لكل نسمة من شرب كاس المنون وانشد هذه الابيات

من فاته الموت يوم لم يفته غدا * والكل منا على حوض الردى وردا
سوى العظيم بمن قد كان محتقرا * ولم يدع هيبة بين الورى أحدا

لم يبق من ملك كلا ولا ملك * ولا نبي يعيش دائم أبدا

ثم قال يا ولدي مالي عندك وصية الا تقوى الله والنظر في العواقب وأن تستوصي بالجارية أنيس الجليس فقال له يا أبت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير ودعا الخطباء لك على المنابر فقال له يا ولدي أرجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من اهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر الى السلطان وسمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصبيان في مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وارباب الدولة واهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوي وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الابيات

قد قلت للرجل المولى غسله * هلا اطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما * أذرت عيون المجد عند بكائه
وازل مجاميع الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله * شرفا الست تراهمو بازائه
لا توه اعناق الرجال بحمله * يكفي الذي حملوه من نعمائه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوما من الايام في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده واصحابه فقبل يد على نور الدين وقال يا سيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم يا سيدي طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين الى قاعة الجلوس ونقل اليها ما يحتاج اليه واجتمع عليه اصحابه واخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له يا سيدي على نور الدين أما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد احسن من قال هذه الابيات

أصون دراهمي وأذب عنها * لعلمي أنها سيفي وترسي
أأبذلها الى اعدى الاعادي * وابدل في الورى سعدي بنحسي
فيأكلها ويشربها هنيأ * ولا يسخو الى أحد بفلس
واحفظ درهمي عن كل شخص * لئيم الطبع لا يصفو لانسي
أحب الي من قولي لنذل * أنلني درهما لغد بخمس
فيعرض وجهه ويصد عني * فتبقى مثل نفس الكلب نفسي
فيا ذل الرجال بغير مال * ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال يا سيدي النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفني المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا أسمع منه كلمة فما احسن قول الشاعر

اذا ما ملكت المال يوما ولم أجد * فلا بسطت كفي ولا نهضت رجلي
فهاتوا بخيلا نال مجدا ببخله * وهاتوا أروني باذلا مات من بذل

ثم قال اعلم أيها الوكيل اني أريد اذا فضل عندك ما يكفيني لغدائي أن لا تحملني هم عشائي فانصرف الوكيل من عنده الى حال سبيله واقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الاخلاق وكل من يقول له من ندمائه ان هذا الشيء مليح يقول هو لك هبة أو يقول يا سيدي ان الدار الفلانية مليحة يقول هي لك هبة

ولم

ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه واصحابه فى أول النهار مجلسا وفى آخره مجلسا ومكث على هذا الحال سنة كاملة فبينما هو جالس يوما واذا بالجارية تنشد هذين البيتين

أحسنت ظنك بالايام اذحسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها اذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر فقال له ياسيدى الذى كنت أخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقى لك تحت يدى شىء يساوى درهما ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض وقال لاحول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذى تبعه خفية وخرج ليسئل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى أصحابه وقال لهم انظروا أى شىء تعملون فان على نور الدين قد أفلس فلما رجع اليهم على نور الدين ظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى على نور الدين وقال له ياسيدى انى أريد أن تأذن لى بالانصراف فقال على نور الدين لماذا الانصراف فى هذا اليوم فقال ان زوجتى تلد فى هذه الليلة ولا يمكننى ان أتخلف عنها وأريد أن أذهب اليها وانظرها فأذن له ونهض آخر وقال له ياسيدى نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخى فانه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس ما تنظرين ما حل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت أن أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هى ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطابا فقال لها على نور الدين يا أنيس الجليس انت تعرفين أنى ما صرفت مالى الا على أصحابى وأظنهم لا يتركونى من غير مواساة فقالت أنيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال على نور الدين فأنا فى هذه الساعة أقوم وأروح اليهم وأطرق أبوابهم لعلى أنال منهم شيأ فأجعله فى يدى رأس مال وأتجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته وما زال سائرا حتى أقبل على الزقاق الذى فيه اصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم الى أول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من أنت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل أياديك ومنتظر فضلك فدخلت الجارية وأعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعى وقولى له ما هو هنا فرجعت الجارية الى على نور الدين وقالت له ياسيدى ان سيدى ما هو هنا فتوجه على نور الدين وقال فى نفسه ان كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم الى الباب الثانى وقال كما قال اولا فأنكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * منوا عليك بما تريد من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لابد أن أمتحنهم كلهم عسى أن يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد أحدا منهم فتح الباب ولا أراه نفسه ولا أمر له برغيف فأنشد هذه الابيات

المرء فى زمن الاقبال كالشجره * فالناس من حولها مادامت الثمره

حتى اذا أسقطت كل الذى حملت * تفرقوا وأرادوا غيرها شجره
تبا لابناء هذا الدهر كلهم * فلم أجد واحدا يصفو من العشره

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدى أما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله مافيهم من أرانى وجهه فقالت له ياسيدى بع من أثاث البيت شيأ فشيأ وأنفق فباع الى أن باع جميع مافى البيت ولم يبق عنده شىء فعند ذلك نظر الى أنيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدى عندى من الرأى أن تقوم فى هذه الساعة وتنزل بى السوق فتبيعنى وأنت تعلم أن والدك كان اشترانى بعشرة آلاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها ياأنيس الجليس مايهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا أنا لكن للضرورة أحكام كما قال الشاعر

تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب
ماحامل نفسه على سبب * الا لأمر يليق بالسبب

فعند ذلك أخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خديه ثم أنشد هذين البيتين

قفوا زودونى نظرة قبل بينكم * أعلل قلبا كاد بالبين يتلف
فان كان تزويدى بذلك كلفة * دعونى فى وجدى ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها الى الدلال وقال له اعرف مقدار ماتنادى عليه فقال له الدلال ياسيدى على نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له أماهى أنيس الجليس الذى كان اشتراها والدك منى بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر أجناس الجوارى من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال الى ازدحام السوق نهض قائما وقال ياتجار ياأرباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة ياتجار هذه الدرة اليتيمة التى لا تفى الاموال لها بقيمة بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة واذا بالوزير المعين بن ساوى فى السوق فنظر على نور الدين واقفا فى السوق فقال فى نفسه ماباله واقفا فانه مابقى عنده شىء يشترى به جوارى ثم نظر بعينه فسمع المنادى وهو واقف ينادى فى السوق والتجار حوله فقال الوزير فى نفسه ما أظنه الا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال فى نفسه ان صح ذلك فما أبرده على قلبى ثم دعا المنادى فأقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال انى أريد هذه الجارية التى تنادى عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر اليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته فقال له الى كم وصل ثمنها فقال أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ماقدر واحد منهم أن يزيد درهما ولا دينارا بل تأخر واجميعا لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر الوزير المعين بن ساوى الى الدلال وقال له ماسبب وقوفك رح والجارية على بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال الى على نور الدين وقال له ياسيدى راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وماسبب ذلك قال له نحن فتحنا باب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فلما نظر الجارية أعجبته وقال لى شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه الا عرف ان الجارية لك فان كان يعطيك ثمنها فى هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل اليهم ويقول لاتعطوه شيأ فكلما ذهبت اليهم لتطالبهم يقولون فى غد نعطيك ولا يزالون يعدونك

يعدونك ويخلفون يوما بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد ان يضجروا من مطالبتك اياهم يقولون اعطنا ورقة الحوالة فاذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراحت عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشير عليك بمشورة فان قبلتها مني كان لك الحظ الاوفر قال وما هي قال تجيء في هذه الساعة عندي وأنا واقف في وسط السوق وتأخذ الجارية من يدي وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يميني التي حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلت عليك أنه لابد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الرأى الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء الى وسط السوق وأمسك يد الجارية وأشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يامولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها ويلك قد نزلت بك الى السوق لأجل ابرار يميني روحي الى البيت وبعد ذلك لاتخالفيني فلست محتاجا الى ثمنك حتى أبيعك أنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى الى نور الدين قال له ويلك وهل بقي عندك شيء يباع أو يشترى ثم ان المعين بن ساوى أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها أنا بين أيديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا أنتم لقتلته ثم رمزوا كلهم لبعضهم بعين الاشارة وقالوا ما أحد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين الى الوزير ابن ساوى وكان نور الدين شجاعا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل على نور الدين يلكمه فجاءت لكمة على أسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل بسيدهم هذه الافعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا أن يهجموا على على نور الدين ويقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا أقبح الموتات ومن الرأى أن لاتدخلوا بينهما فلما فرغ على نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى الى داره وأما الوزير ابن ساوى فانه قام من ساعته وكان قماش ثيابه أبيض فصار ملونا بثلاثة ألوان لون الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأى نفسه على هذه الحالة أخذ برشا وجعله في رقبته وأخذ في يده حزمتين من حلفة وسار الى أن وقف تحت القصر الذي فيه السلطان وصاح ياملك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوى فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وأنشد هذين البيتين

أيظلمني الزمان وأنت فيه * وتأكلني الكلاب وأنت ليث
ويروى من حياضك كل صاد * وأعطش في حماك وأنت غيث

ثم قال ياسيدي أهكذا كل من كان يحبك ويخدمك تجرى له هذه المشاق فقال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم اني خرجت اليوم الى سوق الجوارى لعلى أشترى جارية طباخة فرأيت في السوق جارية ما رأيت في طول عمرى مثلها فقال الدلال انها لعلى بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى أباه سابقا عشرة آلاف دينار ليشترى له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبته فأعطاها لولده فلما مات أبوه سلك طريق الاسراف حتى باع جميع ما عنده من الاملاك والبساتين والاوانى فلما أفلس ولم يبق عنده شيء نزل بالجارية الى السوق على أن يبيعها ثم سلمها الى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها

التجار حتى بلغ ثمنها أربعة آلاف دينار فقلت لعلى أشترى هذه لمولانا السلطان فان أصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدى خذ ثمنها أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامى نظر الى وقال يا شيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا أبيعها لك فقلت أنا ما أشتريها لنفسى وانما أشتريها لمولانا السلطان الذى هو ولى نعمتنا فلما سمع منى هذا الكلام اغتاظ وجذبنى ورمانى عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربنى ولم يزل يضربنى حتى تركنى كما ترانى وأنا ما أوقعنى فى هذا كله الا انى جئت لأشترى هذه الجارية لسعادتك ثم ان الوزير رمى نفسه على الارض وجعل يبكى ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى من بحضرته من أرباب الدولة واذا بأربعين ضارب سيف وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا فى هذه الساعة الى دار ابن خاقان وانهبوها واهدموها واتونى به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما واتوا بهما بين يدى فقال لهم السمع والطاعة ثم انهم نزلوا وقصدوا المسير الى على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان أولا من مماليك الفضل ابن خاقان والد على نور الدين فلما سمع أمر السلطان ورأى الأعداء تهيؤا الى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار الى أن أتى بيت على نور الدين فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما رآه عرفه وأراد أن يسلم عليه فقال يا سيدى ما هذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعى من بناها

فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها

فقال نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك أنت والجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما فى يده قتلكما وقد أرسل اليكما السلطان أربعين ضاربا بالسيف والرأى عندى أن تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى نور الدين بدنانير فعدها فوجدها أربعين دينارا وقال له يا سيدى خذ هذه ولو كان معى أكثر من ذلك لأعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتخبلت ثم خرج الاثنان فى الوقت الى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والريس واقف فى وسط المركب يقول من بقى له حاجة من وداع أو زوادة أو نسى حاجة فليأت بها فاننا متوجهون فقالوا كلهم لم يبق لنا حاجة يا ريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الاوتاد فقال على نور الدين الى أين يا ريس فقال الى دار السلام بغداد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الريس لما قال لعلى نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد نزل على نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فاندفعت المركب كأنها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم هذين البيتين

انظر الى مركب يسبيك منظره * يسابق الريح فى سير بمسراه

كأنه طائر قد مد أجنحة * أتى من الجو منقضا على الماء

فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء ﴿وأما﴾ ما جرى للاربعين الذين أرسلهم السلطان فانهم جاؤا الى بيت على نور الدين فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا جميع الاماكن فلم يقفوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال اطلبوهما من أى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته بعد ان خلع عليه السلطان خلعة وقال له لا يأخذ بثارك الا

أنا قد عاله بطول البقاء واطمأن قلبه ثم ان السلطان أمر ان ينادى فى المدينة يا معاشر الناس كافة قد أمر مولانا السلطان ان من عثر بعلى نور الدين بن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة وأعطاه ألف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجرى له من النكال فصار جميع الناس فى التفتيش على على نور الدين فلم يعرفوا له أثرا هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر على نور الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهى مدينة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وأزهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع على نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاآ الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمصاطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفى صدر الزقاق باب بستان الا أنه مغلق فقال نور الدين للجارية والله ان هذا محل مليح فقالت يا سيدى اقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسلا وجوههما وأيديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هرون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يأتى الى هذا البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكا ومعلقا فيه ثمانون قنديلا وفى وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة أمر الجوارى أن تفتح الشبابيك وأمر اسحق النديم والجوارى أن يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولى شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم واتفق أنه خرج ليقضى حاجة من أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء وأهل الريبة فغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عند الخليفة فى بعض الايام فأعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان فافعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولى لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال أما عرفا ان الخليفة أعطانى اذنا ان كل من لقيته هنا أقتله ولكن أنا أضرب هذين ضربا خفيفا حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج اليهما ورفع يده فبان بياض ابطه وأراد ضربهما فتفكر فى نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف عن وجوههما وانظر اليهما فرفع الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغى أن أضربهما ثم غطى وجوههما وتقدم الى رجل على نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينيه فوجده شيخا كبيرا فاستحى على نور الدين ولم رجليه واستوى قاعدا وأخذ يد الشيخ ابراهيم وقبلها فقال له يا ولدى من أين أنتم فقال له يا سيدى نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدى اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم أوصى باكرام الغريب ثم قال له يا ولدى أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدى هذا البستان لمن قال يا ولدى هذا البستان ورثته من أهلى وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا أن يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الالوان الاحمر كأنه ياقوت والاسود كأنه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا وغير صنوان والاطيار تغرد بالالحان على الاغصان والهزار يترنم والقمرى ملأ بصوته المكان والشحرور كأنه فى تغريده انسان والفاخت كأنه شارب نشوان والاشجار قد أينعت أثمارها من كل ما كول ومن كل

فاكهة مرجان والمشمش ما بين كافورى ولوزى ومشمش خراسان والبرقوق كأنه لون الحسان والقراصية تذهل عقل كل انسان والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الالوان والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كأنه كبريت دنا من النيران والآس والمنثور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كأنه أكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان وأقبل الربيع فأشرق ببهجته المكان والنهر فى خرير والطير فى هدير والريح فى صفير والزمان فى اعتدال والنسيم فى اعتلال ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المغلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة وما فيها من اللطائف الغريبة وجلسوا فى بعض الشبابيك فتذكر نور الدين المقامات التى مضت له فقال والله ان هذا المكان فى غاية الحسن لقد ذكرنى بما مضى وأطفأ من كربى جمر الغضى ثم ان الشيخ ابراهيم قدم لهما الاكل فأكلا كفايتهما ثم غسلا أيديهما وجلس نور الدين فى شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فأتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت على نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال له ياشيخ ابراهيم أما عندك شئ من الشراب لان الناس يشربون بعد أن يأكلوا فجاءه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد فقال له نور الدين ما هذا الشراب الذى أريده فقال له أتريد الخمر فقال له نور الدين نعم فقال أعوذ بالله منها ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلت ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع منى كلمتين قال قل ما شئت قال اذا لم تكن عاصر الخمر ولا شاربه ولا حامله هل يصيبك من لعنهم شئ قال لا قال خذ هذين الدينارين وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيدا وأى انسان وجدته يشترى فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشترى بهذين الدينارين خمرا واحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شاربا ولا حاملا ولا عاصرا ولا مشتريا ولا يصيبك شئ مما أصاب الجميع فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله ما رأيت أظرف منك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقة فأتنا بجميع ما نحتاج اليه فقال له الشيخ ابراهيم ياولدى هذا كرارى قدامك وهو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان فيه فوق ما تريد فدخل على نور الدين الحاصل فرأى فيه أوانى من الذهب والفضة والبلور مرصعة باصناف الجواهر فأخرج منها ما أراد وسكب الخمر فى البواطى والقنانى وصار هو وجاريته يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم ان الشيخ ابراهيم جاءهما بالمشموم وقعد بعيدا عنهما فلم يزالا يشربان وهما فى غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسترخت شعورهما فقال الشيخ ابراهيم مالى أقعد بعيدا عنهما كيف لا أقعد عندهما وأى وقت اجتمع فى حضرة مثل هذين الاثنين اللذين كأنهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد فى طرف الايوان فقال له على نور الدين ياسيدى بحياتى أن تتقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف ما لذة طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لى ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيأ من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه فى الارض وأظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه أنيس الجليس وقالت له ياشيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معى قال لها ياسيدتى ماله قالت دائما يعمل معى هكذا فيشرب ساعة وينام وأبقى أنا وحدى لا أجد لى نديما ينادمنى على قدحى فاذا شربت فمن يعاطينى واذا غنيت فمن يسمعنى فقال لها الشيخ

ابراهيم

ابراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه اليها من كلامها الا ينبغي من النديم أن يكون هكذا ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتي أن تأخذه وتشربه ولا ترده فاقبله واجبر خاطري فمد الشيخ ابراهيم يده وأخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت اليه يدها به وقالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا أقدر أن أشربه فقد كفاني الذي شربته فقالت له والله لا بد منه فأخذ القدح وشربه ثم أعطته الثالث فأخذه وأراد أن يشربه واذا بنور الدين هم قاعدا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علينور الدين هم قاعدا فقال له يا شيخ ابراهيم أي شيء هذا أما حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت ان لي ثلاثة عشر عاما ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحى والله مالي ذنب وانما هي شددت علي فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرا يا سيدي اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى أفرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقي سيدها وسيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما أي شيء هذا وما هذه المنادمة لم لا تسقياني وقد صرت نديما فضحكا من كلامه الى أن أغمي عليهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا في المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومي ولا توقدي الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع الى أن أوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين يا شيخ ابراهيم وأنا أي شيء حظي عندك أما تخليني أوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم وأوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها الى أن أوقد ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر أنتما أخرع مني ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الاشعار وابتهج بهم المكان فقدر الله السميع العليم الذي جعل لكل شيء سببا أن الخليفة كان في تلك الساعة جالسا في الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر الى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع في البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة الى القصر الذي في البستان فرآه يزهو من تلك الشموع والقناديل فقال علي بجعفر البرمكي فما كان الا لحظة وقد حضر جعفر بين يدي أمير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمني ولم تعلمني بما يحصل في مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت مني ما كان قصر الفرجة مبتهجا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يكون له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة أخذت مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فأراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولي ربما يكون هذا الامر باذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم في الجمعة التي مضت قال لي يا سيدي جعفر اني أريد أن أفرح أولادي في حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت له وما مرادك بهذا الكلام فقال لي مرادي أن تأخذ لي اذنا من الخليفة بأني أطاهر أولادي في القصر فقلت له افعل ما شئت من فرح أولادك وان شاء الله أجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال وسهيت أن أعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندي ذنب

واحد فصار لك عندى ذنبان لانك أخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما أعلمتنى بذلك الوجه الثانى انك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ماجاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب شئ من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيأ ولم تعلمنى حتى أعطيه فقال جعفر يا أمير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائى وأجدادى ما أتم بقية ليلتى الا عنده فانه رجل صالح يتردد الى المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين وأظن أن الجميع عنده فى هذه الليلة فلا بد من الذهاب اليه لعل واحدا منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خير فى الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع فى هذا الامر بحضورى ويفرح بذلك هو وأحبابه فقال جعفر يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى وهم فى هذه الساعة على وجه الانفضاض فقال الخليفة لا بد من الرواح عندهم فسكت جعفر وتحير فى نفسه وصار لا يدرى فنهض الخليفة على قدميه وقام جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشى الثلاثة متنكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشقون فى الازقة وهم فى زى التجار الى أن وصلوا الى البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هى عادته ثم انهم دخلوا الى أن انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر أريد أن أتسلل عليهم قبل أن أطلع عندهم حتى أنظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فان لهم شؤنا فى الخلوات والجلوات لأننا الآن لم نسمع لهم صوتا ولم نر لهم أثرا ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر أريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وأنظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع حتى وصل الى الفرع الذى يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصر فرأى صبية وصبيا كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ ابراهيم قاعدا وفى يده قدح وهو يقول يا سيدة الملاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعى قول الشاعر

أدرها بالكبير وبالصغير * وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيأ من كرامات الصالحين مثل ما رأيت فى هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيرا فى أمره وصعد الى أعلى الشجرة واذا به نظر فرأى على نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم فى يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمد لله الذى جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيسات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من اوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن أدخلهم قصرى ولكن مثل هذا الصبى وهذه الصبية ما رأت عينى حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذى هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتى قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ ذلك الا بنغمات الأوتار فقالت له أنيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شئ من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدرى فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود

فتامله

فتأمله الخليفة فاذا هو عوده سماق النديم فقال الخليفة والله ان غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وان غنت وأحسنت الغناء فانى اعفو عنهم وأصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأى شئ فقال لاجل ان تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك الخليفة واذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضربا يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
ما الخوف أن تقتلونا فى منازلكم * وانما خوفنا أن تأثموا فينا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمرى ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال أريد أن أطلع وأجلس عندهم وأسمع الصبية تغنى قدامى فقال يا أمير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشيخ ابراهيم فانه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد أن تعرفنى حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الامر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم ان الخليفة هو وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران فى هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقا صاح على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصوت الذى سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت الصيادين الذى يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما ورأى باب البستان مفتوحا فقال فى نفسه هذا وقت غفلة لعلى أستغنم فى هذا الوقت صيدا ثم أخذ شبكته وطرحها فى البحر وصار ينشد هذه الابيات

يا راكب البحر فى الاهوال والهلكه * أقصر عناك فليس الرزق بالحركه
أما ترى البحر والصياد منتصب * فى ليله ونجوم الليل محتبكه
قد مد أطنابه والموج يلطمه * وعينه لم تزل فى كلكل الشبكه
حتى اذا بات مسرورا بها فرحا * والحوت قد حط فى فخ الردى حنكه
وصاحب القصر أمسى فيه ليلته * منعم البال فى خير من البركه
وصار متيقظا من بعد رقدته * لكن فى ملكه ظبيا وقد ملكه
سبحان ربى يعطى ذا ويمنع ذا * بعض يصيد وبعض يأكل السمكه

فلما فرغ من شعره واذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه سماه باسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا امير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملانى على ما ترى فقال الخليفة اصطد على بختى فتقدم الصياد وقد فرح فرحا شديدا وطرح الشبكة وصبر الى أن أخذت حدها وثبتت فى القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من أنواع السمك ما لا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذى له أذناب ومن البراغيث ما يكاد أن يسير بها على وجه الارض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وانما كان اذا رأى خرقة

لفها عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندرانى والبعلبكى وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين

أوليتنى مالا أقوم بشكره * وكفيتنى كل الامور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * شكرتك منى أعظمى فى قبرها

فما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمى ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير فى هذه الجبة فقال يا سيدى انه فى هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة فانك لا تحس به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف أخلى هذه الجبة على جسدى فقال الصياد انى أشتهى أن أقول لك كلاما ولكن أستحى من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالى يا أمير المؤمنين انك أردت أن تتعلم الصيد لاجل أن تكون فى يدك صنعة تنفعك فان أردت ذلك يا أمير المؤمنين فان هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش وأتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر أنه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هنا فى هذه الليلة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وأنت وزيرى وجئت أنا واياك هنا وما عرفتنى فكيف يعرفنى الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى أرجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر ودقه فقام الشيخ ابراهيم وقال من بالباب فقال له أنا يا شيخ ابراهيم قال له من أنت قال أنا كريم الصياد وسمعت أن عندك أضيافا فجئت اليك بشئ من السمك فانه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحا شديدا وقالا يا سيدى افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك الذى معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو فى صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم أهلا باللص السارق المقامر تعالى أرنا السمك الذى معك فأراهم اياه فلما نظروه فاذا هو حى يتحرك فقالت الجارية والله يا سيدى ان هذا السمك مليح ياليته مقلى فقال الشيخ ابراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة يا صياد ليتك جئت بهذا السمك مقليا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجئ به فقالوا له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجرى حتى وصل الى جعفر وقال يا جعفر طلبوا السمك مقليا فقال يا امير المؤمنين هاته وأنا أقليه فقال الخليفة وتربة آبائى وأجدادى ما يقليه الا أنا بيدى ثم ان الخليفة ذهب الى خص الخولى وفتش فيه فوجد فيه كل شئ يحتاج اليه من آلة القلى حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين أيديهم فتقدم الصبى والصبية والشيخ ابراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين والله يا صياد انك صنعت معنا معروفا فى هذه الليلة ثم وضع يده فى جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التى أعطاها اياه سنجر وقت خروجه للسفر وقال يا صياد اعذرنى فوالله لو عرفتك قبل الذى حصل لى سابقا لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها الخليفة وقبلها ووضعها فى جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهى تغنى فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مرادى من

تصدقاتك

تصدق قالت العمية أن هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى أسمعها فقال علي نور الدين يا أنيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتي أن تغني لنا شيأ من شأن خاطر هذا الصياد لأنه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سيدها أخذت العود وغمزته بعد ان عركت أذنه وأنشدت هذين البيتين

وغادة لعبت بالعود أنملها * فعادت النفس عند الجس تختلس
قد أسمعت بالاغاني من به صمم * وقال أحسنت مغني من به خرس

ثم انها ضربت ضربا غريبا الى أن أذهلت العقول وأنشدت تقول هذين البيتين

ولقد شرفتنا اذ نزلتم أرضنا * ومحاسنا كم ظلمة الديجور
فيحق لي أني أخلق منزلي * بالمسك والماورد والكافور

فعند ذلك اضطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يملك نفسه من شدة الطرب وصار يقول طيبك الله طيبك الله طيبك الله فقال نور الدين يا صياد هل أعجبتك الجارية وتحريكها الاوتار فقال الخليفة اي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لا يرجع في عطائه ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو في صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت يا سيدي هل أنت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى أودعك وأنشدت هذين البيتين

لئن غبتمو عني فان محلكم * لفي مهجتي بين الجوانح والحشا
وأرجو من الرحمن جمعا لشملنا * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول

ودعتني يوم الفراق وقالت * وهي تبكي من لوعة وفراق
ما الذي أنت صانع بعد بعدي * قلت قولي هذا لمن هو باقي

ثم ان الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت الى الصبي وقال له يا سيدي هل أنت خائف من جناية أو لأحد عليك دين فقال علي نور الدين والله يا صياد انه جرى لي ولهذه الجارية حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة أما تحدثنا بحديثك وتعرفنا بخبرك عسى أن يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما أو نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك أطرق نور الدين رأسه الى الارض وأنشأ يقول هذه الابيات

يا خليلي اني هجرت رقادي * وهمومي نمت لبعد بلادي
كان لي والد علي شفيق * غاب عني مجاور الالحاد
وجرت لي من بعد ذاك أمور * صرت منها مفتت الاكباد
اشترى لي من الحسان فتاة * مثل غصن بقدها المياد
فصرفت الذي ورثت عليها * وتخيرتها على الاجواد
مقتها البيع اذ تزايد همي * وجوى البين لم يكن بمرادي
واذا ما دعا اليها مناد * زاد فيها شيخ كثير الفساد
فلهذاك اغتظت غيظا شديدا * ولكي جذبتها بأياد
فتردى ذاك اللئيم بقبح * ثم قادت فيه لظى الالحاد

من غرامي لكمته بيميني * وشمالي حتى شفيت فؤادي
ومن الخوف قد أتيت لداري * وتيقنت سطوة الاضداد
فهدى مالك البلاد لحبسي * فأتى الحاجب الرشيد السداد
رام الى أني آسير بعيدا * عن ذراهم مكمدا حسادي
فطلعنا من دارنا جنح ليل * طالبين المقام في بغداد
ليس شيء من الذخائر عندي * دونها منحة الى الصياد
غير أني أعطيك محبوب قلبي * فتيقن أني وهبت فؤادي

فلما فرغ من شعره قال الخليفة ياسيدي نور الدين اشرح لي أمرك فأخبره نور الدين بحاله من أوله الى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد في هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيء * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لعلي نور الدين أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيء فقال له علي نور الدين وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيء لا يكون أبدا فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم أني قرأت أنا واياه في مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطانا وجعلني الله صيادا ولكني لم أرسل اليه في حاجة الا قضاها ولو أرسلت اليه في كل يوم من شأن ألف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فأخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فان هذا الكتاب من هرون الرشيد بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي أعرفك أن الموصل اليك هذا الكتاب نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندك تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فاني قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف أمري والسلام ثم أعطى علي نور الدين بن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرا هذا ما كان من أمره * (وأما) ما كان من أمر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو في صورة الصياد وقال يا أحقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين تساويان عشرين نصفا فأخذت ثلاثة دنانير وتريد أن تأخذ الجارية أيضا فلما سمع كلامه صاح عليه وأومأ الى مسرور فأشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر قد أرسل رجلا من صبيانه الى بواب القصر يطلب منه بدلة لامير المؤمنين فذهب الرجل وطلع بالبدلة وقبل الارض بين يدي الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وصار يعض في أنامله من الخجل ويقول ياترى هل أنا نائم أم يقظان فنظر اليه الخليفة وقال ياشيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي أنت فيه فعند ذلك أفاق من سكره ورمى نفسه على الارض وأنشد هذين البيتين

هب لي جناية ما زلت به القدم * فان للعبد من ساداته كرم
فعلت ما يقتضيه الجهل معترفا * فأين ما يقتضيه العفو والكرم

فعفا عنه الخليفة وأمر بالجارية أن تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر أفرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمي اني أرسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله نرسل

اليه

اليه خلعة ونرسلك اليه مصحبتها هذا ما جرى لهؤلاء (وأما) ما جرى لنور الدين على بن خاقان فانه لازال مسافرا حتى دخل البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض قدامه ثم أخرج الورقة وأعطاه اياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفا على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الاربعة والامراء وأراد أن يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فأعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن آخرها وأخذها فى فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذى حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما أراد فلأى شىء تعزل نفسك من السلطنة مع ان الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ولو كان هذا الامر صحيحا لارسل معه حاجبا أو وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معى هذا الشاب وأنا آخذه وأتسلمه منك وأرسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا يأتينا بخط شريف وتقليد وان كان غير صحيح يرسلوه الينا مع الحاجب وأنا آخذ حقى من غريمى فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه الى ان أغمى عليه ثم أمر ان يضعوا فى رجليه قيدا وصاح على السجان فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له ياقطيط أريد ان تأخذ هذا وترميه فى مطمورة من المطامير التى عندك فى السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان ادخل نور الدين فى السجن وأقفل عليه الباب ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بسجادة ومخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن اليه وكان كل يوم يرسل الى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر انه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما فلما كان اليوم الحادى والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور الوزراء فى أمرها فقال بعض لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى لما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتنى به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة فقام وقال له ان قصدى ان انادى فى المدينة من أراد ان يتفرج على ضرب رقبة نور الدين على بن خاقان فليأت الى القصر فيأتى جميع الناس ليتفرجوا عليه لأشفى فؤادى وأكمد حسادى فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور وأقبل على الوالى وأمره أن ينادى بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادى حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار فى المكاتب والسوقة فى دكاكينهم وتسابق الناس يأخذون لهم أماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتى معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن فقال قطيط السجان ما تطلب يامولانا الوزير فقال أحضر لى هذا العلق فقال السجان انه فى أقبح حال من كثرة ما ضربته ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

من لى يساعدنى على بلواتى * فقد اعتدلى دائى وعز دوائى
والهجر أضنى مهجتى وحشاشتى * والدهر ردّ أحبتى أعدائى
ياقوم هل فيكم رفيق مشفق * يرثى لحالى أو يجيب ندائى
فالموت هان علىّ مع سكراته * وقطعت من طيب الحياة رجائى
يارب بالهادى البشير المصطفى * بحر المكارم سيد الشفعاء

أدعوك تنقذني وتغفر زلتي * وتزيل عني شقوتي وعنائي

فعند ذلك نزع منه السجان ثيابه النظاف وألبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نور الدين فرآه عدوه الذي لا زال يطلب قتله فلما رآه بكى وقال له هل أمنت الدهر اما سمعت قول الشاعر

تحكموا فاستطالوا في تحكمهم * وعن قريب كأن الحكم لم يكن

ثم قال يا وزير اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له يا علي أتخوفني بهذا الكلام فأنا في هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم أنف أهل البصرة ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر

دع الايام تفعل ما تشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء

وما أحسن قول الآخر

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

ثم ان الوزير أمر غلمانه ان يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لعلي نور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو تروح أرواحنا فقال لهم علي نور الدين لا تفعلوا ذلك أبدا اما سمعتم قول الشاعر

لابد لي من مدة محتومة * فاذا انقضت ايامها مت

لو أدخلتني الاسد في غاباتها * لم تغتنها ما دام لي وقت

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا اقل جزاء من يزور مكتوبا على الخليفة الى السلطان ولا زالوا يطوفون به في البصرة الى ان أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه في منقع الدم وتقدم اليه السياف وقال له انا عبد مأمور فان كان لك حاجة فأخبرني بها حتى اقضيها لك فانه ما بقي من عمرك الا قدر ما يخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا وشمالا وانشد هذه الابيات

فهل فيكم خل شفيق يعينني * سألتكم بالله رد جوابي

مضى الوقت من عمري وحانت منيتي * فهل راحم لي كي ينال ثوابي

وينظر في حالي ويكشف كربتي * بشربة ماء كي يهون عذابي

فتباكت الناس عليه وقام السياف واخذ شربة ماء يناوله اياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وامره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عيني علي نور الدين فصاح الناس على الوزير واقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك واذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد في القصر قال انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر انت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلاثين يوما لم يتذكر قصة علي ابن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من الليالي الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت رقيق قول الشاعر

خيالك في التباعد والتداني * وذكرك لا يفارقه لساني

وتزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهي تبكي فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم انشدت هذين البيتين

أيا من زكا أصلا وطاب ولادة * وأثمر غصنا يانعا وزكا جنسا

اذكرك الوعد الذي سمحت به * محاسنك الحسنا وحاشاك أن تنسى

فقال

فقال الخليفة من أنت قالت انا هدية علي بن خاقان اليك وأريد انجاز الوعد الذي وعدتني به من انك ترسلني اليه مع التشريف والآن لي هنا ثلاثون يوما لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفرا البرمكي وقال من منذ ثلاثين يوما لم أسمع بخبر علي بن خاقان وما أظن الا ان السلطان قتله ولكن وحياة رأسي وتربة آبائي وأجدادي ان كان جرى له أمر مكروه لأهلكن من كان سببا فيه ولو كان أعز الناس عندي وأريد ان تسافر أنت في هذه الساعة الى البصرة وتأتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي ابن خاقان فامتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر علي نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلي نور الدين أمر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوي وأمر باطلاق علي نور الدين بن خاقان وأجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلاثة أيام في البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان الى جعفر وقال له اني اشتقت الى رؤية أمير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فاننا نصلي الصبح ونتوجه الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوي وصار يتندم على فعله واما علي نور الدين بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك اقبل الخليفة على علي بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم الى المعين بن ساوي فنظر اليه وقال له أنا عملت بمقتضى طبيعتي فاعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين أنه خدعني وأنشد قول الشاعر

خدعته بخديعة لما أتى ❊ والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال له الخليفة اتركه أنت ثم قال لمسرور يامسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمن علي فقال ياسيدي أنا مالي حاجة بملك البصرة وما أريد الا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه وما زال مقيما عنده الى أن أدركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك

❊ حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة ❊

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا جزيلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊ فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون ❊ قال بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من القز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده أن يسافر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن هرون الرشيد وودع أمه وأقاربه واهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله

تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان مسافرا صحبة جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وارخى عليها الستور وانزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد واكابرها ثم اخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها اثمانها ونزل بها الى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه واكرموه وتلقوه بالترحيب وانزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح في كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيئا فشيئا ولم يزل كذلك سنة وفي اول السنة الثانية جاء الى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل له انه توفي واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك ان تكسب اجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم الى ان وصلوا بالجنازة الى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا الى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة واحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرؤن القرآن على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وهو غالب عليه الحياء فقال في نفسه انا لم اقدر على ان أفارقهم حتى انصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا امكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال في نفسه انا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلي سرق اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على انه يقضي حاجة فصار يمشي ويتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقا ولم ير احدا غاديا ولا رائحا ولم يسمع صوتا سوى نبيح الكلاب وعوي الذئاب فقال لا حول ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالي وجئت من أجله فوجدت الباب مغلقا فصرت الآن خائفا على روحي ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة بأربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها وأراد ان ينام فلم يجئه نوم واخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نورا يلوح على بعد في ناحية باب المدينة فمشى قليلا فرأى النور مقبلا في الطريق التي توصل الى التربة التي هو فيها فخاف غانم على نفسه واسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى في قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيئا فشيئا حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقا وواحد في يده فاس وفانوس فلما اقربوا من التربة قال أحد العبدين الحاملين للصندوق مالك يا صواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال أما كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلق مترس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتا ما أقل عقلكما أما تعرفان ان أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسي عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب خوفا من السودان الذين هم مثلنا ان يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا اقل عقلا منك فقال لهم انكم لم تصدقوني حتى ندخل التربة ونجد فيها أحدا واظن انه اذا كان فيها أحد ورأى النور هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال في نفسه ما أمكر هذا العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما الذي يخلصني من هذه الورطة ثم ان الاثنين الحاملين للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على الحائط

وافتح

وافتح لنا الباب يا صواب لاننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين غسلهم ونقليه لك قليا جيدا بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب أنا خائف من شيء تذكرته من قلة عقلي وهو أننا نرمي الصندوق وراء الباب لانه ذخيرتنا فقالا له ان رميناه ينكسر فقال أنا خائف أن يكون في داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا أمسى عليهم الوقت يدخلون في هذه الاماكن ويقسمون ما يكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون أن يدخلوا هنا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذى هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الجبس ثم انهم جلسوا وأقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتي نحن تعبنا من المشي والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح التربة ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضي حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكي لنا سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدا الى المنتهى لاجل فوات هذه الليلة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكي جميع ما وقع له * قال الاول وهو الذى كان حامل النور أنا احكي لكم حكايتي فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا يا اخوتي اني لما كنت صغيرا جاء بي الجلاب من بلدي وعمري خمس سنين فباعني لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنين فتربيت معها وكانوا يضحكون على وأنا ألاعب البنت وأرقص لها وأغني لها الى أن صار عمري اثنتي عشرة سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعوني عنها الى أن دخلت عليها يوما من الايام وهي جالسة في محل خلوة وكأنها خرجت من الحمام الذى في البيت لانها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر في ليلة أربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها فنفر احليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الارض فوقعت على ظهري وركبت فوق صدري وصارت تتمرغ على فانكشف احليلي فلما رأته وهو نافر أخذته بيدها وصارت تحك به على أشفار فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندي وحضنتها فشبكت يديها في عنقي وقرطت علي بجهدها فما أشعر الا واحليلي فتق لباسها ودخل فرجها فأزال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند بعض اصحابي فدخلت عليها أمها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت امرها واخفت حالها عن ابيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى أخذوني من المكان الذى كنت فيه ولم يذكروا شيأ من هذا الامر لابيها لانهم كانوا يحبونني كثيرا ثم ان أمها خطبت لها شابا مزينا كان يزين اباها وامهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون في تحصيل جهازها ثم انهم امسكوني على غفلة وخصوني ولما زفوها للعريس جعلوني طواشيا لها أمشي قدامها أينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام او الى بيت ابيها وقد ستروا امرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وانا اتملى بحسنها وجمالها على قدر ما امكنني من تقبيل وعناق الى ان ماتت هي وزوجها وامها وابوها ثم اخذني بيت المال وصرت في هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قطع احليلي والسلام * فقال العبد الثاني اعلموا يا اخوتي اني كنت في ابتداء أمري ابن ثمان سنين ولكن كنت أكذب على الجلابة في كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وانزلني في يد الدلال وامره ان ينادي من يشتري هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب في كل سنة كذبة واحدة فتقدم

رجل تاجر الى الدلال وقال له كم اعطوا فى هذا العبد من الثمن على عيبه قال أعطوا ستمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم واوصلنى الدلال الى منزل ذلك التاجر واخذ دلالته فكسانى التاجر ما يناسبنى ومكثت عنده باقى سنتى الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم الى أن جاءت العزومة على سيدى فى بستان خارج البلد فراح هو والتجار واخذ لهم ما يحتاجون اليه من اكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدى الى مصلحة من البيت فقال يا عبد اركب البغلة ورح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع سريعا فامتثلت أمره ورحت الى المنزل فلما اقربت من المنزل صرخت وأرخيت الدموع فاجتمع أهل الحارة كبارا وصغارا وسمعت صوتى زوجة سيدى وبناته ففتحوا الباب وسألونى عن الخبر فقلت لهم ان سيدى كان جالسا تحت حائط قديمة هو وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لأخبركم فلما سمع اولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فأتت اليهم الجيران واما زوجة سيدى فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض وخلعت رفوفه وكسرت طبقاته وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدنى واخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاوانى والصينى فجئت اليها واخربت معها رفوف البيت واتلفت ما عليها ودواليبه واتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت سيدتى مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وارنا مكان سيدك الذى هو ميت فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله فى تابوت ونجىء به الى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وانا أصيح واسيداه وهم خلفى مكشوفى الوجوه والرؤس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق احد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوز الا جاء معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم فى شدة البكاء فمشيت بهم فى المدينة فسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا منى فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اننا نمضى للوالى ونخبره فلما وصلوا الى الوالى اخبروه * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون) قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالى واخبروه قام الوالى وركب واخذ معه الفعلة بالمساحى والقفف ومشوا تابعين اثرى ومعهم كثير من الناس وانا قدامهم ابكى واصيح واحثو التراب على راسى والطم على وجهى فلما دخلت عليهم ورآنى سيدى وانا الطم واقول واسيدتاه من يحن على بعد سيدتى ياليتنى كنت فداءها فلما رآنى سيدى بهت واصفر لونه وقال ما لك يا كافور ما هذا الحال وما الخبر فقلت له انك لما ارسلتنى الى البيت لأجىء لك بالذى طلبته رحت الى البيت ودخلته فرايت الحائط التى فى القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتى واولادها فقال لى وهل سيدتك لم تسلم فقلت له لا ما سلم منهم احد واول من مات منهم سيدتى الكبيرة فقال وهل سلمت بنتى الصغيرة فقلت له لا فقال لى وما حال البغلة التى اركبها هل هى سالمة فقلت له لا يا سيدى فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما فى البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم احد فقال لى ولا سيدك الكبير فقلت له لا فلم يسلم منهم أحد وفى هذه الساعة لم يبق دار ولا سكان ولم يبق من ذلك كله اثر وأما الغنم والاوز

والدجاج

والدجاج فان الجميع آكلها القطط والكلاب فلما سمع سيدى كلامى صار الضياء فى وجهه ظلاما ولم يقدران يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدران يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق اثوابه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمى عمامته من فوق رأسه ولازال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه واأولاداه آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لى فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا اثوابهم وخرج سيدى من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له واكثر اللطم على وجهه وصار كانه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان واذاهم نظروا غبرة عظيمة وصياحا بأصوات مزعجة فنظروا الى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهم الوالى وجماعته والخلق والعالم الذين يتفرجون واهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم فى بكاء شديد وحزن زائد فأول من لاقى سيدى زوجته واولاده فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم انتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك انت ورموا انفسهم عليه وتعلقت اولاده به وصاحوا وا أبتاه الحمد لله على سلامتك يا ابانا وقالت له زوجته الحمد لله الذى ارانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك انت واصحابك فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما اصاب دارنا شئ من الشر غير ان عبدك كافورا جاءنا مكشوف الرأس ممزق الاثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدى جلس تحت حائط فى البستان ليقضى حاجة فوقعت عليه فمات فقال لهم سيدى والله انه أتانى فى هذه الساعة وهو يصيح واسيداتاه وا أولاد سيداتاه وقال ان سيدتى واولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه فرآنى وعمامتى ساقطة فى رأسى وانا اصيح وابكى بكاء شديدا واحثو التراب على رأسى فصرخ على فاقبلت عليه فقال لى ويلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التى عملتها ولكن والله لأسلخن جلدك عن لحمك واقطعن لحمك عن عظمك فقلت له والله ما تقدران تعمل معى شيئا لانك قد اشتريتنى على عيبى بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك بذلك حين اشتريتنى على عيبى وأنت عالم به وهو أنى اكذب فى كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح على يا العن العبيد هل هذا كله نصف كذبة وانما هو داهية كبيرة اذهب عنى فأنت حر فقلت والله ان اعتقتنى انت ما اعتقك انا حتى تكمل السنة واكذب نصف الكذبة الباقى وبعد ان اتمها فانزل بى السوق وبعنى بما اشتريتنى به على عيبى ولا تعتقنى فاننى مالى صنعة اقتات منها وهذه المسئلة التى ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء فى باب العتق فبينما نحن فى الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحارة نساء ورجالا قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالى وجماعته فراح سيدى والتجار الى الوالى واعلموه بالقضية وان هذه نصف كذبة فلما سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنونى وشتمونى فبقيت واقفا اضحك واقول كيف يقتلنى سيدى وقد اشترانى على هذا العيب فلما مضى سيدى الى البيت وجده خرابا وانا الذى اخربت معظمه وكسرت فيه شيئا يساوى جملة من المال فقالت له زوجته ان كافورا هو الذى كسر الاوانى والصينى فازداد غيظه وقال والله عمرى ما رأيت ولد زنا مثل هذا العبد ويقول انه نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان اخرب مدينة او مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه الى الوالى فضربنى علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشى على فأتانى بالمزين فى حال

شيئى خصانى وكوانى . فلما افقت وجدت نفسى خصيا وقال لى سيدى مثل ما احرقت قلبى على اعز
الشى عندى احرقت قلبك على اعز الشى عندك ثم اخذنى فباعنى بأغلى ثمن لانى صرت طواشيا ومازلت
القى الفتن فى الاماكن التى اباع فيها وانتقل من امير الى امير ومن كبير الى كبير بالبيع والشراء حتى
دخلت قصر امير المؤمنين وقد انكسرت نفسى وضعفت قوتى وعدمت خصاى فلما سمع العبدان كلامه
ضحكا عليه وقالا له انك خبيث ابن خبيث قد كذبت كذبا شنيعا * ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك
قال لهم يا اولاد عمى كل ما حكى هذا بطال فأنا احكى لكم سبب قطع خصاى وقد كنت استحق اكثر من
ذلك لانى كنت نكت سيدتى وابن سيدى والحكاية معى طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا أولاد
عمى قريب وربما طلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فننفضح بين الناس وتروح أرواحنا فدونكم
فتح الباب فاذا فتحناه ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصاى ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب
فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل
التراب بالقفف الى أن حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق فى الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من
التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما خلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما فى
الصندوق وقال فى نفسه يا ترى اى شىء فى الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق
النخلة وأزال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم اخذ حجرا وضرب على القفل فكسره وكشف
الغطاء ونظر فيه فرأى صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع نازل الا انها ذات حسن وجمال وعليها حلى ومصاغ
من الذهب وقلائد من الجوهر تساوى ملك السلطان ما يفى بثمنها مال فلما رآها غانم بن ايوب عرف انهم
تغامزوا عليها فلما تحقق ذلك الامر عالج فيها حتى اخرجها من الصندوق ورقدها على قفاها فلما
استنشقت الارياح ودخل الهواء فى مناخرها ومنافسها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص
بنج لو شمه الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وادارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح
ما فيك رى للعطشان ولا انس للريان اين زهر البستان فلم يجاوبها احد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة
الدر نور الهدى نجمة الصبح انت فى شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها احد فجالت بطرفها وقالت ويلى
عند انزالى فى القبور يا من يعلم ما فى الصدور ويجازى يوم البعث والنشور من جاء بى من بين الستور والخدور
ووضعنى بين اربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها يا سيدتى لا خدور ولا قصور ولا قبور
ما هذا الا عبدك غانم بن أيوب ساقه الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية
المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله والتفتت الى
غانم وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب ايها الشاب المبارك من جاء بى الى هذا المكان
فها انا قد أفقت فقال يا سيدتى ثلاثة عبيد خصيون اتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع
ما جرى وكيف امسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها
وخبرها فقالت له ايها الشاب الحمد لله الذى رمانى عند مثلك فقم الآن وحطنى فى الصندوق واخرج الى
الطريق فاذا وجدت مكاريا او بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلنى الى بيتك فاذا صرت فى دارك
يكون خيرا وأحكى لك حكايتى واخبرك بقصتى ويحصل لك الخير من جهتى ففرح وخرج الى البرية وقد
شعشع النهار وطلعت الشمس بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل وأتى به الى التربة
فحمل الصندوق بعدما حط فيه الصبية ووقعت محبتها فى قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوى

عشرة آلاف دينار وعليها حلي وحلل تساوي مالا جزيلا وما صدق ان يصل الى داره وانزل الصندوق وفتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للاربعين) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غانم بن ايوب وصل الى داره بالصندوق وفتحه واخرج الصبية منه ونظرت فرات هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط الملونة والالوان المفرحة وغير ذلك ورات قماشا محزوما واحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب اموال ثم انها كشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما راته احبته وقالت له هات لنا شيئا نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة وأخذ معه نقلا وشمعا وأخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر من آلة المشموم وأتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا الى ان أقبل الليل وقد أحب بعضهما بعضا لانهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأوقد الشموع والقناديل فأضاء المكان وأحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وكان يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل منهما في موضعه الى أن أصبح الصباح فقام غانم بن أيوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت أعينهما واشتاقت نفس غانم ابن أيوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياسيدتي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت ياغانم اصبر حتى أسكر وأغيب وأسمح لك سرا بحيث لم أشعر انك قبلتني ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال ياسيدتي أما تسمحين لي بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فأنشد هذه الابيات

سألت من أمرضني * في قبلة تشفي السقم * فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم
فقال خذها بالرضا * من الحلال وابتسم * فقلت غصبا قال لا * الا على رأس علم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم * فظن ماشئت بنا * فالحب يحلو بالتهم
ولا أبالي بعد ذا * ان باح يوما أو كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تمتنع منه وتقول مالك وصول الي ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق في بحر الهيام وأما هي فانها قد ازدادت قسوة وامتناعا الى أن دخل الليل بالظلام وأرخى عليها ذيل المنام فقام غانم وأشعل القناديل وأوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال ياسيدتي ارحمي أسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلا فقالت له والله ياسيدي ونور عيني أنا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن أنا أعرف أنك لا تصل الي فقال لها وما المانع فقالت له سأحكي لك في هذه الليلة قصتي حتى تقبل عذري ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيدها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على

ذلك الحال وهما فى كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما الى أن كانت ليلة من الليالى وهو راقد معها والاثنان سكرانان فدّ يده على جسدها ولمس ثم مرّ بيده على بطنها ونزل الى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطا فنامت ثانيا فلمس عليها بيده ونزل بها الى سروالها وتكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذى تريد قال أريد أن أنام معك وأتصافى أنا وأنت فعند ذلك قالت له أنا الآن أوضح لك أمرى حتى تعرف قدرى وينكشف لك سرى ويظهر لك عذرى قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت يا سيدى اقرأ الذى على هذا الطرف فأخذ طرف التكة فى يده ونظره فوجده مرقوما عليه بالذهب أنا لك وأنت لى يا ابن عم النبى فلما قرأه نثر يده وقال لها اكشفى لى عن خبرك قالت نعم اعلم اننى محظية أمير المؤمنين واسمى قوت القلوب وان أمير المؤمنين لما ربانى فى قصره وكبرت نظر الى صفاتى وما أعطانى ربى من الحسن والجمال فأحبنى محبة زائدة وأخذنى وأسكننى فى مقصورة وأمر لى بعشر جوار يخدمننى ثم انه أعطانى ذلك المصاغ الذى تراه معى ثم ان الخليفة سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض الجوارى التى فى خدمتى وقالت اذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطى هذه القطعة البنج فى أنفها أو فى شرابها ولك علىّ من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية أخذت البنج منها وهى فرحانة لأجل المال ولكونها كانت فى الاصل جاريتها فجاءت الىّ ووضعت البنج فى جوفى فوقعت على الارض وصارت رأسى عند رجلى ورأيت نفسى فى دنيا أخرى ولما تمت حيلتها حطتنى فى ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سرا وأنعمت عليهم وعلى البوابين وأرسلتنى مع العبيد فى الليلة التى كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معى ما رأيت وكانت نجاتى على يديك وانت اتيت بى الى هذا المكان وأحسنت الى غاية الاحسان وهذه قصتى وما اعرف الذى جرى للخليفة فى غيبتى فاعرف قدرى ولا تشهر امرى فلما سمع غانم بن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده فى ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر فى امره وصار متحيرا فى عشق التى ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وماله من العدوان فسبحان من شغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الانذال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين

قلب المحب على الاحباب متعوب * وعقله مع بديع الحسن منهوب
وقائل قال لى ما الحب قلت له * الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه فى قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يتمنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان فى بحر محبة بعضهما الى ان طلع النهار فقام غانم ولبس اثوابه وخرج الى السوق على عادته واخذ ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكى فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له اوحشتنى يا محبوب قلبى والله ان هذه الساعة التى غبتها عنى كسنة فانى لا اقدر على فراقك وها انا قد بينت لك حالى من شدة ولعى بك فقم بنا الآن ودع ما كان واقض أربك منى قال اعوذ بالله ان هذا شئ لا يكون كيف يجلس الكلب فى موضع السبع والذى لمولاى يحرم علىّ ان اقربه ثم جذب نفسه منها وجلس فى ناحية وزادت هى محبة بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح

بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الابيات

قلب المتيم كاد ان يتفتتا * فالى متى هذا الصدود الى متى
يا معرضا عنى بغير جناية * فعوائد الغزلان ان تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة * ما كل هذا الامر يحمله الفتى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هى لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش فى مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثانى فقال لها هذا لى والآخر لك ومن الليلة لا ننام الا على هذا النمط وكل شىء للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدى دعنا من هذا وكل شىء يجرى بقضاء وقدر فأبى فانطلقت النار فى قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما ننام الا سوا فقال معاذ الله وغلب عليها ونام وحده الى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وهى كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن أيوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الابيات

بديع الحسن كم هذا التجنى * ومن أغراك بالاعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى * وحزت من الملاحة كل فن
وأجريت الغرام لكل قلب * ووكلت السهاد بكل جفن
وأعرف قبلك الاغصان تجنى * فيا غصن الاراك أراك تجنى
وعهدى بالظبا صيد افمالى * أراك تصيد أرباب المجن
وأعجب ما أحدث عنك أنى * فتنت وأنت لم تعلم بأنى
فلا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى
ولست بقائل ما دمت حيا * بديع الحسن كم هذا التجنى

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم بن ايوب ﴿وأما﴾ ما كان من أمر زبيدة فانها فى غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الامر ثم صارت متحيرة تقول فى نفسها ماذا أقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابى له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها على سرها وقالت لها كيف أفعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمى يا سيدتى أنه قرب مجىء الخليفة ولكن أرسلى الى نجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا له قبرا وتوقد حوله الشموع والقناديل وأمرى كل من فى القصر أن يلبسوا الاسود وأمرى جواريك والخدام اذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيعوا الحزن فى الدهاليز فاذا دخل وسأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت ويعظم الله أجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها فى قصرها فاذا سمع ذلك يبكى ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها القراءة الختمات فان قال فى نفسه ان بنت عمى زبيدة من غيرتها سعت فى هلاك قوت القلوب أو غلب عليه الهيام فأمر باخراجها من القبر فلا تفزعى من ذلك ولو حفروا على تلك الصورة التى على هيئة ابن آدم وأخرجوها وهى مكفنة بالاكفان الفاخرة فان أراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه أنت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ أنها ماتت ويردها الى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين ان شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها ورأت انه صواب خلعت عليها خلعة وأمرتها أن تفعل ذلك بعد ما أعطتها جملة

من المال فشرعت العجوز فى ذلك الامر حالا وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى السيدة زبيدة فكفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وأمرت الجوارى أن يلبسن السواد واشتهر الامر فى القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته وطلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجوارى كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة الاسود فسأل عن ذلك فأخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما افاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا أمير المؤمنين أننى من معزتها عندى دفنتها فى قصرى فدخل الخليفة بثياب السفر الى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقدة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم انه صار حائرا فى أمره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر واخراجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة أمر فى الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وقرؤا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكى الى أن غشى عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والاربعون) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق أن الخليفة دخل الحريم بعد انفضاض الامراء والوزراء من بين يديه الى بيوتهم ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد ان غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه وسمع الجارية التى عند رأسه تقول للتى عند رجليه ويلك ياخيزران قالت لها لأى شئ ياقضيب قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى انه يسهر على قبر لم يكن فيه الا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الأخرى وقوت القلوب اى شئ أصابها فقالت اعلمى ان السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجا وبنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها فى صندوق وارسلتها مع صواب وكافور وأمرتهما أن يرمياها فى التربة فقالت خيزران ويلك ياقضيب هل السيدة قوت القلوب لم تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن انا سمعت السيدة زبيدة تقول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقى وان لها عنده بهذا اليوم أربعة أشهر وسيدنا هذا يبكى ويسهر الليالى على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور وأن قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضبا شديدا وقام وأحضر أمراء دولته فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكى وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل ياجعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن أيوب واهجموا على داره وائتونى بجاريتى قوت القلوب ولا بدلى أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو وأتباعه والوالى صحبته ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى دار غانم وكان غانم خرج فى ذلك الوقت وجاء بقدر لحم وأراد أن يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء أحاط بالدار والوزير والوالى والظلمة والمماليك بسيوف مجردة وداروا به كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت أن خبرها وصل الى الخليفة سيدها فأيقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم انها نظرت الى غانم وقالت له ياحبيبى فز بنفسك فقال لها كيف اعمل وابن اذهب ومالى ورزقى فى هذه الدار فقالت له لاتمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها ياحبيبتى ونور عينى كيف أصنع فى الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لاتخف ثم انها نزعت ماعليه من الثياب

وألبسته خلقانا بالية وأخذت القدر التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له اخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فأنا أعرف أي شئ في يدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدر وستر عليه الستار ونجا من المكايد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له ياسيدي جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله ياسيدتي انه ما اوصاني الا بقبض غانم بن ايوب فقالت اعلم انه حزم تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بغير ذلك واريد أن تحفظ لي هذا الصندوق وتحمله الى قصر امير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم اخذ الصندوق وامر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد ان نهبوا دار غانم ثم توجهوا الى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم واسكنها فيه والزم بها عجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانما فحش بها ثم كتب مكتوبا للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب الى يديك تقبض على غانم بن ايوب وترسله الي فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من اراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب فجاؤا الى الدار فوجدوا أم غانم وأخته قد صنعتا لهما قبرا وقعدتا عنده تبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما ما الخبر فلما احضروهما عند السلطان سألهما عن غانم بن أيوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما الى مكانهما هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر غانم بن ايوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته تحير في امره وصار يبكي على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائرا الى آخر النهار وقد ازداد به الجوع واضر به المشي حتى وصل الى بلد فدخل المسجد وجلس على برش واسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل وصارت رائحته منتنة وتغيرت احواله فأتى اهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردان جائعا فألبسوه ثوبا عتيقا قد بليت أكمامه وقالوا له من أين انت ياغريب وما سبب ضعفك ففتح عينيه ونظر اليهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا ثم ان بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بسكرجة عسل ورغيفين فأكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا لأشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرا وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم في امره ثم اتفقوا على ان يوصلوه الى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما امه واخته فلما رآهما اعطاهما الخبز الذي عند راسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم اتاه اهل القرية واحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فأنزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الاجر فقال لهم السمع والطاعة ثم انهم اخرجوا غانم بن ايوب من المسجد وحملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت امه واخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرتا اليه وتأملتاه وقالتا انه يشبه غانما ابننا فيا ترى هل هو هذا الضعيف أو لا وأما غانم فانه لم يفق الا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكي وينوح واهل القرية ينظرون وأمه واخته يبكيان عليه ولم يعرفانه ثم سافرت أمه واخته

الى ان وصلنا الى بغداد   واما الجمال فانه لم يزل سائرا به حتى انزله على باب المارستان واخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدا هناك الى الصباح فلما درجت الناس فى الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال أنا اكتسب الجنة بهذا المسكين لانهم متى ادخلوه المارستان قتلوه فى يوم واحد ثم امر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الراس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه والبسته ثوبا من لبس جواريها واسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فأفاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب   هذا ما كان من أمره (واما) ما كان من أمر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثانية والاربعون * قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة وأسكنها فى مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق أن الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من انشادها قالت يا حبيبى يا غانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد احسنت لمن أساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى أهلك ولابد أن تقف أنت وامير المؤمنين بين يدى حاكم عادل وتنتصف عليه فى يوم يكون القاضى هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم أنها مظلومة فدخل قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهى باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب أراك تتظلمين منى وتنسبيننى الى الظلم وتزعمين أنى أسأت الى من أحسن الى " فمن هو الذى حفظ حرمتى وانتهكت حرمته وستر حريمى وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فانه لم يقربنى بفاحشة وحق نعمتك يا امير المؤمنين فقال الخليفة لا حول ولا قوة الا بالله يا قوت القلوب تمنى على " فأنا أبلغك مرادك فقالت تمنيت عليك محبوبى غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال احضره ان شاء الله مكرما فقالت يا أمير المؤمنين ان احضرته أتهبنى له فقال ان أحضرته وهبتك له هبة كريم لا يرجع فى اعطائه فقالت يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أدور عليه لعل الله يجمعنى به فقال لها افعلى ما بدا لك ففرحت وخرجت ومعها ألف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثانى يوم الى سوق التجار واعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء ثم طلعت ثانى جمعة ومعها ألف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية وطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له الف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك ان تذهبى الى دارى وتنظرى الى هذا الشاب الغريب ما اظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن أنه رجل مسكين مديون سلبت نعمته أو عاشق فارق أحبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به أحشاؤها فقالت له ارسل معى من يوصلنى الى دارك فأرسل معها صبيا صغيرا فأوصلها الى الدار التى فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب اين الضعيف الذى عندكم فبكت وقالت هاهو ياسيدتى الا انه ابن ناس وعليه اثر النعمة فالتفتت الى الفرش الذى هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق الى أن صار كالخلال وانبهم عليها أمره فلم تتحقق انه هو ولكن اخذتها الشفقة عليه فصارت تبكى وتقول ان الغرباء مساكين وان كانوا أمراء فى بلادهم

ورتبت

ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عنده رأسه ساعة وركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع فى كل سوق لأجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد اتى بأمه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال ياسيدة المحسنات قد دخل مدينتنا فى هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما اثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة فى رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها أنا اتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن ذل السؤال لانهما ليستا اهلا لسؤال اللئام وان شاء الله ندخل بسببهما الجنة فقالت والله ياسيدى لقد شوقتنى اليهما وأين هما فأمرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة ويلوح عليهما اثر الغنى فقال العريف ياسيدتى انما نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم واخربوا ديارهم ثم ان المرأتين بكتا بكاء شديدا وتفكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب فزاد نحيبهما فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم ان أمه قالت نسأل الله أن يجمعنا بمن نريده وهو ولدى غانم بن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها وان الاخرى اخته فبكت حتى غشى عليها فلما أفاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا ＊ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

＊ فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون ＊ قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم امرت العريف أن يأخذهما الى بيته ويخلى زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام وأعطته جملة من المال وفى ثانى يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد أدخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذى عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت هى وزوجة العريف وأم غانم وأخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن أيوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم ياحبيبى فقال لها اقربى منى فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم المسلوب فقال لها نعم انا هو فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذى جمع شملنا بك وبأمك وأختك وتقدمت اليه وحكت له جميع ما جرى لها مع الخليفة وقالت انى قلت له قد أظهرت لك الحق ياامير المؤمنين فصدق كلامى ورضى عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم قالت لغانم ان الخليفة وهبنى لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى أحضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذى أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف اياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد أن خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب واقامت عندهم ثلاثة ايام وهى تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر

وبعد الثلاثة أيام ردت لهم أرواحهم وأدخلتهم الحمام ثانيا فخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم فى بيت العريف وذهبت الى الخليفة وقبلت الارض بين يديه وأعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب وان أمه وأخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علىّ بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له ان الخليفة قد أرسل اليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام والبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير بكثرة وقالت له أكثر البذل الى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه واذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فأخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أمير المؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الاشارة فأطرق برأسه الى الارض ثم نظر الى الخليفة وأنشد هذه الابيات

أفديك من ملك عظيم الشان * متتابع الحسنات والاحسان
متوقد العزمات فياض الندى * حدث عن الطوفان والنيران
لا يلجون بغيره من قيصر * فى ذا المقام وصاحب الايوان
تضع الملوك على ثرى أعتابه * عند السلام جواهر التيجان
حتى اذا شخصت له أبصارهم * خرّوا لهيبته على الاذقان
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضا * رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافى والفلا * فاضرب خيامك فى ذرى كيوان
واقرى الكواكب بالمواكب محسنا * لشريف ذاك العالم الروحانى
وملكت شامخة الصياصى عنوة * من حسن تدبير وثبت جنان
ونشرت عدلك فى البسيطة كلها * حتى استوى القاصى بها والدانى

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه وأعجبته فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان غانم بن أيوب لما أعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن منى فدنا منه ثم قال له اشرح لى قصتك وأطلعنى على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدا الى المنتهى وليس فى الاعادة افادة فلما علم الخليفة انه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال له أبرئ ذمتى فأبرأ ذمته وقال له يا أمير المؤمنين ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم أمر أن يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيأ كثيرا فنقل أمه وأخته اليه وسمع الخليفة بأن أخته فتنة فى الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم انها جاريتك وأنا مملوكك فشكره وأعطاه مائة ألف دينار وأتى بالقاضى والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم فى نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم بن أيوب على قوت القلوب فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ما جرى لغانم من أوله الى آخره وأن يدون فى السجلات لاجل أن يطلع عليه من يأتى بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار وليس هذا بأعجب من حكاية الملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم

﴿حكاية

﴿حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه أحد فى مضمار واذا غضب يخرج من مناخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الاقطار ونفذ حكمه فى سائر القرى والامصار وأطاع الله له جميع العباد ووصلت عساكره الى أقصى البلاد ودخل فى حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما فى الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسله الى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الاخبار فرجعوا وأخبروه بأن سائر الناس أذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والامان لانه كان عظيم الشان وحملت اليه الهدايا من كل مكان وجبى اليه خراج الارض فى طولها والعرض وكان له ولد وقد سماه شركان لانه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وأباد الاقران فأحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد وأوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة أطاع الله له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له أربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من احداهن والباقى عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام السنة القبطية وتلك السرارى من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهم مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل فى كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة وأسكن تلك الجوارى فى هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيتها عندها وما يأتيها الى بعد سنة كاملة فأقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر فى سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد واتفق بالامر المقدر أن جارية من جوارى عمر النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ذريتى ونسلى تكون كلها ذكورا فأرخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر ﴾ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان لما علم أن جارية أبيه قد حملت اغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءنى من ينازعنى فى المملكة فأضمر فى نفسه أن هذه الجارية ان ولدت ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك فى نفسه هذا ما كان من أمر شركان ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وأرسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت أحسن الجوارى وأجملهن وجها وأصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له أيها الملك كنت أشتهى من اله السماء ان يرزقك منى ولدا ذكرا حتى أحسن تربيته لك وأبالغ فى أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت أشهرها فجلست على كرسى الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلى وتدعو الله أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر أو أنثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدته بنتا بوجه أبهى من القمر فأعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك

وأخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل أمهلوا على ساعة فانى أحس بأن أحشائى فيها شيء آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين أزهر وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدام والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد أطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجوارى بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر الى المولود ثم انحنى اليه وقبله وضربت الجوارى بالدفوف ولعبت بالآلات وأمر الملك ان يسموا المولود ضوء المكان وأخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره وأجابوا بالسمع والطاعة وأفرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت أهل دمشق بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة وأظهرت الفرح والسرور وأقبلت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى اكرامهم من الانعام وأحسن الى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة الى أن مضى أربعة أعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية وأولادها وبعد الاربعة أعوام أمر أن ينقل اليها من المصاغ والحلى والحلل والاموال الشيء الكثير وأوصاهم بتربيتهما وحسن ادبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم أن والده عمر النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم أنه رزق سوى نزهة الزمان وأخفوا عليه خبر ضوء المكان الى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يوما من الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان أذن لهم الملك بذلك ندخلهم والا فلا مرد لامره فعند ذلك أمر لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم وأقبل اليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم ان الذى أرسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك أنه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب فى ذلك أن بعض ملوك العرب اتفق انه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان من عهد اسكندر فنقل منه أموالا لا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وتلك الخرزات من أعلى الجوهر الابيض الخالص الذى لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليونانى أمور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن أن كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه ألم ما دامت الخرزة معلقة عليه ولا يحم ولا يسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما فيها من الاسرار أرسل الى الملك أفريدون هدايا من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحدة فيها مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه أنه لا أحد يقدر أن يتعدى على مراكبه لكونه ملك العرب لاسيما وطريق المراكب التى فيها الهدايا فى البحر الذى فى مملكة القسطنطينية وهى متوجهة اليه وليس فى سواحل ذلك البحر الا رعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى أن قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فأخذوا جميع ما فى المركبين من التحف والمال والذخائر والثلاث

خرزات

خزنات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكها فأرسل اليهم عسكرا فهزموه فأرسل اليهم عسكرا أقوى من الاول فهزموه أيضا فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وأنه لا يرجع عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك ارضها وجميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل اليك ملكنا معنا شيأ من أنواع الهدايا ويرجو من انعامك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يدي الملك عمر النعمان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة والاربعون) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن رسل ملك القسطنطينية قبلوا الارض بين يدي الملك عمر النعمان بعد ان حكوا له ثم اعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوي ألف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدي الملك عمر النعمان وقال أيها الملك ما في الامر أحسن من انك تجهز عسكرا جرارا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأي احسن لوجهين الاول أن ملك الروم قد استجار بك وأرسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني أن العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك في سائر الاقطار والبلاد ولا سيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا الكلام من وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي أن تكون أنت في مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم ان الملك أمر باحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الاهبة والتجهيز للسفر وأنه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وأمره أن ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وأخرج مالا عظيما وأنفق عليهم المال وقال لهم قد امهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره ثم خرجوا من عنده وأخذوا في الاهبة واصلاح الشأن ثم ان شركان دخل خزائن السلاح وأخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وأخذ غير ذلك وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه واهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه واجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى أن دخل المدينة ثم ان شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى أن ولى النهار واقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم أشرفوا في اليوم الحادي والعشرين على واد

واسع الجهات كثير الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادى ليلا فأمرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل افريدون صاحب القسطنطينية فى وسط ذلك الوادى واما الملك شركان فانه كان فى وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا فى جوانب الوادى ثم انه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادى ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم فى أول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد ان أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده فى جوانب الوادى الى ان مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر ان يركض الجواد وكان له عادة انه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به فى بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره فى الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر وأضاء فى الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه فى ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحش متحير لا يدرى أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كأنه من مروج الجنة فسمع كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبى عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده فى الاشجار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجرى وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربى وهى تقول وحق المسيح ان هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشى الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا بنهر يسبح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعانى الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بأنواع النبات كما قيل فى أوصاف مثله هذان البيتان

ما تحسن الارض الا عند زهرتها * والماء من فوقها يجرى بارسال
صنع الاله العظيم الشان مقتدرا * معطى العطايا ومعطى كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة فى الهواء فى ضوء القمر وفى وسطها نهر يجرى الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كانهن الاقمار وعليهن من أنواع الحلى والحلل ما يدهش الابصار وكلهن أبكار بديعات كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيـ * ـه من البيض العوالى * زاد حسنا وجمالا
من بديعات الخلال * كل هيفاء قواما * ذات غنج ودلال
راخيات لشعور * كعناقيد الدوالى * فاتنات بعيون
راميات بالنبال * مائسات قاتلات * لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مزجج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة فى الذات والصفات كما قال الشاعر فى مثلها هذه الابيات

تزهو على بألحاظ بديعات * وقدها مخجل للسمهريات
تبدو الينا وخداها موردة * فيها من الظرف أنواع الملاحات
كأن طرتها فى نور طلعتها * ليل يلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهى تقول للجوارى تقدموا حتى أصارعكم قبل ان يغيب القمر ويأتى الصباح فصارت كل واحدة

واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتمسكها فى ازنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهى كالمغضبة عليها يا فاجرة أتفرحين بصرعك للجوارى فها أنا عجوز وقد صرعتهن أربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتى فصارعينى فان أردت ذلك وقمت لمصارعتى أقوم لك وأجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها يا سيدتى ذات الدواهى بحق المسيح اتصارعينى حقيقة أو تمزحين معى قالت لها بل أصارعك حقيقة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والأربعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومى للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك الا وأنا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز أخذت منديل حرير بعد ان فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلى كفعلى كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل فى تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلى رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله أن الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال فى شقتها ويدها اليمين فى رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبانت شعرتها فى القمر ثم ضرطت ضرطتين عفرت احداهما فى الارض ودخنت الاخرى فى السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال فى نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهى ثم تقرب منهما ليسمع ما يجرى بينهما فأقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها يا سيدتى ذات الدواهى ما أردت الا صرعك لا جميع ما حصل لك ولكن أنت انفلت من بين يدى فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشى من خجلها ولم تزل ماشية الى أن غابت عن البصر وصارت الجوارى مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان فى نفسه لكل رزق سبب ما غلب على النوم وسار بى الجواد الى هذا المكان الا لبختى فلعل هذه الجارية وما معها تكون غنيمة لى ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح الله أكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه ستة أذرع ووثبت فصارت على جانبه الآخر ثم قامت على رجليها ونادت برفيع صوتها من أنت يا هذا الذى قطعت سرورنا وحين جردت حسامك صرت كأنك قد حملت فى عساكر من أين أنت والى أين تذهب فاصدق فى مقالك فان الصدق أنفع لك ولا تكذب فان الكذب من أخلاق اللئام ولا شك انك تهت فى هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذى خلاصك فيه أكبر الغنيمات واعلم أنك فى مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا أربعة

آلاف بطريق فقـال لناما الذى تريد فان أردت أن نرشـدك الى الطريق أرشـدناك وان أردت الرفد
أرفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها أنا رجل غريب من المسلمين وقدسرت فى هـذه الليـلة منفردا
بنفسى أطلب غنيمة أغتنمها فلم أجـد غنيمة أحسن من هؤلاء الجوارى العشرة فى هـذه الليـلة المقمرة
فآخذهم وأرجـع بهم الى أصحابى فقالت له الجارية اعـلم أن الغنيمة ماوصلت اليها والجوارى والله ماهن
غنيمتك أماقلت لك ان الـكذب شين فقال لها ان السعيد الذى يكتفى بالله عن غيره فقالت له وحق المسيح
لولا انى أخاف أن يكون هـلاكك على يدى لـكنت صحت صيحة ملأت عليك الارض خيلا ورجالا ولـكن
أنا أشفق على الغـريب وان أردت الغنيمة فأنا أطلب منـك أن تنزل عن جوادك وتحلف لى بدينـك أنك
لا تقرب الىّ بشئ من السلاح وأتصارع أنا وأنت فان صرعتنى فضعنى على جوادك وخـذنا كلنا غنيمة
وان صرعتك أتحكم فيك فاحلف لى فانى أخاف من غدرك وقدورد فى الاخبار اذا كان الغـدر طباعا
فان الثقة بكل أحد عجز فان حلفت لى عديت اليك وأتيتك وجئت عنـدك فطمع شركان فى أخذها وقال
فى نفسه انها لم تعرف انى بطل من الابطال ثم ناداها وقال لها حلفينى بما تثقين به انى لا أقرب بشئ حتى
تأخـذى أهبتك وتقولى ادن منى لأصارعك فحينئذ أتقرب منك فان صرعتنى فان لى من المال ما اشترى
به نفسى وان صرعتـك أنا فهى الغنيمـة الـكبرى فقالت الجارية أنا رضيت بذلك فتحير شركان فى ذلك
وقال وحق النبى صلى الله عليه وسلم رضيت أنا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح فى الاجساد
وشرع لنا الشرائع فحلف لها بما وثقت به من الايمان فرضيت بذلك ثم انها وثبت فصارت فى الجانب
الآخر من جانبى النهر وقالت لشركان وهى تضحـك يعـز علىّ فراقك يامولاى اذهب الى أصحابك قبـل
الصباح لئلا يأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت مافيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع
الرجال الفرسان فتحير شركان فى نفسه وقال لها وقدولت عنه معرضة تقصـد الدير ياسـيدتى أتذهـبين
وتتركين المتيم الغريب المسكين الـكسير القلب فالتفتت اليـه وهى تضحك ثم قالت له ما حاجتـك فانى
أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجـع بلا أكل من طعامك وقدصرت
من بعض خدمك فقالت لا يأبى الـكرامة الا لئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر
على جانب النهـر مقابلى فأنت فى ضيافتى ففرح شركان وبادر الى جواده وركب ومازال ماشـيا مقابلها
وهى سائرة قبالته الى أن وصل الى جسر معمول بأخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاذ عليها
أقفال فى كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجوارى اللاتى كن معها فى المصارعـة قائمات
ينظرن اليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومى اليه وامسكى عنان جواده
ثم سيرى به الى الدير فسار شركان وهى قدامه الى أن عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال فى نفسه
ياليت الوزير دندان كان معى فى هـذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجوارى الحسان ثم التفت الى تلك
الجارية وقال لها يابديعة الجمال قدصار لى عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة مسيرى الى منزلك
وقبول ضيافتك وقدصرت تحت حكمك وفى عهدك فلو أنك تنعمين علىّ بالمسير الى بلاد الاسلام
وتتفرجين على كل أسد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح
لقد كنت عندى ذا عقل ورأى ولـكنى اطلعت الآن على ما فى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتـكلم
بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف أصنع هذا وأنا أعلم متى حصلت عنـد ملككم عمر النعمان لا أخلص
منه لانه مافى قصوره مثلى ولو كان صاحب بغـداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصرا فى كل قصر ثلثمائة

وستون

وستون جارية على عدد أيام السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عندهما تركنى لان اعتقادكم انه يحل لكم التمتع بمثلى كما فى كتبكم حيث قيل فيها أو ماملكت أيمانكم فكيف تكلمنى بهذا الكلام واما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فانى رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما اقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فانا لا أصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما أفعل ذلك لاجل الفخر ومثلك مايقول لمثلى ذلك ولو كنت شركان ابن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا الزمان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفت عدتهم وانهم عشرة آلاف فارس وعرفت أن والدى أرسلهم معى لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان ياسيدتى أقسمت عليك بما تعتقدين من دينك أن تحدثينى بسبب ذلك حتى يظهر لى الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينى لولا أنى خفت أن يشيع خبرى من أنى من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسى وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان على من ذلك عار ولكننى قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست اصف لك نفسى بالشجاعة مع انك رأيت منى العلامة والصناعة والقوة فى الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن واعترف بالعجز وانى أسأل المسيح أن يرميه بين يدى فى هذا الدير حتى أخرج له فى صفة الرجال وآسره واجعله فى الاغلال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فانشد هذا البيت

واذا المليح أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو فى أثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالامواج فى البحر الرجراج فانشد هذه الابيات

فى وجهها شافع يمحو اساءتها * من القلوب وجيه حيثما شفعا
اذا تأملتها ناديت من عجب * البدر فى ليلة الاكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها * مع فرط قوته فى ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن أمامها وشركان وراءها الى أن وصلوا الى الدير فوجد بداثر ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بأنواع الرخام المجزع وفى وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يامولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم انهم قدموا اليه من غرائب الالوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدموا اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لايعلم ماجرى لهم بعده ويتذكر أيضا كيف

نسي وصية أبيه فصار متحيرا فى أمره نادما على مافعل الى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على مافعل وصار مستغرقا فى الفكر وأنشد هذه الابيات

لم أعدم الحزم ولكننى * دهيت فى الامر فما حيلتى
لو كان من يكشف عنى الهوى * برئت من حولى ومن قوتى
وان قلبى فى ضلال الهوى * صب وأرجو الله فى شدتى

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فاذا هو بأكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكى وفى وسطها زنار مرصع بأنواع الجواهر وقد ضم خصرها وابرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهداها كحقى رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح ونسى عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بأنواع الجواهر والجوارى عن يمينها ويسارها يرفعن أذيالها وهى تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وأنشد هذه الابيات

ثقيلة الارداف مائلة * خرعوبة ناعمة النهد
تكتمت ماعندها من جوى * ولست أكتم الذى عندى
خدامها يمشين من خلفها * كالقيل فى حل وفى عقد

ثم ان الجارية جعلت تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى أن تحققته وعرفته فقالت له بعد أن أقبلت عليه قد أشرق بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك ياهمام بعدما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار ولاسيما عند أكابر الملوك وأنت شركان بن عمر النعمان فلا تنكر نفسك وحسبك ولا تكتم أمرك عنى ولا تسمعنى بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الانكار فأخبرها بالصدق وقال لها انا شركان بن عمر النعمان الذى عذبنى الزمان وأوقعنى فى هذا المكان فمهما شئت فافعليه الآن فأطرقت برأسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفى وصار بيننا وبينك خبز وملح وحديث ومؤانسة فأنت فى ذمتى وفى عهدى فكن آمنا وحق المسيح لو أراد أهل الارض أن يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحى من أجلك فأنت فى أمان المسيح وأمانى وجلست الى جانبه فصارت تلاعبه الى أن زال ما عنده من الخوف وعلم أنها لو كان لها أرب فى قتله لقتلته فى الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة ثم رجعت اليها ومعها آلة مدام ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال فى نفسه ربما وضعت شيأ فى ذلك الطعام فعرفت مافى ضميره فالتفتت اليه وقالت وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شئ من الذى تتوهمه ولو كان خاطرى فى قتلك لقتلتك فى هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه الى أن اكتفيا وبعد ان غسلا أيديهما قامت وأمرت جارية أن تأتى بالرياحين وآلات الشراب من أوانى الذهب والفضة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والانواع النفيسة فأتتها بجميع ماطلبته ثم ان الجارية ملأت أول قدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا وأعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف أنت فى ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه الى أن غاب عن رشده * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية مازالت تشرب وتسقي شركان الى أن غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت الجارية يامرجانة هات لنا شيأ من آلات الطرب فقالت سمعا وطاعة ثم غابت لحظة وأتت بعود جلقي وجنك عجمي وناي تتري وقانون مصري فأخذت الجارية العود وأصلحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم أرق من النسيم وأعذب من ماء التسنيم وأنشدت مطربة بهذه الابيات

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما * وكم فوقت منك اللواحظ أسهما
أجل حبيبا جائرا في حبيبه * حرام عليه أن يرق ويرحما
هنيأ لطرف فيك مسهدا * وطوبى لقلب ظل فيك متيما
تحكمت في قتلي فانك مالكي * بروحي أفدي الحاكم المتحكما

ثم قامت واحدة من الجواري ومعها آلتها وأنشدت عليها أبياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن أيضا وقالت يامسلم أمافهمت ماأقول قال لا ولكن ماطربت الا على حسن أناملك فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت أتمالك عقلي فأخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وأنشدت هذه الابيات

طعم التفرق مر * فهل لذلك صبر * تعرضت لي ثلاث
صد وبين وهجر * أهوى ظريفا سباني * بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم ان الجارية أقبلت هي وشركان على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو الى أن ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في رعاية الله وحفظه فلما أصبح الصباح أقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما اقترب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمغاني الى أن وصل الى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجدوا دارا كبيرة أيضا وفي صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير وبدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على أشجار وأنهار وفي البيت صور مجسمة يدخل فيها الهوا فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه وأخذت بيده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيأ من الاشعار فقالت أسمعني فأنشد هذه الأبيات

لا لا أبوح بحب عزة انها * أخذت علي مواثقا وعهودا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر الفصاحة بارع البلاغة لانه بالغ في وصفه لعزة حيث قال وأنشدت هذين البيتين

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الي بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيأ من كلام جميل فأنشدنا منه قال اني أعرف به من كل احد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت

تريدين قتلى لاتريدين غيره * ولست أرى قصدا سواك أريد

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت يا ابن الملك ما الذى أرادته عزة بجميل حتى قال هذا الشطر أى تريدين قتلى لاتريدين غيره * فقال لها شركان يا سيدتى لقد أرادت به ماتريدين منى ولايرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان فى مرقد الى أن أصبح الصبح فلما أفاق أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له تفضل فان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجوارى حوله يضربن بالدفوف والآلات الى أن خرج من تلك الدار ودخل دارا غيرها اعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فأنشد هذه الابيات

أجنى رقيبى من ثمار قلائد * درّ النحور منضدا بالعسجد * وعيون ماء من سبائك فضة
وخدود ورد فى وجوه زبرجد * فكأنما لون البنفسج قد حكى * زرق العيون وكحلت بالاثمد

فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت يده وأجلسته الى جانبها وقالت له أنت ابن الملك عمر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكونى كما قال الشاعر

أقول والوجد يطوينى وينشرنى * ونهلة من رضاب الحب تروينى
حضرت شطرنج من أهوى فلاعبنى * بالبيض والسود لكن ليس يرضينى
كأنما الشاه عند الرخ موضعه * وقد تفقد دستا بالفرازين
فان نظرت الى معنى لواحظها * فان الحاظها ياقوم ترديني

ثم قدمت له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما اراد أن ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فانت لاتعرف شيأ فقال هذا أول دست لاتحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ثم التفتت اليه وقالت له أنت فى كل شئ مغلوب فقال يا سيدتى مع مثلك يحسن أن أكون مغلوبا ثم أمرت باحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما وأمرت باحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القانون وكان لها بضرب القانون معرفة جيدة فأنشدت هذه الابيات

الدهر مابين مطوى ومبسوط * ومثله مثل مجرور ومخروط
فاشرب على حسنه ان كنت مقتدرا * أن لاتفارقنى فى وجه تفريط

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى أن دخل الليل فكان ذلك اليوم احسن من اليوم الذى قبله فلما أقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها وانصرف شركان الى موضعه فنام الى الصباح ثم اقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب وأخذنه على العادة الى أن وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسكته من يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين

لاتركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق * الشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالا وشبانا مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا ياشركان فأيقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال فى نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتنى وامهلتنى الى أن جاءت رجالها وهم البطارقة

الذين

الذين خوفتنى بهم ولكن أنا الذى جنيت على نفسى وألقيتها فى الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهى تقول لهم من أنتم فقال لها البطريق المقدم عليهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذى عندك من هو وقالت له لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان ابن الملك عمر النعمان هذا الذى فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهى وتحقق ذلك والدك ملك نقلا عن العجوز وها أنت قد نصرت عسكر الروم بأخذ هذا الاسد المشؤم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمى ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشردة بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت على بغير اذنى فقال لها يا مولاتى انى لما وصلت الى الباب ما منعنى حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين ايدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء أحد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذى هو شرارة جمرة عسكر الاسلام لاجل أن يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذى جاؤا منه من غير أن يحصل لنا تعب فى قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهى فانها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح ان الذى عندى ما هو شركان ولا أسرته ولكنه رجل أتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فأضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا أنه هو من غير شك فلا يليق بمروأتى أنى أمكنكم منه لانه دخل تحت عهدى وذمتى فلا تخونونى فى ضيفى ولا تفضحونى بين الانام بل ارجع أنت الى الملك أبى وقبل الارض بين يديه وأخبره بأن الامر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهى فقال البطريق ماسورة يا ابريزة أنا ما أقدر أن أعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك ما يخصك بهذا الكلام ارجع أنت اليه بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ماسورة لا أعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه أنه يحمل على مائة فارس وحده ولو قلت له أنت شركان بن عمر النعمان يقول نعم ولكن لا يمكنكم أن تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يرجع عنكم الا ان قتل جميع من كان فى هذا المكان وها هو عندى وها أنا أحضره بين أيديكم وسيفه وترسه معه فقال لها البطريق ماسورة أنا اذا أمنت من غضبك لم آمن من غضب أبيك وانى اذا رأيته أشير الى البطارقة فانهم يأخذونه أسيرا ويمضون به الى الملك حقيرا فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للخمسين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق ماسورة وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له أولا غيرى فقالت له الجارية اصبر حتى أذهب اليه وأعرفه بحقيقة الامر وأنظر ما عنده من الجواب فان أجاب فالامر كذلك وان أبى فلا سبيل لكم اليه وأكون أنا ومن فى الدير وجوارى فداه ثم أقبلت على شركان وأخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر أحدا بأمره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم

على نفسه وقال كيف رميت روحى فى بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم الىّ واحدا بعد واحد اجحاف بهم فهلا يبرزون لى عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار الى أن أقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فلما رآه البطريق وثب اليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون أن ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب فى قلوب من بقى منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البراز اليه بل حملوا عليه حملة واحدة بأجمعهم وحمل هو عليهم بقلب أقوى من الحجر الى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقى فى الدير فقلن لها لم يبق أحد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته وأخذته بالاحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من الحرب وكان بقى منهم قليل كامن له فى زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت اليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لم أبخل بنفسى عن ضيفى ولا أتخلى عنه ولو أبقى بسبب ذلك معيرة فى بلاد الروم ثم انها تأملت البطارقة فوجدته قد قتل منهم ثمانين وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات

وكم من فرقة فى الحرب جاءت * تركت كماتهم طعم السباع
سلوا عنى اذا شئتم نزالى * جميع الخلق فى يوم القراع
تركت ليوثهم فى الحرب صرعى * على الرمضاء فى تلك البقاع

فلما فرغ من شعره أقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذى كان عليها فقال لها يا سيدتى لاى شئ لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم أصحاب الملك يدخلون منزلى بغير اذنى فقالوا لها أيتها الملكة ما جرت العادة أننا نحتاج الى استئذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ما أردتم الا هتكى وقتل ضيفى ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها انهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فها أنا أعلمك بقصتى اعلم أنى بنت ملك الروم حردوب واسمى ابريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى أم أبى وهى التى أعلمت أبى بك ولا بد أنها تدبر حيلة فى هلاكى خصوصا وقد قتلت بطارقة أبى وشاع أنى قد تحزبت مع المسلمين فالرأى السديد أنى أترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهى خلفى ولكن أريد منك أن تفعل معى مثل ما فعلت معك من الجميل فان العداوة قد وقعت بينى وبين أبى فلا تترك من كلامى شيأ فان هذا كله ما وقع الا من أجلك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك أحد ما دامت روحى فى جسدى ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبى ولكن بقى عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها يا سيدتى ان أبى عمر النعمان أرسلنى الى قتال والدك بسبب المال

الذى

الذى أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها أنا احدثك بحديثها وأخبرك بسبب معاداتنا الملك القسطنطينية وذلك أن لنا عيدا يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعنى أبى من حضور ذلك العيد مدة سبعة سنين فاتفق فى سنة من السنين ان بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها الى الدير فى ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فأقاموا فى الدير ستة أيام وفى اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية أنا ما أرجع الى القسطنطينية الا فى البحر فجهزوا لها مركبا فنزلت فيه هى وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فأخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة افرنجى ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع المركب التى فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم الى شعب بعد أن خرق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال والتحف وكان فى مركبهم أربعون جارية ومن جملتهن صفية بنت الملك فأخذنا الجوارى وقدمناها الى أبى ونحن لا نعرف أن من جملتهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار أبى منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك وفرق الباقى على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جوارى وأرسل تلك الخمسة هدية الى والدك عمر النعمان مع شىء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومى فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس جوارى صفية بنت الملك افريدون فلما كان أول هذا العام أرسل أبوها الى والدى مكتوبا فيه كلام لا ينبغى ذكره وصار يهدده فى ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له انكم أخذتم مركبنا من مدة سنتين وكانت فى يد جماعة لصوص من الافرنج ومن جملة ما فيها بنتى صفية ومعها من الجوارى نحو ستين جارية ولم ترسلوا الى أحدا يخبرنى بذلك وأنا لا أقدر أن اظهر خبرها خوفا أن يكون فى حقى عارا عند الملوك من أجل هتك ابنتى فكتمت أمرى الى هذا العام والذى بين لى ذلك أننى كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتى وأكدت عليهم أن يفتشوا عليها ويخبرونى عند أى ملك هى من ملوك الجزائر فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك ثم قال فى المكتوب الذى كتبه لوالدى ان لم يكن مرادكم معاداتى ولا فضيحتى وهتك ابنتى فساعة وصول كتابى اليكم ترسلوا الى بنتى من عندكم وان أهملتم كتابى وعصيتم أمرى فلابد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى أبى وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف أن صفية بنت الملك فى تلك الجوارى ليردها الى والدها فصار متحيرا فى أمره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة أن يرسل الى الملك عمر بن النعمان ويطلبها منه ولاسيما وقد سمعنا من مدة يسيرة أنه رزق من جاريته التى يقال لها صفية بنت الملك افريدون أولادا فلما تحققنا ذلك علمنا أن هذه الورطة هى المصيبة العظمى ولم يكن لأبى حيلة غير انه كتب جوابا للملك افريدون يعتذر اليه فيه ويحلف له بالاقسام انه لم يعلم أن ابنته من جملة الجوارى التى كانت فى تلك المركب ثم أظهره على انه أرسلها الى الملك عمر النعمان وانه رزق منها أولادا فلما وصلت رسالة أبى الى افريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وأرغى وأزبد وقال كيف تكون ابنتى مسبية بصفة

الجوارى وتتداولها أيدى الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح انه لا يمكننى أن أتقاعد عن هذا الامر دون أن آخذ الثار وأكشف العار فلا بد أن أفعل فعلا يتحدث به الناس من بعدى وما زال صابرا الى أن عمل الحيلة ونصب مكايد عظيمة وأرسل رسلا الى والدك عمر النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التى معك من أجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك أنت ومن معك من عسكرك وأما الثلاث خرزات التى أخبر والدك بها فى مكتوبه فليس لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبى منها حين استولى عليها هى والجوارى التى معها ثم وهبها لى وهى الآن عندى فاذهب أنت الى عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا فى بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم فى بلادهم يضيقون عليكم الطرق ولم يكن لكم خلاص من أيديهم الى يوم الجزاء والقصاص وأنا أعرف أن الجيوش مقيمون فى مكانهم لانك أمرتهم بالاقامة ثلاثة أيام مع أنهم فقدوك فى هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالاوهام ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذى من على بك وجعلك سببا لسلامتى وسلامة من معى ولكن يعز على فراقك ولا أعلم ما يجرى عليك بعدى فقالت له اذهب أنت الآن الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وأنتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة أيام أنا ألحقكم وما تدخلون بغداد الا وأنا معكم فندخل كلنا سواء فلما أراد الانصراف قالت له لا تنس العهد الذى بينى وبينك ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وبكت بكاء يذيب الاحجار وأرسلت الدموع كالامطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع وتزحزح فى الوداع دمع العين وأنشد هذين البيتين

ودعتها ويدى اليمين لأدمعى * ويدى اليسار لضمة وعناق
قالت أما تخشى الفضيحة قلت لا * يوم الوداع فضيحة العشاق

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجها الى الجسر فلما وصل اليه مر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من الاشجار ومشى فى ذلك المرج واذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه وعرفهم ووجد أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له من الملكة ابريزة من أوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا ارحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما أسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان فى عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين فى السير حتى وصلوا الى سطح الوادى وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من أمر الرسل وملكهم ﴿وأما﴾ ما كان من أمر شركان فانه سافر بعسكره مدة خمسة وعشرين يوما حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لاخذ الراحة فخرج اليهم أهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم فى مائة فارس وجعل الوزير دندان أميرا على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفى الحديد والزرد

غواطس

غواطس فلما أن قربوا من شركان ومن معه صاحوا اليهم وقالوا وحق يوحنا ومريم اننا قد بلغنا ما أملناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم واعطونا أسلحتكم وسلموا لنا أنفسكم حتى نجود عليكم بأرواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاحت عيناه واحمرت وجنتاه وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينا وجئتم بلادنا ومشيتم فى أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم انكم تخلصون من أيدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم هؤلاء الكلاب فانهم فى عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب أقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال فى الابطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال وقد بطل القيل والقال ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم واجتمع شركان بأصحابه فلم يجد أحدا منهم مجروحا غير أربعة أنفس حصل لهم جراحات سليمة فقال لهم شركان أنا عمرى أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف بالامواج وأقاتل الرجال فوالله ما لقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم أيها الملك ان فيهم فارسا أفرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غير أن كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فوالله لو أراد قتلنا لقتلنا بأجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال فى غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق وأما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا له اننا ما بلغنا اليوم فى هؤلاء أربا فقال لهم فى غد نصطف ونبارزهم واحدا بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق أيضا فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس وأتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لأصحابه ان أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة اليهم فنادى منادٍ من الافرنج لا يكون قتالنا فى هذا اليوم الا مناوبة بأن يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من أصحاب شركان وساق بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق فى سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد أشهب وذلك الافرنجى لا نبات بعارضيه فساق جواده حتى وقف فى وسط الميدان وصادمه بالضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجى بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج الى الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو اخو الاسير ووقف معه فى الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الافرنجى على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا وما زال يخرج اليهم من المسلمين واحد بعد واحد والافرنج يأسرونهم الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أسروا من المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم عليه الامر فجمع أصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذى حل بنا أنا أخرج فى غد الى الميدان وأطلب براز الافرنجى المقدم عليهم وأنظر ما الذى حمله على أن يدخل بلادنا وأحذره من قتالنا فان أبى قاتلناه وان صالح صالحناه وباتوا على هذا الحال الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطف الفريقان فلما خرج شركان الى الميدان رأى الافرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه الى أن

صاروا فى وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من اطلس
أزرق ووجهه فيه كالبدر اذا أشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو راكب على
جواد أدهم فى وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجى لانبات بعارضيه ثم انه لكز جواده حتى صار فى
وسط الميدان واشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربى فصيح يا شركان يا ابن عمر النعمان الذى ملك
الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وابرز الى من قد ناصفك فى الميدان فأنت سيد قومك وانا
سيد قومى فمن غلب منا صاحبه أخذه هو وقومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه
من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الافرنجى فى الميدان فكر عليه الافرنجى كالاسد الغضبان
وصدمه صدمة الفرسان وأخذا فى الطعن والضرب وصارا فى حومة الميدان كأنهما جبلان يصطدمان
أو بحران يلتطمان ولم يزالا فى قتال وحرب ونزال من أول النهار الى أن اقبل الليل بالاعتكار
ثم انفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان بأصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس
قط الا انى رأيت منه خصلة لم ارها من احد غيره وهو انه اذا لاح له فى خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح
ويضربه بعقبه ولكن ما ادرى ماذا يكون منى ومنه ومرادى ان يكون فى عسكرنا مثله ومثل اصحابه
وبات شركان فلما اصبح الصباح خرج له الافرنجى ونزل فى وسط الميدان واقبل عليه شركان ثم اخذا
فى القتال وأوسعا فى الحرب والمجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا فى حرب وكفاح وطعن بالرماح
الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكى لاصحابه
مالاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجى قال لاصحابه فى غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم
ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا فى الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجى حيلة
ولكز الجواد ثم جذبه باللجام فعثر به ورماه فانكب عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفا أن
يطول به المطال فصاح به الافرنجى وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان انما هو فعل المغلوب
بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وأمعن النظر فيه فوجده الملكة
ابريزة التى وقع له معها ما وقع فى الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها وقال لها
ما حملك على هذه الفعال فقالت له أردت أن اختبرك فى الميدان وأنظر ثباتك فى الحرب والطعان
وهؤلاء الذين معى كلهم جوارى وكلهن بنات ابكار وقد قهرن فرسانك فى حومة الميدان ولولا ان جوادى
قد عثر بى لكنت ترى قوتى وجلادى فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على السلامة وعلى
اجتماعى بك يا ملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن
العشرين أسيرا الذين كن اسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجوارى امرها ثم قبلن الارض بين يديها
فقال لهن مثلكن من يكون عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى اصحابه ان يسلموا عليها فترجلوا جميعا
وقبلوا الارض بين يدى الملكة ابريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا فى الليل والنهار مدة ستة ايام وبعد
ذلك اقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج * وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والخمسون﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شركان امر الملكة ابريزة
وجواريها ان ينزعن ما عليهن من الثياب وان يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه ارسل جماعة
من اصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبروه ان الملكة ابريزة ابنة ملك الروم جاءت صحبته

لاجل

لاجل ان يرسل موكبا لملاقاتها ثم انهم نزلوا من وقتهم وساعتهم فى المكان الذى وصلوا اليه وباتوا فيه
الى الصباح فلما اصبح الصباح ركب الملك شركان هو ومن معه وركبت ايضا الملكة ابريزة هى ومن معها
واستقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد اقبل فى الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة هى وشركان
وكان خروجه باشارة الملك عمر النعمان كما ارسل اليه ولده شركان فلما اقتربوا منهما توجهوا اليهما وقبلوا
الارض بين ايديهما ثم ركبا وركبوا معهما وساروا فى خدمتهما حتى وصلا الى المدينة وطلعا قصر الملك
ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وسأله عن الخبر فأخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له
معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت اباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وان ملك
القسطنطينية اراد ان يعمل لنا حيلة من اجل صفية بنته لان ملك الروم قد اخبره بحكايتها وبسبب
اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف
ذلك ما كان اهداها اليك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولم يخلصنا من هذه الحيل
والمكايد الا ابريزة بنت ملك القسطنطينية وما راينا اشجع منها ثم انه شرع يحكى لابيه ما وقع له معها
من اوله الى آخره من امر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام
عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى ان يراها ثم انه طلبها لاجل ان يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها
وقال لها ان الملك يدعوك فأجابت بالسمع والطاعة فأخذها شركان واتى بها الى والده وكان والده
قاعدا على كرسيه واخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الجارية ابريزة على الملك
عمر النعمان قبلت الارض بين يديه وتكلمت بأحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها
على ما فعلت مع ولده شركان وامرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها الملك حيل بينه
وبين عقله ثم انه قربها اليه وادناها منه وافرد لها قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب لها وللجواريها
الرواتب ثم اخذ يسألها عن تلك الخرزات الثلاث التى تقدم ذكرها سابقا فقالت له ان تلك الخرزات
معى يا ملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت صندوقا واخرجت منه علبة واخرجت من العلبة
حقا من الذهب وفتحته واخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فأخذت
قلبه معها وبعد انصرافها ارسل الى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين
الأخريين فقال يا ولدى قد أعطيت منهما واحدة لأخيك ضوء المكان والثانية لاختك نزهة الزمان
فلما سمع شركان أن له اخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الا اخته نزهة الزمان التفت الى والده الملك
عمر النعمان وقال له يا والدى ألك ولد غيرى قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم اعلمه أن اسمه ضوء المكان
واخته نزهة الزمان وانهما ولدا فى بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله
تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض أثوابه فقال له الملك ما لى أراك قد تغيرت احوالك لما سمعت هذا الخبر
مع انك صاحب المملكة من بعدى وقد عاهدت أمراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث خرزات
فأطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ
وما زال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما اقبل عليها نهضت اليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له
ولوالده وجلست وأجلسته فى جانبها فلما استقر به الجلوس رأت فى وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب
غيظه فأخبرها ان والده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكرا وأنثى وسمى الولد ضوء المكان
والانثى نزهة الزمان وقال لها انه أعطاهما خرزتين واعطانى واحدة فتركتها وأنا الى الآن لم اعلم بذلك
الا فى هذا الوقت فخنقنى الغيظ وقد اخبرتك بسبب غيظى ولم اخف عنك شيأ واخشى عليك ان

يتزوجك فانى رأيت منه علامة الطمع فى أنه يتزوج بك فانه ولئن اتت فى ذلك فقالت اعلم ياشركان
أن أباك ماله حكم علىّ ولا يقدران يأخذنى بغير رضاى وان كان يأخذنى غصبا قتلت روحى وأما الثلاث
خرزات فما كان على بالى أنه ينعم على احد من أولاده بشىء منها وماظننت الا انه يجعلها فى خزائنه مع
ذخائره ولكن اشتهى من احسانك أن تهب لى الخرزة التى كان اعطاها لك والدك ان قبلتها منه فقال
لها سمعا وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له انى اخاف ان يسمع ابى انى عندكم فيسعى
فى طلبى ويتفق هو والملك افريدون من اجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة
فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتى اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكرى فيهم فلو اجتمع علينا
كل من فى البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون الا الخير وها انتم ان احسنتم الىّ قعدت عندكم وان
أسأتمونى رحلت من عندكم ثم انها أمرت الجوارى باحضار شىء من الاكل فقدمن المائدة فأكل شركان
شيأ يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من أمر شركان (واما) ما كان من امر ابيه عمر
النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزات فلما
رأته نهضت قائمة على قدميها الى ان جلس فأقبل عليه ولداه ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما
وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه واقبلا على أمهما ففرحت بهما ودعت للملك
بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية لأى شىء لم تعلمينى
لاجل ان أزيد فى اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت ايها الملك وماذا أريد اكثر من هذا
زيادة على هذه المنزلة التى أنا فيها فها أنا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقنى الله منك بولدين ذكر وانثى
فأعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة ألفاظها ودقة فهمها وظرف أدبها ومعرفتها ثم انه
مضى من عندها وافرد لها ولاولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية
والاطباء والجرائحية وأوصاهم بهم وزاد فى رواتبهم واحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر
المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من امره مع صفية واولادها (واما) ما كان من أمره
مع الملكة ابريزة فانه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا مشغوفا بها وفى كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها
ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان أنا فى هذا الوقت مالى غرض فى الرجال فلما
رأى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما اعياه ذلك أحضر وزيره دندان واطلعه
على ما فى قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب وأخبره انها لا تدخل فى طاعته وقد قتله حبها
ولم ينل منها شيأ فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال
وادخل عليها واشرب معها شيأ من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشرب والمنادمة فاعطها القدح
الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها اياه فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ
غرضك منها وهذا ما عندى من الرأى فقال له الملك نعم ما اشرت به علىّ ثم انه عمد الى خزائنه واخرج منها
قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة ثم انه وضعها فى جيبه وصبر الى ان مضى قليل
من الليل ودخل على الملكة ابريزة فى قصرها فلما رأته نهضت اليه قائمة فأذن لها بالجلوس فجلست وجلس
عندها وصار يتحدث معها فى أمر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الاوانى وأوقدت الشموع
وامرت باحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان اليه وصار يشرب معها وينادمها الى أن دب السكر
فى رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك النعمان ذلك أخرج القطعة البنج من جيبه وجعلها بين أصابعه
وملأ كاسا بيده وشربه وملأه ثانيا وأسقط القطعة البنج فيه وهى لا تشعر بذلك ثم قال لها خذى اشربى

هذا

هذا فأخذته الملكة ابريزة وشربته فما كان الا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها حيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وازال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلي على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجري على سيقانها وهي ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها واصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما اصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت به وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايأت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة أعلميني بما كان من أمري فأخبرتها أنها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت ان الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل علي وقولوا له انها ضعيفة حتى أنظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر النعمان بأن الملكة ابريزة ضعيفة فصار يرسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين واقامت على ذلك شهورا وهي محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه اليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها الاشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي أن القوم ما ظلموني وانما أنا الجانية على نفسي حيث فارقت أبي وامي ومملكتي وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتي ولم يبق عندي من الهمة ولا من القوة شيء وكنت اذا ركبت جوادي اقدر عليه وأنا الآن لا أقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند جواري وكل من في القصر يعلم أنه ازال بكارتي سفاحا واذا رجعت لابي بأي وجه ألقاه وبأي وجه أرجع اليه وما أحسن قول الشاعر

بم التعلل لا اهل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الأمر امرك وأنا في طوعك فقالت أريد اليوم أن أخرج سرا بحيث لا يعلم بي أحد غيرك وأسافر الى أبي وأمي فان اللحم اذا انتن ماله الا أهله والله يفعل بي ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين أيتها الملكة ثم انها جهزت احوالها وكتمت سرها وصبرت اياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فأقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن اسافر في هذه الليلة ولكن كيف أصنع في المقادير وقد قرب أوان الطلق والولادة وان قعدت خمسة أيام أو أربعة وضعت هنا ولم أقدر أن اروح بلادي وهذا ما كان مكتوبا على جبيني ومقدرا علي في الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظري لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا في الطريق فانه ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله يا سيدتي ما أعرف غير عبد أسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فان الملك أمره أن يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها أنا أخرج اليه وأكلمه في شأن هذا الامر وأعده بشيء من المال وأقول له اذا أردت المقام عندنا أزوجك بمن شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم أنه كان يقطع الطريق فان هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا فقالت لها هاتيه عندي حتى احدثه فخرجت له مرجانة وقالت له يا غضبان قد أسعدك الله ان قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم اخذت بيده وأقبلت به على سيدتها فلما رآها قبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت في نفسها ان الضرورة لها أحكام وأقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل

فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان واذا أظهرت لك على امرى تكون كاتماله فلما نظر العبد اليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها يا سيدتى ان امرتنى بشئ لا أخرج عنه فقالت له أريد منك فى هذه الساعة أن تأخذنى وتأخذ جاريتى هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيأ من الزاد وترحل معنا الى بلادنا وان اقمت عندنا زوجناك من تختارها من جوارى وان طلبت الرجوع الى بلادك اعطيناك ما تحب ثم ترجع الى بلادك بعد ان تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال يا سيدتى انى أخدمكما بعيونى وأمضى معكما واشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال فى نفسه قد بلغت ما أريد منهما وان لم تطاوعانى قتلتهما وأخذت ما معهما من المال وأضمر ذلك فى سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب احداهن وأقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبته وهى متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسا ثم سافر بهما الليل والنهار حتى وصلوا بين الجبال وبقى بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت أن تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان أنزلنى فقد لحقنى الطلق وقالت لمرجانة انزلى واقعدى تحتى وولدينى فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق فرسها وهى غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان فى وجهه فشهر حسامه فى وجهها وقال يا سيدتى ارحمينى بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقى علىّ الا العبيد السود بعدما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والخمسون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذى هو الغضبان ما بقى علىّ الا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ما هذا الكلام الذى تقوله لى فلا تتكلم بشئ من هذا فى حضرتى واعلم اننى لا أرضى بشئ مما قلته ولو سقيت كأس الردى ولكن اصبر حتى اصلح الجنين واصلح شأنى وأرمى الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت على فافعل بى ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام فى هذا الوقت فانى أقتل نفسى بيدى وأفارق الدنيا وارتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الابيات

أيا غضبان دعنى قد كفانى * مكابدة الحوادث والزمان * عن الفحشاء ربى قد نهانى
وقال النار مثوى من عصانى * وانى لا أميل بفعل سوء * بعين النقص دعنى لا ترانى
ولو لم تترك الفحشاء عنى * وترعى حرمتى فيمن رعانى * لأصرخ طاقتى لرجال قومى
واجلب كل قاصيها ودانى * ولو قطعت بالسيف اليمانى * لما خليت فحاشا يرانى
من الاحرار والكبرا طرا * فكيف العبد من نسل الزوانى

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره واستدلت مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الابيات

أيا ابريزة لا تتركينى * قتيل هواك باللحظ اليمانى * فقلبى قد تقطع من جفاكى
وجسمى ناحل والصبر فانى * ولفظك قد سبى الالباب سحرا * فعقلى نازح والشوق دانى
ولو أجلبت ملء الارض جيشا * لأبلغ مأربى فى ذا الزمان

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك ان تخاطبنى بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنا أتحسب ان الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام

الكلام غضب منها غضبا شديدا وتقدم اليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جواده قاصدا مدينته بعد ان اخذ المال وفر بنفسه آبقا في الجبال هذا ما كان من امر الغضبان ﴿واما﴾ ما كان من أمر الملكة ابريزة فانها صارت طريحة على الارض وكان الولد الذي ولدته ذكرا فحملته مرجانة في حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت اثوابها وصارت تحثوا التراب على رأسها وتلطم على خدها حتى طلع الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتي عبد اسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي واذا هي بغبار قد ثار حتى سد الاقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت تلك العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة ابريزة وسبب ذلك أنه لما سمع ان ابنته هربت هي وجواريها الى بغداد وانها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من اين أتوا لعله يعلم بخبر ابنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه بسبب قتلها فنجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها ابوها مرمية على الارض وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع في الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وضربوا الخيام في الجبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت في البكاء والنحيب فلما أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فأخبرته بالقصة وقالت له ان الذي قتل ابنتك عبد أسود من عبيد الملك عمر النعمان واخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام اسودت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قيسارية وادخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على أمه ذات الدواهي وقال لها اهكذا تفعل المسلمون ببنتي فان الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهرا وبعد ذلك قتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لا بد من اخذ ثار بنتي منه وكشف العار عن عرضي والا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له امه ذات الدواهي ما قتل ابنتك الا مرجانة لانها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من جهة اخذ ثارها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك عمر النعمان حتى اقتله واقتل اولاده ولأعملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث به المتحدثون في جميع الاقطار ولكن ينبغي لك ان تمتثل أمري في كل ما أقوله وانت تبلغ ما تريد فقال لها وحق المسيح لا اخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوار نهد ابكار وائتني بحكماء الزمان واجزل لهم العطايا وامرهم ان يعلموا الجواري الحكمة والادب وخطاب الملوك ومنادمتهم والاشعار وان يتكلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لأجل ان يعلموهن أخبار العرب وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو أقمنا على ذلك عشرة أعوام وطول روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان أخذ الثار بعد أربعين عاما مدته قليلة ونحن اذا علمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لأنه متمحن بحب الجواري وعنده ثلثمائة جارية وست وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة فاذا تعلم الجواري ما أخبرتك به من العلوم فاني آخذهم بعد ذلك وأسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام أمه ذات الدواهي فرح فرحا شديدا وقبل رأسها ثم أرسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى أطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره وسافروا الى بلاد بعيدة وأتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه أكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا فعلوا ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجواري * وأدرك شهر

زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب أكرمهم اكراما زائدا وأحضر الجوارى بين أيديهم وأوصاهم أن يعلموهن الحكمة والادب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك حردوب ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الملك عمر النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها أحد فان كانت مملكتى على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فلا بقيت أخرج الى الصيد والقنص حتى أرسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد أتى من سفره فأعلمه والده بذلك وأخبره أنها هربت وهو فى الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد أولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الامر غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى أن ظهر أثر الغيظ فى وجهه ولم يزل مريضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالى أراك تزداد ضعفا فى جسمك واصفرارا فى لونك فقال له شركان يا والدى كلما رأيتك تقرب اخوتى وتحسن اليهم يحصل عندى حسد وأخاف أن يزيد بى الحسد فأقتلهم وتقتلنى أنت بسببهم اذا أنا قتلتهم فمرض جسمى وتغير لونى بسبب ذلك ولكن أنا أشتهى من احسانك أن تعطينى قلعة من القلاع حتى أقيم بها بقية عمرى فان صاحب المثل يقول بعدى عن حبيبى أجمل لى وأحسن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم أطرق برأسه الى الارض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التغير فأخذ بخاطره وقال له يا ولدى انى أجبتك الى ما تريد وليس فى ملكى أكبر من قلعة دمشق فقد ملكتك اياها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين فى الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده وودعته الامراء وأكابر الدولة وسار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له أهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه أهل الميمنة ميمنة وأهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من أمر شركان ﴿وأما﴾ ما كان من أمر والده عمر النعمان فانه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء وقالوا له يا مولانا ان أولادك تعلموا العلم والحكمة والادب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحا شديدا وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر أربع عشرة سنة وطلع مشتغلا بالدين والعبادة محبا للفقراء وأهل العلم والقرآن وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى أن طاف ببغداد محمل العراق من أجل الحج وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال له انى أتيت اليك لأستأذنك فى أن أحج فمنعه من ذلك وقال له اصبر الى العام القابل وأنا أتوجه الى الحج وآخذك معى فلما رأى الامر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلى فلما قضت الصلاة قال لها انى قد قتلنى الشوق الى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدى فمنعنى من ذلك فالمقصود ان آخذ شيأ من المال وأخرج الى الحج ولا أعلم أبى بذلك فقالت له أخته بالله عليك أن تأخذنى معك ولا تحرمنى من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جن الظلام فاخرجى من هذا المكان ولا تعلمى أحدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان وأخذت شيأ من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة الى

باب القصر فوجدت أخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسار الليلا واختلطا بالحجيج ومشيا
الى أن صارا فى وسط الحج العراق ومازالا سائرين وكتب الله لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا
بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها الى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فزاراه وبعد ذلك أرادا الرجوع مع
الحجاج الى بلادهما فقال ضوء المكان لاخته يا أختى أريد أن أزور بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه
الصلاة والسلام فقالت له وأنا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرج واكترى له ولها مع المقادسة وجهز احالهما
وتوجها مع الركب فحصل لاخته فى تلك الليلة حمى باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت
تلاطفه فى ضعفه ولم يزالا سائرين الى أن دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا
فى خان هناك واكتريا لهما فيه حجرة واستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى أنحله وغاب
عن الدنيا فاغتمت لذلك أخته نزهة الزمان وقالت لا حول ولا قوة الا بالله هذا حكم الله ثم انها قعدت هى
وأخوها فى ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهى تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معهما من
المال وافتقرت ولم يبق معها دينار ولا درهم فأرسلت صبى الخان الى السوق بشئ من قماشها فباعه
وأنفقته على أخيها ثم باعت شيأ آخر ولم تزل تبيع من أمتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها غير حصير مقطعة
فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختى انى قد أحسست بالعافية وفى خاطرى
شئ من اللحم المشوى فقالت له أخته والله يا أخى انى مالى وجه للسؤال ولكن غدا أدخل بيت أحد من
الاكابر وأخدم وأعمل بشئ نقتات به أنا وأنت ثم تفكرت ساعة وقالت انى لا يهون على فراقك وأنت فى
هذه الحالة ولكن لا بد من طلب المعاش قهرا عنى فقال لها أخوها أبعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا أخى نحن غرباء وقد أقمنا هنا سنة كاملة ما دق علينا الباب
أحد فهل نموت من الجوع فليس عندى من الرأى الا أنى أخرج واخدم وآتيك بشئ نقتات به الى أن تبرأ
من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكى ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة
عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس أخيها واعتنقته وخرجت من عنده وهى
تبكى ولم تعلم أين تمضى ومازال أخوها ينتظرها الى أن قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو
ينتظرها الى أن طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد
به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبى الخان وقال له أريد أن تحملنى الى السوق فحمله وألقاه فى السوق
فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة وأشار اليهم بطلب شئ يأكله فجاؤا له من
التجار الذين فى السوق ببعض دراهم واشتروا له شيأ وأطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له
قطعة برش ووضعوا عند رأسه ابريقا فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان
نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل
السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهما واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا وأوصله الى دمشق
وأدخله المارستان لعله ان يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال فى نفسه كيف أمضى بهذا المريض وهو
مشرف على الموت ثم خرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم ألقاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى
الى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال فى نفسه لاى شئ
ما رموا هذا الميت الا هنا ورفسه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمى
نفسه فى أى موضع كان ثم نظر وجهه فرآه لا نبات بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف
انه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة الا بالله انى دخلت فى خطيئة هذا الصبى وقد أوصى النبى صلى

الله عليه وسلم باكرام الغريب لاسيما اذا كان الغريب مريضا ثم حمله وأتى به الى منزله ودخل به على
زوجته وأمرها ان تخدمه وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له
يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق وأتى له بشيء من ماء الورد والسكر ورش ماء الورد على وجهه
وسقاه السكر وأخرج له قيصا نظيفا والبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة
ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم انى اسألك بسرك المكنون ان تجعل سلامة
هذا الشاب على يدى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوقاد قال اللهم انى أسألك
بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الصبي على يدى ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة أيام وهو يسقيه السكر
وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة فى جسمه وفتح عينيه فاتفق أن
الوقاد دخل عليه فرآه جالسا وعليه آثار العافية فقال له ماحالك ياولدى فى هذا الوقت فقال ضوء المكان
بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض الى السوق واشترى له عشر دجاجات وأتى زوجته وقال لها
اذبحى له فى كل يوم اثنتين واحدة فى أول النهار وواحدة فى آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها
وأتت بها اليه وأطعمته اياها واسقته مرقتها فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء مسخنا فغسل يديه واتكأ
على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة أخرى وأتته بها وفسختها وقالت له كل
ياولدى فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال ماحالك ياولدى فى
هذا الوقت فقال له الحمد لله على العافية جزاك الله عنى خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج وأتى بشراب
البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل فى الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشترى له كل يوم بدرهم
سكرا وماء ورد وشراب بنفسج ويشترى له بدرهم فراريج ومازال يلاطفه الى أن مضى عليه شهر من
الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت اليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان
وقال ياولدى هل لك أن تدخل معى الحمام قال نعم فمضى الى السوق وأتى له بمكارى وأركبه حمارا وجعل
يسنده الى أن وصل الى الحمام ثم دخل معه الحمام واجلسه فى داخله ومضى الى السوق واشترى له سدرا
ودقاقا وقال لضوء المكان ياسيدى بسم الله أغسل لك جسدك واخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه
وشرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلان قد أرسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك
رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص فى حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع
البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله وألبسه قيصا
رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه حزاما وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما
فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد وأذاب له السكر فى ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة
وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة الى أن اكتفى وغسل يديه وحمد الله
تعالى على العافية ثم قال للوقاد أنت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك فقال له الوقاد دع
عنك هذا الكلام وقل لنا ماسبب مجيئك الى هذه المدينة ومن أين أنت فانى أرى على وجهك آثار
النعمة فقال له ضوء المكان قل لى انت كيف وقعت بى حتى أخبرك بحديثى فقال الوقاد أما أنا فانى
وجدتك مرميا على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت الى أشغالى ولم أعرف من رماك
فأخذتك عندى وهذه حكايتى فقال ضوء المكان سبحان من يحيي العظام وهى رميم انك ياأخى مافعلت
الجميل لامع أهله وسوف تجنى ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وأنا الآن فى أى البلاد فقال له الوقاد أنت فى مدينة

القدس

القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق أخته وبكى حيث باح بسره الى الوقاد وحكى له حكايته ثم أنشد هذه الابيات

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى * ومن اجلهم قامت على قيامتى
ألا فارفقوا يا هاجرين بمهجتى * فقد رق لى من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا أن تسمحوا لى بنظرة * تخفف أحوالى وفرط صبابتى
سألت فؤادى الصبر عنهم فقال لى * اليك فان الصبر من غير عادتى

ثم زاد فى بكائه فقال له الوقاد لا تبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك ان ترسلنى اليها فقال له الوقاد يا سيدى كيف أدعك تروح وحدك وأنت شاب صغير فان شئت السفر الى دمشق فأنا الذى اروح معك وان أطاعتنى زوجتى وسافرت معى أقمت هناك فانه لا يهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك ان تسافرى معى الى دمشق الشام أو تكونى مقيمة هنا حتى اوصل سيدى هذا الى دمشق الشام وأعود اليك فانه يطلب السفر اليها فانى والله لا يهون على فراقه وأخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم ان الوقاد قام وباع امتعته وأمتعة زوجته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى أنهما يسافران معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع امتعته وامتعة زوجته ثم اكترى حمارا وأركب ضوء المكان اياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام الى أن دخلوا دمشق فنزلوا هناك فى آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة وما زالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد أياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لا تحزن فاننا كلنا داخلون فى هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا يا ولدى فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدى ان تخرج بنا وتتفرج فى دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأى رأيك فقام الوقاد ووضع يده فى يد ضوء المكان وسارا الى ان أتيا تحت اصطبل والى دمشق فوجدا جمالا محملة صناديق وفرشا وقماشا من الديباج وغيره وجنائب مسرجة وبخاتى وعبيدا ومماليك والناس فى هرج ومرج فقال ضوء المكان يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والاجمال والامتعة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسؤل هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول

ان شكونا البعاد ماذا نقول * او تلفنا شوقا فكيف السبيل * او رأينا رسلا تترجم عنا
ما يؤدى شكوى المحب رسول * أو صبرنا فما من الصبر عندى * بعد فقد الاحباب الا قليل

وقال أيضا

رحلوا غائبين عن جفن عينى * وهم فى الفؤاد منى حلول
غاب عنى جمالهم فخياتى * ليس تحلو ولا اشتياقى يحول
ان قضى الله باجتماعى عليكم * أذكر الوجد فى حديث يطول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد ياولدى نحن ماصدقنا أنك جاءتك العافية فطب نفسا ولا تبك فانى أخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لأخته ومملكته ويرسل العبرات ثم أنشد هذه الابيات

تزود من الدنيا فانك راحل * وأيقن بأن الموت لاشك نازل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة * وعيشك فى الدنيا محال وباطل
ألا انما الدنيا كمنزل راكب * أناخ عشيا وهو فى الصبح راحل

ثم ان ضوء المكان جعل يبكى وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكى على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان الى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا أستطيع ان اقيم هنا وأستودعك الله فانى مسافر مع هؤلاء القوم وامشى معهم قليلا قليلا حتى اصل الى بلادى فقال له الوقاد وانا معك فانى لا اقدر ان أفارقك فانى عملت معك حسنة واريد أن أتممها بخدمتى لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عنى خيرا وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى حمارا وهيأ زادا وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار فى السفر فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش فقال له ضوء المكان بارك الله فيك واعاننى على مكافأتك فانك فعلت معى من الخير مالا يفعله احد مع اخيه ثم صبرا الى ان جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد (واما) ما كان من امر أخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذى كانا فيه فى القدس بعد ان التفت بالعباءة لأجل ان تخدم احدا وتشترى لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوى وصارت تبكى فى الطريق وهى لا تعرف أين تتوجه وصار خاطرها مشغولا بأخيها وقلبها متفكرا فى الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى فى دفع هذه البليات وانشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك ماعندى من الالم
ولوعة البين فى الاحشاء قد سكنت * والوجد صيرنى فى حالة العدم
والحزن اقلقنى والشوق احرقنى * والدمع باح بسر اى مكتتم
وليس لى حيلة فى الوصل اعرفها * حتى تزحزح ماعندى من الغمم
فنار قلبى بالاشواق موقدة * ومن لظاها يظل الصب فى نقم
يامن يلوم على ماحل بى وجرى * انى صبرت على ماخط بالقلم
اقسمت بالحب مالى سلوة ابدا * يمين اهل الهوى مبرورة القسم
ياليل بلغ رواة الحب عن خبرى * واشهد بعلمك أنى فيك لم أنم

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان صارت تمشى وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب قد التفت الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال فى نفسه ان هذه جميلة ولكنها ذات قشف فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بد لى منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها فى الطريق فى مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يابنية هل انت حرة او مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد على الاحزان فقال لها انى رزقت ست بنات مات لى منهن خمسة وبقيت واحدة وهى اصغرهن واتيت اليك لأسألك هل انت من اهل هذه المدينة او غريبة لاجل ان آخذك واجعلك عندها لتؤانسيها فتشتغل بك عن الحزن على اخواتها فان لم يكن لك احد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل اولادى فلما سمعت نزهة الزمان

كلامه

كلامه قالت في سرها عسى ان آمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم اطرقت براسها من الحياء وقالت ياعم انا بنت غريبة ولي اخ ضعيف فأنا امضي معك الى بيتك بشرط انا اكون عندها بالنهار وبالليل امضي الى اخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة وكنت عزيزة فأصبحت ذليلة حقيرة وجئت انا واخي من بلاد الحجاز واخاف ان اخي لا يعرف لي مكانا فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه والله اني فزت بمطلوبي ثم قال لها ما اريد الا لتؤانسي بنتي نهارا وتمضي الى اخيك ليلا وان شئت فانقليه الى مكاننا ولم يزل البدوي يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى ان وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائرا الى جماعته وكانوا قد هيؤا الجمال ووضعوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوي قاطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وانما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسكينة لامر قدره الله ثم ان البدوي صار يحدثها في الطريق الى أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد رحلوا الجمال فركب البدوي جملا وأردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان أن كلام البدوي كان حيلة عليها وانه مكر بها فصارت تبكي وتصرخ وهم في الطريق قاصدين الجبال خوفا أن يراهم أحد فلما صاروا قرب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوي الى نزهة الزمان وقال لها يامدنية ماهذا البكاء والله ان لم تتركي البكاء ضربتك الى أن تهلكي ياقطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له ياشيخ السوء ياشيبة جهنم كيف استأمنتك وأنت تخونني وتمكر بي فلما سمع البدوي كلامها قال لها ياقطعة حضرية ألك لسان تجاوبيني به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وماهو فيه من الامراض فبكت سرا وفي ثاني يوم التفتت الى البدوي وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حتى أتيت بي الى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها ياقطعة حضرية ألك لسان تجاوبيني به وأخذ السوط ونزل به على ظهرها الى أن أغشي عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسسته في كسك ياقطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها في طوقها وصارت تتفكر في حالها وفي حال اخيها وفي ذلها بعد العز وفي مرض أخيها ووحدته واغترابهما وأرسلت دموعها على الوجنات وأنشدت هذه الابيات

من عادة الدهر أدبار واقبال * فما يدوم له بين الورى حال
وكل شيء من الدنيا له اجل * وتنقضي لجميع الناس آجال
كم أحمل الضيم والأهوال يا أسفي * من عيشة كلها ضيم واهوال
لا أسعد الله أياما عززت بها * دهرا وفي طي ذاك العز اذلال
قد خاب قصدي وآمالي بها انصرمت * وقد تقطع بالتغريب أوصال
يامن يمر على دار بها سكني * بلغه عني أن الدمع هطال

فلما سمع البدوي شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام اليها ومسح دموعها وأعطاها قرصا من شعير وقال لها انا لا احب من يجاوبني في وقت الغيظ وأنت بعد ذلك لا تجاوبيني بشيء من هذا الكلام الفاحش وانا ابيعك لرجل جيد مثلي يفعل معك الخير مثل مافعلت معك قالت نعم ماتفعل ثم انها لما طال عليها الليل وأحرقها الجوع أكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل أمر البدوي جماعته أن يسافروا * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊فلما كانت الليلة السادسة والخمسون❊ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوى لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها أن يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل وأحرقها الجوع أكلت من القرص الشعير شيأ يسيرا ثم ان البدوى أمر جماعته أن يسافروا وحملوا الجمال وركب البدوى جملا وأردف نزهة الزمان خلفه وساروا وما زالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا فى خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغير لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكى من أجل ذلك فأقبل عليها البدوى وقال لها يا حضرية وحق طرطورى ان لم تتركى هذا البكاء لا أبيعك الا ليهودى ثم انه قام وأخذ بيدها وأدخلها فى مكان وتمشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون فى الجوارى وصار يكلمهم ثم قال لهم عندى جارية أتيت بها وهى وأخوها ضعيف فأرسلته الى أهلى فى مدينة القدس لأجل أن يداووه حتى يبرأ وقصدى أن أبيعها ومن يوم ضعف أخوها وهى تبكى وصعب عليها فراقه وأريد أن الذى يشتريها منى يلين لها الكلام ويقول لها ان أخاك عندى فى القدس ضعيف وأنا أرخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هى بكر بالغة ذات عقل وأدب وفطنة وحسن وجمال ومن حين أرسلت أخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوى وقال له اعلم يا شيخ العرب أنى أروح معك وأشترى منك الجارية التى تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها وأعطيك ثمنها وأشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها اليك فقال له البدوى ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط على ما شئت من الشروط فانك اذا أوصلتها الى الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وأنا لى عند السلطان حاجة وهو أن يكتب لى والده عمر النعمان بالوصية على فان قبل الجارية منى وزنت لك ثمنها فى الحال فقال له البدوى قبلت منك هذا الشرط ثم مشى الاثنان الى أن أقبلا على المكان الذى فيه نزهة الزمان ووقف البدوى على باب الحجرة وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوى الى التاجر وقال له هاهى قاعدة دونك فأقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر اليها فرآها بديعة فى الحسن والجمال لا سيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لى فانى أبلغ بها عند السلطان ما أريد ثم ان التاجر قال لها السلام عليك يا بنية كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت فى نفسها أظن أن هذا جاء يشترينى ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكنى من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو أرجى للخير من هذا البدوى الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقى فأنا أجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سيدى بهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم وأما سؤالك عن حالى فان شئت أن تعرفه فلا تتمنه الا لأعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت الى البدوى وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوى وقال له أفسدت على الجارية بهذا الكلام لأى شئ تقول انها جليلة مع أنها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف أنه قليل العقل فقال له طب نفسا وقر عينا فأنا أشتريها على هذا العيب الذى ذكرته فقال البدوى وكم تدفع لى فيها فقال له التاجر ما يسمى الولد الا أبوه فاطلب فيها مقصودك فقال له البدوى ما يتكلم الا أنت فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى جلف يابس الرأس وأنا لا أعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبى بفصاحتها وحسن

منظرها

منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوى لا يعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوى وقال له ياشيخ العرب أدفع لك فيها مائتى دينار سالمة ليدك غير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوى اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك لو أعطيتنى مائتى دينار فى هذه القطعة العباءة التى عليها ما بعتها لك فأنا لا أبيعها بل أخليها عندى ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يامنتنة أنا لا أبيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة وحق طرطورى ان لم تذهب عنى لاسمعتك ما لا يرضيك فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى مجنون ولا يعرف قيمتها ولا أقول له شيأ فى ثمنها فى هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ماقال وحق طرطورى والله انها تساوى خزنة من الجواهر وأنا ما معى ثمنها ولكن ان طلب منى ما يريد أعطيته اياه ولو أخذ جميع مالى ثم التفت الى البدوى وقال له ياشيخ العرب طول بالك وقل لى مالها من القماش عندك فقال البدوى وما تعمل قطاعة الجوارى هذه بالقماش والله ان هذه العباءة التى هى ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها وأقلبها كما يقلب الناس الجوارى لأجل الاشتراء فقال له البدوى دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهى عريانة فقال التاجر معاذ الله أنا ما أنظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والخمسون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتى ما اسمك فقالت له تسألنى عن اسمى فى هذا الزمان أو عن اسمى القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمى القديم نزهة الزمان واسمى الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف فقالت اى والله ياسيدى ولكن فرق الزمان بينى وبينه وهو مريض فى بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال فى نفسه لقد صدق البدوى فى مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت أخاها ومرضه وغربته وفراقها عنه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت ما جرى لها من هذا الامر مع البدوى ومن بعدها عن أمها وأبيها وملكها فجرت دموعها على خدها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الابيات

حيثما كنت فى ودوك الهى * أيها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث أمسيت جار * حافظ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لقربك عينى * واستهلت مدامعى أى سكب
ليت شعرى بأى ربع وأرض * أنت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شارب الماء حياة * خضر الورد فالمدامع شربى
أو شهدت الرقاد يوما لجمر * من سهادى بين الفراش وجنبى
كل شئ الا فراقك سهل * عند قلبى وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدى ثم ان البدوى قعد ينظر اليها وهى تغطى وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دمعها عن خدها فاعتقد أنها تمنعه من التقليب فقام اليها يجرى وكان معه مقود جمل فرفعه فى يده وضربها به على أكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض فى حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لابد

أن أشترى هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا وأريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوى وهى فى غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وأنشدت هذين البيتين

وارحمتا لعزيزة * بالضيم قد صارت ذليله * تبكى بدمع هاطل * وتقول ما فى الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لا تدعنى عند هذا الظالم الذى لا يعرف الله تعالى فان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسى بيدى فخلصنى منه يخلصك الله مما تخاف فى الدنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوى يا شيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى اياها بما تريد فقال البدوى خذها وادفع ثمنها والا أروح بها الى النجع وأتركها هناك تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر اعطيك خمسين ألف دينار فقال البدوى يفتح الله فقال التاجر سبعين ألف دينار فقال البدوى يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها أكلت عندى اقراصا من الشعير بتسعين ألف دينار فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك فى طول عمركم ما اكلتم بألف دينار شعيرا ولكن اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها عزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهرا فقال البدوى تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوى بعتك أياها بهذا الثمن وأقدر أنى اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله وأتى له بالمال وأقبضه اياه فأخذه البدوى وقال فى نفسه لا بد أن اذهب الى القدس لعلى اجد أخاها فأجىء به وابيعه ثم ركب وسافر حتى وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره ﴿واما﴾ ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان فانه لما اخذها القى عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم الجارية من البدوى وضع عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله والبسها أفخر الملبوس ثم اخذها ونزل بها الى السوق واخذ لها مصاغا ووضعه فى بقجة من الاطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا اذا اطلعت بك الى السلطان والى دمشق ان تعلميه بالثمن الذى اشتريتك به وان كان قليلا فى ظرفك واذا اشتراك منى فاذكرى له ما فعلت معك واطلبى لى منه مرقوما سلطانيا بالوصية على لأذهب به الى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لأجل ان يمنع من يأخذ منى مكسا على القماش او غيره من جميع ما أتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر يا سيدتى انى اراك كلما ذكرت لك بغداد تدمع عيناك ألك فيها احد تحبينه فان كان تاجرا او غيره فأخبرينى فانى اعرف جميع من فيها من التجار وغيرهم وان اردت رسالة انا اوصلها اليه فقالت والله ما لى معرفة بتاجر ولا غيره وانما لى معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال فى نفسه والله انى وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك ان الملك عمر النعمان يبلغك ما تريد فائتنى بدواة وقرطاس فانى اكتب لك كتابا فاذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالى والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهى تقرئك السلام واذا سألك عنى فأخبره انى عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول ابقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان

وطالعت

وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وحللت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت فى الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت فى سائر العلوم وألفت فى علم المنطق والبيان والحساب والجدل واعرف الروحانى والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت ائتنى بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا يسليك فى الاسفار ويغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين فى قصره ثم أتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر التاجر ذلك بين يديها قبل الارض تعظيما لها فأخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فى الدرج هذه الابيات

ما بال نومى من عينى قد نفرا ✻ أأنت علمت طرفى بعدك السهرا
ومالذكرك يذكى النار فى كبدى ✻ أهكذا كل صب للهوى ذكرا
سقيا لايام ما كان أطيبها ✻ مضت ولم أقض من لذاتها وطرا
أستعطف الريح ان الريح حاملة ✻ الى المتيم من أكنافكم خبرا
يشكو اليك محب قل ناصره ✻ وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعده هذا الكلام وهو تقول من استولت عليها الفكر وأنحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من أنوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الأرق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد أذابها الفكر والنحول وشرح حالها يطول لا مساعد لها غير العبرات وأنشدت هذه الابيات

ما غردت سحرا ورقاء فى فنن ✻ الا تحرك عندى قاتل الشجن
ولا تأوه مشتاق به طرب ✻ الى الاحبة الا ازددت فى حزنى
أشكو الغرام الى من ليس يرحمنى ✻ كم فرق الوجد بين الروح والبدن

ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضا هذين البيتين

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى ✻ وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمى نحولا أننى دنف ✻ لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وبعد ذلك كتبت فى أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فأخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صورك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فأخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صورك وزاد فى اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما أقبل الليل خرج الى السوق وأتى بشىء فأطعمها اياه ثم أدخلها الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فألبسيها ثيابها ثم أرسلى اعلمينى بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم أحضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبته وجدت المائدة حاضرة فأكلت هى والبلانة من الطعام والفاكهة وتركا الباقى لحارسة الحمام ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها فى مكان آخر فلما استيقظ من نومه أيقظ نزهة الزمان وأحضر لها قميصا رفيعا وكوفية بألف دينار وبدلة تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وجعل فى أذنيها حلقا من اللؤلؤ بألف دينار ووضع فى

قبتها طوقا من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر
وتسعة أهلة كل هلال فى وسطه فص من الياقوت وكل أكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة
ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التى كساها اياها بجملة بلغة من المال ثم أمرها التاجران تتزين
بأحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا فى حسنها وقالوا تبارك الله أحسن
الخالقين هنيئا لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشى وهى تمشى خلفه حتى دخل على الملك شركان
فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيتك بهدية غريبة الاوصاف عديمة
النظير فى هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والاحسان فقال له الملك قصدى ان أراها عيانا فخرج التاجر
وأتى بها حتى أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهى صغيرة ولم
ينظرها لانه بعد مضى مدة من ولادتها سمع ان له أختا تسمى نزهة الزمان وأخا يسمى ضوء المكان فاغتاظ
من أبيه غيظا شديدا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع
كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها فى عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية
والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه الى حال سبيلك فقال له
التاجر سمعا وطاعة ولكن أكتب لى مرقوما انى لا أدفع عشرا أبدا على تجارتى فقال الملك انى أفعل
لك ذلك ولكن أخبرنى كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة ألف دينار وكسوتها مائة ألف دينار فلما
سمع ذلك الملك قال أنا أعطيك فى ثمنها أكثر من ذلك ثم دعا بخازنداره وقال له أعط هذا التاجر
ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ثم ان شركان أحضر القضاة الاربعة وقال لهم أشهدكم انى
أعتقت جاريتى هذه وأريد ان أتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على
رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا وصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثر عليهم الملك من الذهب ثم ان الملك أمر
بكتابة منشور الى التاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له أحد بسوء فى سائر
مملكته وبعد ذلك أمر له بخلعة سنية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للستين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك أمر بكتابة منشور للتاجر
على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا أبدا ولا يتعرض له أحد بسوء فى تجارته وبعد ذلك أمر له
بخلعة سنية ثم صرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة أريد ان تسمعوا من
ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وأدبها من كل ما ادعاه التاجر لنحقق صدق كلامه فقالوا لا بأس بذلك
فأمر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء التى مع الجارية خلف
الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقلعن عنها ما عليها
من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وسمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية
لا مثل لها فى الجمال والعلم والأدب وانها احوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة ألف دينار وعشرين
ألف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم
عن اسئلتهم فطلب النساء الاذن من ازواجهن ومضين الى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلنا عليها
وجدن الخدم وقوفا بين يديها وحين رأت نساء الامراء والوزراء داخلة عليها قامت اليهن وقابلتهن وقامت
الجوارى خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فى وجوههن فأخذت قلوبهن وانزلتهن فى
مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن ما هذه جارية بل هى
ملكة بنت ملك وصرن يعظمن من قدرها وقلن لها يا سيدتنا اضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا

فالمملكة

فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جوار وك فبالله لا تخلينا من احسانك والنظر الى حسنك
فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو
والقضاة الاربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة في زمانها ان هذا
التاجر قد وصفك بالعلم والأدب وادعى انك تعرفين في جميع العلوم حتى علم النحو فأسمعينا من كل باب
طرفا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة أيها الملك الباب الاول في السياسات والآداب الملكية
وما ينبغي لولاة الامور الشرعية وما يلزمهم من قبل الاخلاق المرضية (اعلم) ايها الملك ان مقاصد الخلق
منتهية الى الدين والدنيا لانه لا يتوصل احد الى الدين الا بالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الآخرة وليس
ينتظم امر الدنيا الا باعمال اهلها واعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام الامارة والتجارة والزراعة
والصناعة فالامارة ينبغي لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمار الدنيا التي هي
طريق الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغي لكل انسان أن
يتناول منها بقدر ما يوصله الى الله ولا يتبع في ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت
الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسببت عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا
الى سلطان لأجل ان ينصف بينهم ويضبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على
ضعيفهم وقد قال أزدشير ان الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول
على انه يجب على الناس ان يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوي ويكف
بأس العاتي والباغي واعلم أيها الملك انه على قدر حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيآن في الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد
قال بعض الحكماء الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك الدين فانه يلزم
رعيته باتباع دينهم وينبغي ان يكون أدينهم لانه هو الذي يقتدى به في أمور الدين ويلزم الناس طاعته
فيما أمر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم الى الاقدار واما
ملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم بأمور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على
المروأة ويكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم اعوجاجه بحد الحسام
وينشر العدل في جميع الانام واما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذي ولاه
فمآل ملكه الى الدمار ونهاية عتوه الى دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس وهم
محتاجون الى واحد ولأجل ذلك وجب ان يكون عارفا باخلاقهم ليرد اختلافهم الى وفاقهم ويعمهم
بعدله ويغمرهم بفضله واعلم أيها الملك ان أزدشير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الأقاليم جميعها
وقسمها على اربعة اقسام وجعل له من اجل ذلك اربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة
والمحاماة وكتب عليه النيابات الثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم
القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم في الفرس الى ان
ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه وهو في جيشه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك وأدرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الحادية والستون ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت ان كسرى كتب لابنه
وهو في جيشه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء
مقتصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروى أن اعرابيا جاء الى

المنصور وقال له أجمع كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال له أبو العباس الطوسي أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم أنها كلمة لاتخطأ وأمر للاعرابي بعطية واعلم أيها الملك انه كتب عبد الملك بن مروان لاخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه الى مصر تفقد كاتبك وحاجبك فان الثابت يخبرك عنه كاتبك والتوسم تعرفك به حاجبك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب اذا استخدم خادما شرط عليه أربعة شروط أن لايركب البراذين وان لايلبس الثياب النفيسة وأن لايأكل من الفئ وان لايؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لامال أجود من العقل ولاعقل كالتدبير والحزم ولاحزم كالتقوى ولاقربة كحسن الخلق ولاميزان كالادب ولافائدة كالتوفيق ولاتجارة كالعمل الصالح ولاربح كثواب الله ولاورع كالوقوف عند حدود السنة ولاعلم كالتفكر ولاعبادة كالفرائض ولاايمان كالحياء ولاحسب كالتواضع ولاشرف كالعلم فاحفظ الرأس وماحوى والبطن وماوعى واذكر الموت والبلى وقال على رضى الله عنه اتقوا أشرار النساء وكونوا منهن على حذر ولاتشاوروهن فى أمر ولاتضيقوا عليهن فى معروف حتى لايطمعن فى المنكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضى الله عنه النساء ثلاثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولاتعين الدهر على بعلها وأخرى تراد للولد لاتزيد على ذلك وأخرى يجعلها الله غلا فى عنق من يشاء والرجال أيضا ثلاثة رجل عاقل اذا أقبل على رأيه وآخر أعقل منه وهو من اذا نزل به أمر لايعرف عاقبته فيأتى ذوى الرأى فينزل عند آرائهم وآخر حائر لايعلم رشدا ولايطيع مرشدا والعدل لابد منه فى كل الاشياء حتى ان الجوارى يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا فى قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لولم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الأخلاق الكرم وحسن الخلق وما أحسن قول الشاعر

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى * وكونك اياه عليك يسير

وقال آخر

فى الحلم اتقان وفى العفو هيبة * وفى الصدق منجاة لمن كان صادقا
ومن يلتمس حسن الثناء بماله * يكن بالندى فى حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت فى سياسة الملوك حتى قال الحاضرون مارأينا أحدا تكلم فى باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ماقالوه وفهمته فقالت وأما باب الأدب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق أن بنى تميم وفدوا على معاوية ومعهم الاحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم فى الدخول فقال يا أمير المؤمنين ان أهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظروا من بالباب فقالوا بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الأحنف بن قيس فقال له معاوية أقرب منى يا أبا بحر بحيث أسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لى قال يا أمير المؤمنين افرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظافر وانتف الابط واحلق العانة وأدم السواك فان فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثانية والستون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد انها قالت ان الاحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السواك فان فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قال أوطئ قدمى على الأرض وأنقلها على تمهل وأراعيها بعينى قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال أطرق حياء وابدأ بالسلام وأدع مالايعنينى وأقل الكلام

الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال أستمع لهم اذا قالوا ولا أجول عليهم اذا جالوا قال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال أسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربونى قربت وان أبعدونى بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفنى من هذا يا امير المؤمنين قال أقسمت عليك أن تخبرنى قال أحسن الخلق واظهر العشرة وأوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع أعوج قال فما رأيك اذا أردت أن تجامعها قال أكلمها حتى تطيب نفسها والثمها حتى تطرب فان كان الذى تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة فى قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها أحسن تصوير ثم أقوم عنها الى الوضوء فأفيض الماء على يدى ثم اصبه على جسدى ثم احمد الله على ما أعطانى من النعم فقال معاوية أحسنت فى الجواب فقل حاجتك فقال حاجتى أن تتقى الله فى الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لولم يكن بالعراق الا هذا لكفى ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الأدب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم أيها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوما فأعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان أعطيته الدرهم انصرفت الى بيتى فبينما أنا جالس واذا برسول عمر جاءنى فرهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم فى يده وقال لى ويحك يا معيقب انى قد وجدت فى نفسك شيأ قلت وماذاك يا أمير المؤمنين قال انك تخاصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى أبى موسى الأشعرى كتابا مضمونه اذا جاءك كتابى هذا فأعط الناس الذى لهم واحمل الى ما بقى ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب الى أبى موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدى عثمان جاء ولده فأخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال أتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فأخذ ابنه درهما فأمر بنزعه من يده وابنك أخذ فلم أر أحدا ينزعه منه أو يقول له شيأ فقال عثمان واين تلقى مثل عمر وروى زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضرم فقال يا اسلم انى أحسب هؤلاء ركبا أضر بهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى اتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام عليكم اصحاب الضوء وكره أن يقول اصحاب النار ما بالكم قالت أضر بنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يتضاغون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ماء أسكتهم به وان عمر بن الخطاب ليسأله الله عنهم يوم القيامة قال وما يدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس ويغفل عنهم قال أسلم فأقبل عمر على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الصرف فأخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملنى هذا فقلت انا احمله عنك يا أمير المؤمنين فقال اتحمل عنى وزرى يوم القيامة فحملته اياه وخرجنا نهرول حتى ألقينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من الدقيق شيأ وجعل يقول للمرأة ترددى الى وكان ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ وأخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال أطعميهم وانا أبرد لهم ولم يزالوا كذلك حتى أكلوا وشبعوا وترك الباقى عندها ثم أقبل على وقال يا أسلم انى رأيت الجوع أبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى يتبين لى سبب الضوء الذى رأيته * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والستون﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر

مر براع مملوك فابتاعه شاة فقال له انها ليست لى فقال أنت القصد فاشتراه ثم أعتقه وقال اللهم كما رزقتنى العتق الاصغر فارزقنى العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ويعطى الناس حقوقهم ويزيد فى عطائهم وأعطى رجلا أربعة آلاف درهم وزاده ألفا فقيل له أما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم أحد وقال الحسن أتى عمر بمال كثير فأتته حفصة وقالت له يا أمير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما أوصى الله بحق قرابتى من مالى وأما مال المسلمين فلا يا حفصة قد أرضيت قومك وأغضبت أباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الى ربى سنة من السنين أن يرينى أبى حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدى فقال لولا رحمة ربى لهلك أبوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع ايها الملك السعيد الفصل الثانى من الباب الثانى وهو باب الأدب والفضائل وما ذكر فيه من أخبار التابعين والصالحين قال الحسن البصرى لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتأسف على ثلاثة أشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه لما امل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان متى ابتلى صبر ومتى أعطى شكر وقيل لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة أحضر ولده محمدا فأوصاه وقال له يا بنى انى لأرى داعى الموت قد دعانى فاتق ربك فى السر والعلانية واشكر الله على ما انعم واصدق فى الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد فى المعاد كما قال بعضهم

ولست أرى السعادة جمع مال * ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد حقا * وعند الله تلقى ما تريد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثانى من الباب الاول قيل لها وما هى قالت لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لأهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه فى بيت المال ففزعت بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأرسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم أتته ليلا فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال لها يا عمة أنت اولى بالكلام لان الحاجة لك فأخبرينى عن مرادك فقالت يا أمير المؤمنين أنت اولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا بالقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا بالقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك للناس نهرا يروى عطاشهم ثم قام أبو بكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر بعد أبى بكر فعمل خير أعمال الابرار واجتهد اجتهادا ما يقدر أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولى معاوية فاشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الامر الى فأحببت أن أرد النهر الى ما كان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ ورجعت الى بنى أمية فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتزويجكم الى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع أولاده حوله فقال له مسلمة ابن عبد الملك يا أمير المؤمنين كيف تترك أولادك فقراء وأنت راعيهم فما يمنعك أحد فى حياتك من ان تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من ان ترجعه الى الوالى بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتى فكيف أشقى بهم مماتى ان اولادى ما بين رجلين اما مطيع لله

تعالى

تعالى فالله يصلح شأنه واما عاص فما كنت لأعينه على معصيته يا مسلمة انى حضرت والدك حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني فرأيته فى المنام أفضى الى أمر من أمور الله عزوجل فهالني وراعني فعاهدت الله ان لا أعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت فى ذلك مدة حياتي وأرجو ان أفضي الى عفو ربي قال مسلمة بقي رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم فى روضة فيها انهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل على وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقاة كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فررت براع فرأيت مع غنمه ذئبا أو ذئابا فظننت انها كلاب ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب فى غنم تضرها فقال اذا صلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا أن الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي فى الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا أمير المؤمنين لو عملنا لك متكأ لتقعد عليه قليلا فقال أخاف أن يكون فى عنقي منه شيء يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظروا هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت مصرعك بين يدي الله عزوجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذلك الذي أبكانا فقال حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثم أراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة والستون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول اتفق أنه كتب عمر بن عبد العزيز الى أهل الموسم أما بعد فاني أشهد الله فى الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر أني أبرأ من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغني أو أحاط به علمي وأرجو أن يكون لذلك موضع من الغفران الا انه لا اذن مني بظلم أحد فاني مسؤل عن كل مظلوم الا وأي عامل من عمالي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضي الله تعالى عنه ما أحب ان يخفف عني الموت لانه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثني عشر درهما فأمر بوضعها فى بيت المال قلت يا أمير المؤمنين انك أفقرت أولادك وجعلتهم عيالا لا شيء لهم فلو أوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من أهل بيتك فقال ادن مني فدنوت منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوص اليهم أو الى من هو فقير من أهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي على أولادي وعلى من هو فقير من أهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين اما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا واما رجل معتكف على المعاصي فاني لم أكن لأقويه على معصية الله ثم بعث اليهم وأحضرهم بين يديه وكانوا اثني عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال ان أباكم ما بين أمرين اما ان تستغنوا فيدخل أبوكم النار واما أن تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنة أحب اليه من ان تستغنوا قوموا قد وكلت أمركم الى الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما

قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل فى أرض وضرب له خياما فلما اخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت عينى فى عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك أذى يا أمير المؤمنين انى لم أجد لك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك فى عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطى أحد مثل ما أعطيته وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين فى منهاجه فقال أيها الملك انك سألت عن أمر عظيم أتأذن لى فى الجواب عنه قال نعم قال ارايت الذى انت فيه شيأ لم يزل زائلا فقال هو شىء زائل قال فمالى اراك قد اعجبت بشىء تكون فيه قليلا وتسئل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فأين المهرب واين المطلب قال أن تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فاذا كان السحر فانى قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وأمر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالى والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بأمير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وانى لأعجز عن الاتيان بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والستون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وانى لاعجز عن الاتيان لك بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خير فقالت القضاة أيها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان فاننا ما رأينا ولا سمعنا بمثلها فى زمن من الازمان ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا فى عمل العرس وهيؤا الطعام من جميع الالوان فامتثلوا امره فى الحال وهيؤا جميع الاطعمة وأمر نساء الامراء والوزراء وارباب الدولة ان لا ينصرفوا حتى يحضر والجلاء العروس فما جاء وقت العصر حتى مدوا السفرة مما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وأكل جميع الناس حتى اكتفوا وأمر الملك أن تحضر كل مغنية فى دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك اللاتى يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما أتى المساء وأظلم الظلام أوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان وأخذت المواشط الصبية لتزينها وتلبسها فرأينها لا تحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها واوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان وأخذ وجهها وعلقت منه فى تلك الليلة وأعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وأمر الحكماء أن يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسى وطلع له أرباب دولته وهنوه وأحضر كاتب سره وأمره أن يكتب كتابا لوالده عمر النعمان بأنه اشترى جارية ذات علم وأدب قد حوت فنون الحكمة وانه لا بد من ارسالها الى بغداد لتزور أخاها ضوء المكان وأختها نزهة الزمان وأنه أعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله الى أبيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع اليه بالجواب وناوله فأخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذى فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر النعمان الى ولده شركان اعلم أنه بعد مسيرك من عندى ضاق على المكان حتى

استطيع

استطيع صبرا ولا اقدر أن أكتم ضرا وسبب ذلك انى ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب منى الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثانى أو الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما اتيت وجدت اخاك وأختك أخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بى الفضاء وقد انتظرت مجىء الحجاج لعلهما يجيآن معهم فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرنى احد بخبرهما فلبست لأجلهما ثياب الحزن وأنا رهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم انشد هذين البيتين

خيالهما عندى وليس بغائب * جعلت له فى القلب أشرف موضع
ولولا رجاء العود ماعشت ساعة * ولولا خيال الطيف لم أتهجع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك أعرفك أنك لا تتهاون فى كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على أبيه وفرح لفقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم أنها اخته وهى لا تعلم انه أخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت أشهرها وجلست على كرسى الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتا فأرسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمها ماتريد قال عادة الناس أن يسموا اولادهم فى سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد فى عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التى جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة فى عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه فى الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له أنا سيدتك وسيدة كل من فى قصرك أما تستحى وأنت تقول ياجارية وأنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان أنا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض وعرف انها اخته من أبيه فغاب عن الدنيا فلما أفاق صار يتعجب ولكنه لم يعرفها بنفسه وقال لها ياسيدتى هل أنت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لأبيك وبيعك فحكت له جميع ماوقع لها من الأول الى الآخر وأخبرته انها تركت اخاها مريضا فى بيت المقدس وأخبرته باختطاف البدوى لها وبيعه اياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال فى نفسه كيف أتزوج بأختى لكن انا ازوجها لواحد من حجابى واذا ظهر امر ادعى انى طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان انت اختى حقيقة واستغفر الله من هذا الذنب الذى وقعنا فيه فانى انا شركان ابن الملك عمر النعمان فنظرت اليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا فى ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما اقول لابى وامى اذا قالا لى من اين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأى عندى ان ازوجك بالحاجب وادعك تربى بنتى فى بيته بحيث لا يعلم احد بأنك اختى وهذا الذى قدره الله علينا لامر اراده فلم يسترنا الا زواجك بهذا الحاجب قبل ان

يدرى احد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل راسها فقالت له وما تسمى البنت قال اسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هى وبنتها فر بوها على اكتاف الجوارى وواظبوا عليها بالاشربة وانواع السفوف هذا كله واخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق انه اقبل بريد يوما من الايام من عند الملك عمر النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب فأخذه وقراه فراى فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز انى حزين حزنا شديدا على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمنى السهاد وقد ارسلت هذا الكتاب اليك حال حصوله بين يديك ترسل الينا الخراج وترسل صحبته الجارية التى اشتريتها وتزوجت بها فانى احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رايتهن احببتهن وقد اشتهيت ان يكن فى قصرى وفى ملك يدى لانه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا ابيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ارى خراج دمشق قليلا فى ثمنهن فان الواحدة منهن تساوى اكثر من هذا المبلغ فأجبتها الى ذلك ودخلت بهن قصرى وبقين فى حوزى فعجل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الموفية للسبعين * قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التى زوجتك اياها فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لها يا اختى ما عندك من الراى فى رد الجواب قالت له الراى رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلنى صحبة زوجى الحاجب لاجل ان احكى لابى حكايتى واخبره بما وقع لى مع البدوى الذى باعنى للتاجر واخبره بان التاجر باعنى لك وزوجتنى للحاجب بعد عتقى فقال لها شركان وهو كذلك ثم اخذ ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع فى تجهيز الخراج وامر الحاجب ان يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجه الى بغداد فأجابه الحاجب بالسمع والطاعة فأمر له بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة ايضا ثم كتب كتابا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد اخذ منها الخرزة وجعلها فى عنق ابنته فى سلسلة من خالص الذهب ثم سافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان هو والوقاد فى تلك الليلة يتفرجان فرايا جمالا وبغالا ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقيل له هذا خراج دمشق مسافرا الى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذى تزوج الجارية التى تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وتذكر امه واباه واخته ووطنه وقال للوقاد ما بقى لى قعود هنا بل اسافر مع هذه القافلة وامشى قليلا قليلا حتى اصل الى بلادى فقال له الوقاد انا ما امنت عليك من القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد فانا اكون معك حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد فى تجهيز حاله ثم شد الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيأ من الزاد وشد وسطه وما زال على اهبة حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معى فقال لا اركب ولكن اكون فى خدمتك فقال ضوء المكان لا بد ان تركب ساعة فقال له اذا تعبت اركب ساعة ثم ان ضوء المكان قال للوقاد يا اخى سوف تنظر ما افعل بك اذا وصلت

الى

الى اهلى ومازالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما اشتد عليهم الحر أمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماه ونزلوا واقاموا بها ثلاثة ايام * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والسبعون﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم أقاموا فى مدينة حماه ثلاثة ايام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتى وصلوا مدينة اخرى فأقاموا بها ثلاثة ايام ثم سافروا حتى وصلوا الى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الى ابيه بغير اخته فبكى وأنّ واشتكى واشتدت به الحسرات فأنشد هذه الابيات

خليلىّ كم هذا التأنى وأصبر * ولم يأتنى منكم رسول يخبر
الا ان ايام الوصال قصيرة * فياليت ايام التفرق تقصر
خذوا بيدى ثم ارحموا الصبابة * تلاشى بها جسمى وان كنت اصبر
فان تطلبوا منى سلوّا أقل لكم * فوالله ما اسلوا الى حين احشر

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء والانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لا بد من انشادى شيأ من الشعر لعل نار قلبى تنطفى فقال له الوقاد بالله عليك ان تترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيثما كنت فقال ضوء المكان والله لا افتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لانها تذكرت اخاها ضوء المكان فقلقت وصارت تبكى فبينما هى تبكى اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكى وينشد هذه الابيات

لمع البرق اليمانى * فشجانى ماشجانى * من حبيب كان عندى * ساقيا كأس التهانى
ياوميض البرق هل تر * جع أيام التدانى * ياعذولى لا تلمنى * ان ربى قد بلانى
بحبيب غاب عنى * وزمان قد دهانى * قد نأت نزهة قلبى * عند ما ولى زمانى
وحوى لى الهم صرفا * وبكأس قد سقانى * وأرانى ياخليلى * مت من قبل التدانى
* يازمانا للتصابى * عد قريبا بالامانى * فى سرور مع آمان * من زمان قد رمانى
من لمسكين غريب * بات مرعوب الجنان * صار فى الحزن فريدا * بعد نزهات الزمان
حكمت فينا برغم * كف أولاد الزوانى

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من أمره ﴿وأما﴾ ما كان من أمر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة فى تلك الليلة لانها تذكرت أخاها فى ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتنى بالذى ينشد الاشعار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والسبعون﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتنى بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها انى لم اسمعه ولم أعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذى ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فانه كان فى غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل أنت الذى كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد أن السيدة اغتاظت من الانشاد فخاف وقال والله ما هو أنا فقال له الخادم ومن الذى كان ينشد الشعر فدلنى عليه فانك تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال فى نفسه ربما يضره الخادم بشئ فقال له لم

أعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فانه ماهنا قاعد الا انت فانت تعرفه فقال الوقاد أنا أقول لك الحق ان الذى كان ينشد الاشعار رجل عابر طريق وهو الذى ازعجنى وأقلقنى فالله يجازيه فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلنى عليه وأنا أمسكه وآخذه الى باب المحفة التى فيها سيدتنا وأمسكه أنت بيدك فقال له اذهب أنت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل وأعلم سيدته بذلك وقال ما أحد يعرفه لانه عابر سبيل فسكتت ثم ان ضوء المكان لما أفاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيج فى قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته وأراد أن ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد أن تصنع فقال أريد أن انشد شيأ من الشعر لاطفئ به لهيب قلبى قال له أنت ما علمت بما جرى لى وما سلمت من القتل الا بأخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فأخبرنى بما وقع فقال يا سيدى قد أتانى الخادم وأنت مغشى عليك ومعه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع فى وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيرى فسألنى فقلت له انه عابر سبيل فانصرف وسلمنى الله منه والا كان قتلنى فقال لى اذا سمعته ثانيا فأت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعنى من الانشاد فأنا أنشد ويجرى على ما يجرى فانى قربت من بلادى ولا أبالى بأحد فقال له الوقاد أنت ما مرادك الا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لابد من انشادى فقال له الوقاد قد وقع الفراق بينى وبينك من هنا كان مرادى أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بأبيك وأمك وقد مضى لك عندى سنة ونصف وما حصل لك منى ما يضرك فما سبب انشادك الشعر ونحن فى غاية التعب من المشى والسهر والناس قد هجعوا يستريحوا من التعب ومحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا أرجع عما أنا فيه ثم هزته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات

قف بالديار وحى الاربع الدرسا * ونادها فعساها أن تجيب عسى
فان أجنك ليل من توحشها * أوقد من الشوق فى ظلماتها قبسا
ان صل صدغ عذاريه فلا عجب * ان يجن لسعا وانى أجتنى لعسا
ياجنة فارقتها النفس مكرهة * لولا التأسى بدار الخلد مت أسى

وأنشد أيضا هذين البيتين

كنا وكانت لنا الايام خادمة * والشمل مجتمع فى أبهج الوطن
من لى بدار أحبائى وكان بها * ضوء المكان وفيها نزهة الزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما أنشده من الاشعار المتضمنة لذكر اسمها واسم أخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذى أنشد أولا أنشد ثانيا وسمعته قريبا منى والله ان لم تأتنى به لانبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطها اياه وائتنى به برفق فان أبى فادفع له هذا الكيس الذى فيه ألف دينار فان أبى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن أى البلاد هو وارجع الى بسرعة ولا تغب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اذا وجدته فلاطفه وائتنى به برفق ولا تغب فخرج الخادم يتأمل فى الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحدا مستيقظا فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له أنت الذى كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يا مقدم القوم ما هو أنا فقال له الخادم

لا اتركك

لا اترك كل حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني لا اقدر على الرجوع الى سيدتي من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ما هو انا وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب وجئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال الخادم للوقاد قم انت معي الى سيدتي واخبرها بفمك فاني ما رايت احدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد اما جئت ورايتني في الموضع الذي انا قاعد فيه وعرفت مكاني وما احد يقدر ان ينقل عن موضعه الا مسكته الحرس فامض انت الى مكانك فان بقيت تسمع احدا في هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا او قريبا لا تعرفه الا مني ثم باس راس الخادم واخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف ان يرجع الى سيدته بلا فائدة فاستتر في مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى احكي لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعني فاني لا ابالي باحد فان بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاي شيء انت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من احد وانا خائف على روحي وروحك فبالله عليك انك لا تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلادك وانا ما كنت اظنك على هذه الحالة اما علمت ان زوجة الحاجب تريد زجرك لانك اقلقتها وكانها ضعيفة او تعبانة من السفر وكم مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وانشد هذه الابيات

تركت كل لائم * ملامه أقلقني * يعذلني وما درى * بأنه حرضني
قال الوشاة قد سلا * قلت لحب الوطن * قالوا فما أحسنه * قلت فما اعشقني
قالوا فما أعزه * قلت فما اذلني * هيهات ان اتركه * لو ذقت كاس الشجن
وما أطعت لائما * لي في الهوى يعذلني

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم يا سيدي فقال ضوء المكان عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم يا سيدي * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان يا سيدي اني اتيت اليك في هذه الليلة ثلاث مرات لان سيدتي تطلبك عندها قال ومن اين هذه الكلبة حتى تطلبني مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل في الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد عليه جوابا لان سيدته اوصته انه لا ياتي به الا بمراده هو فان لم يات معه يعطه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا ولدي نحن ما اخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد ان تصل بخطواتك الكريمة الى سيدتنا وترجع في خير وسلامة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول في نفسه يا خسارة شبابه في غد يشنقونه وما زال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وقال ما اخسه ان كان يقول علي هو الذي قال لي انشد الاشعار هذا ما كان من امر الوقاد (واما) ما كان من امر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه اثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له مره ان ينشد شيأ من الشعر حتى اسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن اي البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له انشد شيأ من الشعر حتى تسمعه سيدتي فانها حاضرة بالقرب منك واخبرني عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن حيث سألتني عن اسمي فانه محي ورسمي فني وجسمي بلي ولي حكاية تكتب بالابر على آماق البصر وها انا في منزلة السكران الذي اكثر من الشراب وحلت به

الاوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى أمره وغرق فى بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن تحب مثل أمك وابيك فسأله الخادم كما امرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندى اختى التى فرق الدهر بينى وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شمله بمن يحب * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون * قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له أسمعنا شيأ من الاشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما امرته سيدته فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ليت شعرى لودروا * اى قلب ملكوا * وفؤادى لودرى * اى شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا * حار أرباب الهوى * فى الهوى وارتبكوا

وانشد ايضا هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولاجفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * أنسا بقربكم قد عاد يبكينا
ياجنة الخلد بدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا

ثم سكب العبرات وانشد هذه الابيات

لله نذران أزر مكانى * وفيه أختى نزهة الزمان * لأقضين بالصفا زمانى
مابين غيد خرد حسان * وصوت عود ومطرب الألحان * مع ارتضاع كاس بنت الحان
ورشف ألمى فاتر الاجفان * بشط نهر سال فى بستان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرت اليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا اخى يا ضوء المكان فرفع بصره اليها فعرفها وصاح قائلا يا اختى يا نزهة الزمان فألقت نفسها عليه فتلقاها فى حضنه ووقع الاثنان مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب فى أمرهما وألقى عليهما شيأ سترهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلما أفاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وانشدت هذه الابيات

الدهر أقسم لا يزال مكدرى * حنثت يمينك يا زمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمر
ما كنت أعتقد السوالف جنة * حتى ظفرت من اللمى بالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم اخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من اجفانه العبرات وانشد هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا * ندما أفاض الدمع من أجفانى
ونذرت ان عاد الزمان يلمنا * لاعدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى انه * من فرط ماقد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم داخل المحفة واحك لى ماوقع لك وأنا أحكي لك ماوقع لى فقال ضوء المكان احكى لى أنت أولا فحكت له جميع ماوقع لها منذ فارقته من الخان وماوقع لها من البدوى والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف أخذها التاجر الى أخيها شركان وباعها له وان شركان أعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وأن الملك أباها سمع بخبرها فأرسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذى من على بك ومثل ماخرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان أخى شركان زوجنى بهذا الحاجب لأجل أن يوصلنى الى والدى وهذا ماوقع لى من الاول الى الآخر فاحك لى أنت ماوقع لك بعد ذهابى من عندك فحكى لها جميع ماوقع له من الاول الى الآخر وكيف من الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وأنفق عليه ماله وانه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها ياأختى ان هذا الوقاد فعل معى من الاحسان فعلا لا يفعله أحد فى أحد من أحبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمنى ويمشى ويركبنى وكانت حياتى على يديه فقالت نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان وقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك ياوجه الخير لانه كان جمع شملى بأخى على يديك فالكيس الذى معك ومافيه لك فاذهب وائتنى بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فأتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها أخاها فسأل عنه فحكت له ماوقع لهما من أوله الى آخره ثم قالت اعلم أيها الحاجب أنك ما أخذت جارية وانما أخذت بنت الملك عمر النعمان فأنا نزهة الزمان وهذا أخى ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ماقالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر النعمان فقال فى نفسه مصيرى أن آخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم أقبل على ضوء المكان وهنأه بسلامته وجمع شمله باخته ثم أمر خدمه فى الحال أن يهيؤا لضوء المكان خيمة ومركوبا من أحسن الخيول فقالت له أخته انا قد قربنا من بلادنا فأنا أختلى بأخى ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل أن نصل الى بلادنا فان لنا زمنا طويلا ونحن مفترقون فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم أرسل اليهما الشموع وأنواع الحلاوة وخرج من عندهما وأرسل الى ضوء المكان ثلاث بدلات من أفخر الثياب وتمشى الى أن جاء الى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان أرسل الى الخادم وامره أن يأتى بالوقاد ويهيئ له حصانا يركبه ويرتب له سفرة طعام فى الغداة والعشى ويأمره أنه لا يفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب الى الخادم وأمره أن يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم أخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى أن وجده فى آخر الركب وهو يشد حماره ويريد أن يهرب ودموعه تجرى على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته فى سبيل الله فلم يسمع منى ياترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على راسه ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق راسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والسبعون﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوقاد لما اراد ان يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول ياترى كيف حاله فما تم كلامه الا والخادم واقف على راسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ماعرف مقدار ماعملته معه من المعروف فأظن أنه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وانه أشركنى معه فى الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذى كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول

لي انا ما أنشد الاشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فأنا لا أوارقك من هنا الى بغداد والذي يجرى على رفيقك يجرى عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال فى نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت

كان الذي خفت أن يكونا * انا الى الله راجعونا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال لهم أنزلوه عن الحمار فأنزلوا الوقاد عن حماره وأتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله يحدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن أكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم أنا مالى اخوة ولا اقارب وهذا الشاب لا يقرب لى ولا أنا أقرب له وانما أنا رجل وقاد فى حمام ووجدته ملقى على المزبلة مريضا وصار الوقاد يبكى ويحسب فى نفسه ألف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشىء بل يقول له قد أقلقت سيدتنا بانشادك الشعر أنت وهذا الصبي ولا تخف على نفسك وصار الخادم يتضحك عليه سرا واذا نزلوا أتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد فى آنية واحدة فاذا أكلوا أمر الخادم الغلمان أن يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما فى غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمان وأخوها ضوء المكان فى حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى أن لاح الفجر فاستيقظوا وأرادوا أن يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجى فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات وأعلام وطبول وفرسان وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس وأتوا الى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بهم وأحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أى شىء الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من أنت ومن أين أتيت والى أين تتوجه فقال لهم أنا حاجب أمير دمشق الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان أتيت من عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه أرخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر النعمان قد مات ومامات الا مسموما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا فى هذه السفرة وسار يبكى هو ومن معه الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فأذن له وامر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير فى وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فأعلمه انه حاجب امير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى اوقعوا القتل فى بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على أن ما أشار به القضاة الاربعة لا يخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق على أننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتى به ونسلطنه على مملكة أبيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثانى وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما أحد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التى وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان

غما

هما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه تصير سلطانا ببغداد فى مكان ابيه

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والسبعون * قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبر الملك عمر النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من اعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتمونى الآن أراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على أهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرنى بقصتهما وما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من أوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا فى خدمته وقبلوا الارض بين يديه وأقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل فى ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على التخت وبين أيديهما جميع الامراء والكبراء وأرباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر فى ماء الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة وأعطوا بقية الجيش اذنا فى أن يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فقبلوا الارض بين يدى الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أقبل الحاجب على الوزير دندان وقال له الرأى عندى أن أتقدم وأسبقكم لاجل أن أهيئ للسلطان مكانا يناسبه وأعلمه بقدومكم وانكم اخترتموه على أخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأى الذى رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقادم وأقسم عليه أن يقبلها وكذلك الامراء الكبار وأرباب المناصب قدموا له التقادم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان فى أمرنا ليبقينا مستمرين فى مناصبنا فأجابهم لما سألوه ثم أمر غلمانه بالسير فأرسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وأمر الفراشين أن ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا أمره وركب الحاجب وهو فى غاية الفرح وقال فى نفسه ما أبرك هذه السفرة وعظمت زوجته فى عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد فى السفر الى أن وصل الى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم أمر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان فى أن يدخل عليها فاستأذنوها فى شأن ذلك فأذنت له فدخل عليها واجتمع بها وبأخيها واخبرهما بموت أبيهما وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا على فقد أبيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفى غد يكون هو والجيش كله فى هذا المكان ومابقى فى الامر أيها الملك الا أن تفعل ما أشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذى يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فأطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلى عنه وتحقق أن الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب ياعم وكيف أعمل مع أخى شركان فقال ياولدى أخوك يكون سلطان دمشق وانت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التى كانت مع الوزير

دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وامر الفراشين أن يختاروا موضعا عاليا وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم أمر الطباخين ان يطبخوا طعاما فاخرا ويحضروه وأمر السقايين أن ينصبوا حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب لما امر الفراشين أن ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من أشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهواء ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين أن ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من فى الخيام مشى فى خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب فى خدمته بين يديه ووقفت مماليكه فى دهليز الخيمة وشهروا فى أيديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فأمر ان يدخلوا عليه عشرة عشرة فأعلمهم الحاجب بذلك فأجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب فى الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم أحسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لا يخالفون له أمرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة أخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم ان الحاجب خرج فى تلك الساعة وامر بمد السماط وامر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان مر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى أختلى بك وتخبرنى بسبب قتل ابى فامتثل الوزير قول السلطان وقال لا بد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا أمره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولا يدخل احد من أرباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم أقبل عليه الوزير واعلمه بالذى كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها أعلمت بسبب قتل ابى اولم تعلمى بسببه كيف كان فقالت له لم أعلم سببه قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وأمر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له أريد ان تخبرنى تفصيلا بسبب قتل ابى الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر النعمان لما أتى من سفره الى الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد أبكار كأنهن الاقمار وحوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز فى الدخول على الملك فأذن لها فدخلت عليه وقبلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما رأى عليها آثار

الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايها الملك ان معى خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهن بين يديك واقفات فى خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء او يهان فنظر المرحوم والدك الى الجوارى فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعنى شيأ مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجوارى فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعنى شيأ مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغى لذى الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدى الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو أفرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغى ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن تلك السنة فان اعظم الناس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض فى الامور من غير نظر فى العاقبة وان تبذل فى سبيل الله نفسك ومالك واعلم أن العدو خصم تخصمه بالحجة وتحترز منه وأما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع الظاهر الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل اهل لان يهرب منه أبواه والكاذب لا يكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذى يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا أظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فأحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكرهه فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لا ينجبر ولله در القائل

احرص على صون القلوب من الاذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قالت الجارية فى آخر كلامها وهى تشير الينا ان اصحاب العقول قالوا خير الاخوان أشدهم فى النصيحة وخير الاعمال اجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على افواه الرجال وقد قيل لا ينبغى للعبد ان يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن اطاع الهوى ضيع الحقوق ومن اطاع الواشى ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ فى الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها انا اذكر لك شيأ من آداب القضاة اعلم ايها الملك انه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغى للقاضى ان يجعل الناس فى منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف فى الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغى أيضا ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادى على الباطل ثم اعرف الأمثال وافقه المقال وسو بين الاخصام فى الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا وفوض امرك الى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فان حضرت

بينة ما اخذت له بحقه والا لحلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى امر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي ان يجتنب القضاء عند شدة الألم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته وأصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهري ثلاث اذا كنّ في قاض كان منعزلا اذا اكرم اللئام وأحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك أن مقالك اكبر من مقامك وحكى ان الاسكندر قال لقاضيه اني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف في عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للثمانين﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدي الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لا تعرف الا في ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمه الناس وقال الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى واعلم ايها الملك ان اعجب ما في الانسان قلبه لان به زمام أمره فان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه الأسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا أمن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان أصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان اغصته فاقة أشغله الهم وان اجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حالة لا صلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشر الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت في المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما احسن ما قاله قيس

واني لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وما هو مهتدي
وما المال والاخلاق الا معارة * فكل بما يخفيه في الصدر مرتدي
اذا ما اتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتدي

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلى وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعدّ نفسه في الموتى وقيل ان اباذر كان يقول الفقر أحب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله اباذر اما انا فأقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي الله بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن أبي اوفى صلاة الصبح فقرأ يا ايها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر في الناقور خر ميتا ويروى ان ثابتا البناني بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعني قال ثابت في اي شيء قال الطبيب في ان لا تبكي قال ثابت فما فضل عيني ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصني * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والثمانون﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان

المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصني فقال اوصيك ان تكون في الدنيا ما لكا زاهدا وفي الآخرة عملو كا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان في بني اسرائيل قال احدهما للاخر ما اخوف عمل عملته قال له اني مررت بيت فراخ فأخذت منه واحدة ورميتها في ذلك البيت ولكن بيت الفراخ التي لم آخذها منها فهذا اخوف عمل عملته فما اخوف ما عملته انت فقال اما انا فأخوف عمل اعمله اني اذا قمت الى الصلاة اخاف ان اكون لا اعمل ذلك الا للجزاء وكان ابوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من افضل الاولاد وقال سعيد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له اوصني فقال احفظ عني هاتين الخصلتين ان لا تشرك بالله شيأ وان لا تؤذي من خلق الله احدا وانشد هذين البيتين

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وانف الهموم فما في الامر من باس
الا اثنتين فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

وما احسن قول الشاعر

اذا انت لم يصحبك زاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان أرصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن اذكر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين انا استبشر بالموت ولا اتيقن فيه راحة غير اني علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو امضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيء وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك فقال اني اريد ان اقبل على امر عظيم وهو الانتصاب بين يدي الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان علي زين العابدين بن الحسين يرتعد اذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال اتدرون لمن اقوم ولمن اخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثوري رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلي بالناس فيسكت ويبطىء وقال سفيان اذا كان يوم القيامة اتي بأهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو ان النفس استقرت في القلب كما ينبغي لطار فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثوري انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها انا اتكلم ببعض ما يحضرني من اخبار الصالحين روي ان بشرا الحافي قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال ان يصلي احدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيآت وقال بعض العارفين التمست من بشر الحافي شيأ من اسرار الحقائق فقال يا بني هذا العلم لا ينبغي ان نعلمه كل احد في كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال ابراهيم بن ادهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلي واذا ببشر يصلي فقمت وراءه اركع الى ان يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم احذروا الصدق الضار ولا بأس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه واعطيته درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لي انا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل

* وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والثمانون﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافى قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا فى النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل فى ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت اخت بشر الحافى فقال يا أهل بشر لا ازال استنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك بن دينار اذا مر فى السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس اصبري فلا أوافقك على ما تريدين وقال رضي الله تعالى عنه سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤها فى متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتك مخالفتك وما انا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على فى قديم ازلك فاغفر لى ما فرط منى فانى قد عصيتك بجهلى فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدى قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرني من اخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام اتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ايسر الناس فقال رجل اذهب عمره فى طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا اباهما شعيبا فقال لهما لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعي اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك واراد ان لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ ﴿وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح﴾

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى على شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى انى اريد ان اعطيك اجرة ما سقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الأرض من ذهب وفضة فقال شعيب يا شاب ولكن انت ضيفي واكرام الضيف عادتي وعادة آبائي باطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثماني حجج اى سنين وجعل اجرته على ذلك تزويجه احدى بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه انى اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك وقال رجل لبعض أصحابه وكان له مدة لم يره انك أوحشتني لانى ما رأيتك منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب أتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلاثين سنة الا انني لم اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو احببت الله لاحببت جارك أما علمت أن للجار على الجار حقا كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم وكان شقيق البلخي قد حج فى تلك السنة فاجتمعنا فى الطواف

فقال

فقال ابراهيم لشقيق ماشأنكم فى بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا أكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدى ابراهيم وقال له أنت أستاذى وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما أمرك فى التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت نفسى به وعلمت أنى لم أخلق من غير علم الله فاستحيت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدى والدك تسع مرات وقالت قد سمعت أيها الملك ما تكلم به الجميع فى باب الزهد وأنا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغنى عن أكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقسم الليل ثلاثة أقسام الثلث الأول للعلم والثانى للنوم والثالث للتهجد وكان الامام أبو حنيفة يحيى نصف الليل فأشار اليه انسان وهو يمشى وقال الآخر ان هذا يحيى الليل كله فلما سمع ذلك قال انى استحى من الله أن أوصف بما ليس فى فصار بعد ذلك يحيى الليل كله وقال الربيع كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك فى الصلاة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروى عن عبد الله بن محمد السكرى انه قال كنت أنا وعمر نتحدث فقال لى ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى واتفق أنى خرجت أنا والحرث بن لبيب الصفار وكان الحرث تلميذ المزنى وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعى تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لى غفران ذنوبى من جودك وجملنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقات لما دخلت بغداد كان الشافعى بها فجلست على الشاطئ لأتوضأ للصلاة اذ مر بى انسان فقال لى يا غلام احسن وضوءك يحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت الى وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا اقرت عيناه غدا أفلا أزيدك قلت بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لى هذا الامام الشافعى وكان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الى منه شئ ✻ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

✻فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون✻ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالدك كان الامام الشافعى يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الى منه شئ وقال ما ناظرت احدا الا احببت ان يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره وما ناظرت احدا قط الا لاجل اظهار الحق وما ابالى ان يبين الله الحق على لسانى او على لسانه وقال رضى الله تعالى عنه اذا خفت على علمك العجب فاذكر رضا من تطلب وفى اى نعيم ترغب ومن اى عقاب ترهب وقيل لابى حنيفة ان أمير المؤمنين ابا جعفر المنصورى قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضى فلما كان اليوم الذى توقع ان يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاء رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لى ولكنى أكره أن يقع فى قلبى مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت

من ودهم قال هل آمن أن ألج البحر ولا تبتل ثيابي ومن كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه

ألا يانفس ان ترضى بقوتي * فأنت عزيزة أبدا غنيه

دعي عنك المطامع والاماني * فكم أمنية جلبت منيه

ومن كلام سفيان الثوري فيما اوصى به على بن الحسن السلمي عليك بالصدق واياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا عمن هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا واكثر ذكر الموت واكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن امر دينه واياك ان تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن امرك مفوضا الى الله في السر والعلانية واخش الله خشية من قد علم انه ميت ومبعوث وصائر الى الحشر والوقوف بين يدي الجبار واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن افضل اهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة ادبهن فآواهن اليه واقبل على العجوز فاكرمها واخلى لها هي وجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فأقامت عنده عشرة ايام وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها في ليلها وصيامها في نهارها فوقع في قلبه محبتها وقال لي ياوزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما كان اليوم الحادي عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجواري اليها فقالت له ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجواري فوق ما تتعامل به الناس فاني لا اطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك او كثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال ايتها السيدة وما ثمنهن قالت ما ابيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك في قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت في عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على ان يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وانا اعينك بدعوات ادعو بهن لك فائتني بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر في الليلة الحادية عشرة على ما في هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نورا وايمانا وفي غد اخرج الى اخواني وهم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم ثم اجيء اليك اذا مضت العشرة الاولى فاخذ والدك الكوز ثم نهض وافرد له خلوة في القصر ووضع الكوز فيها واخذ مفتاح الخلوة في جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها واتم الملك صوم العشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشرب به فوجد له في فؤاده نفعا جميلا وفي العشرة ايام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة في ورق اخضر لا يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لاني

اخبرتهم

الخبر ثم عملك ففرحوا بك وارسلوا معى هذه الحلاوة وهى من حلاوة الآخرة فافطر عليها فى آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذى جعل لى اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها واكرمها واكرم الجوارى غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وابوك صائم وعند راس العشرين يوما اقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الملك اعلم انى اخبرت رجال الغيب بما بينى وبينك من المحبة وأعلمتهم بأنى تركت الجوارى عندك ففرحوا حيث كانت الجوارى عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا راوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فاريد ان اذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم لهن وربما انهن لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذى يأتينك به على اغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها لولا انى اخشى مخالفتك لما رضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين فارجع بهن اليك فى راس الشهر وتكون انت قد وفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك وتحت امرك والله ان كل جارية منهن ثمنها اعظم من ملكك مرات فقال لها وانا اعرف ذلك ايتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولا بد ان ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معهن لاجل تحصل لها البركة * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السادسة والثمانون * قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان اباك قال للعجوز لما طلبت منه الجوارى ان عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معك لاجل ان تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب ان يدعوا الله لها بأن يرد عليها ولديها او يجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك اعظم غرضها ثم ان والدك اخذ فى تمام صيامه فقالت له يا ولدى انى متوجهة الى رجال الغيب فأحضر لى صفية فدعا بها فحضرت فى ساعتها فسلمها الى العجوز فخلطتها بالجوارى ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكاس مختوم وناولته له وقالت اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التى فى قصرك واشرب هذا الكاس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام منى عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فانى أود أن لا افارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجوارى والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التى فى القصر وأمر أن لا يدخل عليه أحد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون فى انتظاره الى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثانى يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة وأعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك وأخذنا الكاس فوجدنا فى غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من أساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذى نعلم به كل من وقف على هذه الورقة أن شركان لما جاء بلادنا افسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى أخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم أرسلها مع عبد أسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الأرض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل

الا ما حل به وأنتم لا تتهموا أحدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي وها انا أخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها أفريدون ملك القسطنطينية ولا بد أن نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم نزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا وأردنا ان نمضي الى أخيك شركان فسافرنا الى ان وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وبكى الحاجب ايضا ثم قال الحاجب لضوء المكان ايها الملك ان البكاء لا يفيدك شيأ ولا يفيدك الا انك تشد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وامر بنصب السرير خارج الدهليز ثم امر ان يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وارباب الدولة في مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرني بخزائن ابي فقال سمعا وطاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيهما من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما في خزانته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له انت في مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض على الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السابعة والثمانون ﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ضوء المكان امر الحاجب ان يعرض عليه ما اتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيأ ابدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما راينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما اصبحوا امرهم بالسفر فسافروا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر ابيه وجلس على السرير ووقف امراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السر ان يكتب كتابا الى اخيه شركان ويذكر فيه ما جرى من الاول الى الآخر ويذكر في آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام وتقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك واخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه بأحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فأعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغي ان تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه وعند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام واسد ضرغام وبطل مصدام فلما

اشرفت الكتائب وقدمت النجائب واقبلت العصائب وخفقت اعلام المواكب توجه ضوء المكان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اراد ان يترجل اليه فأقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدى ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وسارا وسار العسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو واخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وامر ان يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجىء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون أفواجا متتابعة ثم قال شركان لأخيه يا أخى أعلمنى بقضيتك فأعلمه بجميع ما وقع له من الاول الى الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان أما كافأته على معروفه فقال له يا أخى ما كافأته الى الآن ولكن أكافئه ان شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان قال لأخيه ضوء المكان أما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا أخى ما كافأته الى الآن ولكن أكافئه ان شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان أخته الملكة نزهة الزمان صادقة فى جميع ما أخبرته به ثم كتم أمره وأمرها وأرسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له أيضا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنتها قضى فكان فأخبرها انها فى عافية وانها فى غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى أخيه يشاوره فى أمر الرحيل فقال له يا أخى لما تتكامل العساكر وتأتى العربان من كل مكان ثم أمر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة أشهر وجعل أرباب الاقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر فى ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وسار ضوء المكان فى وسط الجيوش وعن يمينه أخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون فى مكان يستريحون فيه ثلاثة أيام لان الخلق كثير ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت أهل القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع أفريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهى فانها هى التى دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها اقر عينا فقد أخذت لك بثار ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية ورد عليه صفية وأعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر ونجهز بأهبة وأسافر أنا معك الى الملك أفريدون ملك القسطنطينية وأظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها أمهلى الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز أحوالنا ثم أخذوا فى جمع رجالهم وتجهيز أحوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت فى أوائلهم ذات الدواهى فلما وصلوا الى القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها أفريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع أفريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فأخبره بما عملته أمه ذات الدواهى من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين وأخذت من

عنده الملكة صفية وقال ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ويريدان نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك أفريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وأرسل الى سائر الاقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم أقبلت الافرنج من سائر أطرافها كالفرنسيس والنمساودوبره وجورنه وبندق وجنويز وسائر عساكر بني الأصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم أمرهم الملك الاكبر أفريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فأقاموا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أرادوا ان يرحلوا فأتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام فأقاموا فيه ثلاثة أيام أخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الأسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية وأعلام محمدية وأقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحابا مزررة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين في العين فأول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين ألف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين ألف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة في الليالي العاكرة وسارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله تدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير اني أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان أقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير اني اشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان فيقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم أحد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك أفريدون كلام العجوز وقال نعم الرأي رأيك ياسيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان في الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام في ذلك الوادي لم يشعروا الا والنار تلتهب في الخيام والسيوف تعمل في الاجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين ألف فارس وفي أوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا في البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبي المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان في طاعة الرحيم الرحمن وأقبل شركان بطائفة أخرى من عساكر المسلمين نحو مائة ألف وعشرين ألفا وكانت عساكر الكفار نحو ألف ألف وستمائة ألف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله

وعدنا

وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادى الله اكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم فى ذلك الوقت خمسة وأربعون ألفا وقتل من المسلمين ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم فى تلك الليلة لاهو ولا أخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب فى القيامة هذا ما كان من أمر المسلمين (واما) ما كان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وأمه العجوز ذات الدواهى فانهم جمعوا أمراء العسكر وقالوا لبعضهم اننا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذى خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهى انه لا ينفعكم الا أنكم تتقربون للمسيح وتتمسكون بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ماقوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون انى قد عولت فى غد على أن اصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم احد وقد عولت فى هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذى أراده خرء البطريق الكبير ذى الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت أكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر أقاليم بلادهم فى خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعبير فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بألف دينار حتى كان الملوك يرسلون فى طلبه من اجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق الكبير لا يكفى عشرة أقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه فى كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للتسعين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى الرماح عاد الملك أفريدون بخواص بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ به عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا مافى بلاد الروم أعظم منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح والنزال وكان بشع المنظر كأن وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سيمته وبعد ذلك أقبل على الملك أفريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون انى اريد ان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر وهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم أن النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا أشقر وعليه ثوب احمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كأنه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كأنهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادى بالعربى ويقول يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه الا وضجة فى الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين

واذ كرت يوم حنين فقرع المقام نهارا لفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر النعمان وكان أخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون فى الميدان وسمع المنادى التفت لأخيه شركان وقال له انهم يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو أحب الى فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادى وهو يقول فى الميدان لا يبرز لى الا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف أن يخلى الارض من المسلمين والا فهو من أخسر الخاسرين لانه هو الذى حرّق الاكباد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح فى يده كأنه أفعى من الحيات وانشد هذه الابيات

لى أشقر سمح العنان مغاير * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومثقف لدن السنان كأنما * أم المنايا ركبت فى عوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما الصليب المنقوش عليه ثم قبلها وأشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن أعين الناظرين وتلقاها باليد الأخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كأنها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما اقتربت الحربة من شركان اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التى أخذها بها من النصرانى حتى كاد أن يقصفها ورماها فى الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية فى أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لأجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فأراد لوقا أن يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده الى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية فضربه بها فوقعت فى وسط الصليب الذى فى وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والتسعون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه وأعملوا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل خلقت بلا قوائم ولازال منادى الحرب ينادى الى أن كلت الايادى وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع بأخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح باب الهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الحرب عن العرب والعجم وسوف تحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرف الانجيل وأخذك الحربة من الهواء وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فأجابه بالتلبية فقال له خذ معك

الوزير

الوزير دندان وعشرين الف فارس ومرهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ وأمرهم وافى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا فى وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رايتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رايت انت علما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد فى ان لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر فى تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل فى البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدما وتقابضوا باللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام على سيد الانام وبالثناء على الرحمن بما اولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما وقهقرت الجيوش واظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة وتهيؤا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقراءة اول سورة البقرة وصارت القتلى تحت ارجل الخيل منثرة وصار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فتمكنوا السيوف من أقفائهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح بن مريم الذى فى المهد تكلم وظن أفريدون ملك القسطنطينية أن عساكر الكفار منصورة ولم يعلم أن ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فأرسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب وأقسم بالمعجزات النصرانية المرعية والمياه المعمودية انى لا أترك على الارض مجاهدا بالكلية وانى مصر على سوء هذه النية وتوجه الرسوم بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الروم ينادى بالاخذ بثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا اهل الكفر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار وعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادى منادى المسلمين ويقول عليكم بأعداء الدين يا محب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار يا راجى النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح فى عسكر الكفرة ميدانا وجال فى

الكفرة حرباوطعانا وملأ الارض رؤساوأبدانا وقدخافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل رمحين قناة وقوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيها الشاعر

لاتحسن الوفرة الاوهى * منشورة الفرعين يوم النزال
على فتى معتقل صعدة * يعلها من كل وافي السبال

وكما قال الآخر

أقول له لما تقلد سيفه * كفتك سيوف اللحظ عن ذلك العضب
فقال لحاظي سيفها لذوي الهوى * وسيفي لمن لم يدر مالذة الحب

فلما رآه شركان قال أعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان فلقد أرضيت بفعلك الملك الديان الذي لايشغله شان عن شان حيث هزمت أهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا أنت الذي بالأمس عاهدتني فما أسرع مانسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفي من حسنه فاذا هوضوء المكان ففرح به شركان الا أنه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق الشجعان وذلك لامرين أحدهما صغر سنه وصيانته عن العين والثاني أن بقاءه للمملكة أعظم الجناحين فقال له ياملك انك لقد خاطرت بنفسك فألصق جوادك بجوادي فاني لا آمن عليك من الاعادي والمصلحة في أن لاتخرج من تلك العصائب لاجل ان ترمي الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان اني أردت ان أساويك في النزال ولا أبخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار وأحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك أفريدون لما رأى ماحل بالروم من الامر المذموم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفي أوائلهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو في عشرين ألف ضرغام وأحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن أمام ومالت فرقة من المسلمين على من كان في المراكب وأوقعوا فيهم المعاطب فرموا أنفسهم في البحر وقتلوا منهم جمعا عظيما يزيد على مائة ألف خنزير ولم ينج من أبطالهم صغير ولا كبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ماغنم أحد مثلها في سالف الزمان ولا سمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ماغنموه خمسون ألفا من الخيل غير الذخائر والاسلاب مما لايحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ماعليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من أمرهم ﴿وأما﴾ ما كان من أمر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل الى أهلها أولا بأن الملك أفريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي أنا أعلم ان ولدي ملك الروم لايكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويرد أهل الارض الى ملة النصرانية ثم ان العجوز كانت أمرت الملك الاكبر أفريدون أن يزين البلد فأظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينما هم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح وأقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم أفريدون ملك القسطنطينية على الساحل وأخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه ان لوقاابن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك أفريدون القيامة وعلم ان أعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك أفريدون

واخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر أن يصل من العسكر الامن وصل اليك فلما سمع الملك أفريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه فلما أفاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم أبخر وجفن أحمر وخد أصفر بوجه أغبش وطرف أعمش وجسم اجرب وشعر أشهب وظهر أحدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها اقرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن ومكثت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهي آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان أكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجواري الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخرعنها تكون في انمحاق وكل جارية أعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها أحسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لا تطاوعها تتحيل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة واترجة جواري ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة فسائها أنتن من الجيفة وجسدها اخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يامن تسفل للغني مذلة * وعلى الفقير لقد علا تياها
ويزين شنعته بجمع دراهم * عطر القبيحة لا يفي بفساها

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهي أمرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام وبعدها دخل الملك افريدون على ملك الروم وقال له ايها الملك ما لنا حاجة بأمر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأي أمي ذات الدواهي وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم في قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر أقاليم النصارى يقول لهم ينبغي أن لا يتخلف أحد من أهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا أهل الحصون والقلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا أرضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من أمر هؤلاء *وأما* ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبستهم زي تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكي ما بين أطلس معدني وديباج ملكي وغير ذلك وأخذت من الملك أفريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي أن يتعرض لهم أحد بسوء عشرا أو غيره حتى يصلوا الى بلادهم ومحل أمنهم لأن التجار بهم عمار البلاد وليسوا من أهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها اني أريد أن ادبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها أيتها الملكة مرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا احبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الأبيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها

وقد أثر القيد فى ساقيها ثم دهنتم ما بدم الأخوين وأمرت من معها أن يضربوها ضربا عنيفا وأن يضعوها فى صندوق فقالوا لها كيف نضربك وأنت سيدتنا ذات الدواهى أم الملك المباهى فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتى الكنيف ولأجل الضرورات تباح المحظورات وبعد أن تضعونى فى الصندوق خذوه فى جملة الأموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيأ من الملام وان تعرض لكم احد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الأموال وانصرفوا الى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا فى بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا أنه لا يتعرض لنا احد فكيف تأخذون انتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذى مضمونه أن لا يتعرض لنا أحد بمكروه فاذا قال وما الذى ربحتموه من بلاد الروم فى تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان فى سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع أننا أقمنا فى القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث فى أمر السفر فلما أصبحنا رأينا صورة مصورة فى الحائط فلما اقتربنا منها تأملناها فاذا هى تحركت وقالت يامسلمين هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله أنطقنى لكم ليقوى يقينكم ويلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذى يفتح القسطنطينية ويهلك أهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلاثة أيام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبد الله وهو من أدين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان وسجنه فى سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفى انقاذه رضا رب العباد لان فكاكه من افضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا ألقى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهى لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا ألقى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه وأقمنا هناك يوما فى البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التى فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

كيدا كابده وصدرى ضيق *	وجرى بقلبى بحر هم مغرق *
ان لم يكن فرج فموت عاجل	ان الحمام من الرزايا أرفق
يابرق ان جئت الديار وأهلها *	وعلا عليك من البشائر رونق *
كيف السبيل الى اللقاء وبيننا	تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ أحبتنا السلام وقل لهم *	انى بدير الروم قاص موثق *

ثم قالت اذا وصلتم بى الى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف كيف أدبر حيلة فى خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها فى الصندوق بعد ان ضربوها أشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا

ما

ما كان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي ومن معها ﴿وأما﴾ ما كان من أمر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على أعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لأخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا فكن ياشركان ممتثلاً أمري في طاعة الله عزوجل فقال شركان حباً وكرامة ومد يده الى أخيه وقال ان جاءك ولد أعطيته ابنتي قضي فكان ففرح بذلك وصار يهنىء بعضهم بعضاً بالنصر على الاعداء وهنأ الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما اعلما أيها الملكان ان الله نصرنا حيث وهبنا أنفسنا لله عزوجل وهجرنا الاهل والاوطان والرأي عندي أن نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله أن يبلغنا مرادنا ونستأصل أعداءنا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن والنزال ثم ان الوزير دندان مازال يحرضهم على القتال وأنشد قول من قال

أطيب الطيبات قتل الاعادي * واحتمالي على ظهور الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب * وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقول الآخر

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والمشرفي اخاً والسمهري أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له في قتله أربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا في سيرهم حتى أشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسرح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة أيام فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا الى تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كأنها جنة أخذت زخرفها وازينت وسكرت اغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التسنيم واعتلال النسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر

انظر الى الروض النضير كأنما * نشرت عليه ملاءة خضراء
ان ماسحت بلحظ عينك لاترى * الا غديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة في دوحه * اذفوق رأسك حيث سرت لواء

وكما قال الآخر

النهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذي التفت أشجاره وزهت أزهاره وترنمت أطياره نادى أخاه شركان وقال له يا اخي ان دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة أيام حتى نأخذ لنا راحة لاجل أن تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فأقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا أصواتاً من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هذا المكان للراحة ولعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيأ من بضائعهم التي معهم حيث كانوا في بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك انا كنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب أموالنا اخواننا المسلمون ونحن في بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد أخبرناك بما حصل لنا ثم أخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فأخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما أخذ منكم ولكن كان الواجب أن لاتحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يامولانا ان الله سيرنا الى بلادهم

لا نظفر عالم يظفر به أحد من الغزاة ولا أنتم فى غزوتكم فقال لهم شركان وما الذى ظفرتم به فقالوا اما نذكر لك ذلك الا فى خلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون ذلك سببا للهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذى فيه اللعينة ذات الدواهى فأخذهم ضوء المكان وأخوه واختلى بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى أبكوهما *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن النصارى الذين فى هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان وأخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما وأخبروهما كما أعلمتهم الكاهنة ذات الدواهى فرق قلب شركان للزاهد وأخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد أم هو فى الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على أنفسنا ثم أسرعنا فى الهرب خوفا من العطب وقد أخبرنا بعض الثقات أن فى هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك أتوا بالصندوق وأخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهى مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا أنه رجل من خيار العباد ومن أفضل الزهاد خصوصا وجبينها يضئ من الدهان الذى دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان فأشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامى فتركا البكاء امتثالا لأمرها فقالت اعلما انى قد رضيت بما صنعه بى مولاى لانى أرى أن البلاء الذى نزل بى امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت أتمنى انى أعود الى بلادى لا جزعا من البلاء الذى حل بى بل لاجل أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل أحياء غير أموات *ثم أنشدت هذه الابيات

الحصن طور ونار الحرب موقدة * وأنت موسى وهذا الوقت ميقات
ألق العصا تلقف كل ما صنعوا * ولا تخف ما حبال القوم حيات
فاقرأ سطور العدا يوم الوغى سورا * فان سيفك فى الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت انى لم أفطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف أفطر فى هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من أسر الكفار ودفع عنى ما هو أشق من عذاب النار فأنا أصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الاكل وقالا لها كل أيها الزاهد فقالت ما هذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت فى المحراب تصلى الى أن ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة أيام بلياليها وهى لم تقعد الا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفى اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلاة فقال شركان لضوء المكان أما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته وأعبد الله بخدمته حتى ألقاه وقد اشتهيت أن أدخل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وأنا كذلك ولكن نحن فى غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وأنا الآخر أشتهى أن أرى هذا الزاهد لعله يدعو لى بقضاء نحبى فى الجهاد ولقاء ربى فانى زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل

دخلوا

دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهي
لا تلتفت اليهم الى أن انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم أقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا
لها أيها العابد أما سمعت بكاءنا حولك فقالت ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون له وجود في الكون
حتى يسمع صوت أحد أو يراه ثم انهم قالوا اننا نشتهي أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا في هذه الليلة فانها
خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا أنكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشيء
من ذلك أبدا فاني لا أشكو الا الى الله وها أنا أخبركم بسبب أسري اعلموا أنني كنت في القدس مع بعض
الابدال وأرباب الاحوال وكنت لا أتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى أنعم عليّ بالتواضع والزهد فاتفق
أنني توجهت الى البحر ليلة ومشيت على الماء فداخلني العجب من حيث لا أدري وقلت في نفسي من مثلي
يمشي على الماء فقسا قلبي من ذلك الوقت وابتلاني الله تعالى بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت
في أقطارها سنة كاملة حتى لم أترك موضعا الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا
الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنا فلما رآني خرج اليّ وقبل يديّ ورجليّ وقال اني رأيتك منذ
دخلت بلاد الروم وقد شوقتني الى بلاد الاسلام ثم انه أخذ بيدي وأدخلني في ذلك الدير ثم دخل بي الى بيت
مظلم فلما دخلت فيه غافلني وأغلق عليّ الباب وتركني فيه أربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان
قصده بذلك قتلي صبرا فاتفق في بعض الايام أنه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من
الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها في الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب
مطروحنا بخبري فقال البطريق أخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم
فوجدوني منتصبا في المحراب أصلي وأقرأ وأسبح وأتضرع الى الله تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال
مطروحنا ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا عليّ وأقبل عليّ دقيانوس
هو وجماعته وضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء من يتكبر ويعجب
بما أنعم عليه ربه مما ليس في طاقته وأنت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر أما علمت أن الكبر يغضب
الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك
البيت تحت الارض وكل ثلاثة أيام يرمون اليّ قرصة من الشعير وشربة ماء وكل شهر أو شهرين يأتي
البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في
الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها أربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم أحسن منها
وكان أبوها يخاف عليها من الملك أن يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غير أنها تركب مع أبيها في
زي الرجال الفرسان وليس لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها أنها جارية وقد خزن أبوها أمواله في هذا
الدير لان كل من كان عنده شيء من نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب
والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لا يحصي عدده الا الله فأنتم أولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا
ما في هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية
وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي في الحائط كرامة أكرمني الله بها فجاؤوا الى ذلك الدير وقتلوا
البطريق مطروحنا بعد أن عاقبوه أشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فأخذوني ولم يكن لهم
سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفي ليلة غد تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها أبوها مع
غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم أن تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين أيديكم وأنا أسلم اليكم الاموال
وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون أواني الذهب والفضة ويشربون فيها

ورأيت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لو كان ذلك الصوت الحسن في قراءة القرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى أن يصل دقيانوس ومعه ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان أو للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه ما دخل كلامها في عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني أخاف أن يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر أن يدخل الدير فأمر السلطان العسكر أن يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي أن نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل لاجل أن نحملهم المال الذي في الدير ثم أرسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فأحضره بين يديه وأحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وأنت أيها الحاجب تكون عوضا عني في الرأي والتدبير وأنت يارستم تكون نائبا عن أخي في القتال ولا تعلموا أحدا أننا لسنا معكم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو وأخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السادسة والتسعون * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان وأخاه ضوء المكان والوزير دندان سافروا هم والمائة خيال الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي وأخذوا معهم البغال والصناديق لأجل حمل المال فلما أصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون أن شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا أنهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر شركان وأخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم أقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار أصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنت لهم وأمرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قالت العجوز لضوء المكان هو وأصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فأطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد أرسلت كتابا على أجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بما جرى وقالت في آخر الكتاب أريد أن تنفذ لي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى أحضر اليهم ومعي ملك المسلمين وأخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف أسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا من ينفخ النار ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح أولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك افريدون بالورقة فلما قرأها أنفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم أن يصلوا الى ذلك الدير هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فأخرجوا منه التحف والذخائر أكثر مما وصفته لهم وبعد أن جمعوا

ذلك وضعوه فى الصناديق وحملوه على البغال وأما تماثيل فانهم لم تحضر لاهى ولا أبوها خوفا من المسلمين فأقام ضوء المكان فى انتظارها ذلك النهار وثانى يوم وثالث يوم فقال شركان والله ان قلبى مشغول بعسكر الاسلام ولا أدرى ما حالهم فقال أخوه انا قد أخذنا هذا المال العظيم وما أظن أن تماثيل ولا غيرها يأتى الى هذا الدير بعد أن جرى لعسكر الروم ما جرى فينبغى أننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما أمكن ذات الدواهى أن تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم انهم ساروا الى أن وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد أكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب وأسرعوا نحو الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوقوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان وأخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما وقالوا من أعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخى ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمى بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم فان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا أن هذا المكان ضيق لكنت أفنيتهم ولو كانوا مائة ألف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لأخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس فى هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وأنا أعرف هذا الشعب وضيقه وأعرف أن فيه مفاوز كثيرة لأنى قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء أبرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل أن يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى راس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولم نملك فيهم ارباً فأخذوا فى الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وأنتم قد بعتم أنفسكم لله تعالى فى سبيله والله انى مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم أعترض على الله فيما فعل بى فقاتلوا فى سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت فى أعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل المسلمون فى طاعة الله أشد القتال وأعملوا فى أعدائه الأسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمى رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى أفنى منهم عددا لا يحصى وجملا لا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهى تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومئ اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتى بعدها فرقة أخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على أعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة العابد وقال فى نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمى على الكفار بخالص نيته فأراهم يخافوننى ولا يستطيعون الاقدام على بل كلما حملوا على يولون الادبار ويركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا فى مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمى الحجارة وقتل منهم فى ذلك اليوم خمسة وأربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له أثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوى الفرسان بالاشارات الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم فى الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهى قد اقبلت وفى يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين ألفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه وأوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة

قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها وألقتها بين يدى شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائماً على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقال يا ولدى انى قد طلبت الشهادة فى هذا اليوم فصرت أرمى روحى بين عسكر الكفار وهم يهابوننى فلما انفصلتم أخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو منى وأتيت برأسه اليكم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والتسعون﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اللعينة ذات الدواهى لما اخذت رأس البطريق رئيس العشرين ألف كافر أتت بها وألقتها بين يدى الملك ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رأيت حالكم اخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فأطحت راسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو منى واتيت براسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريد ان اشغلكم فى الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضى اليهم ايها الزاهد والوادى مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترنى عن أعينهم فلا يرونى ومن رآنى لا يجسر أن يقبل على فانى فى ذلك الوقت أكون فانيا فى الله وهو يقاتل عنى عداه فقال شركان صدقت أيها الزاهد لانى شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضى أول الليل يكون ذلك أجود لنا فقال أنا امضى فى هذه الساعة وان كنت تريد ان تجئ معى ولا يراك أحد فقم وان كان احوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان ظل الولى لا يستر غير اثنين فقال شركان أما انا فلا اترك اصحابى ولكن اذا كان اخى يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان أو من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت أمهلونى حتى اذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم امرنا لله فقالت اذا اطاوعتكم لا تلومونى ولوموا انفسكم فالراى عندى أن تمهلونى حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهى وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال لولا ان هذا الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفى هذا القدر كفاية فى كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون فى كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهى قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فأجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفى حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهى قد أعلمت الكفار بالحيلة التى عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم فى نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا أفرس منه وقالوا للعجوز النحس ذات الدواهى حين أخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا أتيت به نأخذه الى الملك أفريدون ثم ان العجوز ذات الدواهى توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهى سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فأجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون

لهم بسوء لأن المعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر الكفار وعرفوا
أن الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك أنه من
الخواص فقال ضوء المكان والله ما أظن الكفار الا عميانا لاننا نراهم وهم لا يرونا فبينما هما في الثناء
على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما
وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما أحد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أما ترون هذا الرجل الآخر
الذي بين أيدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نر أحدا غيركما فقال
ضوء المكان والله ان الذي حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون) قال بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار لما قبضوا على الملك
ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أما ترون هذا
الرجل الآخر الذي معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا ما نرى أحدا غيركما ثم ان
الكفار قد وضعوا القيود في أرجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما في المبيت فصارا يتأسفان ويقولان
لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدي الى أكثر من ذلك وجزاؤنا ما حل بنا من الضيق الذي نحن
فيه هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان وأما ما كان من أمر الملك شركان فانه بات تلك
الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا الى قتال
الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى أن وصلوا الى الكفار فلما رآهم الكفار من
بعيد قالوا لهم يا مسلمين انا أسرنا سلطانكم ووزيره الذي به انتظام أمركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم
عن آخركم واذا سلمتم لنا أنفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على أن لا تخرجوا من بلادنا ولا
تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان أبيتم فما يكون
الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دندان
عظم عليه وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك فقال في نفسه يا ترى ما سبب أسرهما هل حصل منهما اساءة
أدب في حق الزاهد أو اعتراض عليه وما شأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين
في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب
على الشراب من كل مكان ومازال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في
طلب الفرصة فوت حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش
وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة ولم يبق منهم الا القليل ولم يكن منهم الا على
الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة وثلاثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل
بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه
كيف العمل فقال له أصحابه لا يكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكر
ان خرجتم للقتال ما بقي منكم أحد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأي الذي عندي فيه
الرشاد أن تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل أن تدفعوا عن أنفسكم كل من
يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينونا على
قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له أصحابه ان هذا الرأي هو الصواب وما في
سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم

من الكفار بقتلوه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من أراد أن يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا أنفسهم الينا أخذناهم أسارى وان أبوا تركناهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لأولى الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب الغارة واضرموا فيه النار فأيقن شركان ومن معه بالبوار فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك أفريدون لاجل أن يشفي غليله فينبغي أننا نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك أفريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم أمروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان وأخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى أخيه وقال له يا أخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا أدرى وقد صرنا كالطير في الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس وأخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال اني أريد أن أقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير في زى الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا أحدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف أن يسمع أحد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأى السديد أن نسير الى خارج الشعب فأجابوه الى ذلك فلما صاروا ابعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغى أن يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فأخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد ألقى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي أخذوها وساروا وكان في ظن الكفار انه لا يقدر احد على فكاك ضوء المكان واخيه ومن معهما من العساكر وانهم لا يقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا في آمن من الكفار التفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندى رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد أن تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول الله أكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون أن عسكر المسلمين أحاطوا من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب والصواب ان نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبرنا تنبهوا الينا ولحقونا فلم يسلم منا أحد فقال شركان والله لو انتبهوا الينا ما علينا بأس واشتهى أن توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير

فكبرت

فكبرت معهم الجبال والأشجار والاحجار من خشية الله تعالى فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان قال اشتهى أن توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والأشجار والاحجار من خشية الله تعالى فسمعه الكفار فصاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الأعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم مالا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم أثرا فقال رؤساؤهم ان الذى فعل بكم هذه الفعال هم الأسارى الذين كانوا عند نافدونكم والسعى خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كاس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لاخيه ان الذى خفت من حصوله قد حصل وما بقى لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبر وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم فى طاعة رب العباد فبينما هم كذلك واذا بأصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار فى عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان وأزاحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون فى أعناق الكافرين الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرون ألف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر فى القيامة وكان السبب فى مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار وملكوا الابراج والقلاع واستعدوا فى كل حصن مناع حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذا هم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب فى اعلام الكفار بذلك ما دبرته العجوز ذات الدواهى من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال أمير الترك لأمير الديلم يا أمير اننا بقينا على خطر الأعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الأبراج والى هذا العالم الذى كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس شر فيخبرهم اننا على خطر من الاعداء الذى لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان وأخيه والوزير الاجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأى أن تأخذ عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنا ومرج ملوخنا فى طلب اخواننا وأصحابنا فان أطعتمونى كنتم سببا فى الفرج عنهم ان كان الكفار قد

ضيقوا عليهم وان لم تطيعوني فلا لوم علي واذا توجهتم ينبغي أن ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعند ذلك قبل الامير المذكور كلامه وانتخب عشرين ألف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان من أمر سبب مجيئهم (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فانها لما أوقعت السلطان ضوء المكان وأخاه شركان والوزير دندان في أيدي الكفار أخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار اني أريد ان الحق عسكر المسلمين وأتحيل على هلاكهم لانهم في القسطنطينية فاعلمهم ان أصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم أدخل أنا الى الملك أفريدون ملك القسطنطينية وولدي الملك حردوب ملك الروم وأخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون أحدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما أصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات وأخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشت قليلا وهي تقول في نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت أعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت انهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم وأصحابهم فلما عاينت ذلك أسرعت نحوهم بالجري الشديد مثل الشيطان المريد الى ان وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ولي الله ما وراءك فقالت لا تسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال فان أصحابنا لما أخذوا المال من دير مطروحنا أرادوا ان يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو بأس من الكفار ثم ان الملعونة أعادت عليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان أكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال في ليلتي هذه فقال بهرام سبحان الذي طوى لك الارض البعيدة وانت ماش على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وحي الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش وحيران عما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر اقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان واخاه شركان يناديان بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو واصحابه واحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدي ضوء المكان واخيه شركان واخبرهم شركان بما جرى لهم في المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم اسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك اسرعوا في المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوي المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لك الحمد يا مستوجب الحمد والشكر * فما زلت لي بالعون يا رب في امري
ربيت غريبا في البلاد وكنت لي * كفيلا وقد قدرت يا رب بنا نصري
وأعطيتني مالا وملكا ونعمة * وقلدتني سيف الشجاعة والنصر
وخولتني ظل المليك معمرا * وقد جدت لي من فيض جودك بالغمر
وسلمتني من كل خطب حذرته * بعشورة الصدر الوزير فتى الدهر
بفضلك قد صلنا على الروم صولة * وقد رجعوا بالضرب في حلل حمر

واظهرت

واظهرت انى قد هزمت هزيمة * وعدت عليهم عودة الضيغم الغمر
تركتهم فى القاع صرعى كأنهم * نشاوى بكأس الموت لا قهوة الخمر
وصارت بأيدينا المراكب كلها * وصار لنا السلطان فى البر والبحر
وجاء الينا الزاهد العابد الذى * كراماته شاعت لدى البدو والحضر
اتينا لاخذ الثار من كل كافر * وقد شاع عند الناس ما كان من امرى
وقد قتلوا منا رجالا فاصبحوا * لهم غرف فى الخلد تعلو على نهر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأه أخوه شركان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان هنأ أخاه ضوء المكان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم * هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت فى سيرها حتى أشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت وأخذت جوادها وأتت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائما وأشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فأخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت انى أخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وأرسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين ألف فارس والكفار أكثر منهم وانى أردت فى هذه الساعة أن ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم أسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور أعدها الله لمن يموت شهيدا ولا بد من الموت لكل أحد ولكنه فى الجهاد أحمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا بأخى الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس أبطال عوابس وأمره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما أن يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين واما أن يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه أتى الى أخيه ضوء المكان وقال له لا تخف أبدا فانى أفديك بروحى من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا مزيد الانعام وان كان هؤلاء أعداءنا فلا بد من قتالهم لكن أشتهى أن أقابل العابد قبل موتى لأسأله أن يدعو لى أن لا أموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما أتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم وأخى بهرام أما هم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذى أخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر أنه لقى أخى بهرام ورستم وأرسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد أحاطوا بهم وهم كثيرون وما أرى الامر الا بخلاف ذلك وأنتم منصورون فقال لهم وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع فى يوم وليلة مسيرة عشرة أيام للفارس المجد فقال شركان لا شك انه ولى الله وأين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا أهل الايمان يحرضهم على قتال أهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمدوا

الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدين فى سيرهم فبينماهم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وأظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال انى أخاف أن يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام أشد سوادا من حالك الايام ومازالت تقرب منهم تلك الدعامة وهى أشد من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادى يا أمة خير الانام ومصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فأدركوا عساكر الموحدين وأنقذوهم من أيدى الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم فى الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا فى مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك أخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبى نافر من هذا الزاهد لانى ما عرفت للمتنطعين فى الدين غير المفاسد فاتركوه وادركوا أصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر النعمان ودست أراضى هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت الى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالى بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال أعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد ان أوقعه سابقا فى العذاب الشديد ثم ان شركان أمر أن يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب أيها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب وأظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذى قال فى مثله الشاعر

صلى وصام لأمر كان يطلبه * لما قضى الامر لا صلى ولا صاما

ثم ان ذلك الزاهد مازال ماشيا بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وسار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن ومازالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان فى حالة الانكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان لما أدرك المسلمين وهم فى حالة الانكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وكان السبب فى خذل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهى عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هى نحو عسكر المسلمين وأنفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق بين عسكر المسلمين لاجل أن يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلا لاربط فيه هذا الكتاب وأوصلوه الى ملككم أفريدون ليقرأه هو وولدى ملك الروم ويعملا بما فيه من اوامره ونواهيه فأدلوا لها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهى الى الملك أفريدون أما بعد فانى دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسرتهم وأسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم وأخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى أرسلت منهم اثنى عشر ألف فارس مع الامير تركاش

خلاف المأسورين ومابقى منهم الا القليل فالمراد منكم أنكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم فى بقية هذا النهار وتهجمون عليهم فى خيامهم ولكنكم لاتخرجون الاسواء واقتلوهم عن آخرهم فان المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وأرجو من المسيح أن لاينسى فعلى الذى قد فعلته فلما وصل كتابها الى الملك أفريدون فرح فرحا شديدا وأرسل فى الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهى وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكر أمى فانه يغنى عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك أفريدون لاأعدم المسيح طلعة أمك ولاأخلاك من مكرك ولؤمك ثم انه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر فى القسطنطينية وخرجت عساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد وأعلنوا بكلمة الكفر والالحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا أن سلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر عسكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى ياعسكر المسلمين وحماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا أن الشجاعة صبر ساعة وماضاق أمر الا أوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبرت المسلمون وصاحت الموحدون ودارت رحى الحرب بالطعن والضرب وأعملت الصوارم والرماح وملأ الدم الاودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان وأعلن المسلمون تكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان وطافت الملائكة الاخيار على أمة النبى المختار ولم يزل السيف يعمل الى أن ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد أحاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا من العذاب المهين وطمع المشركون فى أهل الايمان الى أن طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا أن الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضى الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات المروج وتأخرت المسلمون عن أماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينماهم كذلك واذا بقدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما أقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك أمير الديلم بهرام ورستم وأخوه تركاش فانهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار بأصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنأه بتأييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على أعدائهم وأخلصوا لله فى جهادهم فلما نظر الكفار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا يحنا ومريم والصليب المسخم وانقبضت أيديهم عن القتال وقد أقبل الملك أفريدون على ملك الروم وصار أحدهما فى الميمنة والآخر فى الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا فى فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك أقبل شركان على أخيه ضوء المكان وقال له ياملك الزمان لاشك أنهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن أحب أن أقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد ياصاحب الرأى السديد فقال شركان أريد أن أكون فى قلب عسكر الكفار وأن يكون الوزير دندان فى الميسرة وانت

في الميمنة والامير بهرام في الجناح الايمن والامير رستم في الجناح الايسر وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما اقترب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبرذعتها من أبيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال اني رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الا البلاغ فأعطوني الامان والاقالة حتى أبلغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدي السلطان وخضع له خضوع راجي الاحسان فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال اني رسول من عند الملك أفريدون فاني نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل الرحمانية وبينت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين في الهيجاء فاجابني الى ذلك وهو يقول لكم اني فديت عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه فان قتلني فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا اجبناه الى ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكون منه خلاف وها انا ابرز اليه واحمل عليه فاني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلني فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع اليه ايها الراهب وقل له ان البراز يكون في غد لاننا اتينا من سفرنا على تعب في هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال في نفسه لاشك ان شركان هذا هو اضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت أفريدون من شركان وكان افريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل انواع القتال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب بالعمود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من ان شركان اجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لا طاقة لاحد به ثم بات الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم ابتر وقنطارية خلنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد اكتفاني ومن لم يعرفني فسوف يراني انا افريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر يساوي الفا من الذهب الاحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف هندي مجوهر يقد الرقاب ويهون الامور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى افريدون وقال له ويلك يا ملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان لا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كأنهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان

شركان

شركان غالب والبعض يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذه الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما انت الا فارس كرار وبطل مغوار غير انك غدار وطبعك ما هو طبع الاخيار لاني ارى فعالك غير حميد وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك الى العبيد وها هم اخرجوا لك غير جوادك وتعود الى القتال واني وحق ديني قد اعياني قتالك واتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول اصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان وأراد أن يشير اليهم ويأمرهم أن لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بافريدون هز حربته وأرسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد احدا فعلم أنها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف أنه قد قتل فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت أهل الطغيان وبكت أهل الايمان فلما رأى ضوء المكان أخاه مائلا عن الجواد حتى كاد أن يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال وأتوا به اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني وكان أسبق الناس الى شركان الوزير دندان * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة❊ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما رأى الملعون قد ضرب أخاه شركان بالحربة ظن أنه مات فارسل اليه الفرسان وكان أسبق الناس اليه الوزير دندان وأمير الترك بهرام وأمير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فأسندوه ورجعوا به الى أخيه ضوء المكان ثم أوصوا به الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الا دم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الاعناق واشتد الشقاق الى أن ذهب أكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنته القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته وأقبل عليه ملك الروم وقال له قوى المسيح ساعدك ولا زال مساعدك واستجاب من الام الصالحة ذات الدواهي ما تدعو به لك واعلم أن المسلمين ما بقي لهم اقامة بعد شركان فقال أفريدون في غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار ويركنون الى الفرار هذا ما كان من أمر الكفار ❊وأما❊ ما كان من أمر عساكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا بأخيه فلما دخل عليه وجده في أسوأ الاحوال وأشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام اليه فلمس بيده على أخيه وتلا شيأ من القرآن وعوذه بآيات الرحمن وما زال ساهران عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وأدار لسانه في فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فاني بخير في هذه الساعة وقد عمل علي هذا الملعون حيلة ولولا أني زغت أسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري فالحمد لله الذي نجاني

كيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم فى بكاء من أجلك فقال انى بخير وعافية وأين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدى عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لى فدعا له فلما أصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح وأراد الملك ضوء المكان وأفريدون أن يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أقعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى أذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ونادى فى وسط الميدان أين أفريدون حتى أذيقه عذاب الهون فأراد الملعون أن يولى وهو مغبون فأقسم عليه ضوء المكان أن لا يبرح من الميدان وقال له يا ملك بالامس كان قتال أخى واليوم قتالى وأنا بشجاعتك لا أبالى ثم خرج وفى يده صارم وتحته حصان كأنه عنتر فى حومة الميدان وذلك الحصان أدهم مغاير كما قال فيه الشاعر

قد سابق الطرف بطرف سابق * كأنه يريد ادراك القدر * دهمته تبدى سوادا حالكا
كأنها ليل اذا الليل عكر * صهيله يزعج من يسمعه * كأنه الرعد اذا الرعد زجر
لو سابق الريح جرى من قبلها * والبرق لا يسبقه اذا ظهر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه وأظهر ما فى بطنه من عجائبه وأخذ فى الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية أفريدون وضربه ضربة أطاح بها راسه وقطع أنفاسه فلما انظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه وتوجهوا بكليتهم اليه فقابلهم فى حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالا شديدا وأنزل الله النصر على المؤمنين والخزى على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف رأسه وصاح للاتراك وكان بجانبه أكثر من عشرين ألف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لأنفسهم غير الفرار وتولى الأدبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتل منهم نحو خمسين ألف فارس وأسروا ما يزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلقوا الباب وطلعوا فوق الأسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين وأتوا خيامهم ودخل ضوء المكان على أخيه فوجده فى أسر الأحوال فسجد شكر الكريم المتعال ثم أقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال له شركان اننا كلنا فى بركة هذا الزاهد الأواب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح وأقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال شركان اننا كلنا فى بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه ما برح اليوم يدعو للمسلمين وكنت وجدت فى نفسى قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت أنكم منصورون على أعدائكم فاحك لى يا أخى ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون أفريدون وأخبره أنه قتله وراح الى لعنة الله فأثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهى وهى فى صفة الزاهد بقتل ولدها أفريدون انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها

بالدموع

بالدموع الغزار ولكنها أخفت ذلك وأظهرت للمسلمين أنها فرحت وأنها تبكي من شدة الفرح ثم انها قالت في نفسها وحق المسيح مابقي في حياتي فائدة ان لم أحرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك أفريدون ولكنها كتمت مابها ثم ان الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والادهان وأعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا في غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي أن تتوجهوا الى أماكنكم وتناموا ولا تسهروا فأجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه ومابقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا مثل الأموات هذا ما كان من أمر شركان وغلمانه ﴿وأما﴾ ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كأنها دبة معطاء أو آفة نقطاء وأخرجت من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لأذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجرته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة وأتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت أني سمعت صوت ولي من أولياء الله وأنا ذاهب اليه ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه والله لأتبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما أحست الملعونة بمشيه عرفت أنه وراءها فخشيت أن تفتضح وقالت في نفسها ان لم أخدعه بحيلة فاني افتضح معه فأقبلت اليه من بعيد وقالت أيها الوزير اني سائر خلف هذا الولي لأعرفه وبعد ان أعرفه استأذنه في مجيئك اليه وأقبل عليك وأخبرك لاني أخاف أن تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى أن يرد عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته وأراد أن ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه أنا أمضي الى شركان وأتحدث معه الى الصباح فسار الى أن دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت من كان نائما فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان من ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى أن دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام وأما الحاجب فانه صاح وأكثر النواح ثم طلب الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك أما علمتم بالذي فعل بأخي هذه الفعال ومالي لا أرى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبي نفر منه في الاول والآخر لأني أعرف أن كل متنطع في الدين خبيث ماكر ثم ان الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا الى القريب المجيب أن يوقع بين أيديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊ فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة ❊ قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التي عملتها والمخازي التي لنفسها أبدتها أخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهي ذات الدواهي الى حضرة المسلمين اعلموا اني دخلت بلادكم وغششت بلومي كرامكم وقتلت سابقا ملككم عمر النعمان في وسط قصره وقتلت أيضا في وقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرة وآخر من قتلته بمكري ودهائي وغدري شركان وغلمانه ولو ساعدني الزمان وطاوعني الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وأنا الذي أتيت اليكم في زي الزاهد وانطلت عليكم مني الحيل والمكايد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك أنفسكم فعن الاقامة لا تعدلوا فلو أقمتم سنين وأعواما فما تبلغون منا مراما وبعد أن كتبت الكتاب أقامت في حزنها على الملك افريدون ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دعت بطريقا وأمرته أن يأخذ الورقة ويرشقها في سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد افريدون وقالت لمن تسلطن بعده لابد أن أقتل ضوء المكان وجميع أمراء الاسلام هذا ما كان من أمرها ❊ وأما ❊ ما كان من أمر المسلمين فانهم أقاموا ثلاثة أيام في هم واغتمام وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتفجع من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافرا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا أحول من هنا حتى أملأ فرجها بسيح الرصاص وأسجنها سجن الطير في الأقفاص وبعد ذلك أصلبها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي وأخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين رجعوا الى باب القسطنطينية ووعدهم السلطان أنه ان فتح المدينة فرق أموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تجف دموعه حزنا على أخيه وعراجسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا فان أخاك مامات الا بأجله وليس في هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر

مالا يكون فلا يكون بحيلة ❊ أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته ❊ وأخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنواح وقو قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير ان قلبي مهموم من أجل موت أبي وأخي ومن أجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون وما زالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد بصحبة أمير من أمرائه مضمونها ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان أخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه من العجائب والغرائب وقد أمرت العلماء والخطباء أن يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة وانا طيبون بخير والامطار كثيرة وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال له ضوء المكان الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ❊ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊ فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة ❊ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما أتاه الخبر

بأن

وأن زوجته ولدت ولدا ذكرا ففرح فرحا شديدا وقال الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا عمه كان ما كان
ثم قال للوزير دندان اني أريد أن أترك هذا الحزن وأعمل لأخي ختمات وأمورا من الخيرات فقال الوزير
نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم
يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر أخيه شركان وسكب العبرات
وانشد هذه الابيات

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور
حتى اتوا جدثا كأن ضريحه * في قلب كل موحد محفور
ما كنت آمل قبل نعشك ان أرى * رضوى على أيدي الرجال يسير
كلا ولا من قبل دفنك في الثرى * أن الكواكب في التراب تغور
أيجاور الدعاس رهن قراره * فيها الضياء بوجهه والنور
كفل الثناء له برد حياته * لما انطوى فكأنه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم اتى الوزير دندان الى القبر ورمى نفسه عليه
وهو حائر وأنشد قول الشاعر

تركت الذي يفنى ونلت الذي يبقى * ومثلك أقوام فقد سبقوا سبقا
وفارقت هذي الدار من غير ريبة * فعن هذه الدنيا تسر عبا تلقى
وكنت من الاعداء تبدي وقاية * اذا ما سهام الحرب حاولت الرشقا
أرى هذه الدنيا غرورا وباطلا * وجل مراد الخلق ان يطلبوا الحقا
حباك اله العرش فوزا بجنة * وأسكنك الهادي بها مقعدا صدقا
واني قد أمسيت فيك بحسرة * أرى الغرب محزونا بفقدك والشرقا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه بالدموع درا نضيدا ثم تقدم رجل كان من
ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وأنشد هذه الابيات

أين العطاء وكف جودك في الثرى * والجسم بعدك بالسقام قد انبرى
يا حادي الاظعان سرك ما ترى * كتبت دموعي فوق خدي أسطرا
* تعني بها رتلذ منها منظرا *
والله ما حدثت عنك ضمائري * كلا ولا خطرت علاك بخاطري
الا وقد جرح الدموع محاجري * واذا صرفت الى سواك نواظري
* جذب الغرام عنان طرفي في الكرى *

فلما فرغ ذلك الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم
انصرفوا الى الخيام وأقبل السلطان على الوزير دندان وأخذا يتشاوران في أمر القتال واستمرا على ذلك
أياما وليالي وضوء المكان يتضجر من الهم والاحزان ثم قال اني أشتهي سماع أخبار الناس وأحاديث الملوك
وحكايات المتيمين لعل الله يفرج ما بقلبي من الهم الشديد ويذهب عني البكاء والعديد فقال الوزير ان
كان ما يفرج همك الا سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم
فان هذا أمر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة
أحدثك بخبر العاشق والمعشوق لأجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق
قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع ما يحكيه الوزير دندان من

أخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فما صدق ان الليل أقبل حتى أمر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من الاكل والشرب وآلات البخور فأحضروا له جميع ذلك ثم أرسل الى الوزير دندان فحضر وأرسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما احضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم أيها الوزير ان الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم أيها الوزير ان الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة اعلم أيها الملك السعيد انه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وما جرى لهم من العجائب والغرائب ما يزيل الهم عن القلوب ويسلي مثل حزن يعقوب وهو انه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود واحسان وعدل وأمان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وأمان الا انه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق انه أرسل الى الوزير يوما من الايام وأحضره بين يديه وقال له يا وزيري انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفة الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي يا وزير فأشر علي بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالانسجام وقال هيهات يا ملك الزمان ان أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن أتريد ان أدخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم أيها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدري خساسة أصلها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا أفضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سفاكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره به ولا يجتنب ما عنه نهاه فأنا لا أتسبب في هذا بشراء جارية أبدا وانما مرادي ان تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فاني أخطبها وأتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضا رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك انه بلغني ان الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان أقبلت فتنت وان أدبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها * لم يحك طلعتها شمس ولا قمر
كأن ريقها شهد وقد مزجت * به المدامة لكن ثغرها درر
ممشوقة القد من حور الجنان لها * وجه جميل وفي ألحاظها حور
وكم لها من قتيل مات من كمد * وفي طريق هواها الخوف والخطر

ان

ان عشت فهي المنى ماشئت اذكرها * اومت من دونها لم يجد في العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندي أيها الملك أن ترسل الى أبيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا للتصاريف الدهور ليتلطف في خطبتها لك من أبيها فانها لا نظير لها في قاصى الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا رهبانية في الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال له اعلم أيها الوزير أنه لا يتوجه الى هذا الامر الا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم الى منزلك واقض أشغالك وتجهز في غد واخطب لى هذه البنت التي شغلت بها خاطرى ولا تعد الى الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التي تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل ثقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والاعلام وأوصاه الملك أن يأتى اليه في مدة قليلة من الايام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار مشغولا بحبها في الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوى برارى وقفارا حتى بقى بينه وبين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر واحضر بعض خواصه وأمره أن يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه أن الملك زهرشاه كان جالسا في بعض المتنزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فأمر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحب بالرسول وأخذه وتوجه الى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته في أول النهار على شاطئ النهر الفلاني وفي غد يكون واصلا اليك وقادما عليك أدام الله نعمته عليك ورحم والديك فأمر زهرشاه بعض وزرائه أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ويخرج بهم الى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ في الارض هذا ما كان من أمر الملك زهرشاه (وأما) ما كان من أمر الوزير فانه استقر في مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجها الى المدينة فلما لاح الصباح وأشرقت الشمس على رؤس الروابى والبطاح لم يشعر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذى لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير ومشى على قدميه حتى وصل الى ايوان عال وفي صدر ذلك الايوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمر ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته واقفون في خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء

وأشار الى الملك بلطف التفات وأنشد هذه الابيات

وافى وأقبل فى الغلائل ينثنى * يولى الندى للمجتنى والمجتنى
ورق فما تغنى التمائم والرقى * والسحر من لحظات تلك الاعين
قل للعواذل لا تلوموا اننى * طول المدى عن حبه لا أنثنى
حتى فؤادى خاننى ووفى له * وكذا الرقاد صبا اليه وملنى
يا قلب ما أمسيت وحدك رأفة * فامكث لديه وان تكن أوحشتنى
لا شئ يطرب مسمعى بسماعه * الا الثناء لزهرشاه أحسنى
ملك اذا أنفقت عمرك كله * فى نظرة من وجهه أنت الغنى
واذا انتخبت له دعاء صالحا * لم تلق غير مشارك ومؤمن
يا أهل ذا الملك الذى من فاته * ورجا سواه فلم يكن بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهرشاه وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه بجانبه وتبسم فى وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط فى ذلك الايوان فأكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من فى المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه وأثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال أيها الملك الكبير والسيد الخطير انى سعيت اليك وقدمت عليك فى أمر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو انى قد أتيتك رسولا خاطبا وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال أصفهان وقد أرسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو فى مصاهرتك راغب فهل أنت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك أثنى على ذى الجلال والاكرام وقال وهو فى حالة القيام أيها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما أقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وابنتى جارية من جملة جواريه وهذا أجل مرادى ليكون ذخرى واعتمادى ثم انه أحضر القضاة والشهود وشهدوا أن الملك سليمان شاه وكل وزيره فى الزواج وتولى الملك زهرشاه عقد ابنته بابتهاج ثم ان القضاة أحكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير وأحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك أخذ فى تجهيز ابنته واكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر فى اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأ مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج اليه العروس أمر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق وهيؤا الجوارى الروميات والوصائف التركيات وأصحب العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع محفة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وأفرد لها عشر بغال للسير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حوراء من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع الى الاوطان فى فرح وامان وتوجه الوزير بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

(فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل يطوي المراحل والقفار ويجد السير في الليل والنهار حتى بقي بينه وبين بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فأسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وأمر عساكره أن يخرجوا في موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وأن يكونوا في أحسن البهجات وأن ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا أمره ونادى المنادي أنه لاتبقى بنت مخدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز مكسرة الا تخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم في خدمتها واتفقوا على أن يتوجهوا بها في الليل الى قصر الملك واتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة والخدام قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التي أعطاها لها أبوها فلما أقبلت أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها الى أن قربت من القصر ولم يبق أحد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فأضاء المكان ببهجتها وأشرقت جهاته بحلي زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدام أبواب السرادق ووقفوا وهم محيطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك وأوقع الله محبتها في قلبه فأزال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والقهر وأقام عندها نحو شهر فعلقت منه في أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيته الى أن وفت أشهرها وفي آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا وأعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

الله خوّل منه آجام العلا * أسدا وآفاق الرياسة كوكبا
هشت لمطلعه الاسنة والاسرة والمحافل والظبا
لاتركبوه على النهود فانه * ليرى ظهور الخيل أوطأ مركبا
وافطموه عن الرضاع فانه * ليرى دم الاعداء أحلى مشربا

ثم ان الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدي الدلال وتربى في حجر الاقبال ولازالت الايام تجري والاعوام تمضي حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم مايحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ماطلبه منه الملك أحضره من عند الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذا يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربع عشرة سنة وكان اذا خرج لبعض اشغاله يفتتن به كل من رآه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر في الفروسية وفاق أهل زمانه صار من فرط جماله اذا خرج الى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت في محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال

فيه الشاعر عانقته فسكرت من طيب الشذا * غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى
سكران ما شرب المدام وانما * أمسى بخمر رضابه متنبذا
أضحى الجمال بأمره فى أسره * فلأجل ذاك على القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطرى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا
ان عشت عشت على هواه وان أمت * وجدا به وصبابة ياحبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دب عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبي العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

أضحى ليوسف فى الجمال خليفة * تخشاه كل العاشقين اذا بدا
عرج معى وانظر اليه لكى ترى * فى خده علم الخلافة أسودا

وكما قال الآخر
ماأبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ * ـحمراء تحت المقلة السوداء

وكما قال الآخر
عجبت لخال يعبد النار دائما * بخدك لم يحرق بها وهو كافر
وأعجب من ذا أن لحظك مرسل * يصدق فى آياته وهو ساحر
وما أخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر

وكما قال الآخر
انى لأعجب من سؤال الناس عن * ماء الحياة بأى أرض منهم
ولقد أراه بثغر ظبي أغيد * حلو اللمى وعليه شاربه الخضر
ومن العجائب أن موسى يلتقى * معه هنالك ساثلا لم يصطبر

فلما صار بتلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران أصحاب واحباب وكل من تقرب اليه يرجو انه يصير سلطانا بعد موت أبيه وأنه يكون عنده أميرا ثم انه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق أنه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة أيام فامتثلوا ماأمرهم به فلما خرج بأتباعه للصيد والقنص ساروا فى البر ولم يزالوا سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء فرأوا فيها وحوشا رائعة وأشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لأتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شئ كثير من أصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش وتنافرت فى وجوه الخيل فأغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فأصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد أخذوا من الوحوش شيأ كثيرا وهرب الباقى وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لأبيه سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله اليه وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة فى ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتنى بخبر هؤلاء واسألهم لاى شئ نزلوا فى هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم أخبرونا من انتم وأسرعوا فى رد الجواب فقالوا والله نحن تجار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا فى هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم أن كل من نزل عنده صار فى أمان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول

الى

الى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شيء جاؤا به من أجلي فما أدخل المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى أن أشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة من الدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرذ فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وأرسل الى التجار وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم فأقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم وأخذ منها ما يصلح له ووفى لهم الثمن ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين أزهر ووجه أقمر الا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* (فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طال الفراق ودام الهم والوجل * والدمع من مقلتي يا صاح منهمل
والقلب ودعته يوم الفراق وقد * بقيت فردا فلا قلب ولا أمل
يا صاحبي قف معي حتى أودع من * من نطقها تشتفي الامراض والعلل

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليه وتاج الملوك ناظر اليه وهو يتعجب من أمره فلما أفاق رنا بفاتك اللحظات وأنشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر * وليس بناج من رمته المحاجر
فان العيون السود وهي نواعس * تقد السيوف البيض وهي بواتر
ولا تخضعوا من رقة في كلامها * فان الحميا للعقول تخامر
منعمة الاطراف لو مس جسمها * حرير لأدماه وهالك ناظر
بعيدة ما بين المخلخل والطلا * وأين الشذا من طيبها وهو عاطر

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في أمره وتمشى اليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على رأسه فنهض قائما على قدميه وقبل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاي شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي ان بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لابد أن تعرض علي ما معك وتخبرني بحالك فاني أراك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من أجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك أمر بنصب كرسي فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وأمر الشاب أن يجلس على البساط وقال له أعرض علي بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لا تذكر لي ذلك فان بضاعتي ليست مناسبة لك فقال له تاج الملوك لابد من ذلك ثم أمر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهرا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأن واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

بما بجفنيك من غنج ومن كحل * وما بقدك من لين ومن ميل

وما بثغرك من خمر ومن شهد * ومابعطفك من لطف ومن ملل
عندى زيارة طيف منك ياأملى * أحلى من الامن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة وأخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوى ألفى دينار فلما فتح الثوب وقع من وسطه خرقة فأخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وانشد يقول

متى يشتفى منك الفؤاد المعذب * ونجم الثريا من وصالك أقرب
بعاد وهجر واشتياق ولوعة * ومطل وتسويف به العمر يذهب
فلا الوصل يحيينى ولا الهجر قاتلى * ولا البعد يدنينى ولا أنت تقرب
ومامنك انصاف ولا لك رحمة * ولا منك اسعاف ولا عنك مهرب
وفى حبكم ضاقت جميع مذاهبى * على فلا أدرى الى أين أذهب

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك من سبب ولما أخذ الخرقة ووضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ماهذه الخرقة فقال يامولاى ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك أرنى اياها قال له يامولاى أنا ما امتنعت من عرض بضاعتى عليك الا لأجلها فانى لا أقدر على أنك تنظر اليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض بضاعتى عليك الا لأجلها فانى لا أقدر على أنك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لابد من كونى أنظر اليها وألح عليه واغتاظ فأخرجها من تحت ركبته وبكى وأن واشتكى وأكثر من الأنات وأنشد هذه الأبيات

لا تعذليه فان العذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
استودع الله فى البطحا لى قمرا * بالحى من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى * صفو الحياة وانى لا أودعه
وكم تشفع لى يوم الفراق ضحى * وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق * عنى بفرقته لكن أرقعه
لا يستقر لجنبى مضجع وكذا * لا يستقر له مذ بنت مضجعه
وقد سعى الدهر فيما بيننا بيد * عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
وصبت الهم صرفا عند ما ملأت * كأسا تجرع منها ما أجرعه

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك أرى أحوالك غير مستقيمة فأخبرنى ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يامولاى ان حديثى عجيب وأمرى غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال آخر وهى مرقومة بالفضة وفى رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذى علم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له أحك لى قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال الشاب اعلم يامولاى ان أبى كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيرى وكان لى بنت عم تربيت انا واياها فى بيت أبى لأن أباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وأبى على أن يزوجانى فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هى

مبلغ

مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها ثم تحدث والدي مع أمي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع أمي على هذا الامر ثم شرع أبي في تجهيز مؤن الولائم هذا كله وانا وبنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هي اشعر مني واعرف وادرى فلما جهز ابي أدوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي اراد ابي ان يكتبوا الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه الى اصحابه من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك ومضت امي عزمت صواحبها من النساء ودعت اقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد ان زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس على ان يجيئوا بيتنا بعد صلاة الجمعة ثم مضى ابي وعمل الحلويات واطباق السكر وما بقي غير كتب الكتاب وقد أرسلتني امي الى الحمام وارسلت خلفي بدلة جديدة من أفخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة ذكية عبقت في الطريق ثم أردت أن اذهب الى الجامع فتذكرت صاحبا لي فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت في نفسي اشتغل بهذا الامر الى أن يقرب وقت الصلاة ثم اني دخلت زقاقا ما دخلته قط وكنت عرقان من اثر الحمام والقماش الجديد الذي على جسدي فساح عرقي وفاحت روائحي فقعدت في راس الزقاق لارتاح على مصطبة وفرشت تحتي منديلا مطرزا كان معي فاشتد علي الحر فعرق جبيني وصار العرق ينحدر على وجهي ولم يمكني مسح العرق عن وجهي بالمنديل لانه مفروش تحتي فأردت ان آخذ ذيل فرجيتي وامسح وجنتي فما ادري الا ومنديل ابيض وقع علي من فوق وكان ذلك المنديل ارق من النسيم ورؤيته الطف من شفاء السقيم فمسكته بيدي ورفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد المائة) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة في شباك من نحاس لم تر عيني اجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما رأتني نظرت اليها وضعت اصبعها في فمها ثم اخذت اصبعها الوسطاني والصقتها باصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم ادخلت راسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد به الاستعار واعقبتني النظرة ألف حسرة وتحيرت فلم أسمع ما قالت ولم افهم ما به اشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم أسمع حسا ولم ار شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكاني واخذت المنديل معي ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأنني في الجنة ثم نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الذكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بعثت له اشكوه من الم الجوى * بخط رقيق والخطوط فنون
فقال خليلي ما لخطك هكذا * رقيقا دقيقا لا يكاد يبين
فقلت لاني في نحول ودقة * كذاك خطوط العاشقين تكون

ثم بعد ان قرات الابيات اطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كتب العذار وياله من كاتب * سطرين في خديه بالريحان
واحيرة القمرين منه اذا بدا * واذا انثنى واخجلة الاغصان

ومسطر فى الحاشية الاخرى هذان البيتان

كتب العذار بعنبر فى لؤلؤ * سطرين من سبج على تفاح
القتل فى الحدق المراض اذا رنت * والسكر فى الوجنات لا فى الراح

فلما رايت ما على المنديل من الاشعار انطلق فى فؤادى لهيب النار وزادت بى الاشواق والافكار واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى البيت وانا لا ادرى لى حيلة فى الوصال ولا استطيع فى العشق تفصيل الاجمال ثم وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرايت بنت عمى جالسة تبكى فلما رأتنى مسحت دموعها واقبلت على وقلعتنى الثياب وسألتنى عن سبب غيابى واخبرتنى ان جميع الناس من امراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا وحضر القاضى والشهود واكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورى من اجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورى تفرقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لى ان اباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كتابنا الا فى السنة القابلة لانه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لى ما الذى جرى لك فى هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لى كذا وكذا وذكرت لها المنديل واخبرتها بالخبر من أوله الى آخره فأخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

من قال اول الهوى اختيار * فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار * دلت على صحته اخبار
* ما زيفت على صحيح النقد *

قان تشا فقل عذاب يعذب * اوضربان فى الحشى اوضرب
اونعمة اونقمة اوارب * تأتنس النفس به اوتعطب
* قد حرت بين عكسه والطرد *

ومع ذا أيامه مواسم * وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها نواسم * وهو لكل ما يشين حاسم
* ما حل قط قلب نذل وغد *

ثم انها قالت لى فما قالت لك وما أشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشئ غير أنها وضعت أصبعها فى فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها وأشارت الى الارض ثم أدخلت رأسها وأغلقت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فأخذت قلبى معها فقعدت الى غياب الشمس انتظر أنها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتى وأشتهى منك ان تعينينى على ما بليت به فرفعت رأسها الى وقالت يا ابن عمى لو طلبت عينى لأخرجتها لك من جفونى ولا بد ان أساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما أنك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما أشارت به قالت أما وضع أصبعها فى فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانها تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين وأما الورقة فانها اشارة الى ان روحها متعلقة بك وأما وضع أصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره انها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عنى بطلعتك العنا واعلم يا ابن عمى انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندى من التفسير لاشاراتها ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها فى اسرع وقت واسترتكما بذيلى قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت فى نفسى انا أصبر يومين ثم قعدت فى البيت يومين لا أدخل ولا أخرج

ولا

ولا آكل ولا اشرب ووضعت رأسي في حجر ابنة عمي وهي تسليني وتقول قوّ عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد المائة ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا وقر عينا وقو عزمك والبس ثيابك وتوجه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت أثوابي وبخرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المسطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رأيتها وقعت مغشيا علي ثم أفقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا احمر وحين رأتني شمرت عن ساعديها وفتحت أصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس أصابع ثم رفعت يديها وأبرزت المرآة من الطاقة وأخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلاث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة وأغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيران لا أعلم ما أشارت به واستمررت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مالي وللاحي عليك يعنف * كيف السلو وأنت غصن أهيف
يا طلعة سلبت فؤادي وانثنت * ما للهوى العذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشا * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وليس لي * جلد على حمل القميص وأضعف
ولقد بكيت دما لقول عواذلي * من جفن من تهوى يروعك مرهف
ياليت قلبي مثل قلبك انما * جسمي نكخصرك بالنحافة متلف
لك يا أميري في الملاحة ناظر * صعب علي وحاجب لا ينصف
كذب الذي قال الملاحة كلها * في يوسف كم في جمالك يوسف
أتكلف الاعراض عنك مخافة * من أعين الرقباء كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت علي الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت الي وحملتني وقلعتني أثوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سألتني عما جرى لي فحكيت لها جميع ما حصل منها فقالت يا ابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة أصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة أيام واما اشارتها بالمرآة وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يا بنت عمي انك تصدقيني في هذا التفسير لاني رأيت في الزقاق صباغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قو عزمك وثبت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حر الغرام وأنت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم أخذت تسليني بالكلام وأتت لي بالطعام فأخذت لقمة وأردت أن آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفر لوني وتغيرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمي من أجلي وصارت تذكر لي أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة الى ان انام وكنت أستيقظ فأجدها ساهرة من أجلي ودمعها يجري على خدها ولم أزل كذلك الى ان مضت الخمسة أيام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحمتني وألبستني ثيابي وقالت لي توجه اليها قضى الله حاجتك وبلغك

مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم أزل ماشيا الى ان أتيت الى رأس الزقاق وكان ذلك فى يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفلة فجلست عليها حتى اذن العصر واصفرت الشمس وأذن المغرب ودخل الليل وأنا لا أرى لها أثرا ولا أسمع حسا ولا خبرا فخشيت على نفسى وأنا جالس وحدى فقمت وتمشيت وأنا كالسكران الى أن دخلت البيت فلما دخلت رأيت ابنة عمى عزيزة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهى تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان أهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
بأعظم من وجدى بحبى وانما * يرى اننى اذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت الى فرأتنى فمسحت دموعها ودموعى بكمها وتبسمت فى وجهى وقالت لى يا ابن عمى هناك الله بما اعطاك فلاى شئ لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفستها برجلى فى صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء فى جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما رفست ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد فى جبينها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت فى الحال وأحرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذى سال على البساط وكأن ذلك شئ ما كان ثم انها أتتنى وتبسمت فى وجهى وقالت لى بلين الكلام والله يا ابن عمى ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم وفى هذه الساعة قد خفت رأسى وخفت جبهتى فأخبرنى بما كان من أمرك فى هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لى منها فى ذلك اليوم وبعد كلامى بكيت فقالت يا ابن عمى أبشر بنجاح قصدك وبلوغ أملك ان هذه علامة القبول وذلك أنها غابت عنك لانها تريد أن تختبرك وتعرف هل أنت صابر أولا وهل أنت صادق فى محبتها أولا وفى غد توجه اليها فى مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت أفراحك وزالت أتراحك وصارت تسلينى على ما بى وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لى الطعام فرفسته فانكبت كل زبدية فى ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لى ابنة عمى عزيزة والله يا ابن عمى ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادى ومسحت الطعام وجلست تسايرنى وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المسطبة واذا بالطاقة قد انفتحت وأبرزت رأسها منها وهى تضحك ثم غابت ورجعت ومعها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة زرع أخضر وفى يدها قنديل فأول ما فعلت أخذت المرآة فى يدها وادخلتها فى الكيس ثم ربطته ورمته فى البيت ثم أرخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة فانفطر قلبى من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها الخفية وهى لم تكلمنى بكلمة قط فاشتد لذلك غرامى وزاد وجدى وهيامى ثم انى رجعت على عقبى وأنا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمى قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها امنعتها أن تخبرنى بشئ مما عندها من الغرام لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيام

والهيام ثم نظرت اليها فرأيت على رأسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع أصابها من شدّة بكائها وهي في أسوأ الحالات تبكي وتنشد هذه الابيات

أينما كنت لم تزل بأمان * أيها الراحل المقيم بقلبي
ولك الله حيث أمسيت جار * منقذ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عيني * واستهلت مدامعي أي سكب
ليت شعري بأي أرض ومغنى * أنت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شربك القراح زلالا * فدموعي من المحاجر شربي
كل شيء سوى فراقك عذب * كالتجافي بين الرقاد وجنبي

فلما فرغت من شعرها نظرت الي فرأتني وهي تبكي فمسحت دموعها ونهضت الي ولم تقدر أن تتكلم مما هي فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمي أخبرني بما حصل لك منها في هذه المرة فأخبرتها بجميع ما حصل لي فقالت لي اصبر فقد آن أوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك أما اشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها في الكيس فانها تقول لك اصبر الى أن تغطس الشمس وأما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا أقبل الليل وانسدل سواد الظلام على نور النهار فتعال وأما اشارتها لك بالقصرية التي فيها زرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذي وراء الزقاق وأما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه وأي موضع وجدت فيه القنديل مضيأ فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرني فان هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعديني وأتوجه اليها ولا أحصل مقصودي ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقي عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم الى أن يولي النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم أنشدت هذين البيتين

درّج الايام تندرج * وبيوت الهم لا تلج
رب أمر عز مطلبه * قربته ساعة الفرج

ثم انها أقبلت علي وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر أن تأتيني بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا أنها أتت الي وقلعتني ثيابي ثم قالت يا ابن عمي اقعد معي حتى أحدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتي الليل الا وأنت عند محبوبتك فلم ألتفت اليها وصرت أنتظر مجيء الليل وأقول يارب عجل بمجيء الليل فلما أتى الليل بكت ابنة عمي بكاء شديدا وأعطتني حبة مسك خالص وقالت لي يا ابن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنيت فأنشدها هذا البيت

ألا أيها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لا أنشدها ذلك البيت الشعر الا بعد خروجي من عندها فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرأيت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبة من العاج والآبنوس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها أنواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني

علوة خمرا وفيها اقدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج وأترج وكباد وبينها أنواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكنني ما وجدت في هذه الدار أحدا من خلق الله تعالى * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكني ما وجدت فيه أحدا من خلق الله تعالى ولم أر عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور فجلست في ذلك المقعد أنتظر مجيء محبوبة قلبي الى أن مضى أول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي ألم الجوع لان لي مدة من الزمان ما أكلت طعاما لشدة وجدي فلما رأيت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت ألم الجوع وقد شوقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقا من الصيني وفيه أربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق أربع زبادي واحدة حلوى والأخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي ما بين حلو وحامض فأكلت من القطائف وأكلت قطعة لحم وعمدت الى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت معلقة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد أن غسلت يدي فغلبني النوم ولم أعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى أحرقني حر الشمس لان لي أياما ما ذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطني ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد تلفت يمينا وشمالا فلم أجد أحدا ووجدتني كنت نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعي على خدي وتأسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدق بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هب ريح من الحمى ونسيم * فأثار الهوى بنشر هبوبه
يا نسيم الصبا هلم الينا * كل صب بحظه ونصيبه
لو قدرنا من الغرام اعتنقنا * كاعتناق المحب صدر حبيبه
حرم الله بعد وجه ابن عمي * كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعري هل قلبه مثل قلبي * ذائب من حر الهوى ولهيبه

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت علي بلين كلامها وقالت يا ابن عمي أنت في عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب وأنا في بكائي وحزني على فراقك من يلومني ولكن لا آخذك الله من جهتي ثم انها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلعتني أثوابي ونشرتها وشمتها وقالت والله ما هذه روائح من حظي بمحبوبه فأخبرني بما جرى لك يا ابن عمي فأخبرتها بجميع ما جرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا والله يا ابن عمي اني خائفة عليك منها واعلم يا ابن عمي أن تفسير الملح هو أنك مستغرق النوم فكأنك دلع الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغي لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع لانك تدعي أنك من العشاق

الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هى محبتها لك كاذبة لانها لما رأتك نائما لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك وأما الفهم فان تفسير اشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما أنت صغير ولم يكن لك همة الا الاكل والشرب والنوم فهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدى على صدرى وقلت والله ان هذا هو الصحيح لانى نمت والعشاق لاينامون فأنا الظالم لنفسى وما كان أضر على من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم انى زدت فى البكاء وقلت لابنة عمى دلينى على شئ أفعله وارحمينى يرحمك الله والا مت وكانت بنت عمى تحبنى محبة عظيمة * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة عمى دلينى على شئ أفعله وارحمينى يرحمك الله وكانت تحبنى محبة عظيمة فقالت على رأسى وعينى ولكن يا ابن عمى قد قلت لك مرارا لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها فى أقرب زمن وأغطيكما بذيلى ولا أفعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد فى الجمع بينكما ولكن اسمع قولى وأطع أمرى واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس فى الموضع الذى كنت فيه واحذر أن تأكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك أن تنام فانها لاتأتى لك حتى يمضى من الليل ربعه كفاك الله شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت أدعو الله أن يأتى الليل فلما أردت الانصراف قالت لى ابنة عمى اذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الرأس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التى رأيتها أولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسى اليه فمنعتها مرارا فلم أقدر على منعها فقمت وأتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادى من الطعام فيها أربعة ألوان فأكلت من كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلوى وأكلت قطعة لحم وشربت من الزردة وأعجبتنى فأكثرت الشرب منها بالمعلقة حتى شبعت وامتلأت بطنى وبعد ذلك انطبقت أجفانى فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسى وقلت لعلى أتكى عليها ولا أنام فأغمضت عينى ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطنى كعب عظم وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وليس فى المكان شئ من فرش ولا غيره وكأنه لم يكن فيه شئ بالامس فقمت ونفضت الجميع عنى وخرجت وأنا مغتاظ الى أن وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمى تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

جسد ناحل وقلب جريح * ودموع على الخدود تسيح
وحبيب صعب التجنى ولكن * كل ما يفعل المليح مليح
يا ابن عمى ملأت بالوجد قلبى * ان طرفى من الدموع قريح

فنهرت ابنة عمى وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها وأقبلت على وقبلتنى وأخذت تضمنى الى صدرها وأنا أتباعد عنها وأعاتب نفسى فقالت لى يا ابن عمى كأنك نمت فى هذه الليلة فقلت لها نعم ولكننى لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطنى وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وما أدرى لاى شئ فعلت هكذا ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت لها فسرى لى اشارة فعلها هذا وقولى لى ماذا أفعل وساعدينى على الذى أنا فيه فقالت لى على الرأس والعين أما فردة الطاب التى وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح

فانها تشير لك بها الى انك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة أهبت فى الفؤاد جمرة وأما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى أن قلب المحب مسلوب وتقول لك اصبر على فراقها صبر أيوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت فى فؤادى النيران وزادت بقلبي الاحزان فصحت وقلت قدر الله على النوم لقلة بختى ثم قلت لها يا ابنة عمى بحياتى عندك أن تدبرى لى حيلة أتوصل بها اليها فبكت وقالت يا عزيز يا ابن عمى ان قلبى ملآن بالفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذر أن تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأى والسلام فقلت لها ان شاء الله لا أنام وانما أفعل ما تأمرينى به فقامت بنت عمى وأتت بالطعام وقالت لى كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى فى خاطرك شيء فأكلت كفايتى ولما أتى الليل قامت بنت عمى وأتتنى ببدلة عظيمة وألبستنى اياها وحلفتنى أن أذكر لها البيت المذكور وحذرتنى من النوم ثم خرجت من عند بنت عمى وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عينى بأصابعى وأهز رأسى حين جن الليل * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عينى بأصابعى وأهز رأسى حين جن الليل فجعت من السهر وهبت على روائح الطعام فازداد جوعى وتوجهت الى السفرة وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت الى باطية الخمر وقلت فى نفسى اشرب قدحا فشربته ثم شربت الثانى والثالث الى غاية عشرة وقد ضربنى الهواء فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسى خارج البستان وعلى بطنى شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمى تقول انى فى هذا البيت مسكينة حزينة ليس لى معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولى ورميت السكين والدرهم من يدى وغشى على فلما أفقت من غشيتى عرفتها بما حصل لى وقلت لها انى لم أنل أربى فاشتد حزنها على لما رأت بكائى ووجدى وقالت لى انى عجزت وأنا أنصحك عن النوم فلم تسمع نصحى فكلامى لا يفيدك شيأ فقلت لها أسألك بالله أن تفسرى لى اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت أما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعينى اليمين ان رجعت ثانى مرة وغت لاذبحنك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمى من مكرها وقلبى ملآن بالحزن عليك فما أقدر أن أتكلم فان كنت تعرف من نفسك أنك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت أنك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها وغت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمى أسألك بالله أن تساعدينى فى هذه البلية فقالت على عينى ورأسى ولكن ان سمعت كلامى وأطعت أمرى قضيت حاجتك فقلت لها انى أسمع كلامك وأطيع امرك فقالت اذا كان وقت الرواح أقول لك ثم ضمتنى الى حضنها ووضعتنى على الفراش ولازالت تكبسنى حتى غلبنى النعاس واستغرقت فى النوم فأخذت مروحة وجلست عند رأسى تروح على وجهى الى آخر النهار ثم نبهتنى فلما انتبهت وجدتها عند رأسى وفى يدها المروحة وهى تبكى ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتنى استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه فقالت لى أما قلت لك اسمع منى وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الاكل فى فى وأنا أمضغ حتى امتلأت ثم أسقتنى نقيع عناب بالسكر ثم غسلت يدى ونشفتها بمحرمة ورشت على ماء الورد وجلست معها وأنا فى عافية فلما أظلم الليل ألبستنى ثيابى وقالت يا ابن عمى اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك فى

هذه

هذه الليلة الا فى آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها فى هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتى ثم بكت فأوجعنى قلبى عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التى وعدتينى بها فقالت لى اذا انصرفت من عندها فأنشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كأنه سنة فكنت ساهرا حتى مضى ثلاثة أرباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندى الجوع من السهر فقمت الى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسى وأردت أن أنام واذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدى وفمى ونبهت نفسى فما كان الا قليل واذا بها أتت ومعها عشر جوار وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهى كما قال الشاعر

تتيه على العشاق فى حلل خضر * مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التى * كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت اليها ما أقاسى من الهوى * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد أنبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتنى ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الاشواق ثم أقبلت على الجوارى وغمزتهن فانصرفن عنها وأقبلت على وضمتنى الى صدرها وقبلتنى وقبلتها ومصت شفتى التحتانية ومصصت شفتها الفوقانية ثم مددت يدى الى خصرها وغمزته وما نزلنا فى الارض الا سواء وحللت سراويلها فنزلت فى خلاخل رجليها وأخذنا فى الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى أن ارتخت مفاصلها وغشى عليها ودخلت فى الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

أهنا الليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكاس من اعمال
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتنى وقالت لى قف حتى أخبرك بشئ * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتنى وقالت قف حتى أخبرك بشئ وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا وأخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامى فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فأخذته وتواعدت انا واياها أن أسعى اليها كل ليلة فى ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وانا فرحان ومن فرحى نسيت الشعر الذى أوصتنى به بنت عمى وحين أعطتنى الخرقة التى فيها صورة الغزال قالت لى هذا عمل أختى فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ومشيت الى أن دخلت على ابنة عمى فوجدتها راقدة فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ثم أقبلت على وقبلت صدرى وقالت هل فعلت ما وصيتك به من انشاد بيت الشعر فقلت لها انى نسيته وما شغلنى عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

يا طالبا للفراق مهلا * ولا يغرنك العناق * مهلا فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت ابنة عمي اذهب مصحوبا بالسلامة ولكن اذا انصرفت من عندها فأنشدها بيت الشعر الذي أخبرتك به أولا ونسيته فقلت لها أعيديه لي فأعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبلتني وأجلستني في حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا اغراضنا كما تقدم ولا حاجة الى الاعادة فلما اصبح الصباح انشدتها بيت الشعر وهو

ألا ايها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وانشدت تقول

يداري هواه ثم يكتم سره * ويصبر في كل الامور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي ثم خرجت وأتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وأمي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي امي تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز هل أنشدتها البيت الذي اخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وانشدتني بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمي اسمعني اياه فلما اسمعتها اياه بكت بكاء شديدا وانشدت هذا البيت

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد * له غير قلب في الصبابة يجزع

ثم قالت لي ابنة عمي اذا ذهبت اليها على عادتك فأنشدها هذا البيت الذي سمعته فقلت لها سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها في البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما أردت الانصراف انشدتها ذلك البيت وهو لقد الى آخره فلما سمعته سالت مدامعها من المحاجر وانشدت قول الشاعر

فان لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له عندي سوى الموت انفع

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشيا عليها وامي جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عينيها وقالت يا عزيز هل انشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وانشدتني هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانيا فلما افاقت انشدت هذا البيت وهو

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي على من كان للوصل يمنع

ثم لما اقبل الليل مضيت الى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسنا واكلنا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا الى الصباح فلما اردت الانصراف انشدتها ما قالته ابنة عمي فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتغيرت وقالت والله ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمي قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فأنت الذي قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو اخبرتني ان لك ابنة عم ما قربتك مني فقلت لها انها ابنة عمي وكانت تفسر لي الاشارات التي كنت تشيرين بها الي وهي التي علمتني ما افعل معك وما وصلت اليك الا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لي رح انظرها فذهبت وخاطري متشوش وما زلت ماشيا حتى وصلت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتني امي قالت ان خطيئتها في عنقك فلا سامحك الله من دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك

الملوك ثم دخلت الدار فلما راتني امي قالت ان خطيئتها في عنقك فلا سامحك الله من دمها تبالك من ابن عم ثم ان ابي جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلاثة ايام ثم رجعت الى البيت وانا حزين عليها فأقبلت على امي وقالت لي ان قصدي ان اعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها واني ياولدي كنت أسألها في كل الاوقات عن سبب مرضها فلم تخبرني به ولم تطلعني عليه فبالله عليك ان تخبرني بالذي كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيأ فقالت الله يقتص لها منك فانها ماذكرت لي شيأ بل كتمت امرها حتى ماتت وهي راضية عنك ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينيها وقالت لي يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من الدنيا الفانية الى الآخرة الباقية فقلت يابنتي سلامتك وسلامة شبابك وصرت اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي اذا أراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة مني عليه لأكون شفيقة عليه في حياتي وبعد مماتي ثم اعطتني لك حاجة وحلفتني اني لا اعطيها لك حتى أراك تبكي عليها وتنوح والحاجة عندي فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها اعطيتك اياها فقلت لها اريني اياها فما رضيت ثم اني اشتغلت بلذاتي ولم اتذكر في موت ابنة عمي لاني كنت طائش العقل وكنت أود في نفسي ان أكون طول ليلي ونهاري عند محبوبتي وما صدقت ان الليل أقبل حتى مضيت الى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالي النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها رأتني فبادرت الي وتعلقت برقبتي وسألتني عن بنت عمي فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها اربع ليال وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت اما قلت لك انك قتلتها ولو اعلمتني بها قبل موتها لكنت كافأتها على مافعلت معي من المعروف فانها خدمتني وأوصلتك الي ولولاها ما اجتمعت بك وانا خائفة عليك أن تقع في مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها انها قد جعلتني في حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما اخبرتني به امي فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى أمك فاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها ان امي قالت لي ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتني وقالت لي اذا أراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانها خلصتك مني وقد كنت أضمرت على ضررك فأنا لا أضرك ولا أشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه معي وقد صار بيني وبينك مودة فقالت أنت مولع بي ولكنك صغير السن وقلبك خال من الخداع فأنت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت في قيد الحياة لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك حيث انجتك من الهلكة والآن أوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فاياك ثم اياك ذلك لانك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن والتي تفسر لك الاشارات قد ماتت واني اخاف عليك ان تقع في رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لي اني أخاف عليك أن تقع في رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك فواحسرتاه على بنت عمك وليتني علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على مافعلت معي من المعروف رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل الي أبدا واني اشتهي عليك أمرا فقلت ما هو قالت أن توصلني الى قبرها حتى أزورها في القبر الذي هي فيه وأكتب عليه أبياتا فقلت لها

فى غدان شاء الله تعالى ثم انى نمت معها تلك الليلة وهى بعد كل ساعة تقول لى ليتك أخبرتنى بابنة عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلم تجبنى فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسا فيه دنانير وقالت لى قم وأرنى قبرها حتى أزوره وأكتب عليه ابياتا وأعمل عليه قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وصارت تتصدق وهى ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التى كتمت سرها حتى شربت كأس مناياها ولم تبح بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى وصلنا الى القبر ونفد ما فى الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديدا ثم انها أخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات

مررت بقبر دارس وسط روضة * عليه من النعمان سبع شقائق
فقلت لمن ذا القبر جاوبنى الثرى * تأدب فهذا القبر برزخ عاشق
فقلت رعاك الله ياميت الهوى * وأسكنك الفردوس أعلى الشواهق
مساكين أهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين الخلائق
فان استطع زرعا زرعتك روضة * وأسقيتها من دمعى المتدافق

ثم بكت بكاء شديدا وقامت وقمت معها وتوجهنا الى البستان فقالت لى سألتك بالله انك لا تنقطع عنى أبدا فقلت سمعا وطاعة ثم انى صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن الى وتكرمنى وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمى عزيزة لامى فأعيدهما لها ومازلت على ذلك الحال من أكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بى هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنة عمى ومكثت مستغرقا فى تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شأنى ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب وشممت روائح قماشى المضمخ بأنواع الطيب وأنا خالى القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسى الى الذهاب اليها وأنا سكران لا أدرى اين أتوجه فذهبت اليها فمال بى السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفى احدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الاخرى كتاب ملفوف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب الذى اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذى يقال له زقاق النقيب مشيت فيه فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفى احدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها وهى باكية العين وتنشد هذين البيتين

لله در مبشرى بقدومكم * فلقد أتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتنى قالت لى ياولدى هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم ياخالتى العجوز فقالت لى خذ هذا الكتاب واقرأه لى وناولتنى الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأته عليها مضمونه انه كتاب من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لى وقالت لى فرج الله همك كما فرجت همى ثم أخذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبنى حصر البول فقعدت فى مكان لأريق الماء ثم انى قمت وتجمرت

وارخيت

وأرخيت أثوابي وأردت أن أمشي وإذا بالعجوز قد أقبلت عليّ وقبلت يدي وقالت يا مولاي الله تعالى
يهنيك بشبابك ولا يفضحك أترجاك أن تمشي معي خطوات إلى ذلك الباب فإني أخبرتهم بما أسمعتني إياه
في قراءة الكتاب فلم يصدقوني فامش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واقبل دعائي لك
فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة عشر
سنين فإنه سافر بمتجر ومكث في الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء منه وظننا أنه مات ثم وصل إلينا منه
هذا الكتاب وله أخت تبكي عليه في مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار فقلت لها إنه طيب بخير فلم
تصدقني وقالت لي لا بد أن تأتيني بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرني حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطري وأنت
تعلم يا ولدي أن المحب مولع بسوء الظن فأنعم عليّ بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة وأخته
تسمع من داخل الباب لأجل أن يحصل لك ثواب من قضى لمسلم حاجة ونفس عنه كربة فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من نفس عن مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة وفي
حديث آخر من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنتين وسبعين كربة من كرب
يوم القيامة وأنا قصدتك فلا تخيبني فقلت لها سمعا وطاعة تقدمي قدامي فمشت قدامي ومشيت خلفها قليلا
حتى وصلت إلى باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الأحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز
بالعجمية فما شعرت إلا وصبية قد أقبلت بخفة ونشاط وهي مشمرة اللباس إلى ركبتيها فرأيت لها ساقين
يحيران الفكر والناظر وهي كما قال في وصفها الشاعر

يا من يشمر عن ساق ليعرضه * على المحبين حتى يفهم الباقي
وطاف يسعى بكاس نحو عاشقه * ما افتتن الناس غير الكاس والساق

وزان ساقيها اللتين كأنهما عمودان من مرمر خلاخل الذهب المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمرة
ثيابها إلى تحت إبطيها ومشمرة عن ذراعيها فنظرت معاصمها البيض وفي يديها زوجان من الأساور وفي
أذنيها قرطان من اللؤلؤ وفي عنقها عقد من ثمين الجوهر وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص
المثمنة وقد رشقت أطراف قميصها من داخل تكة اللباس وهي كأنها كانت تعمل شغلا فلما رأتني قالت
بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه يا أمي أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها إلى
بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدي لأتناول منها الكتاب وأدخلت رأسي
وأكتافي من الباب لأقرب منها فما أدري إلا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ودفعتني ويدي ماسكة
الباب فالتفت فرأيت نفسي في وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف
ولم يكن لها شغل إلا قفل الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج
الملوك فالتفت فرأيت نفسي في وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف
ولم يكن لها شغل إلا قفل الباب ثم إن الصبية لما رأتني من داخل الباب بالدهليز أقبلت عليّ وضمتني
إلى صدرها ورمتني على الأرض وركبت فوق صدري وعصرت بطني بيدها فغبت عن الوجود ثم أخذتني
بيدها ولم أقدر أن أتخلص منها من شدة ما حضنتني ثم دخلت بي ودخلت العجوز قدامها والشمعة مضيئة
معها حتى قطعت سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بي قاعة كبيرة بأربعة لواوين يلعب فيها الخيل بالأكر
ثم أجلستني وقالت له افتح عينك ففتحت عيني وأنا دايخ من شدة ما ضمتني وعصرتني فرأيت جميع
بناء القاعة من أبهج المرمر وجميع فرشها من الديباج وكذلك المخدات والمراتب وهناك دكتان من

النحاس الأصفر وسرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر لا يصلح الا للملك ثم قالت لى يا عزيز أى الحالتين أحب اليك الموت أم الحياة فقلت لها الحياة فقالت اذا كانت الحياة أحب اليك فتزوج بى فقلت أنا أكره ان أتزوج بمثلك فقالت لى ان تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وأنت لك فى صحبتها اليوم سنة وأربعة شهور أهلكها الله تعالى والله ما يوجد أمكر منها وكم قتلت شخصا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ولك فى صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتى ومن عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدى ان تحكى لى جميع ما وقع لك منها حتى أعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرا يا عزيز فانها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هى لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما أقدر ان أتكلم فقلت لها والله ان ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها أوصتنى ان أقول هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت لى يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله انى كنت أتمنى الاجتماع بك ولم يوما واحدا فلم أقدر على ذلك الا فى هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وأنت الآن صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهى العجائز فقلت لا والله فقالت لى طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحى ملطوف وأنت شاب مليح وأنا ما أريدك الا بسنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعا ولا أكلفك بشىء أبدا وأيضا عندى دائما الخبز مخبوز والماء فى الكوز وما أريد منك الا ان تعمل معى كما يعمل الديك فقلت لها وما الذى يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت وقالت لى أما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما أعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنيك فخجلت أنا من كلامها ثم انى قلت أهذه صنعة الديك فقالت نعم وما أريد الآن الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جيدا ثم انها صفقت بيدها وقالت يا أمى أحضرى من عندك واذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول ثم انها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليها الازار ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة آلاف درهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك وأشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة آلاف درهم ثم انها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها وأخذت بيدى وطلعت بى فوق السرير وقالت لى ما فى الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتنى على صدرها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم أتمالك نفسى دون ان أولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهى تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء بالدموع وذكرتنى فى هذا الحال قول من قال

ولما كشفت الثوب عن سطح كسها * وجدت به ضيقا كخلقى وأرزاقى
فأولجت فيها نصفه فتنهدت * فقلت لماذا قالت على الباقى

ثم قالت ياحبيبى اعمل خلاصك فأنا جاريتك خذه هاته كله بحياتى عندك هاته حتى أدخله بيدى وأريح به فؤادى ولم تزل تسمعنى الغنج والشهيق فى خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا فى الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم غنا الى الصباح وأردت ان أخرج واذا هى أقبلت على ضاحكة وقالت هل تحسب ان دخول الحمام مثل خروجه وما أظن الا انك تحسبنى مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فما أنت الا زوجى بالكتاب والسنة وان كنت سكران فأفق لعقلك ان هذه الدار التى أنت فيها ما تفتح الا فى كل سنة يوما قم الى الباب الكبير وانظره فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا فعدت واعلمتها بأنه مغلق مسمر فقالت لى ياعزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا أعواما عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة الا بعد سنة وأنا أعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فقالت وأى شىء يضرك وأنت تعرف صنعة الديك التى أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك آكل واشرب وأنيك حتى مر علينا عام اثنا عشر شهرا فلما كملت السنة حملت منى ورزقت منها ولدا وعند رأس السنة سمعت فتح الباب واذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فأردت ان اخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل ما دخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء وأردت ان اخرج وأنا خائف مرجوف واذا هى قالت والله ما ادعك تخرج حتى أحلفك انك تعود فى هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فأجبتها الى ذلك وحلفتنى الايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق أنى أعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت فى نفسى انى غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته ياترى هل الصبية باقية على حالها أولا فلابد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح الى أمى وأنا فى وقت العشاء ثم دخلت البستان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عزيزا قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى أتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما رأتنى قالت الحمد لله على السلامة وهمت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسى ثم تقدمت اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت انى أجىء اليك فى هذه الساعة قالت لا علم لى بذلك والله ان لى سنة لم أذق فيها نوما بل اسهر كل ليلة فى انتظارك وأنا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندى وأعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتنى انك تجىء الى وقد انتظرتك فما أتيت لا أول ليلة ولا ثانى ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون وأريد أن تحكى لى ما سبب غيابك عنى هذه السنة فحكيت لها فلما علمت انى تزوجت اصفر لونها ثم قلت لها انى أتيتك هذه الليلة وأروح قبل الصباح فقالت أما كفاها انها تزوجت بك وعملت عليك الحيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق أن تعود اليها قبل الصباح ولم تسمح لك بأن تتفسح عند أمك ولا عندى ولم يهن عليها ان تبيت عند احد منا ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فانها جرى لها ما لم يجر لاحد وصبرت على شىء لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة منك وهى التى حمتك منى وكنت أظنك تجىء فأطلقت سبيلك

مع انى كنت أقدر على حبسك وعلى هلاككم ثم بكت واغتاظت ونظرت الىّ بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصى وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لى ما بقى فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فأنت لا تصلح لعشرتى لانه لا ينفعنى الا الأعزب وأما الرجل المتزوج فانه لا ينفعنى وقد بعتنى بتلك العاهرة والله لأحسرنها عليك وتصير لا لى ولا لها ثم صاحت فما أدرى الا وعشرة جوار أتين ورميننى على الارض فلما وقعت تحت أيديهن قامت هى وأخذت سكينا وقالت لأذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا أقل جزائك على ما فعلت مع ابنة عمك فلما نظرت الى روحى وأنا تحت جواريها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما رأيت روحى تحت جواريها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت فاستغثت بها فلم تزدد الا قسوة وأمرتهن أن يكتفننى فكتفننى ورميننى على ظهرى وجلسن على بطنى وأمسكن رأسى وقامت جاريتان فامسكتا أصابع رجلى وجاريتان جلستا على أقصاب رجلى وبعد ذلك قامت هى ومعها جاريتان فأمرتهما ان يضرباني فضربتانى حتى أغمى علىّ وخفى صوتى فلما استفقت قلت فى نفسى ان موتى مذبوحا اهون علىّ من هذا الضرب وتذكرت كلمة ابنة عمى حيث قالت كفاك الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتى ثم سنت السكين وقالت للجوارى اكشفن عنه فألهمنى الله أن أقول الكلمتين اللتين أوصتنى بهما ابنة عمى وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله يا عزيزة سلامة شبابك نفعت ابن عمك فى حياتك وبعد موتك ثم قالت لى والله انك خلصت من يدى بواسطة هاتين الكلمتين لكن لا بد أن أعمل فيك أثرا لاجل نكاية تلك العاهرة التى حجبتك عنى ثم صاحت على الجوارى وقالت لهن ان اركبن عليه وأمرتهن أن يربطن رجلى بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندى وركبت طاجنا من نحاس على النار وصبت فيه شيرجا وقلت فيه جبنا وأنا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندى وحلت لباسى وربطت محاشمى بحبل وناولته الجاريتين وقالت لهما جرا الحبل فجرتاه فصرت من شدة الألم فى دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكرى بموسى وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وأنا مغمى على فلما أفقت كان الدم قد انقطع فاسقتنى قدحا من الشراب ثم قالت لى رح الآن لمن تزوجت بها وبخلت على بليلة واحدة رحم الله ابنة عمك التى هى سبب نجاتك ولولا أنك أسمعتنى كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب فى هذه الساعة لمن تشتهى وأنا ما كان لى عندك سوى ما قطعته والآن ما بقى لى فيك رغبة ولا حاجة لى بك فقم وملس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفستنى برجلها فقمت وما قدرت أن أمشى فتمشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسى فيه وأنا غائب عن الوجود واذا بزوجتى خرجت وحملتنى وأدخلتنى القاعة فوجدتنى مثل المرأة فنمت واستغرقت فى النوم فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان فقمت وأنا أتضجر وتمشيت حتى أتيت الى منزلى فدخلت فيه فوجدت أمى تبكى على وتقول يا هل ترى

يا ولدى

ياولدى أنت فى أى أرض فدنوت منها ورميت نفسى عليها فلما نظرت الى ورأتنى وجدتنى على غير استواء وصار على وجهى الاصفرار والسواد وتذكرت ابنة عمى وما فعلت معى من المعروف وتحققت أنها كانت تحبنى فبكيت عليها وبكت أمى ثم قالت لى ياولدى ان والدك قد مات فازددت غيظا وبكيت حتى أغمى على فلما أفقت نظرت الى موضع ابنة عمى التى كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا حتى أغمى على من شدة البكاء ومازلت فى بكاء ونحيب الى نصف الليل فقالت لى أمى ان لوالدك عشرة أيام وهو ميت فقلت لها أنا لا أفكر فى أحد أبدا غير ابنة عمى لانى أستحق ما حصل لى حيث أهملتها وهى تحبنى فقالت وما حصل لك فحكيت لها ما حصل لى فبكيت ساعة ثم قامت وأحضرت لى شيأ من المأكول فأكلت قليلا وشربت وأعدت لها قصتى وأخبرتها بجميع ما وقع لى فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى فقالت لى ياولدى الآن اخرج لك الوديعة التى أودعتها ابنة عمك عندى فانها لك وقد حلفتنى أنى لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صندوقا وأخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال وهى التى وهبتها لها أولا فلما أخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

أغنتم عيونى فى الهوى وقعدتم * وأسهرتم جفنى القريح ونمتم
وقد حلتم بين الفؤاد وناظرى * فلا القلب يسلوكم ولو ذاب منكم
وعاهدتمونى أنكم كاتمو الهوى * فأغراكم الواشى وقال وقلتم
فبالله اخوانى اذا مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت وجهى وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمى انى جعلتك فى حل من دمى وارجو الله أن يوفق بينك وبين من تحب لكن اذا أصابك شئ من الدليلة المحتالة فلا ترجع اليها ولا لغيرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضى ولكن الحمد لله الذى جعل يومى قبل يومك وسلامى عليك واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فان تلك الصورة كانت تؤانسنى اذا غبت عنى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك ان ابنة عمى قالت لى واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها أبدا فان تلك الصورة كانت تؤانسنى اذا غبت عنى وبالله عليك ان قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغى انك تتباعد عنها ولا تخليها تقرب منك ولا تتزوج بها وان لم تقدر عليها ولا تجد لك اليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها واعلم أن التى صورت هذه الصورة تصور فى كل سنة صورا مثلها وترسلها الى أقصى البلاد لاجل أن يشيع خبرها وحسن صنعتها التى يعجز عنها أهل الارض وأما محبوبتك الدليلة المحتالة فانها لما وصلت اليها هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم ان لى اخت تصنع هذا مع أنها كاذبة فى قولها هتك الله سترها وما وصيتك بهذه الوصية الا لأنى أعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتى وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف فى البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها واعلم أن الصبية التى صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت أمى لبكائى ولازلت أنظر اليها وأبكى الى ان اقبل الليل ولم أزل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتى الى السفر

وهم هؤلاء الذين أنا معهم فى القافلة فاشارت على أمى أن اتجهز وأسافر معهم وقالت لى لعل السفر يذهب مابك من هذا الحزن وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثا حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ولازالت تلاطفنى بالكلام حتى جهزت متجرا وسافرت معهم وأنا لم تنشف لى دمعة مدة سفرى وفى كل منزلة تنزل بها أنشر هذه الخرقة قدامى وأنظر الى هذه الصورة فأتذكر ابنة عمى وأبكى عليها كما ترانى فانها كانت تحبنى محبة زائدة وقد ماتت مقهورة منى وما فعلت معها الا الضرر مع انها لم تفعل معى الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم ارجع معهم وتكمل مدة غيابى سنة وأنا فى حزن زائد ومازاد همى وحزنى الا أننى جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهى سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لى انها هى التى تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التى معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك تزايدت بى الاشواق وغرقت فى بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحى لانى بقيت مثل المرأة ولم تبق لى آلة مثل الرجال ولا حيلة لى ومن يوم فراقى لجزائر الكافور وانا باكى العين حزين القلب ولى مدة على هذا الحال وما ادرى هل يمكننى ان ارجع الى بلدى واموت عند والدتى أولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وأن واشتكى ونظر الى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وانشد هذين البيتين

وقائل قال لى لابد من فرج * فقلت للغيظ كم لابد من فرج

فقال لى بعد حين قلت يا عجبى * من يضمن العمر لى يا بارد الحجج

وهذه حكايتى ايها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا وعرف انها هى التى صورت صورة الغزال وزاد به الوجد والبلبال فقال للشاب والله لقد جرى لك شئ ماجرى لأحد غيرك مثله ولكن هذا تقدير ربك وقصدى ان سألك عن شئ فقال عزيز وما هو فقال تصف لى كيف رأيت تلك الصبية التى صورت صورة الغزال فقال يا مولاى انى توصلت اليها بحيلة وهو انى لما دخلت مع القافلة الى بلادها كنت أخرج وادور فى البساتين وهى كثيرة الاشجار وحارس البساتين شيخ طاعن فى السن فقلت له ياشيخ لمن هذا البستان فقال لى لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فاذا أرادت أن تتفرج فتح باب السر وتفرج فى البستان فتشم رائحة الازهار فقلت له انعم على بأن اقعد فى هذا البستان حتى تمر لعلى أن أحظى منها بنظرة فقال الشيخ لا بأس بذلك فلما قال ذلك اعطيته بعض دراهم وقلت له اشترلنا شيأ نأكله ففرح بأخذ الدراهم وفتح الباب وأدخلنى معه وسرنا ومازلنا سائرين الى ان وصلنا الى مكان لطيف واحضر لى شيأ من الفواكه اللطيفة وقال لى اجلس هنا حتى أذهب واعود اليك وتركنى ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوى فأكلنا حتى اكتفينا وقلبى مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسون واذا بالباب قد انفتح فقال لى قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشى أسود أخرج رأسه من الباب وقال ياشيخ هل عندك أحد فقال لا فقال له أغلق الباب فأغلق الشيخ باب البستان واذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل فى الارض فاندهش عقلى وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد ساعة أغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلى وعرفت انى لا أصل اليها ولا أنا من رجالها خصوصا وقد صرت مثل المرأة فقلت فى نفسى ان هذه ابنة ملك وأنا رجل تاجر فمن أين لى أن اصل اليها فلما تجهز

اصحابى

أصحابي للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا الى هذا الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتي وما جرى لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيزا وتوجه به الى مدينة ابيه وأفرد له دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه ثم تركه ومضى الى قصره ودموعه جارية على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم أنه مهموم ومغموم فقال له يا ولدي أخبرني عن حالك وما جرى لك حتى غير لونك فأخبره بجميع ما جرى له من قصة دنيا من أولها الى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال يا ولدي ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر أمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له يا ولدي ان اباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر أمك فان فيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن أعجبتك منهن فخذها وان لم يعجبك جارية منهن نخطب بنتا من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا فقال له يا والدي لا أريد غيرها وهي التي صورت صورة الغزال التي رأيتها فلا بد منها والا أهيج في البراري واقتل روحي بسببها فقال له ابوه يا ولدي امهل علي حتى أرسل الى أبيها وأخطبها منه وأبلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي مع أمك وان لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشا يكون آخره عندي وأوله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له يا ولدي هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهي منك أن تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعا وطاعة يا ملك الزمان ثم أحضر وزيره وقال له دبر لي أمر ولدي كما تعرف واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها فأجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زادت به الامراض والحسرات وحين جن عليه الليل أنشد هذه الابيات

جن انظلام ودمعي زائد المدد * والوجد من شدة النيران في كبدي
سلوا الليالي عني وهي تخبركم * ان كان يرثي لقلبي في الهوى كمدي
أبيت أرعى نجوم الليل في سهر * والدمع منهمل في الخد كالبرد
وقد بقيت وحيدا ليس لي أحد * كمثل صب بلا أهل ولا ولد

ولما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ولم يفق الا وقت الصباح فلما أصبح الصباح جاء اليه أبوه فرآه قد تغير لونه وزاد اصفراره فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهز عزيزا مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أياما وليالي الى ان أشرفوا على جزائر الكافور فأقاموا على شاطئ نهر وأنفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا الا وحجاب الملك وأمراؤه قد أقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده أربعة أيام وفي اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيرا في رد الجواب لان ابنته لا تحب الزواج وأطرق رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا وأخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يا ملك الزمان اني لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت فغضبت غضبا شديدا ونهضت علي بمسوقة وأرادت كسر رأسي ففررت منها هاربا وقالت لي ان كان أبي يغصبني على الزواج فالذي أتزوج به اقتله فقال ابوها للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بذلك وان ابنتي لا تحب الزواج * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

✽ فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة ✽ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال للوزير وعزيز سلما على الملك وأخبراه بما سمعتماه من أن ابنتى لاتحب الزواج فرجع الوزير ومن معه من غير فائدة ومازالوا مسافرين الى ان دخلوا على الملك وأخبروه فعند ذلك امر النقباء أن ينبهوا العسكر الى السفر من أجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لا تفعل ذلك فان الملك لا ذنب له وانما الامتناع من ابنته فانها حين علمت بذلك أرسلت تقول ان غصبنى ابى على الزواج أقتل من أتزوج به وأقتل نفسى بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال ان حاربت اباها وظفرت بابنته قتلت نفسها ثم ان الملك اعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الامر فلما علم بذلك قال لأبيه يا والدى أنا لا أطيق الصبر عنها فانا أروح اليها واتسبب فى اتصالى بها ولو اموت ولا أفعل غير هذا فقال له ابوه وكيف تروح اليها فقال أروح فى صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه أخرج شيأ من خزائنه وهيأ له متجرا بمائة ألف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا هناك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له اكل ولا رقاد بل هجمت عليه الافكار وغرق منها فى بحارها وهزه السوق الى محبوبته فأفاض دمع العين وانشد هذين البيتين

ترى هل لنا بعد البعاد وصول ✽ فاشكوا اليكم صبوتى وأقول
تذكرتكم والليل ناء صباحه ✽ وأسهرتمونى والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولازالا يبكيان الى ان أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فأخبرها بحقيقة الامر فأعطته خمسين ألف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستأذنه ان يرحل فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار وامر أن تضرب له خيمة عظيمة وأقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا اخى أنا ما بقيت أطيق ان أفارقك فقال عزيز وأنا الآخر كذلك واحب ان أموت تحت رجليك ولكن يا اخى قلبى اشتغل بوالدتى فقال له تاج الملوك لما نبلغ المرام لا يكون الاخير وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشده الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها وهم فى هيئة التجار وابن الملك فى زى تاجر ثم اتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز أهذا منزل التجار قال عزيز لا ولكنه غير الخان الذى كنت نزلت فيه انا والقافلة التى كنت معها الا انه أحسن منه فأناخوا فيه مطيهم وحطوا رحالهم وخزنوا أمتعتهم فى المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام ثم ان الوزير اشار عليهم ان يكتروا لهم دارا كبيرة فاجابوه وا كتروا له دارا متسعة معدة للافراح فنزلوا فيها واقام الوزير وعزيز يدبران فى حيلة من اجل تاج الملوك وصار تاج الملوك متحيرا لا يدرى ماذا يفعل ولم يجد له حيلة غير انه يفتح له دكانا للتجارة فى سوق البز ثم ان الوزير اقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه ان كان مقامنا على هذه الحالة فانه لا نبلغ مرادنا ولا نحصل مطلوبنا وقد خطر ببالى شئ ولعله فيه الصلاح ان شاء الله فقال له تاج الملوك وعزيز افعل ما بدا لك فان المشايخ فيهم البركة لاسيما انت قد مارست الامور فأخبرنا بما خطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأى اننا نكترى لك دكانا فى سوق البز وتقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البز واذا قعدت فى تلك الدكان ينصلح أمرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن

اجعل

اجعل عزيزا امينا عندك واجعله فى داخل الدكان لينا ولك الاقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأى سديد فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة تجارية ولبسها وقام يمشى وغلمانه خلفه واعطى لاحدهم ألف دينار معه ليقضى بها مصالح الدكان وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البز فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح ابواب الجنان وسها عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا اليه فلما اقتربوا منه قام اليهم هو ومن عنده من التجار وعظموهم خصوصا الوزير الاجل فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك ان هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا ها هو فنظر اليه الوزير وتأمله فرآه رجلا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم ان شيخ السوق حياهم تحية الاحباب وبالغ فى اكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انى رجل كبير طاعن فى السن ومعى هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا أهلها وانى قد أتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها وأشتهى منك دكانا تكون من أحسن المواضع حتى أجلسهما فيها ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ويتخلقا بأخلاق أهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بذلك ثم نظر الى الولدين وفرح بهما وأحبهما حبا زائدا وكان شيخ السوق مغرما بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال فى نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفا فى خدمتهما كالغلام بين أيديهما وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان وكانت فى وسط السوق ولم يكن أكبر منها ولا أوجه منها عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وآبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمروا غلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش ✱وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

✱(فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة)✱ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما أخذ مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمروا غلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش والتحف وكان ذلك شيأ يساوى خزائن مال فنقلوا جميع ذلك الى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا فى الحمام على حد قول الشاعر

بشرى لقيمه اذ لامست يده ✱ جسما تولد بين الماء والنور
مازال يظهر لطفا من صناعته ✱ حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد فى انتظارهما واذا بهما قد أقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت أبدانهما حتى كأنهما غصنان نضران أو قمران زاهيان فقال لهما يا أولادى حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك بأعذب كلام ليتك كنت معنا ثم ان الاثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان تعظيما له لانه كبير السوق وقد أحسن اليهما باعطائهما الدكان فلما رأى أردافهما فى ارتجاج زاد به الوجد وهاج ونفر ونخر ولم يبق له مصطبر فأحدق بهما العينين وأنشد هذين البيتين

يطالع القلب باب الاختصار به * ولمن يقرأ فيه مبحث الشركه
لاغرو فى كونه يرتج من ثقل * فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمعا منه هذا الشعر أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قدتركا الوزير داخل الحمام فلما دخل معهما شيخ السوق الحمام ثانى مرة سمع الوزير بدخوله فخرج اليه من الخلوة واجتمع به فى وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك باحدى يديه تاج الملوك وبيده الاخرى عزيز ودخلا به خلوة أخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره وحلف عزيز أن لا يصب عليه الماء غيره فقال له الوزير انهما أولادك فقال شيخ السوق أبقاهما الله لك لقد حلت فى مدينتنا البركة والسعود بقدومكم وقدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين

اقبلت فاخضرت لدينا الربا * وقد زهت بالزهر للمجتلى
ونادت الارض ومن فوقها * أهلا وسهلا بك من مقبل

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه فى الجنة حتى أتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على أنه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال له ياسيدى ان الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ مما قالته البلغاء فى الحمام فقال تاج الملوك أنا انشد لك بيتين وهما

ان عيش الحمام أطيب عيش * غير أن المقام فيه قليل
جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيه الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وأنا أحفظ فى الحمام شيأ فقال شيخ السوق اسمعنى اياه فأنشد هذين البيتين

وبيت له من جلمد الصخر أزهار * أنيق اذا ما أضرمت حوله النار
تراه جحيما وهو فى الحق جنة * واكثر مافيها شموس وأقمار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا أنتما منى ثم أطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

ياحسن نار والنعيم عذابها * تحيا بها الارواح والابدان * فاعجب لبيت لايزال نعيمه
غضا وتوقد تحته النيران * عيش السرور لمن ألم به وقد * سفحت عليه دموعها الغدران

ثم سرح فى رياض حسنهما نظر العين وأنشد هذين البيتين

وافيت منزله فلم أرحاجبا * الا ويلقانى بوجه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم أكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة فى منزلهم فى أتم مايكون من الحظ والسرور فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم واصطبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا الى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قدهيؤها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوى مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الاخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين أيديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض اقمشتهم

أقمتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أياما وفى كل يوم تهرع الناس اليهم فأقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيزا ومضى الى الدار ليدبر أمرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجيء احد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أياما وليالى وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به النحول والاسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر فى تمامه فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت فى سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسم فى وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم أجلسها الى جانبه وصار يروح عليها الى أن استراحت ثم ان العجوز قالت لتاج الملوك ياولدى يا كامل الاوصاف والمعانى هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله ياسيدتى عمرى مادخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا أقمت فيها الا على سبيل الفرجة فقالت لك الاكرام من قادم على الرحب والسعة ما الذى جئت به معك من القماش فأرنى شيأ مليحا فان المليح لايحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندى كل ماتشتهين من الشيء الذى لايصلح الا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك مايصلح لأربابه وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها فقالت له أريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتنى بأفخر ماعندك من البضاعة فأتاه عزيز ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختارى مايصلح لها فان هذا شيء لايوجد عند غيرى فاختارت العجوز شيأ يساوى ألف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحك بين أفخاذها بكاوة يدها فقال لها وهل أساوم مثلك فى هذا الشيء الحقير الحمد لله الذى عرفنى بك فقالت له العجوز اعوذ وجهك المليح برب الفلق ان وجهك مليح وفعلك مليح هنيأ لمن تنام فى حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال يا قاضى الحاجات على أيدى العجائز الفاجرات فقالت له ياولدى ما الاسم قال اسمى تاج الملوك فقالت ان هذا الاسم من اسماء الملوك ولكنك فى زى التجار فقال لها عزيز من محبته عند اهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر الحساد ولو فتت بمحاسنكم الاكباد ثم أخذت القماش ومضت وهى باهتة فى حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها ياسيدتى جئت لك بقماش مليح فقالت لها أرينى اياه فقالت ياسيدتى هاهو فقلبيه وانظريه فلما راته السيدة دنيا قالت لها يادادتى ان هذا القماش مليح ما رأيته فى مدينتنا فقالت العجوز ياسيدتى ان بائعه احسن منه كأن رضوان فتح ابواب الجنان وسها فخرج منها التاجر الذى يبيع هذا القماش وانا اشتهى فى هذه الليلة ان يكون عندك وينام بين نهودك فانه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الاقمشة لاجل الفرجة فضحكت

السيدة دنيا من كلام العجوز وقالت اخزاك الله يا عجوز النحس انك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هات القماش حتى أبصره جيدا فناولتها اياه فنظرته ثانيا فرأته شيأ قليلا وعنه كثير وتعجبت من حسن ذلك القماش لانه ما رأت في عمرها مثله فقالت لها العجوز يا سيدتي فلو رايت صاحبه لعرفت انه أحسن من يكون على وجه الارض فقالت لها السيدة دنيا هل سألتيه ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت راسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة وهل احد يخلو من حاجة فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وسلمي عليه وقولي له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك في الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائما على قدميه وأخذ يدها وأجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت أخبرته بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال في نفسه قد قضيت حاجتي ثم قال للعجوز لعلك توصلين اليها كتابا من عندي وتأتيني بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز ائتني بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أتاه بتلك الادوات كتب هذه الابيات

كتبت اليك يا سؤلي كتابا * بما ألقاه من ألم الفراق
فأول ما أسطر نار قلبي * وثانيه غرامي واشتياقي
وثالثه مضى عمري وصبري * ورابعه جميع الوجد باقي
وخامسه متى عيني تراكم * وسادسه متى يوم التلاقي

ثم كتب في امضائه ان هذا الكتاب من أسير الاشواق المسجون في سجن الاشتياق الذي ليس له اطلاق الا بالوصال ولو بطيف الخيال لانه يقاسي أليم العذاب من فرقة الاحباب ثم أفاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كتبت اليك والعبرات تجري * ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بيائس من فضل ربي * عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه الى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم أعطاها ألف دينار وقال اقبلي هذه مني هدية فأخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي أي شيء طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي قد أرسل معي كتابا ولا أعلم ما فيه ثم ناولتها الكتاب فأخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين الى أين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفي من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأي شيء في هذا الكتاب حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا عشق ومحبة وهذا كله منك والا فمن أين يتوصل هذا الشيطان الى هذا الكلام فقالت لها العجوز يا سيدتي أنت قاعدة في قصرك العالي وما يصل اليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وما عليك من نباح الكلاب فلا تؤاخذيني حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم ما فيه ولكن الرأي أن تردي اليه جوابا وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهي ولا يعود فقالت السيدة دنيا أخاف ان أكاتبه فيطمع فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت علي بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يا مدعي الحب والبلوى مع السهر * وما يلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يا مغرور من قمر * وهل ينال المنى شخص من القمر

اني نصحتك عما أنت طالبه * فاقصر فانك في هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد * أتاك مني عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق * ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت الى ما أنت ذاكره * لأصلبنك في جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب واعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولي له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم اخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها فلما اصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد ان يطير من الفرح فلما اقربت منه نهض اليها قائما وأقعدها بجانبه فأخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ ما فيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها ومازحتها حتى اضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيزا ان يعطيها الف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي واي شيء في هذه الورقة حتى أبكاك فقال لها انها تهددني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وان لم أراسلها يكون موتي خيرا من حياتي فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد اني أخاطر معك بروحي وأبلغك مرادك وأوصلك الى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه أجازيك عليه ويكون في ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بأبواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شيء قدير ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

أمست تهددني بالقتل واحربي * والقتل لي راحة والموت مقدور
والموت أغنى لصب أن تطول به * حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره * فانني عبدكم والعبد مأسور
يا سادتي فارحموني في محبتكم * فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلا بد أن أبلغك مقصودك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقر عينا فلا بد أن أبلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز أما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها وأي شيء هذا الكلب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وقولي له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام في مكتوب وأنا آخذ المكتوب معي لاجل أن يزداد خوفه فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

أيا غافلا عن حادثات الطوارق * وليس الى نيل الوصال بسابق
أتزعم يا مغرور أن تدرك السها * وما أنت للبدر المنير بلاحق
فكيف ترجينا وتأمل وصلنا * لتحظى بضم للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتي * بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فأخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا أعدمني الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فأخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال اني أشتهي من يقتلني الآن فان القتل أهون علي من هذا الامر الذي أنا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطاسا

وكتب مكتوباً ورقم فيه هذين البيتين

فيا مهجتي لا تنتهي الهجر والجفا * فانى محب فى المحبة غارق
ولا تحسبيني فى الحياة مع الجفا * فروحى من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعجوز وقال لها قد اتعبتك بدون فائدة وأمر عزيزا أن يدفع لها ألف دينار وقال لها يا أمى ان هذه الورقة لابد أن يعقبها كمال الاتصال أو كمال الانفصال فقالت له يا ولدى والله ما أشتهى لك الا الخير ومرادى أن تكون عندك فانك أنت القمر صاحب الانوار الساطعة وهى الشمس الطالعة وان لم أجمع بينكما فليس فى حياتى فائدة وأنا قد قطعت عمرى فى المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف أعجز عن الجمع بين اثنين فى الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشى حتى دخلت على السيدة دنيا وقد أخفت الورقة فى شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت يا سيدتى عساك أن تفلى شوشتى فان لى زمانا ما دخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلى شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كأنى قعدت على دكان التاجر فتعلقت معى هذه الورقة هاتيها حتى أؤديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز هذه حيلة منك ولولا أنك ربيتنى لبطشت بك فى هذا الوقت وقد بلانى الله بهذا التاجر وكل ما جرى لى منه من تحت رأسك وما أدرى من أى أرض جاء هذا ولم يقدر أحد من الناس أن يتجاسر على غيره وأنا أخاف أن ينكشف أمرى وخصوصا فى رجل ما هو من جنسى ولا من أقرانى فأقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر أحد أن يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة أبيك ولا بأس أن تردى له الجواب فقالت يا دادتى ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت فى أمره فان أمرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد فى تجاسره فقالت لها العجوز أكتبى له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طال العتاب وفرط الجهل أغراكا * فكم بخط يدى فى الشعر أنهاكا
وأنت تزداد عند النهى فى طمع * ولست الا بكتم السر أرضاكا
اكتم هواك ولا تجهر به أبدا * وان نطقت فانى لست أرعاكا
وان رجعت الى ما أنت تذكره * فقد أتاك غراب البين ينعاكا
وعن قليل يكون الموت مندفعا * عليك والدفن تحت الارض مثواكا
وتترك الاهل يا مغرور فى ندم * ومن سيوف الهوى قد شط منجاكا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فأخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فأعطته اياه فلما قرأها علم أنها قاسية القلب وانه لا يصل اليها فشكا أمره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال الوزير اعلم انه ما بقى شئ يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال يا أخى يا عزيز اكتب لها عن لسانى مثل ما تعرف فأخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يا رب بالخمسة الاشياخ تنقذنى * ومن بليت به فاجعله فى شجنى
فانت تعلم انى فى جوى لهب * وقد جفانى حبيب ليس يرحمنى
فكم أرق لها فيما بليت به * وكم تجور على ضعفى وتظلمنى
أهيم فى غمرات لا انقضاء لها * ولا أرى مسعفا يا رب يسعفنى
وكم أروم سلوا فى محبتها * وكيف أسلو وصبرى فى الغرام فنى

يامانعي في الهوى طيب الوصال فهل * أمنت من نائبات الدهر والمحن
ألست في عيشة مسرورة وأنا * مغرب فيك عن أهلي وعن وطني

ثم ان عزيزا طوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه أعجبه فختمه ثم ناوله للعجوز فأخذته العجوز وتوجهت به الى أن دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأته وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذي جرى لي من تحت راس هذه العجوز النحس فصاحت على الجوارى والخدم وقالت امسكوا هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفي من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم أعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى غشي عليها ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشي وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت ومشت حتى أتت الى تاج الملوك وأخبرته بجميع ماجرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علينا يا أمي ماجرى لك ولكن كل شيء بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فاني لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها واوصلك الى هذه العاهرة التي أحرقتني بالضرب فقال لها تاج الملوك أخبريني ماسبب بغضها للرجال فقالت لانها رأت مناما أوجب ذلك فقال لها وماذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا نصب شركا في الارض وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شيء من الطيور الا وقد أتى الى ذلك الشرك ورأت في الطيور حمامتين ذكرا وأنثى فبينماهي تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلقت في الشرك وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور ومرت فرجعت اليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التي فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشرك وطارت هي واياه فجاء بعد ذلك الصياد وأصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك في الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد وأخذ الطير الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال جميعهم ماعندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمي أريد ان انظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي فتحيلي لي بحيلة حتى أنظر اليها فقالت اعلم أن لها بستانا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليه في كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها الى الفرجة فاذا أردت الخروج أجيء اليك وأعلمك حتى تخرج وتصادفها واحرص على انك لاتفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بحبك فان المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز وأخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما وعرفاها به ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا أخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها ووهبتها لك بجميع مافيها لانك تغربت معي وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله وماجرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم أفخر ماعنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال اشتهي ان تأخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيأ نأكله فاننا غرباء ومعي هؤلاء الاولاد واردت ان افرجهم فأخذ البستاني الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم واجلسوا حتى احضر لكم ما تأكلون ثم توجه الى السوق ودخل الوزير وتاج

الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستانى الى السوق ثم بعد ساعة اتى ومعه خروف مشوى ووضعه بين ايديهم فأكلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير اخبرنى عن هذا البستان هل هو لك أم أنت مستأجره فقال الشيخ ماهو لى وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك فى كل شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير فى البستان فرأى هناك قصرا عاليا الا انه عتيق فقال الوزير ياشيخ أريد ان أعمل هنا خيرا تذكرنى به فقال وماتريد ان تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولى بذكر الذهب قال ياسيدى مهما شئت فافعل ثم اخذ الدنانير فقال له ان شاء الله تعالى نفعل فى هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان من الغد احضر الوزير مبيضا ونقاشا وصائغا جيدا واحضر لهم جميع ما يحتاجون اليه من الآلات ودخل بهم البستان وامرهم بتبييض ذلك القصر وزخرفته بأنواع النقش ثم امر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل فى صدر هذا الايوان صورة آدمى صياد كأنه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها فى الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل فى الجانب الآخر مثل الاول وصور صورة الحمامة فى الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل فى الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الاشياء التى ذكرها الوزير ودعوا البستانى ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا اخى انشدنى بعض الاشعار لعل صدرى ينشرح وتزول عنى هذه الافكار أو يبرد ما بقلبى من لهيب النار * فعند ذلك اطرب عزيز بالنغمات وانشد هذه الابيات

جميع ماقاست العشاق من كمد * حويته مفردا حتى وهى جلدى
وان ترد موردا من ادمعى اتسعت * للواردين بحار الدمع فى مدد
وان ترد تنظر العشاق ما صنعت * أيدى الغرام بهم فانظر الى جسدى

ثم افاض العبرات وأنشد هذه الابيات

من كان لا يعشق الاجياد والحدقا * ثم ادعى لذة الدنيا فما صدقا
فان فى العشق معنى ليس يدركه * من البرية الا كل من عشقا
لا خفف الله عن قلبى صبابته * بمن هويت ولا عن جفنى الارقا

ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

زعم ابن سينا فى أصول كلامه * ان المحب دواؤه الالحان
ووصال مثل حبيبه من جنسه * والنقل والمشروب والبستان
فصحبت غيرك للتداوى مرة * واعاننى المقدور والامكان
فعلمت ان الحب داء قاتل * فيه ابن سينا طبه هذيان

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته وقال له قد ازلت عنى بعض ما بى ثم قال له ان كان يحضرك شئ من جنس هذا فاسمعنى ما حضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فأطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

قد كنت أحسب ان وصلك يشترى * بكرائم الاموال والاشباح
وظننت جهلا ان حبك هين * تفنى عليه نفائس الارواح
حتى رأيتك تجتبى وتخص من * احببته بلطائف الامناح

فعلمت

فعلمت انك لاتنال بحيلة * ولويت راسى تحت طى جناحى
وجعلت فى عش الغرام اقامتى * فيه غدوى دائما ورواحى

هذا ما كان من أمر هؤلاء ﴿وأما﴾ ما كان من أمر العجوز فانها انقطعت فى بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة فى البستان وهى لاتخرج الا بالعجوز فأرسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت انى أريد أن أخرج الى البستان لأتفرج على أشجاره وأثماره وينشرح صدرى بأزهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن أريد ان أذهب الى بيتى وألبس أثوابى وأحضر عندك فقالت لها اذهبى الى بيتك ولا تتأخرى عنى فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس أفخر أثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستانى وسلم عليه ثم اختف فى البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز وألبسا تاج الملوك بدلة من أفخر ملابس الملوك تساوى خمسة آلاف دينار وشدا فى وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولى جالسا هناك فلما رآه البستانى نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج فى البستان ولم يعلم البستانى أن بنت الملك تدخل البستان فى هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجة فلم يشعر الا والخدم والجوارى خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولى ذهب الى تاج الملوك وأعلمه بمجيئها وقال له يامولاى كيف يكون العمل وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا بأس عليك فانى اختفى فى بعض مواضع البستان فأوصاه البستانى بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هى وجواريها والعجوز فى البستان قالت العجوز فى نفسها متى كان الخدم معنا فاننا لا ننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك ياسيدتى انى أقول لك على شئ فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولى ما عندك فقالت العجوز ياسيدتى ان هؤلاء الخدم لاحاجة لك بهم فى هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ماداموا معنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها وجمالها وهى لاتشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما رأى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها فى الحديث الى أن أوصلتها الى القصر الذى أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وأبصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رأيته فى المنام وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يادادتى انى كنت ألوم الرجال وأبغضهم ولكن أنظرى الصياد كيف ذبح الطير الانثى وتخلص الذكر وأراد ان يجئ الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى أن قربا من المكان المختفى فيه تاج الملوك فأشارت اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يادادتى من أين هذا الشاب المليح فقالت لا أعلم به غير انى أظن انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يادادتى ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتى ثم ان العجوز أشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الخولى وانصرف الى منزله ولم يخالف العجوز وأخبر الوزير وعزيزا بأن العجوز أشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا ان العجوز تعلم ان فى رجوعك مصلحة ما أشارت عليك به هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز ﴿وأما﴾ ما كان من أمر بنت

الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز أنا ما أعرف اجتماعي بهذا الشاب الا منك فقالت لها العجوز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنت لا تريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الاوجال ولكن والله ما يصلح لشبابك الا هو فقالت السيدة دنيا يا دادتي اسعفيني باجتماعي عليه ولك عندي ألف دينار وخلعة بألف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امضي أنت الى قصرك وأنا أتسبب في اجتماعكما وأبذل روحي في مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام وأجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فأعطاها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت ولا زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك وأعطتها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت وتوجهت الى تاج الملوك وألبسته لبس النساء وقالت له امش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان اوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو في زي النسوان وصارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الى أن جاوزت به سبعة أبواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قو قلبك واذا زعقت عليك وقلت لك يا جارية اعبري فلا تتوان في مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز فانظر الى شمالك ترى ايوانا فيه أبواب فعد خمسة أبواب وادخل الباب السادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك وأين تروحين أنت فقالت له ما أروح موضعا غير اني ربما أتأخر عنك وأتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الاشغال وتريد أن تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرني الملك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الحاجب قال للعجوز أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرني الملك فقالت له العجوز وقد أظهرت الغضب أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فاني أعلمها بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبري يا جارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة أبواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظاره فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجواري ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني أنت بوابة ثم اختلت هي وتاج الملوك ولم يزالا في ضم وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر ولما أصبح الصباح أغلقت عليه الباب ودخلت مقصورة أخرى وجلست على جري عادتها واتت اليها الجواري فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجواري أخرجن الآن من عندي فاني أريد أن أنشرح وحدي فخرج الجواري من عندها ثم انها أتت اليهما ومعها شيء من الاكل فأكلوا وأخذوا في الهراش الى وقت السحر فأغلقت عليه مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا (واما) ما كان من أمر

الوزير

الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما أنه لا يخرج منه أبدا وأنه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدي ماذا تصنع فقال الوزير يا ولدي ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى أبيه ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا في الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الاودية في الليل والنهار الى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلما له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت الندامة وأمر أن ينادى في مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار في عسكر سد الافق متوجها في طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء ﴿وأما﴾ كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما أقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة في بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى افصح لها عن الضمير وقال لها اعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد انني كلما أقمت عندك ازددت هياما ووجدا وغراما لانني ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عيني وثمرة فؤادي ان شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك وليس لله فينا شريك * فقال ليس مرادي هكذا وانما مرادي ان أخبرك بحقيقتي فاعلمي انني لست بتاجر بل انا ملك ابن ملك واسم أبي الملك الاعظم سليمان شاه الذي أنفذ الوزير رسولا الى أبيك ليخطبك لي فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص عليها قصته من الاول الى الآخر وليس في الاعادة افادة وأريد الآن ان أتوجه الى أبي ليرسل رسولا الى أبيك ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق واتفق بالامر المقدور ان النوم غلب عليهما في تلك الليلة من دون الليالي واستمر الى أن طلعت الشمس وفي ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا في دست مملكته وبين يديه امراء دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك واخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة الف دينار لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرذ مما لا يقدر عليه احد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذي جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة وامض بها الى السيدة دنيا فأخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة وانتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الخادم فانه عرف انها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير في أمره وهم أن يعود الى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ما ستر الله فقال انا لا أقدر أن أخفي شيأ عن الملك ثم اقفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له الملك هل أعطيت العلبة لسيدتك فقال له الخادم خذ العلبة ها هي وانا لا أقدر ان أخفي عنك شيأ اعلم انني رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها في فراش واحد وهما متعانقان فأمر الملك باحضارهما فلما احضرا بين يديه قال لهما ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ نمشة وهم ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لابيها اقتلني قبله فنهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك ومن أين انت ومن ابوك وما جسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك

فقال اعلم انى ابن الملك سليمان شاه وما تدرى الا وقد اقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخر قتله ويضعه فى السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأى عندى ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الامراء أولا وثانيا وقصد بذلك أن يكون فى الامر توان فزعق عليه الملك وقال متى تشاور ان شاورت مرة أخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر أبطه واراد أن يضرب عنقه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه وأراد ان يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس أغلقوا الدكاكين فقال الملك للسياف لا تعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رأيت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وخيلهم فى ركض وقد ارتجت لهم الارض وما أدرى خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه أن ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له أما خرج أحد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تم كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائما وقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم أن الذى نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذى سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال أصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك ان ابنه عندك وفى مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وأنت المشكور المحمود وان كان فقد من بلادك أو أصابه شىء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفرا ينعق فيها الغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا فى أمره وخاف خوفا شديدا لما تحقق مجىء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام ومشى الى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدى لا تؤاخذنى ولا تؤاخذ المسىء بفعله فارحم شيبتى ولا تخرب مملكتى فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وأنت عندى بمنزلة والدى ولكن الحذر ان يصيب محبوبتى السيدة دنيا شىء فقال يا سيدى لا تخف عليها فما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان يخفى عن الملك ما رآه ثم بعد ذلك أمر كبراء دولته ان يأخذوا تاج الملوك ويذهبوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا ذلك وأدخلوه الحمام وألبسوه البدلة التى أفردها له الملك شهرمان ثم أتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع أرباب دولته وقام الجميع فى خدمته ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن فى تلك المدة مضينا الى والدك فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا أمرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان فى قدومنا الفرح والسرور فقال لهما لا زال الخير يجرى

على أيديكما أولا وآخرا وكان الملك في ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكي على تاج الملوك وأخذت سيفا وركزت قبضته الى الارض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لابد أن أقتل نفسي ولا أعيش بعد حبيبي فلما دخل عليها أبوها ورآها في هذه الحالة صاح عليها وقال لها يا سيدة بنات الملوك لا تفعلي وارحمي أباك وأهل بلدك ثم تقدم اليها وقال لها أحاشيك أن يصيب والدك بسببك سوء ثم أعلمها بالقصة وأن محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها ان أمر الخطبة والزواج مفوض الى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت لك انه ابن سلطان فأنا اخليه يصلبك على خشبة تساوي درهمين فقال لها بالله عليك أن ترحمي أباك فقالت له رح اليه وائتني به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع من عندها سريعا ودخل على تاج الملوك وساره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجه اليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام أبيها وتعلقت به وقالت له أوحشتني ثم التفتت الى أبيها وقالت هل أحد يفرط في مثل هذا الشاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضى الى وزير أبي تاج الملوك ورسله وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه بأن ولده بخير وعافية وهو في ألذ عيش ثم ان السلطان شهرمان أمر باخراج الضيافات والعلوفات الى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما أخرجوا جميع ما أمر به أخرج مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وأرسل الجميع اليه هدية ثم بعد ذلك توجه اليه هو وأرباب دولته وخواصه حتى صاروا في ظاهر المدينة فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير وعزيز أعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذي بلغ ولدي مناه ثم ان الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن وأجلسه بجانبه على السرير وصار يتحدث هو واياه ثم قدموا لهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض الا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بينهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه اني أريد أن أكتب كتاب ولدي على ابنتك على رؤس الاشهاد فقال له سمعا وطاعة ثم أرسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده ان عزيزا رجل من الكرام وقد خدمني خدمة عظيمة وتعب وسافر معي وأوصلني الى بغيتي ولم يزل يصبرني حتى قضيت حاجتي ومضى معنا سنتان وهو منقطع عن بلاده فالمقصود أننا نهيء له تجارة لان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيؤا له مائة حمل من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخي اقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الارض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسار مع عزيز قدر ثلاثة أميال وبعدها أقسم عليه عزيز أن يرجع وقال لولا والدتي ما صبرت على فراقك فبالله عليك لا تقطع أخبارك عني ثم ودعه ومضى الى مدينته فوجد والدته بنت له قبرا في وسط الدار وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهي تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * أوقد تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر ما أنت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك البدر والزهر

ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الابيات

مالي مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابي
قال الحبيب وكيف رد جوابكم * وأنا رهين جنادل وتراب

أ كل التراب محاسني فنسيتكم * وحجبت عن أهلي وعن احبابي

فلما اتمت شعرها الاوعزيز داخل عليها فلما رأته قامت اليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من اوله الى آخره وان تاج الملوك اعطاه من المال والاقمشة مائة حمل ففرحت بذلك واقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الداليلة المحتالة التي خصته هذا ما كان من امر عزيز (واما) ما كان من أمر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وازال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين في الليل والنهار حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سليمان شاه سار هو وولده وزوجة ولده حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك سليمان شاه على سرير مملكته وولده تاج الملوك في جانبه ثم أعطى ووهب وأطلق من كان في الحبوس ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت به المغاني والملاهي شهرا كاملا وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء ولا يملان من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد أن اجتمع على أبيه وأمه ومازالوا في ألذ العيش وأهناه * فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك ويسلك في تدبيرهم أحسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم أربع سنين ثم اشتاقوا الى أوطانهم وضجرت العساكر من الحصار وادامة الحرب في الليل والنهار فأمر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا أننا أقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما وازددنا غما وهما وقد أتينا لنخلص ثار الملك عمر النعمان فقتل أخي شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين وسبب هذا كله العجوز ذات الدواهي فانها قتلت السلطان في مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت أخي وقد حلفت الايمان العظيمة أنه لا بد من أخذ الثار فما تقولون أنتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فأطرقوا رؤسهم وأحالوا الامر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان أنه ما بقي في اقامتنا فائدة والرأي اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو عبدة الاصنام فقال الملك نعم هذا الرأي لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم وأنا ايضا أقلقني الشوق الى ولدي كان ما كان والى ابنة أخي قضى فكان لانها في دمشق ولا أعلم ما كان من أمرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان أمر المنادي أن ينادي بالرحيل بعد ثلاثة ايام فابتدؤا في تجهيز أحوالهم وفي اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات وتقدم الوزير دندان في مقدم العسكر وسار الملك في وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش ومازالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عنهم الهم والباس ثم ذهب كل أمير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة ووقفوا في خدمته فعند ذلك أمر الملك ضوء المكان باحضار صاحبه الوقاد الذي أحسن اليه في غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قادما عليه

نهض له قائماً وأجلسه الى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد أخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم في عينيه وفي أعين الامراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لايخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فأقبل عليه الملك وبش في وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما أسرع ما نسيتني فأمعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الأقدام وقال له يا حبيبي من عملك سلطانا فضحك عليه فأقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له القصة وقال له انه كان أخاك وصاحبك والآن صار ملك الارض ولابد أن يصل اليك منه خير كثير وها أنا أوصيك اذا قال لك تمن على فلا تتمن الا شيأ أعظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد أخاف ان أتمنى عليه شيأ فلا يسمح لي به او لايقدر عليه فقال له الوزير كل ما تمنيته يعطيك اياه فقال له والله لابد أن أتمنى عليه الشيء الذي هو في خاطري وكل يوم أرجو منه أن يسمح لي به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فأشار له ضوء المكان أن اجلس فأبى وقال معاذ الله قد انقضت ايام قعودي في حضرتك فقال له السلطان لا بل هي باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتي والله لو طلبت مني مهما أردت لأعطيتك اياه فتمن على الله فقال له ياسيدي اني أخاف ان أتمنى شيأ فلا تسمح لي به أو لا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتي لشاركتك فيها فتمن ما تريد فقال الوقاد أخاف أن أتمنى شيأ لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما أردت فقال له تمنيت عليك أن تكتب لي مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين في مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك اني أخاف أن أتمنى شيأ لا تسمح لي به او ما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيا وثالثا وفي كل مرة يقول أتمنى عليك أن تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القدس او في مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربني وما لي ذنب فانك أنت الذي قلت لي تمن شيأ أعظيما ثم قال دعوني أسير الى بلادي فعرف السلطان أنه يلعب فصبر قليلا ثم أقبل عليه وقال له يا أخي تمن على أمرا عظيما لائقا بمقامي فقال له أتمنى سلطنة دمشق موضع اخيك فكتب له التواقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا أردت العود فاحضر معك بنت اخي قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم أخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وامر السلطان ضوء المكان ان يخرجوا للوقاد تختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبني فليقدم اليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوائجه وطلع الزبلكان وفي خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه وأوصاه بالعدل بين الرعية وامره ان يأخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وصار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد ان أوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير وأمير الديلم بهرام وامير الترك رستم وامير العرب تركاش وسار وافي توديعه وما زالوا سائرين معه ثلاثة ايام ثم عادوا الى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير دندان وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بأن الملك ضوء المكان سلطن على دمشق ملكا يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل اليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج الى ملاقاته كل من في دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فأقبل عليهم الملك الزبلكان

وخلع واعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وأنفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان فى تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فأبى الوزير دندان وقال له أنت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال اوترسل اليك نطلب منك مالا للجهاد أو غيرذلك ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداعه وأحضر قضى فكان وأركبها فى المحفة وارسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد ان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذى يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر ثم سار حتى أشرف على بغداد وأرسل يعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فأراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكبا حتى جاء الى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه انه بخير وأعلمه بقدوم قضى فكان بنت أخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة ايام ثم بعد ذلك تعال عندى فقال حبا وكرامة ثم دخل بيته وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة أخيه قضى فكان وهى ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على ابيها وأعطاها حليا ومصاغا عظيما وامر أن يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان فى مكان واحد وكانت احسن اهل زمانها واشجعهم لانها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الامور واما كان ما كان فانه كان مولعا بمكارم الاخلاق ولكنه لا يفكر فى عاقبة شىء ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد وأكمل الاهبة والاستعداد فأحضر الوزير دندان وقال له اعلم انى عزمت على شىء واريد اطلاعك عليه فاسرع فى رد الجواب فقال الوزير دندان ماهو ياملك الزمان قال عزمت على ان اسلطن ولدى كان ما كان وافرح به فى حياتى واقاتل قدامه الى ان يدركنى الممات فما عندك من الرأى فقبل الوزير دندان الارض بين يدى الملك ضوء المكان وقال له اعلم ايها الملك السعيد صاحب الرأى السديد ان ماخطر ببالك مليح غير انه لا يناسب فى هذا الوقت لخصلتين الاولى ان ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ماجرت به العادة من ان من سلطن ولده فى حياته لا يعيش الا قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم ايها الوزير اننا نوصى عليه الحاجب الكبير فانه صار منا والينا وقد تزوج أختى فهو فى منزلة اخى فقال له الوزير افعل مابدا لك فنحن ممتثلون امرك فأرسل الملك الى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك اكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدى كان ما كان قد علمتم انه فارس الزمان وليس له نظير فى الحرب والطعان وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب ياملك الزمان انما أنا غريس نعمتك فقال ضوء المكان أيها الحاجب ان ولدى كان ما كان وابنة أخى قضى فكان ولدا عم وقد زوجتها به واشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عنه اللسان وبعد ذلك دخل على أخته نزهة الزمان واعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداى والله تعالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا أختى انى قضيت من الدنيا غرضى وأمنت على ولدى ولكن ينبغى أن تلاحظيه بعينك وتلاحظى امه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالى واياما وقد ايقن بكاس الحمام ولزم الوساد وسار الحاجب يتعاطى احكام العباد وبعد سنة احضر ولده كان ما كان والوزير دندان وقال ياولدى ان هذا الوزير والدك من بعدى واعلم انى راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضى من الدنيا

ولكن

ولكن بقى فى قلبى حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وماتلك الحسرة ياوالدى فقال ياولدى ان اموت ولم تأخذ بثار جدك الملك عمر النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهى فان اعطاك الله النصر لاتغفل عن اخذ الثار وكشف العار واياك من مكر العجوز واقبل مايقول لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعا وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك ازداد المرض بضوء المكان وصار أمر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الامراض مدة اربع سنين والحاجب الكبير قائم بامر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمر ضوء المكان والحاجب (واما) ما كان من أمر كان ما كان فانه لم يكن له شغل الاركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى واياه من أول النهار الى الليل فتدخل الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند رأس أبيه تبكى فيخدمه بالليل واذا أصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وأنشد هذه الابيات

تفانت قوتى ومضى زمانى * وها اناقد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت أعز قومى * وأسبقهم الى نيل الامانى
وقد فارقت ملكى بعد عزى * الى ذل تخلل بالهوان
ترى قبل الممات أرى غلامى * يكون على الورى ملكا مكانى
ويفتك بالعداة لاخذ ثار * بضرب السيف أو طعن السنان
أنا المغبون فى هزل وجد * اذا مولاى لايشفى جنانى

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأى فى منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل بغداد لذلك مصاب عظيم وبكى عليه الوضيع والعظيم ومضى عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزله أهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان ذلك صارت فى اذل الاحوال ثم قالت لابدلى من قصد الحاجب الكبير وأرجو الرأفة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى أن أتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وقالت ان الميت ماله صاحب فلاأحوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولازلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت أذناك ورأت عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان وقصدنا الدهر بالعدوان وأتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسداءى للاحسان لان الرجل اذا مات ذلت بعده النساء والبنات ثم أنشدت هذه الابيات

كفاك بأن الموت بادى العجائب * وماغائب الاعمار عنا بغائب
وماهذه الايام الا مراحل * موارد هامزوجة بالمصائب
وماضر قلبى مثل فقدا كارم * أحاطت بهم مستعظمات النوائب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت أخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقربتها واقبلت عليها وقالت أنا الآن غنية وأنت فقيرة فوالله ماتركنا افتقادك الا خوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك أن مانهديه اليك صدقة مع ان جميع مانحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك مالنا وعليك ماعلينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وأفردت لها مكانا فى القصر ملاصقا للقصر تها وأقامت عندهم فى

عيشة طيبة هي وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وأفردت لهما جواري برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت أن تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فأكرمي مثواها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوج نزهة الزمان قال لها ان شئت ان تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فاكرمي مثواها واغني فقرها هذا ما كان من أمر نزهة الزمان وزوجها وأم ضوء المكان ﴿وأما﴾ ما كان من أمر كان ما كان وابنة عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كأنهما غصنان مثمرات أو قمران أزهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من أحسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر ألذ من الرحيق كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كأن سلاف الخمر من ريقها بدت * وعنقودها من ثغرها الدر يقطف
وأعنابها مالت اذا ما ثنيتها * فسبحان خلاق لها لا يكيف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الأمان وأما الريق فانه يهزأ بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيه الشاعر

مليحة الوصف قد تمت محاسنها * أجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كأن ألحاظها في قلب عاشقها * سيف بكف أمير المؤمنين علي

وأما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال عز في الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيه تشهد له لا عليه وتميل كل القلوب اليه وحين اخضر منه العذار كثرت فيه الاشعار كقول بعضهم

ما بان عذري فيه حتى عذرا * ومشى الدجى في خده فتحيرا
رشأ اذا رنت العيون لحسنه * سلت لواحظه عليها خنجرا

وقول الآخر

نسجت نفوس العاشقين بخده * غلا ونم بها النجيع الاحمر
فأعجب لهم شهدا وسكنهم لظى * ولباسهم فيها الحرير الاخضر

واتفق في بعض الاعياد ان قضى فكان خرجت تعيد على بعض أقاربها من الدولة والجواري حواليها والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والاقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهي كالقمر الزاهر فقوى جنانه وأطلق بالشعر لسانه وأنشد هذين البيتين

متى يشتفي قلب الدنو من البعد * ويضحك ثغر الوصل من زائد الصد
فياليت شعري هل أبيتن ليلة * بوصل حبيب عنده بعض ما عندي

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر أظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته بأليم العقاب فاغتاظ كان ما كان وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت ابن عمها الى أمها فقالت لها يا بنتي لعله ما أراد لك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيئا يعيبك فاياك أن تعلمي بذلك أحدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعل أثره كأمس الدابر والميت الغابر وشاع في بغداد حب كان ما كان لقضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ما كان ضاق صدره وقل صبره واشتغل باله ولم يخف على الناس حاله واشتهى أن يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من غضبها وأنشد هذين البيتين

اذا خفت يوما عتاب الـتى * تغير أخـلاقها الصافيـه
صـبرت عليها كصبر الفتى * على الـكى فى طلب العافيه

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الـكلام المباح

* فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الحاجب الـكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان ثم انه بلغه محب كان ما كان لقضى فـكان فندم على جعلهما معافى محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحلفة والنار لمن أعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون فى دعج والمعاطف فى لين وان ابن أخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال أوجب لان مثلها ينبغى أن يحجب فقالت صدقت أيها الملك العاقل والهمام الـكامل فلما أصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جرى عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندى لك كلام ما كنت أحب ان أقوله ولكن أخبرك به رغما عنى فقال لها وماذاك الـكلام قالت ان الملك سمع بحبك لقضى فـكان فامر بحجبها عنك واذا كان لك حاجة فأنا أرسلها اليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فـكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد واعلم والدته بما قالته عمته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت ان حديث حبك لقضى فـكان شاع وانتشر فى كل مكان وكيف تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال انى أريد الزواج لانها ابنة عمى وأنا أحق بها فقالت له أمه اسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سببا لغرقك فى بحر الاحزان ولم يبعثوا لنا فى هذه الليلة عشاء ولو كنا فى بلد غير هذه لمتنا من ألم الجوع أوذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام أمه زادت بقلبه الحسرات وأنشد هذه الابيات

أقـلى من اللوم الذى لا يفـارق * فقلبى الى من تيمتـنى مفارق
ولا تطلبى عندى من الصبر ذرة * فصبرى وبيت الله منى طالق
اذا سامنى اللوام نهيا عصيتهـم * وها أنا فى دعوى المحبـة صادق
وقـد منعونى عنوة أن أزورها * وانى والرحمـن ما أنا فاسـق
وان عظامى حـين تسمع ذكرها * تشابه طيرا خلفهن بواشـق
ألا قل لمن قـد لام فى الحب اننى * وحق الهى بنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه مابقى لى عند عمتى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج من القصر وأسكن فى أطراف المـدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعـل كما قال وصارت أمـه تتردد الى بيت الملك ساسان وتأخذ منه ما تقتات به هى واياه ثم ان قضى فـكان اختلت بأم كان ما كان وقالت لها يا امرأة عمى كيف حال ولدك فقالت انه باكى العـين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك ومقتنص من هواك فى أشراك فبكت قضى فـكان وقالت والله ما هجرته بغضا له ولكن خوفا عليـه من الاعداء وعنـدى من الشوق أضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع أبى عنه احسانه وأولاه منعه وحرمانه ولكن أيام الورى دول والصبر فى كل الامور أجمل ولعل من حكم بالفراق ان يمن علينا بالتلاق ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

فعنـدى يا ابن عمى من غرامى * كأمثال الذى قد حل عندك
ولـكنى كتمت الناس وجـدى * فهلا كنت أنت كتمت وجدك

فشكرتهم أم كان ما كان وخرجت من عندها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه اليها وقال ما أبدلها من الحور بألفين وأنشد هذين البيتين

فوالله لا أصغى الى قول لائم * ولا بحت بالسر الذى كنت كاتما
وقد غاب عنى من أرتجى وصاله * وقد سهرت عينى وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالى وهو يتقلب على جمر المقالى حتى مضى له من العمر سبعة عشر عاما وقد كمل حسنه ففى بعض الليالى أخذه السهر وقال فى نفسه مالى أرى جسمى يذوب والى متى لا أقدر على نيل المطلوب ومالى عيب سوى عدم الجاه والمال ولكن عند الله بلوغ الامال فينبغى أن أشرد نفسى عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها ثم أضمر على هذه العزمات وأنشد هذه الابيات

دع مهجتى تزداد فى خفقانها * ليس التذلل فى الورى من شانها
واعذر فان حشاشتى كصحيفة * لاشك ان الدمع من عنوانها
هابنت عمى قد بدت حورية * نزلت الينا عن رضا رضوانها
من رام ألحاظ العيون معارضا * فتكاتها لم ينج من عدوانها
سأسير فى الارض الوسيعة منقذا * نفسى وأمنحها سوى حرمانها
وأعود مسرور الفؤاد بمطلبى * وأقاتل الابطال فى ميدانها
ولسوف استاق الغنائم عائدا * وأصول مقتدرا على أقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر ماشيا حافيا فى قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعوام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ثم سار فى حندس الظلام حتى وصل الى باب بغداد فوقف هناك ولما فتحوا باب المدينة كان هو أول خارج منه ثم صار يقطع الاودية والقفار فى ذلك النهار ولما أتى الليل طلبته أمه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشىء من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم الى أن مضى عشرة أيام فلم ترله خبرا فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة يامؤنسى قد هيجت أحزانى حيث فارقتنى وتركت أوطانى ياولدى من أى الجهات أناديك وياهل ترى أى بلد يؤويك ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الابيات

علمنا بأنا بعد غيبتكم نبلى * ومدت قسى للفراق لنا نبلا
وقد خلفونى بعد شد رحالهم * أعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
لقد هتفت بى جنح ليل حمامة * مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلى حزينة * لما لبست طوقا ولا خضبت رجلا
وفارقنى الفى فألفيت بعده * دواعى هم لاتفارقنى أصلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون أين عينك ياضوء المكان وترى ماجرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان أبوه يشبع الجيعان ويأمر بالعدل والاحسان ووصل خبر كان ما كان الى الملك ساسان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ساسان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملوكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا أنه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وتذكر احسان أبيه اليه

وانه

وأنه أوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد من التفتيش عليه فى سائر البلاد ثم بعث فى طلبه الامير تركاش فى مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال ما اطلعت له على خبر ولا وقفت له على أثر فحزن عليه الملك ساسان حزنا شديدا وأما أمه فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار وقد مضى له عشرون يوما هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا فى أمره ولم يدر الى أين يتوجه ثم انه سافر فى البر ثلاثة أيام وحده ولم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر أهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الارض ويشرب من أنهارها ويقيل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق أخرى وسار فيها ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرف على أرض معشبة الفلوات مليحة النبات وهذه الارض قد شربت من كؤس الغمام على أصوات القمرى والحمام فاخضرت رباها وطاب فلاها فتذكر كان ما كان بلاد أبيه فأنشد من فرط ما هو فيه

خرجت وفى أملى عودة * ولكنني لست أدرى متى
وشردنى أننى لم أجد * سبيلا الى دفع ما قد أتى

فلما فرغ أكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم فى ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان ينشد هذه الابيات

ما العيش الا أن يرى لك بارق * من ثغر من تهوى ووجه رائق
والموت أسهل من صدود حبيبة * لم يغشنى منها خيال طارق
يا فرحة الندماء حيث تجمعوا * وأقام معشوق هناك وعاشق
لاسيما وقت الربيع وزهره * طاب الزمان عاليه تسابق
يا شارب الصهباء دونك ما ترى * أرض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلقت فى قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير أحدا فى جنح الظلام فأخذه القلق ونزل من مكانه الى أسفل الوادى ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات وينشد هذه الابيات

ان كنت تضمر مافى الحب اشفاقا * فأطلق الدمع يوم البين اطلاقا
بينى وبين أحبائى عهود هوى * لذا اليهم أظل الدهر مشتاقا
يرتاح قلبى الى تيم ويطربنى * نسيم تيم اذا ما هب أشواقا
يا سعد هل ربة الخلخال تذكرنى * بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ليالى الوصل تجمعنا * يوما ويشرح كل بعض مالاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها * كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لامتع الله طرفى فى محاسنها * ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
يا لسعة فى فؤادى ما رأيت لها * سوى الوصال ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثانى مرة ولم ير شخصه عرف أن القائل مثله عاشق منع عن الوصول الى من يحبه فقال فى نفسه لعلى اجتمع بهذا فيشكو كل واحد لصاحبه وأجعله أنيسى فى غربتى ثم تنحنح ونادى قائلا أيها السائر فى الليل العاكر تقرب منى وقص قصتك على لعلك تجدنى معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام أجابه قائلا أيها المنادى السامع

لانشادى من تكون من الفرسان وهل أنت من الانس أو من الجان فعجل على بكلامك قبل
دنو حمامك فان لى عشرين يوما وأنا سائر فى هذه البرية فلم أر شخصا ولم أسمع صوتا غير صوتك فلما سمع
كان ما كان هذا الكلام قال فى نفسه ان هذه القصة كقصتى فان لى أيضا عشرين يوما وأنا سائر ولم أسمع
صوتا فقال له صاحب الصوت ان كنت من الجان فاذهب بأمان وان كنت انسيا فالبث مليا
حتى يطلع النهار ويذهب الليل بالاعتكار فلما أصبح الصباح نظر اليه كان ما كان فوجده رجلا من
عرب البادية فتقدم اليه وسلم عليه فرد البدوى عليه السلام وقابله بالتحية والاكرام الا أنه
احتقره لما رأى صغر سنه وحالته حالة فقير وقال له يافتى من أى القوم أنت والى من تنسب من العربان
وما قصتك وأنت سائر بالليل فان هذا فعل الابطال وقد كلمتنى كلاما لا يتكلم به الا كل فارس همام
وبطل مصدام وقد صرت الآن فى قبضتى الا أنى أرحمك لصغر سنك فأجعلك رفيقى وتكون عندى
برسم خدمتى فلما سمع كان ما كان فظاظة كلامه بعدما أبداه من حسن نظامه عرف أنه احتقره
وطمع فيه فقال له بلين الكلام ياوجه العرب دعنا من صغر سنى وكونى أخدمك وأخبرنى عن سبب سيرك
بالليل فى القفار وانشادك الاشعار فاجابه على هذا فقال له اسمع ياغلام اننى صباح بن رماح بن همام
وقومى من عرب الشام ولى بنت عم اسمها نجمة كل من رآها أتته النعمة ومات والدى وتربيت عند عمى
أبى نجمة فلما كبرت وكبرت حجبها عنى لما رآنى فقير الحال قليل المال فسقت عليه العرب الكبار
وسادات القبائل فاستحى منهم وأجابنى الى زواجها الا أنه اشترط على خمسين رأسا من الخيل وخمسين
ناقة وعشرة عبيد وعشرة جوار وخمسين حملا قمحا ومثلها شعيرا وحملنى مالا أطيق وأكثر على الصداق وها أنا
مسافر من الشام الى العراق ولى عشرون يوما ما نظرت أحدا سواك وقصدى أن أدخل أرض بغداد
وأنظر من يخرج منها من التجار فأخرج فى أثرهم وأسلب أموالهم وأقتل رجالهم وأسوق جمالهم
وأحمالهم فمن تكون أنت من الناس قال كان ما كان ان قصتى كقصتك غير أن مرضى أخطر من
مرضك لان ابنة عمى ابنة ملك وأهلها لا يكفيهم ما ذكرت ولا يرضيهم شئ مثل هذا فقال صباح لعلك
مهبول أو من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك بنت ملك وأنت ما عليك سمة الملوك وما
أنت الا صعلوك فقال ياواحد العرب لا تستغرب هذا الحال على تصرفات الزمان وان شئت منى
البيان فأنا كان ما كان ابن السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض
خراسان وقد جار على الزمان وتسلطن الملك ساسان وخرجت من بغداد خفية لئلا يرانى انسان
وسافرت فى هذه الارض عشرين يوما ما رأيت أحدا غيرك فقصتك كقصتى وطلبتك نظير طلبتى فلما
سمع صباح ذلك الكلام صاح وافرحتى قد بلغت منيتى وليس لى اليوم كسب غيرك لانك من ذرية
الملوك وان كنت فى زى صعلوك فلابد أن أهلك لا يتركونك واذا علموا امكانك بأموالهم يفدونك فأدر
كتافك ياغلامى وامش قدامى فقال كان ما كان لا تفعل يا أخا العرب لان أهلى لا يشترونى بفضة
ولا ذهب وأنا رجل فقير وما معى قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق واتخذنى من الرفاق
واخرج بنا من أرض العراق لنجول فى الآفاق لعلنا نفوز بالمهر والصداق ونحظى من بنت عمنا
بالبوس والعناق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك أتراددنى فى الجواب
يا أخس الكلاب أدر كتافك والا أنزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف أدير أكتاف
أما عندك انصاف أما تخشى معايرة العربان حيث تأسر غلاما بالذل والهوان وما اختبرته فى حومة
الميدان وما علمت أهو فارس أو جبان فضحك صباح وقال يالله العجب انك فى سن الغلام ولكنك

كبير الكلام لان هذا القول لا يصدر الا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الانصاف أنك اذا شئت أخذي أسيرا خادما لك أن ترمى سلاحك وتخفف لباسك وتصارعنى وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما أظن كثرة كلامك الا لدنو حمامك ثم رمى سلاحه وشمر أذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوى يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه فى الارض فوجدهما كالأذنتين الموسستين أو الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال فى نفسه ليتنى قاتلته بسلاحى ثم ان كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فأحس أن امعاءه تقطعت فى بطنه فصاح أمسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما بداه من الكلام بل حمله من الارض وقصد به النهر فناداه صباح قائلا يا أيها البطل ماتريد أن تفعل بى قال أريد أن ارميك فى هذا النهر فانه يوصلك الى الدجلة والدجلة توصلك الى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك ويعرفون مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس البطاح لاتفعل فعل القباح أطلقنى بحياة بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان فى الارض فلما رأى نفسه خالصا ذهب الى ترسه وسيفه واخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان ما يشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت ما فى قلبك حيث أخذت سيفك وترسك فانه قد خطر ببالى أنه ليس لك يد فى الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها أنا أبلغك ما تختار حتى لا يبقى فى قلبك انكار فاعطنى الترس واهجم على بسيفك فاما ان تقتلنى واما ان اقتلك فرمى له الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقى به من نفسه وصار صباح يضربه ويقول له ما بقى الا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شئ يضربه ولم يزل صباح يضرب بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته وانحلال عزيمته فهجم عليه وهزه والقاه فى الارض وكتفه بحمائل سيفه وجره من رجليه الى جهة النهر فقال صباح وما تريد أن تصنع بى يا فارس الزمان وبطل الميدان قال ألم أقل لك اننى ارسلك الى قومك فى النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل يا فارس الزمان واجعلنى لك من بعض الغلمان ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

تغربت عن أهلى فيا طول غربتى * ويا ليت شعرى هل أموت غريبا
أموت واهلى ليس تعرف مقتلى * وأودى غريبا لا أزور حبيبا

فرحمه كان ما كان واطلقه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق انه يصحبه فى الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم ان صباحا أراد أن يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوى الى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطئ النهر واكلا مع بعضهما ثم توضآ وصليا وجلسا يتحدثان فيما لقياه من صروف هذا الزمان فقال كان ما كان للبدوى أين تقصد فقال صباح أقصد بغداد بلدك واقيم بها حتى يرزقنى الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوى وتوجه فى طريق بغداد واقام كان ما كان وقال فى نفسه يا نفسى اى وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا أرجع خائبا ولا بد لى من الفرج ان شاء الله تعالى ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه قائلا اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الصخر أسألك أن ترزقنى بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا

ثم الا واذا بفارس أقبل على جواد وقد اقتعد ظهره وارخى عنانه فاستوى كان ما كان جالسا وبعد
ساعة وصل اليه الفارس وهو فى آخر نفس لانه كان به جرح بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده
مثل افواه القرب وقال لكان ما كان ياوجه العرب اتخذنى ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلى واسقنى
قليلا من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للمجروح سيما وقت خروج الروح وان عشت اعطيتك ما يدفع
فقرك وان مت فأنت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان يتحير فى حسنه الانسان ويكل
عن وصفه اللسان وله قوائم مثل أعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان الى ذلك
الحصان اخذه الهيام وقال فى نفسه ان هذا الحصان لا يكون فى هذا الزمان ثم انه أنزل الفارس ورفق
به وجرعه يسيرا من الماء ثم صبر عليه حتى أخذ الراحة وأقبل عليه وقال له من الذى فعل بك هذه الفعال
فقال الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال انى رجل سلال غيار طول دهرى أسل الخيل وأختلسها فى الليل
والنهار واسمى غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصان فى بلاد الروم عند الملك افريدون
وقد سماه بالقاتول ولقبه بالمجنون وقد سافرت الى القسطنطينية من أجله وصرت أراقبه فبينما أنا كذلك
اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وأمرها عندهم فى الخداع متناهى تسمى شواهى ذات الدواهى
ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير برسم خدمة ذلك الحصان وهى تقصد بغداد وتريد الدخول
على الملك ساسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت فى اثرهم طمعا فى الحصان ومازلت أتابعهم
ولا أتمكن من الوصول اليه لان العبيد شداد الحرص عليه الى ان وصلوا الى تلك البلاد وخفت
ان يدخلوا مدينة بغداد فبينما أنا أشاور نفسى فى سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار
ثم انكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش
ولكنه فى الحرب كأسد يجعل الابطال كالفراش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
(فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الفارس المجروح
قال لكان ما كان فخرج على العجوز ومن معها كهرداش ثم أحاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة
حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلم الحصان وسار بهم وهو فرحان فقلت فى نفسى قد ضاع تعبى وما بلغت
أربى ثم صبرت حتى أنظر ما يؤول اليه الامر فلما رأت العجوز روحها فى الاسر بكت وقالت لكهرداش
أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد
وخادعته بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل والانعام فأطلقها هى والعبيد ثم سار هو وأصحابه
وتبعتهم حتى وصلت الى هذه الديار وأنا ألاحظه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته وأخرجت من
مخلاتى سوطا فضربته فلما أحسوا بى لحقونى وأحاطوا بى من كل مكان ورمونى بالسهام والسنان وأنا
ثابت عليه وهو يقاتل عنى بيديه ورجليه الى أن خرج بى من بينهم مثل النجم الطارق والسهم
الراشق ولكن لما اشتد الكفاح أصابنى بعض الجراح وقد مضى لى على ظهره ثلاثة أيام لم استطعم
بطعام وقد ضعفت منى القوى وهانت على الدنيا وانت أحسنت الى وشفقت على وأراك عارى الجسد
ظاهر الكمد ويلوح عليك أثر النعمة فما يقال لك فقال أنا يقال لى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان
ابن الملك عمر النعمان قد مات والدى وربيت يتيما وتولى بعده رجل لئيم وصار ملكا على الحقير والعظيم
ثم حدثه بحديثه من أوله الى آخره فقال الرجل السلال وقد رق له انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم
وليكونن لك شأن وتصير أفرس هذا الزمان فان قدرت ان تحملنى وتركب ورائى وتوديني الى بلادى
يكن لك الشرف فى الدنيا والأجر فى يوم التنادى فانه لم يبق لى قوة امسك بها نفسى وان مت فى الطريق

فزت

فزت بهذا الحصان وأنت أولى به من كل انسان فقال له كان ما كان والله لو قدرت أن أحملك على أكتافي لفعلت ولو كان عمري بيدي لأعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لاني من أهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى بسد سبعين بابا من البلاء وعزم على ان يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر علي قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتم الكلمات وأنشد هذه الابيات

ظلمت العباد وطفت البلاد * وأمضيت عمري بشرب الخمور * وخضت السيول لنيل الخيول
وهدم الطلول بفعل النكور * وأمري عظيم وجرمي جسيم * وقاتول مني تمام الامور
وأملت أني أنال المنى * بذاك الحصان فأعيا مسيري * وطول الحياة أنيل الخيول
فكانت وفاتي عند الغدير * وآخر أمري أني تعبت * لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة وواراه في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك ساسان ثم أتته الاخبار من التجار بجميع ماجرى في غيبته بين الملك ساسان والوزير دندان وأن الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا أنهم مالهم سلطان الا كان ما كان واستوثق منهم بالايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم أول من آخر وعزم على أن يرجع بجميع الجيوش الى البلاد ويقتل من خالفه من العباد وأقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار ثم ان الملك ساسان علم أن الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والاكدار وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الاموال والنعم وتمنى أن يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله أميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتقوى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في ربكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولاقوه ومشوا قدامه الى القصر ودخلت الطواشية بالاخبار الى أمه فجاءت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعيني أمضي الى عمي السلطان ساسان الذي غمرني بالنعمة والاحسان ثم ان أرباب الدولة تحيروا في وصف ذلك الحصان وفي وصف صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك ساسان أيها الملك اننا ما رأينا مثل هذا الانسان ثم ذهب الملك ساسان وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام اليه وقبل يديه ورجليه وقدم اليه الحصان هدية فرحب به وقال أهلا وسهلا بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الارض لاجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف أنه الحصان الذي كان رآه سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العز الى أهله وقد قبلناه ومنا لك وهبناه وأنت أحق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضروا لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيل وأفرد له في القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالا جزيلا وأكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على امه وقال يا أمي ما حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي انه كان عندي من غيبتك ما شغلني عن محبوبتك فقال يا أمي اذهبي اليها وأقبلي عليها لعلها تجود علي

بنظرة فقالت له ان المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك هذا المقال لئلا يفضى بك الى الوبال فأنا لا أذهب اليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من ان العجوز ذات الدواهى طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقال هى التى قتلت عمى وجدى ولا بدأن أكشف العار وآخذ الثار ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة اسمها كرة امعها سعدانة وشكا اليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه اليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعا وطاعة ثم فارقته ومضت الى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت اليه وأعلمته بأن قضى فكان تسلم عليه ووعدته أنها فى نصف الليل تجىء اليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❁فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة❁ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز رجعت الى كان ما كان وأعلمته بأن قضى فكان تسلم عليه ووعدته أنها فى نصف الليل تجىء اليه فلما بلغه ذلك الخبر فرح لوعد ابنة عمه قضى فكان فلما جاء نصف الليل أتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعى أنك تحبنى وأنت خلى البال نائم على أحسن الحال فانتبه وقال والله يامنية القلب انى مانمت الا طمعا فى أن يزورنى منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بعتاب لطيف الكلمات وأنشدت هذه الابيات

لو كنت تصدق فى المحبة ماجنحت الى المنام * يامدعى طرق المحبة فى المودة والغرام
والله يا ابن العم ما * رقدت عيون المستهام

فاستحى منها كان ما كان وتعاتبا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك الى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديدا وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

فيا زائرى من بعد فرط صدوده * وفى الثغر منه الدر فى نظم عقده
فقبلته ألفا وعانقت قده * وبت وخدى لاصق تحت خده
الى أن بدا نور الصباح فراعنا * كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت الى خدرها وأظهرت بعض الجوارى على سرها فذهبت جارية منهن الى الملك ساسان وأعلمته بالخبر فتوجه الى قضى فكان وجرد عليها الحسام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان ان كان ما كان صاحب عرض ومروأة ولا يفعل أمرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان أهل القصر وجميع أهل بغداد قد شاع عندهم أن الوزير دندان قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لا بد أن أرميه فى بلية بحيث لا أرض تقله ولا سماء تظله وانى ماطيبت خاطره ولا أنعمت عليه الا لأجل أهل مملكتى لئلا يميلوا اليه وسوف ترين مايكون ثم تركها وخرج يدبر أمر مملكته هذا ما كان من أمر الملك ساسان (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فانه أقبل على أمه فى ثانى يوم وقال لها ياأمى انى عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالى وحسن حالى خطبت قضى فكان من عمى ساسان فقالت ياولدى ان أموال الناس غير سائبة لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجالا تقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ما كان هيهات أن أرجع عن عزمى الا اذا بلغت منيتى ثم أرسل العجوز الى قضى فكان ليعلمها أنه يريد السير حتى يحصل لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لا بد أن تأتينى منها بجواب فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت له

بالجواب

بالجواب وقالت له انها في نصف الليل تكون عندك فأقام سهران الى نصف الليل من قلقه فلم يشعر الا هي داخلة عليه وتقول له روحي فداك من السهر فنهض لها قائما وقال يا منية القلب روحي فداك من جميع الاسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكي يا بنت العم فأنا أسأل الذي حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بالتلاقي والوفاق ثم ان كان ما كان أخذ في السفر ودخل على أمه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القاتول ومشى في شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى في ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا أخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفي فقال له كان ما كان ما يرسل الصياد الا بصيد على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك أن تأتي معي وتخلص النية في صحبتي ونسافر في تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت أدعوك الا مولاي ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين في البر أربعة أيام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفي اليوم الخامس أشرفا على تل عال تحته مراتع فيها ابل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابي والبطاح وأولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعول على القتال وأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذي عن اهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا في أخذه نصيب فقال صباح يا مولاي ان أصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم أبطال من فرسان ورجال وان رمينا أرواحنا في هذا الخطب الجسيم فانا نكون من هوله في خطر عظيم فضحك كان ما كان وعلم أنه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شن الغارات وترنم بانشاد هذه الابيات

وآل نعمان هم ذوو الهمم * والسادة الضاربون في القمم * قوم اذا ما الهياج قام لهم
قاموا باسواقه على قدم * تنام عينا الفقير بينهم * ولا يرى قبح صورة العدم
وانني أرتجي معاونة * من مالك الملك بارئ النسم

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفي أوائلهم فارس تركي الا انه شديد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال اعلم أن هذه الاموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا أن لا يرجعوا من هنا الا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا هذا هو الحصان الذي تعنون وأنتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم أجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين أذني القاتول فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه وأخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع فأعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يا بني الزواني سوقوا المال والخيول والا خضبت من دمائكم سناني فساقوا المال وأخذوا في الانطلاق وانحدر اليه صباح وأعلن بالصياح وزادت به الافراح واذا بغبار علا وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر الى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا فارس الا في اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس داروا حول كان ما كان وأحاطوا به من كل مكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم أن من دونه أسدا

أروع وبطلا مهيدع وسيفاأينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت اليه فرآه فارسا كالاسد الضرغام الا أن وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس واسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجها قد أعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وابطال ذلك القطر تخاف هيبتها وحلفت أنها لا تتزوج الا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربنى الا من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى أن يقاتل جارية ويخاف من العار فقال بعض خواصه أنت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قبالك حتى تملكها لان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فأبى كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال الى أن جرت له مع كان ما كان هذه الافعال فظن أنه محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد أتيت لتريني شجاعتك فانزلى عن جوادك حتى أتحدث معك فانى قد سقت هذه الاموال وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذى ماله مثيل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيرى ملكة هذه الاقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه فى اضطرام وقال ويلك يا كلب الأعجام دع فاتن وما به ترتاب وتقدم الى الطعن والضراب فعن قليل تبقى على التراب ثم صال وجال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش اليه علم أنه فارس همام وبطل مصدام وتبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذار أخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا أن قتال الجماعة للواحد عار ولو كان فى سنان رمحه شعلة نار فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد أدهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر

قد جاءك المهر الذى نزل الوغى * جذلان يخلط أرضه بسمائه
وكأنما لطم الصباح جبينه * واقتص منه فخاض فى أحشائه

ثم ان ذلك الفارس حمل على كان ما كان وتجاولا فى الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحير الافكار ويغشى الابصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كأنه البعير اذا انحدر وحمل عليه الثانى والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالأول ثم حمل عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان الا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش الى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان واعتقد أنه أوحد الابطال والفرسان فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم أصحابى فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن شبابك والحياة أولى بك فقال له كان ما كان لاعدمت مروءة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك فى رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من أنا ما نطقت بهذا الكلام فى حومة الزحام فاسأل عنى فأنا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذى نهب الملوك الكبار وقطع الطريق عن جميع السفار وأخذ أموال التجار وهذا الحصان الذى تحتك طلبتى وأريد أن تعرفنى كيف وصلت اليه

اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان هذا الجواد كان سائرا الى عمى الملك ساسان تحت عجوز كبيرة ولنا عندها ثار من جهة جدى الملك عمر النعمان وعمى الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن أبوك لا أم لك فقال اعلم انى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان بن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بأمان فان أباك كان صاحب فضل واحسان فقال له كان ما كان أنا والله ما أوقرك يا مهان فاغتاظ البدوى ثم حمل كل منهما على صاحبه فسدت لهما الخيل آذانها ورفعت أذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه فى صدره فأطلع السنان من ظهره وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ما كان وقال له أحسنت يا فارس الزمان انى دعوت لك وقد استجاب ربى دعائى ثم ان صباحا قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك يا صباح انى كنت أظن أنك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلى أصل بسببها الى زواج بنت عمى نجمة فقال له لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الاجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والاموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله وأتت أهل بغداد الى كان ما كان بما جرى من الاخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال وساق ما معه الى أن أوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه رأس كهرداش الى باب القصر ووهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال فأحبه أهل بغداد ومالت اليه القلوب ثم أقبل على صباح وأنزله فى بعض الاماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى له فى سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا انى أريد أن أبوح لكم بسرى وأبدى لكم مكنون أمرى اعلموا أن كان ما كان هو الذى يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الاكراد والاتراك وأمرنا معه آيل الى الهلاك وأكثر خوفنا من أقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفى بعد الاحسان وخاننى فى الايمان وبلغنى أنه جمع عساكر البلدان وقصد أن يسلطن كان ما كان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلى بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا والله أيها الملك انه أقل من ذلك ولولا أننا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليه منا أحد واعلم أننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه وان شئت بعده أبعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب ولكن لا بد من أخذ الميثاق فتحالفوا على أنهم لا بد أن يقتلوا كان ما كان فاذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضى فكان فحصل عندها غم زائد وارسلت الى العجوز التى عادتها أن تأتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب اليه وتخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغى بنت عمى سلامى وقولى لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده

وما أحسن قول القائل

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قهرا ويضمن عنده الدركا
لو كان لى أولغيرى قدر أنملة * من التراب لكان الامر مشتركا

فرجعت العجوز الى بنت عمه وأخبرتها بمقاله وأعلمتها بان كان ما كان أقام فى المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد لبرسل وراءه من يقتله فاتفق أنه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فأطلقها فقال له صباح لأى شئ أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان واطلق الباقى وقال له ان من المروأة اطلاق الغزالات التى لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة الا لأن لها أولادا فأطلقتها وأطلقت الباقى فى كرامتها فقال له صباح أطلقنى حتى أروح الى أهلى فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوى كالثعبان فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك أن الملك ساسان أخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد والقنص فأرسل أميرا من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارسا ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا بأهاليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ما كان توجه بعد ذلك من ذلك المكان وتوجه معه صباح البدوى فبينما هو سائر اذ رآى فى طريقه شابا على باب داره فألقى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها اللبن والثانية فيها ثريد والسمن فى جوانبها عوج ووضع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالاكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الاكل فقال له الشاب مالك أيها الانسان لا تأكل فقال له كان ما كان انه على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم ان الملك ساسان غصب ملكى ظلما وعدوانا ثم ان ذلك الملك كان لابى وجدى من قبلى واستولى عليه قهرا بعد موت أبى ولم يعتبرنى لصغر سنى فنذرت أننى لا آكل لاحد زادا حتى أشفى فؤادى من غريمى فقال له الشاب أبشر فقد وفى الله نذرك واعلم أنه مسجون فى مكان وأظنه أن يموت قريبا فقال له كان ما كان فى اى بيت هو معتقل فقال له فى تلك القبة العالية فنظر كان ما كان الى قبة عالية ورأى الناس فى تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل وأكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحم فى مزوده ثم جلس مكانه ولم يزل جالسا الى أن أظلم الليل ونام الشاب الذى ضيفه ثم ذهب كان ما كان الى القبة التى فيها ساسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذى فى مزوده ومازال يرمى للكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك ساسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذى سعيت فى قتله فأوقعك الله فى سوء تدبيرك أما يكفيك أخذ ملكى وملك ابى وجدى حتى تسعى فى قتلى فحلف ساسان الأيمان الباطلة انه لم يسع فى قتله وأن هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له اتبعنى فقال لا أقدر ان أخطر خطوة واحدة لضعف قوتى فقال كان ما كان اذا كان الامر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا فيه يتحدثون ثم قام كان ما كان الى ساسان وقال له هل بقى

فى

فى قلبك منى أمر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على أنهم يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوى أنا اسبقكم لأبشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهى مثل البدر بهى الانوار فى دياجى الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا فى كان ما كان وشهد له الفرسان انه أشجع أهل الزمان وقالوا لا يصلح ان يكون سلطانا علينا الا كان ما كان ويعود الى ملك جده كما كان وأما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له انى ارى الناس ليس لهم حديث الا فى كان ما كان ويصفونه بأوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فانى رأيته ولم أرفيه صفة من صفات الكمال وما كل مايسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضا فى مدحه ومحبته وأجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذى يكون صاحب الاقطار ويرضى ان يكون تحت يدها كم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا فى قصده ويدخل تحت أمرى وطاعتى ولا يبقى له الا خدمتى فقالت له نزهة الزمان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب أن تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ماقيل فيما مضى من الزمان

اذا رفع الزمان عليك شخصا * وكنت احق منه ولو تصاعد
أنله حق رتبته تجده * ينيلك ان دنوت وان تباعد
ولا تقل الذى تدريه فيه * تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم فى الخدر ابهى من عروس * ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال لولا أنى اعرف انك تمزحين لعلوت بالسيف رأسك وأخذت انفاسك فقالت حيث غضبت منى فأنا أمزح معك ثم وثبت اليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ماتراه وسوف أدبر انا وأنت فى حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلى بالحيلة وفرجى كربتى فلقد ضاق على باب الحيل فقالت له سوف احيل لك على اتلاف مهجته فقال لها بأى شئ فقالت له بجاريتنا التى اسمها باكون فانها فى المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من أنحس العجائز وعدم الخبث فى مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير أن كان ما كان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها * فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأى هو الصواب ثم احضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى فى قتله ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يامولاى ان تعطينى خنجرا قد سقى بماء الهلاك لأعجل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم أحضر لها خنجرا يكاد ان يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وتحفظ النوادر والاخبار فأخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون به الدمار وأتت الى كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضى فكان وكان فى تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضى فكان فالتهبت من حبها فى قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية باكون داخلة عليه وهى تقول آن أوان الوصال ومضت أيام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم أنها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها وخلع أثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم أننى أنام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام وأسليك بحديث كل متيم أمرضه الغرام فقال لها كان ما كان

حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له يا كوكب حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم ان أعجب ما سمعت أذني ان رجلا كان يعشق الملاح ويصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الاسواق ويفتش على شيء يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكته في أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى أن تعب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجارية قالت لكان ما كان انه جلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى ان تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد أحدا فاختلى بنفسه وأطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت في مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن مقدما كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما رأى ذلك قال في نفسه كأن هؤلاء غلطوا في أو من طائفتنا الحشاشين ثم انه مد رجليه فتخيل له أن البلان قال له يا سيدي قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ماشاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخذ بيده وأدار على وسطه مئزرا من الحرير الاسود ومشى وراءه العبدان بالطاسات والحوائج ولم يزالوا به حتى أدخلوه الخلوة وأطلقوا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطيخة وأجلسوه على كرسي من الآبنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يضحك الى أن غشي عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب فلعل الامر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونني ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا في رقبتي ثم انه استحمى وفتح الباب فتخيل أن مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها وأخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الاولى على رأسه والاخرى على أكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقابا فلبسه وأقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى أن خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه الغلمان وأجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده ومسكها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينيه فوجد نفسه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وأيره قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له أن كل هذا أضغاث أحلام وتخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذي نبهه وقال كنت اصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحي يا حشاش وأنت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لها يا كوكب يا دادتي ان هذا الحديث عجيب فاني ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية يا كوكب لم تزل تحدث كان ما كان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت في نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه

واذا

واذا بأم كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها ابا كون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت
تنتفض كأنها أخذتها الحمى فلما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد أمه
جالسة فوق رأسه وكان السبب فى حياته مجيئها وسبب مجىء أمه اليه ان قضى فكان سمعت الحديث
والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمى الحقى ولدك قبل أن تقتله العاهرة ابا كون وأخبرتها بما
جرى من أوله الى آخره فخرجت وهى لا تعقل شيأ حتى دخلت فى الساعة التى نام فيها وهمت ابا كون عليه
تريد ذبحه فلما استيقظ قال لامه لقد جئت يا أمى فى وقت طيب ودادتى ابا كون حاضرة عندى فى تلك
الليلة ثم انه التفت الى ابا كون وقال لها بحياتى عليك هل تعرفين حكاية أحسن من هذه الحكاية التى
حدثتنى بها فقالت له الجارية وأين ما حدثتك به سابقا مما أحدثك به الآن فانه أعذب وأغرب ولكن
احكيه لك فى غير هذا الوقت ثم قامت ابا كون وهى لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولحت بمكرها أن
أمه عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدى هذه ليلة مباركة حيث نجاك
الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فأخبرته بالامر من اوله الى آخره فقال لها يا والدتى ان الحى
ماله قاتل وان قتل لا يموت ولكن الاحوط لنا ان نرتحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما
أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت أمور بين الملك
ساسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة الزمان ايضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب
دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فأجمع رأيهم على غزو ملك الروم واخذ الثار
فلما توجهوا الى غزو الروم وقعوا فى اسر الملك رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من
السياق فلما اصبح الصباح امر الملك رومزان ان يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين
يديه وأجلسهم بجانبه وأمر باحضار الموائد فأحضرت فأكلوا وشربوا واطمأنوا بعد أن أيقنوا بالموت لما
أمر باحضارهم وقالوا لبعضهم انه ما أرسل الينا الا لانه يريد قتلنا وبعد أن اطمأنوا قال لهم الملك انى
رأيت مناما وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الا الوزير دندان فقال له الوزير خيرا رأيت يا ملك
الزمان فقال له أيها الوزير رأيت أنى فى حفرة على صفة بئر أسود وكأن أقواما يعذبوننى فأردت القيام فلما
نهضت وقعت على اقدامى وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب
فمددت يدى لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددتهما وسطى بهما فاذا هما قد صارتا
منطقة واحدة وهذا ايها الوزير منامى والذى رأيته فى لذيذ احلامى فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا
السلطان أن رؤياك تدل على أن لك أخا او ابن اخ او ابن عم او أحدا يكون من اهلك من دمك ولحمك وعلى
كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان
والوزير دندان ومن معهم من الاسارى وقال فى نفسه اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم
بهلاك اصحابهم ورجعت الى بلادى عن قريب لئلا يخرج الملك من يدى ولما صمم على ذلك استدعى
بالسياف وامره ان يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته واذا بداية الملك قد اقبلت فى تلك الساعة
فقالت له ايها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين فى قبضتى
وبعد ذلك ارمى رؤسهم الى اصحابهم ثم احمل انا واصحابى عليهم حملة واحدة فنقتل الذى نقتله وننهزم الباقى
وتكون هذه وقعة الانفصال وارجع الى بلادى عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور امور فى مملكتى
فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام اقبلت عليه وقالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل
ابن اختك واختك وابنة اختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال لها

ياملعونة المتعلي ان امي قد قتلت وان ابي قد مات مسموما واعطيتني خرزة وقلت لي ان هذه الخرزة كانت
الابيك فلم لاتصدقيني في الحديث فقالت له كل ما اخبرتك به صدق ولكن شأني وشأنك عجيب وامري
وامرك غريب فانني أنا اسمي مرجانة واسم أمك ابريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بها
الامثال واشتهرت بالشجاعة بين الابطال واما ابوك فانه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان
من غير شك ولا ريب ولا رجم بالغيب وكان قد أرسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير
دندان وكان منهم الذي قد كان وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره
فوقع عند أمك الملكة ابريزة في قصرها ونزلنا واياها في خلوة الصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة
فتصارع مع أمك وغلبته ابهار حسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام في قصرها فبلغ أباها
ذلك الخبر من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت امك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها
وتوجه بها الى مدينة بغداد سرا وكنت أنا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك
شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة ابريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها
ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع امك ثلاث خرزات فأعطتها لابيك فأعطى خرزة لابنته نزهة الزمان
وأعطى الثانية لاخيك ضوء المكان وأعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة ابريزة
وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك الى أهلها وأطلعتني على سرها فاجتمعت بعبد أسود يقال له
الغضبان واخبرته بالخبر سرا ورغبته في ان يسافر معنا فأخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت
امك قد قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائل بلادنا في مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك فحدث العبد
نفسه بالخنا فأتى أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن
عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان في تلك الساعة قد طلع علينا في البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار
حتى سد الاقطار فخشي العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب
جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ما راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى
أمك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب
قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد أبيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب
العداوة بين أهل بلاد الروم وبين أهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا أمك وهي قتيلة ودفناها في قصرها
وقد احتملتك أنا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع امك الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ
الرجال لم يمكني أن أخبرك بحقيقة الامر لانني لو أخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد أمرني جدك
بالكتمان ولا قدرة لي على مخالفة أمر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم
اعلامك بان أباك الملك عمر النعمان فلما استقليت بالملكة أخبرتك وما أمكنني أن أعلمك الا في هذا
الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت السر والبرهان وهذا ما عندي من الخبر وأنت برأيك أخبر وكان
الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها
وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخي من ابي عمر النعمان وامه الملكة ابريزة بنت الملك
حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا الكلام
اخذته الحدة وصار متحيرا في امره واحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم
واستخبرها عن قصته فحكت فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك انه من أهل العراق
من غير شك ولا ارتياب وان أباه الملك عمر النعمان فقام من تلك الساعة وحل كتاف اخته نزهة الزمان

فتقدمت

فتقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها وأخذه حنو الاخوة ومال قلبه الى ابن أخيه السلطان كان ما كان وقام ناهضا على قدميه وأخذ السيف من يد السياف فأيقن الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فأمر باحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة اشرحي حديثك الذى شرحته لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لى أكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر ثم انها أقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الأسارى يصدقونها على ذلك وفى آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة فى رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك ياولدى اعلم أنه قد زاد فى تلك الساعة صدق يقينى لان هذه الخرزة التى فى رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التى وضعتها فى عنقك وهى رفيقتها وهذا الاسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى كان ما كان وقالت له أرنى هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان فأخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فأعطتها لها فلما صارت الخرزتان فى يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ما كان وان أباه الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح بكثرة الافراح وفى تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال فى نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر الافرنج والروم وأما عسكر العراق فانهم قد اقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا فى الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين وللحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضى فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عم السلطان كان ما كان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان ظهر أنه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدته باكى العين خائفا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان حتى أوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن اخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان فى أمر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان ملكا على دمشق الشام ثم امروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليها ومشوا معه ساعة لأجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا فى العسكر بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا الا بأخذ الثار وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وأرباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى أرضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس

وأجلس ابن أخيه السلطان كان ما كان الى جانبه فقال كان ما كان لعمه الملك ضوء المكان يا عمي ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله أن أعارضك في ملكك فعند ذلك أشار اليهما الوزير دندان أن يكون الاثنان في الملك سواء وكل واحد يحكم يوما فارتضيا بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد انهما اتفقا على ان كل واحد يحكم يوما ثم أولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح واقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله مع بنت عمه قضى فكان وبعد تلك المدة بينماهم قاعدون فرحون بهذا الامر وانصلاح الشان اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار وقد اتى اليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول يا ملوك الزمان كيف اسلم في بلاد الكفر وانهب في بلادكم وهي بلاد العدل والامان فاقبل عليه الملك ضوء المكان وسأله عن حاله فقال له أنا تاجر من التجار ولي غائب عن الاوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت في البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام وان معي كتابا من مدينة دمشق كان قد كتبه لي المرحوم الملك شركان وسبب ذلك انني قد اهديت اليه جارية فلما اقربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف الهند واتيت بها الى بغداد التي هي حرمكم ومحل امنكم وعدلكم خرجت علينا عربان ومعهم اكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي ونهبوا اموالي وهذا شرح حالي ثم ان التاجر بكى بين يدي الملك ضوء المكان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق اليه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان ما كان وحلفوا أنهم يخرجون اليهم فخرجوا اليهم في مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بألوف وذلك التاجر سار أمامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل الى السحر حتى اشرفوا على واد غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي وقسموا بينهم احمال ذلك التاجر وبقي البعض فأطبق عليهم المائة فارس واحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك ضوء المكان هو وابن أخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى اسروا الجميع وكانوا ثلثمائة فارس مجتمعين من اوباش العربان فلما اسروهم اخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك ضوء المكان هو وابن اخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والاقطار فقالا لهم ميزوهم لنا بأعيانهم فميزوهم لهما فأمرا بالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ جميع ما معهم من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجده قد هلك ربعه فوعدوه انهم يعوضون له جميع ما ضاع منه فعند ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ما جرى ثم ان الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضاع منه المال واخبرها كان ما كان بقصة التاجر من اولها الى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات ووصت عليه اخاها الملك ضوء المكان وابن اخيها الملك كان ما كان فأمر له بأموال وعبيد وغلمان من أجل خدمته وأرسلت اليه نزهة الزمان مائة ألف درهم من المال وخمسين حملا من البضائع وقد اتحفته بهدايا وارسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت وسلمت عليه واعلمته انها بنت الملك عمر النعمان وان اخاها الملك ضوء المكان وابن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك

بذلك فرحا شديدا وهناها بسلامتها واجتماعها بأخيها وابن اخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى خدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم ورحل الى بلاد الشام وبعد ذلك أحضر الملوك الثلاثة أشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا أني رجل بدوي أقف في الطريق لأخطف الصغار والبنات الابكار وأبيعهم للتجار ودمت على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام واغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على أعجب ما رأيت في خطفك الصغار والبنات فقال لهم أعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان أني من مدة اثنين وعشرين سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير أنها كانت خدامة وعليها أثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان في أملي أنني أذهب بها الى أهلي في البرية وأجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا وأخذتها الى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآها وأعجبته فصاحتها وأراد اشتراءها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة ألف درهم فعندما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغني أن التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى الملك صاحب دمشق فأعطاه قدر المبلغ الذي دفعه الي مرتين وهذا يا ملوك الزمان أعجب ما جرى لي ولعمري ان ذلك الثمن قليل في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي ما حكاه صار الضياء في وجهها ظلاما وصاحت وقالت لأخيها اروزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقدس بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت الى البدوي لتقتله واذا هو صاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى أحكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن أخيها كان ما كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك فافعلي ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكاية فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم بأعجب ما وقع له وقال اعلموا اني من مدة يسيرة أرقت ليلة أرقا شديدا وما صدقت أن الصباح يصبح فلما أصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت أريد الصيد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فأخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين أيدينا وهي فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفي السماء طارت أم في الارض غارت فرددنا رؤس الخيل وأردنا الرواح ثم رأينا أن الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا أفيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع أصحابي وأنا في أولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لا نبات

بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها فى قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد على السلام فقلت يا أخا العرب أخبرنى من أنت وما تكون لك تلك الجارية التى عندك فأطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرنى من أنت وما الخيل التى معك فقلت أنا حماد بن الفزارى الفارس الموصوف الذى أعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فأدركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلى أجد عندكم شربة ماء فلما سمع منى ذلك الكلام التفت الى جارية مليحة وقال ائتى الى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسحب أذيالها والحجال الذهب تشخشخ فى رجليها وهى تتعثر فى شعرها وغابت قليلا ثم أقبلت وفى يدها اليمنى اناء من فضة مملوء ماء باردا وفى يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت أن آخذ من الجارية طعاما ولا شرابا من شدة محبتى لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت

كأن الخضاب على كفها * غراب على ثلجة واقف
ترى الشمس والبدر من وجهها * قريبين خاف وذا خائف

ثم قلت للشاب بعد أن أكلت وشربت يا وجه العرب اعلم انى أوقفتك على حقيقة خبرى وأريد أن تخبرنى بحالك وتوقفنى على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهى أختى فقلت أريد أن تزوجنى بها طوعا والا قتلتك وآخذها غصبا فعند ذلك أطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره الى وقال لى لقد صدقت فى دعواك أنك فارس معروف وبطل موصوف وانك أسد البيداء ولكن ان هجمتم على غدرا وقتلتمونى قهرا وأخذتم أختى فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ما ذكرتم من أنكم فرسان تعدون من الابطال ولا تبالون بالحرب والنزال فأمهلونى قليلا حتى ألبس آلة حربى وأتقلد بسيفى وأعتقل رمحى وأركب فرسى وأصير أنا واياكم فى ميدان الحرب فان ظفرت بكم أقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بى وقتلتمونى فهذه الجارية اختى لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له ان هذا هو الانصاف وما عندنا خلاف ثم رددت رأس جوادى الى خلفى وقد زاد بى الجنون فى محبة تلك الجارية ورجعت الى أصحابى ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذى عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر أنه يصادم ألف فارس ثم أعلمت أصحابى بجميع ما فى الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع فى تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظيمة وأنا أوصيكم أن كل من قتل هذا الغلام يأخذ أخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان أصحابى لبسوا آلة حربهم وركبوا خيولهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليه أخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهى تنادى بالويل والثبور من خوفها على أخيها وتنشد هذه الابيات

الى الله أشكو محنة وكآبة * لعل اله العرش يرهقهم رعبا
يريدون قتلا يا أخى تعمدا * ولا ثم من قبل القتال ولا ذنبا
وقد عرف الابطال أنك فارس * وأشجع من حل المشارق والغربا
تحامى عن الاخت التى قل عزمها * فأنت أخوها وهى تدعوك الربا
فلا تترك الاعداء تملك مهجتى * وتأخذنى قهرا وتأسرنى غصبا
ولست وحق الله أبقى ببلدة * اذا لم تكن فيها وان ملئت خصبا
وأقتل نفسى فى هواك محبة * وأسكن لحدا فيه أفترش التربا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديدا ورد رأس جواده الى أخته وأجابها عن شعرها بقوله

قفي وانظري مني وقوع عجائب * اذا ما التقينا حين أثخنهم ضربا
وان برز الليث المقدم فيهم * وأشجعهم قلبا وأثبتهم لبا
سأسقيه مني ضربة ثعلبية * وأترك فيه الرمح يستغرق الكعبا
وان لم أقاتل عنك أختي فليتني * قتيل وليت الطير تنهبني نهبا
أقاتل عنك ما استطعت تكرما * وهذا حديث بعدنا يملأ الكتبا

فلما فرغ من شعره قال يا أختي اسمعي ما أقوله لك وما أوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكني أحدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا أخي ان أراك صريعا وأمكن الاعداء مني فعند ذلك مد الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يا فرسان هل أنتم ضيفان أم تريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفانا فأبشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم أبيك فاني حالف اني ما أقتل من اسمه موافق لاسمي واسم أبيه موافق لاسم أبي فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فأجابه الشاب بقوله

كذبت في قولك من بلال * وجئت بالزور وبالمحال
ان كنت شهما فاستمع مقالي * مجندل الابطال في المجال
وصارمي ماض كما الهلال * فاصبر لطعن مرجف الجبال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يا أيها الكلب وخيم الرجس * فأين غال سعره من بخس
وانما الليث الكريم الجنس * من لم يبال في الوغى بنفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن تركه غريقا في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

اليك أقبلت وفي قلبي لهب * منه أنادي عند صحبي بالحرب
لما قتلت اليوم سادات العرب * فاليوم لا تلقى فكاكا من طلب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله

كذبت بئس أنت من شيطان * قد جئت بالزور وبالبهتان
اليوم تلقى فاتك السنان * في موقف الحرب وفي الطعان

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمي هلال فانشد يقول

أخطأت اذ أردت خوض بحري * وجئت بالزور وكل الامر
أنا الذي تسمع مني شعري * أختلس النفس ولست تدري

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت أصحابي قد قتلوا قلت في نفسي ان نزلت اليه في الحرب لم أطقه وان هربت أبقى معرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون ان انقض علي وجذبني بيده فأطاحني من سرجي فوقعت مغشيا علي ورفع سيفه وأراد ان يضرب عنقي فتعلقت باذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل أخيها وأقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم انه سلمني الى أخته وقال لها دونك واياه وأحسني مثواه لانه دخل في ذمامنا فقبضت الجارية على أطواق درعي وصارت تقودني

كما تقود الكلاب وفكت عن أخيها الامة الحرب وألبسته بدلة ونصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه وقالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فأجابها بهذه الابيات

تقول وقد رأت فى الحرب أختى * لوامع غرتى مثل الشعاع * ألا لله درك من شجاع
تذل لحربه أسد البقاع * فقلت لها سلى الابطال عنى * اذا ما فر أرباب القراع
انا المعروف فى سعدى وجدى * وعزمى قد علا اى ارتفاع * أيا حماد قد نازلت ليثا
* يريك الموت يسعى كالافاعى *

فلما سمعت شعره حرت فى أمرى ونظرت الى حالتى وما صرت اليه من الاسر وتصاغرت الى نفسى ثم نظرت الى الجارية أخت الشاب والى حسنها فقلت فى نفسى هذه سبب الفتنة وصرت أتعجب من جمالها وأجريت العبرات وأنشدت هذه الابيات

خليلى كف عن لومى وعذلى * فانى للملامة غير واع * كلفت بغادة لم تبد الا
دعتنى فى محبتها الدواعى * أخوها فى الهوى أمسى رقيبى * وصاحب همة وطويل باع

ثم ان الجارية أحضرت لاخيها الطعام فدعانى الى الاكل معه ففرحت وأمنت على نفسى من القتل ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت له آنية المدام ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب فى رأسه واحمر وجهه فالتفت الى وقال لى ويلك يا حماد انا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك ثم حيانى بقدح شربته وحيانى بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمنى وحلفنى انى لا اخونه فحلفت له الفا وخمسمائة يمين انى لا اخونه قط بل اكون له معينا فعند ذلك امر اخته ان تأتينى بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدى وامرها ان تأتينى بناقة من احسن النياق فأتتنى بناقة محملة من التحف وازاد وامرها ان تحضر لى الحصان الاشقر فأحضرته لى ثم وهب لى جميع ذلك واقمت عندهم ثلاثة ايام فى اكل وشرب والذى قد اعطاه لى موجود عندى الى الآن وبعد الثلاثة ايام قال لى يا اخى يا حماد اريد ان انام قليلا لاريح نفسى وقد استأمنت على نفسى وان رايت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بنى ثعلبة يطلبون حربى ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق فى النوم وسوس الى ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة فأطاحت رأسه عن جثته فعلمت بى اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الابيات

الى الاهل بلغ ان ذا أشأم الخبر * ومالامرئ مما الحكيم قضى مفر
وأنت صريع يا اخى متجندل * ووجهك يحكى حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيتهم * ورمحك من بعد اطراد قد انكسر
وبعدك لا يرتاح للخيل راكب * ولا تلد الانثى نظيرك من ذكر
واصبح حماد لك اليوم قاتلا * وقد خان ايمانا وبالعهد قد غدر
يريد بهذا ان ينال مراده * لقد كذب الشيطان فى كل ما امر

فلما فرغت من شعرها قالت لى يا ملعون الجدين لماذا قتلت اخى وخنته وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد والهدايا وكان مراده ايضا ان يزوجنى لك فى اول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه فى الارض وطرفه فى صدرها واتكأت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لا ينفعنى الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء واخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلى ومن خوفى وعجلتى لم التفت الى احد من أصحابى ولا دفنت الصبية ولا الشاب

وهذه

وهذه الحكاية أعجب من حكايتى الاولى مع البنت الخدامة التى خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوى هذا الكلام تبدل النور فى عينها بالظلام * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة * قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من البدوى هذا الكلام تبدل الضياء فى عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوى حمادا على عاتقه فأطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لاى شىء استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذى فسح فى اجلى حتى اخذت ثارى بيدى ثم انها امرت العبيدان يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلاثة وكان احدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك انت فأصدقنا فى حديثك قال انا اسمى الغضبان واخبرهم بما وقع له مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذى احيانى واخذت ثارى بيدى واخبرهم ان دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذى اسمه الغضبان وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذى اكتراه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذى فى دمشق الشام فذهب به والقاه فى المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له اخبرنا انت بخبرك واصدق فى حديثك فحكى لهم جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف على ان يوصله الى الشام ويرميه فى المارستان وكيف جاء له اهل بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد ان رماه فى مستوقد الحمام فلما أتم كلامه اخذ السلطان كان ما كان السيف وضرب به فرمى عنقه وقال الحمد لله الذى احيانى حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابى فاننى قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدى السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقى علينا الا العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فانها سبب هذه البلايا حيث اوقعتنا فى الرزايا ومن لنا بها حتى نأخذ منها الثار ونكشف العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ما كان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين واسر ملوكهم وقال اريد ان تحضرى عندى من كل بد انت والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من اكابر النصارى من غير عسكر فان البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هى والملكة صفية ام نزهة الزمان ومن صحبهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول واخبرهم بحضورها فقال رومزان المصلحة تقتضى ان نلبس اللبس الافرنجى ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا لباس الافرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا أنى أعرفكم لقلت انكم افرنج ثم ان الملك رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون العجوز فى ألف فارس فلما وقعت العين فى العين ترجل رومزان عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على اضلاعها حتى كاد ان يقصفها فقالت ما هذا فلم يتم كلامها حتى نزل اليهما كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجوارى والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وأمرهم رومزان ان يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهى الملقبة بذات الدواهى وعلى رأسها طرطور أحمر مكلل ببروث الحمير وقدامها مناد ينادى هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى

أولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى أصحابها ماجرى لها أسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ما كان وعمرو من ان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وأمروا الكتاب أن يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم وأقاموا بقية الزمان في ألذ عيش وأهناه الى ان أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى الينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وولده كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد أشتهي أن تحكي لي شيأ من حكاية الطيور فقالت حبا وكرامة فقالت لها أختها لم أر الملك في طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة وأرجو أن تكون عاقبتك معه محمودة * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية تتعلق بالطيور﴾

﴿فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان طاوس يأوي الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش غير أنه كثير الاشجار والانهار وذلك الطاوس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان في طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا في تلك الجزيرة وأكلا من اثمارها وشربا من انهارها فبينما هما كذلك واذا ببطة اقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التي عليها الطاوس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاوس في ان تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت انني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بني آدم فقال لها الطاوس لا تخافي حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذي فرج عني همي وغمي بقربكما وقد أتيت راغبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاوس وقالت لها أهلا وسهلا ومرحبا لا بأس عليك ومن اين يصل الينا ابن آدم ونحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمن البر لا يقدر أن يصل الينا ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا فأبشري وحدثينا بالذي نزل بك واعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمي ايتها الطاوسة اني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لا ارى مكروها فنمت ليلة من الليالي فرايت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني واخاطبه وسمعت قائلا يقول ايتها البطة احذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولا بما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمي أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمي الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وأنا الى الآن لا ينشرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يأت على آخر النهار الا وقد ضعفت قوتي وبطلت همتي ثم اني اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطري متكدر وقلبي مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا أصفر اللون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحا شديدا وأعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح علي وقال لي اقربي مني فلما اقتربت منه قال لي ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمي بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك أن والدي

الاسد له أيام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق أني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا أسد اني قد لجأت اليك في أن تقتل ابن آدم وتجزم رأيك في قتله فاني أخاف على نفسي منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفي من خوفك من ابن آدم مع أنك سلطان الوحوش ومازلت يا أختي أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه وفرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وأنا أمشي وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرغ فلما رآه الاسد صاح عليه فأتى اليه خاضعا فقال له أيها الحيوان الخفيف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال يا ابن السلطان أنا جنسي حمار وسبب قدومي الى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال له الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفي أن يعمل حيلة علي ويركبني لان عنده شيأ يسميه البرذعة فيجعلها على ظهري وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطني وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيأ يسميه اللجام فيجعله في فمي ويعمل لي منخاسا ينخسني به ويكلفني ما لا أطيق من الجري واذا عثرت لعنني واذا نهقت شتمني وبعد ذلك اذا كبرت ولم أقدر على الجري يجعل لي رحلا من الخشب ويسلمني الى السقائين فيحملون المياه على ظهري من البحر في القرب ونحوها كالجرار ولا أزال في ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرموني فوق التلال للكلاب فأي شيء أكبر من هذا الهم وأي مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعت أيتها الطاوسة كلام الحمار اقشعر جسدي من ابن آدم وقلت للشبل يا سيدي ان الحمار معذور وقد زادني كلامه رعبا على رعبي فقال الشبل للحمار الى أين أنت سائر فقال له الحمار اني نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها أنا أريد أن انطلق ولم ازل أجري من شدة خوفي منه فعسى أجد لي موضعا يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك الكلام وهو يريد أن يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الاسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال يا سيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وأنت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وأنا مع صغر جسمي قد عزمت على أن ألتقي مع ابن آدم فأبطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها في وطنها وها أنت لما أتيت في هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك وأرجعتني عما أردت ان افعله فاذا كنت انت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات ان اغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيأ يقال له الشكال ويضع في اربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني من رأسي في وتد عال وابقى واقفا وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا انام واذا اراد ان يركبني يعمل لي شيأ في رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهري شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطي ويضع في فى شيأ من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهري على السرج

يمسك الصرع بيده ويقودنى ويهمزنى بالركاب فى خواصرى حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما اقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهرى ولم اقدر على سرعة الجرى يبيعنى للطحان ليدورنى فى الطاحون فلا أزال دائرا فيها ليلا ونهارا الى أن اهرم فيبيعنى للجزار فيذبحنى ويسلخ جلدى وينتف ذنبى ويبيعهما للغرابلى والمناخلى ويسلى شحمى فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو فى اثرى فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام واذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليه فى الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن انه ابن آدم فأراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما انا يا اختى مع الشبل فى هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين ايادى الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وانت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواه لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع فى انفى خيطا ويسميه خزاما ويجعل فى رأسى مقودا ويسلمنى الى اصغر اولاده فيجرنى الولد الصغير بالخيط مع كبرى وعظمى ويحملوننى اثقل الاحمال ويسافرون بى الاسفار الطوال ويستعملوننى فى الاشغال الشاقة آناء الليل واطراف النهار واذا كبرت وشخت او انكسرت فلم يحفظ صحبتى بل يبيعنى للجزار فيذبحنى ويبيع جلدى للدباغين ولحمى للطباخين ولا تسأل عما اقاسى من ابن آدم فقال له الشبل اى وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتى عند انصرافى فلا يجدنى فيسعى فى طلبى فدعنى يا ابن السلطان حتى أهج فى البرارى والقفار فقال الشبل تمهل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف أفترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان انا خائف عليك فانه مخادع ماكر ثم أنشد قول الشاعر

اذا حل الثقيل بأرض قوم ※ فما للساكنين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل فى هذا الكلام واذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول فى مشيه وما زال يمشى حتى قرب من الشبل فلما رايته يا اختى وقعت من شدة الخوف واما الشبل فانه قام ومشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجار فى وجهه وقال بلسان فصيح ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اسعد الله مساءك ومسعاك وزاد فى شجاعتك وقواك اجرنى مما دهانى وبشره رمانى لانى ما وجدت لى نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدى الاسد وبكى وان واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له اجرتك مما تخشاه فمن الذى قد ظلمك وما انت تكون ايها الوحش الذى ما رايت عمرى مثلك ولا احسن صورة وافصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش اما انا فنجار واما الذى ظلمنى فانه ابن آدم وفى صباح هذه الليلة يكون عندك فى هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لأسهرن فى هذه الليلة الى الصباح ولا أرجع الى والدى حتى أبلغ مقصدى ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انى أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر ان أكسر بخاطرك لانى ذو مروءة وأظن انك لا تقدر ان تماشى الوحوش فاخبرنى الى اين تذهب فقال له النجار اعلم اننى رائح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما

وارسل

وأرسل الى رسولا من الوحوش لأصنع له بيتا يسكن فيه ويأوى اليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل اليه احد من بنى آدم فلما جاءنى الرسول أخذت هذه الالواح وتوجهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتى لا بدأن تصنع لى هذه الالواح بيتا قبل أن تصنع للفهد بيته واذا فرغت من شغلى فامض الى الفهد واصنع له مايريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له ياسيد الوحوش ما اقدر ان أصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد مايريد ثم أجىء الى خدمتك وأصنع لك بيتا يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الالواح بيتا ثم ان الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد ان يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يانجار انك ضعيف ومالك قوة فأنت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك فى وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيها ثقبا كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل فى هذا البيت من هذه الطاقة لأقيسه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خارجا ثم أراد الشبل ان يتأخر الى ورائه ويخرج فقال له النجار امهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم ان النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة وسمره وعاجله فصاح الشبل قائلا يانجار ماهذا البيت الضيق الذى صنعته لى دعنى أخرج منه فقال له النجار هيهات هيهات لا ينفع الندم على مافات انك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل انك وقعت فى القفص وكنت أخبث الوحوش فقال له يا أخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به فقال له النجار اعلم يا كلب البر انك وقعت فيما كنت تخاف منه وقدر مالك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا أختى علم انه ابن آدم الذى حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وتحققت أنه هو بلاشك ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفا عظيما وبعدت عنه قليلا وصرت أنتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا أختى ابن آدم حفر حفرة فى هذا المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة وألقى عليه الحطب وأحرقه بالنار فكبر يا أختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاوسة من البطة هذا الكلام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة ﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الطاوسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا أختى انك أمنت من ابن آدم لاننا فى جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا الى أن يسهل الله امرك وأمرنا قالت أخاف ان يطرقنى طارق والقضاء لا ينفك عنه آبق فقالت اقعدى عندنا وأنت مثلنا ولا زالت بها حتى قعدت وقالت يا أختى أنت تعلمين قلة صبرى ولولا انى رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاوسة ان كان على جبيننا شىء نستوفيه وان كان أجلنا دنا فمن يخلصنا وان تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها فبينما هما فى هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبى فاطمأنت البطة والطاوسة ثم قالت البطة يا أختى ان الذى تفزعين منه ظبى وها هو قد أقبل نحونا فليس

علينا منه بأس لان الظبي اغا يأكل الحشائش من نبات الارض وكما أنت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش فاطمئني ولاتهتمي فان الهم ينحل البدن فلم تتم الطاوسة كلامها حتى وصل الظبي اليهما يستظل تحت الشجرة فلما رأى الطاوسة والبطة سلم عليهما وقال لهما انى دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم ارا كثر منها اخصابا ولا أحسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاوسة تودده اليهما أقبلتا عليه ورغبتا فى عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة فى البحر فأرست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأوا الظبي والطاوسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم فشرد الظبي فى البرية وطارت الطاوسة فى الجو فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاوسة ماجرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا أرى الآفات الا مراصدة لكل أحد ولولا هذه السفينة ماحصل بيني وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاوسة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت المقام فى تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول

ان يوم الفراق قطع قلبي * قطع الله قلب يوم الفراق

وأنشدت أيضا

تمنيت الوصال يعود يوما * لأخبره بما صنع الفراق

فاغتم الظبي غما شديدا ثم رد عزم الطاوسة عن الرحيل فأقامت معه فى تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاوسة يا أختى قد علمت أن الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه فقالت قد علمت يقينا أن ماقتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها انى أخاف عليك من تركك التسبيح لان كل ماخلقه الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاوسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لايفتر عنه ساعة وقد قيل ان الظبي يقول فى تسبيحه سبحان الديان ذى الجبروت والسلطان وورد أن بعض العباد كان يتعبد فى بعض الجبال وكان يأوى الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوى الى غير الجبل الذى فيه العابد وكان السبب فى اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول فى تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وبانى السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام فى أرغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق فى المدن والقرى والجبال وقيل انه كان فى بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بألبانها وأصوافها وكان ذلك الجبل الذى يأوى اليه الراعى كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ولا على غنمه ولم يزل مقيما فى الجبل مطمئنا لايهمه شيء من أمر الدنيا لسعادته واقباله على عبادته فاتفق له أنه مرض مرضا شديدا فدخل كهفا فى الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوى بالليل الى الكهف فأراد الله أن يمتحن ذلك الراعى ويختبره فى طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك فى صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذى دعاك الى المجيء ههنا وليس لك حاجة معي ولا بيني وبينك مايوجب

دخولك

دخولك عندى فقالت له أيها الانسان أما ترى حسنى وجمالى وطيب رائحتى أما تعلم حاجة الرجال الى النساء فما الذى يمنعك منى وقد اخترت قربك وأحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا أحد نخشاه وأريد أن أقيم معك طول مقامك فى هذه الجبال وأكون أنيسة لك وقد عرضت نفسى عليك لأنك تحتاج لخدمة النساء وأنت ان باشرتنى زال عنك مرضك وعادت اليك صحتك وندمت على مافاتك من قرب النساء فى سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصيحتى وادن منى فقال الراعى اخرجى عنى أيتها المرأة الخداعة الغدارة فلا أركن اليك ولا أدنو منك ولا حاجة لى بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد فى الآخرة ومن رغب الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك فقالت له أيها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد أقبل بوجهك الى وانظر الى محاسنى واغتنم قربى كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا أكثر منك تجربة وأصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا مارفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء وقربهن فما أساءهم ذلك فى دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة أمرك فقال الراعى ان الذى تقولينه كرهته وجميع ماتبدينه زهدته لانك خداعة غدارة لاعهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك أخفيته وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته الى الندامة والحزن فارجعى عنى أيتها المصلحة نفسها الفساد غيرها ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج الى السماء وكان بالقرب من الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى فى منامه كأن قائلا يقول له بالقرب منك فى مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائرا فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين جارية فجلس فى ظل تلك الشجرة ليستريح فبينما هو جالس واذا بوحوش وطيور أتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد فى نفسه أنا ما استرحت هنا الا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتبا لنفسه لقد أضر بهذه الحيوانات فى هذا اليوم جلوسى فى هذا المكان فما عذرى عند خالقى وخالق هذه الطيور والوحوش فانى كنت سببا لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فوا خجلتى من ربى يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات وانشد هذه الابيات

أما والله لو علم الانام * لما خلقوا لما غفلوا وناموا * فموت ثم بعث ثم حشر
وتوبيخ وأهوال عظام * ونحن اذا نهينا أو أمرنا * كأهل الكهف أكثرنا نيام

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى هائما على وجهه حتى أتى الى الراعى فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال الراعى ما الذى أقدمك الى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس على فقال العابد انى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويأمرنى بالمسير اليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلا لما أمرت به فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجلس معه فى الجبل يعبدان الله تعالى فى ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين الى أن أتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما قال الملك لقد زهدتنى يا شهرزاد فى ملكى وندمتنى على مافرط منى فى قتل النساء والبنات فهل عندك شئ من حديث الطيور قالت نعم زعموا أيها الملك أن طيرا طار وعلا الى الجو ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف على الصخرة واذا برمة انسان جرها

الماء حتى أسندها الى الصخرة ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال فى نفسه ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسورا وعقبانا أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لا صبر لى على الاقامة فى هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه الى حين نفاد تلك الجيفة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا فى وسطه شجرة فنزل عليها كئيبا حزينا على بعده عن وطنه وقال فى نفسه لم تزل الاحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله الىّ فصار فرحى غما وسرورى حزنا وهما وافترستها سباع الطير منى وحالوا بينها وبينى فكيف أرجو أن أكون سالما فى هذه الدنيا وأطمئن اليها * وقد قيل فى المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها ويحثوا عليه التراب أعز الناس عليه وأقربهم اليه وما للفتى خير من الصبر على مكارهها وقد فارقت مكانى ووطنى وكنت كارها الفرقة اخوانى وأصحابى فبينما هو فى فكرته واذا بذكر من السلاحف أقبل منحدرا فى الماء ودنا من طير الماء وسلم وقال يا سيدى ما الذى أبعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما أحسن قول بعض الشعراء

اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

فقال له السلحف اذا كان الامر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لا أزال بين يديك ولا أفارقك لأقضى حاجتك وأوفى بخدمتك فانه يقال لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدلها شئ من المصائب ومما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة والصبر على الرزية والكربة وأرجو أن تحمد صحبتى لك وأكون لك خادما ومعينا فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت فى قولك ولعمرى انى وجدت للفراق ألما وغما مدة بعدى عن مكانى وفراقى لاخوانى وخلانى لان فى الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر واذا لم يجد الفتى من يسليه من الاصحاب ينقطع عنه الخير أبدا ويثبت له الشر سرمدا وليس للعاقل الا التسلى بالاخوان عن الهموم فى جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع فى كل أمر فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك وما زالا يتحدثان مع بعضهما الى أن قال طير الماء للسلحف أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف فى مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الا عظاما فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل الى السلحف أخبره بما رأى وقال له انى أحب الرجوع الى مكانى وأتملى بخلانى فانه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين وأنشد هذين البيتين

ولرب نازلة يضيق لها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

ثم سكن فى تلك الجزيرة فبينما طير الماء فى أمن وسرور وفرح وحبور اذ ساق القضاء اليه بازا جائعا فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل انه كان يقول فى تسبيحه سبحان ربنا فيما اقدر ودبر سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر هذا ما كان من حديث الطير فقال الملك ياشهرزاد لقد زدتنى بحكايتك مواعظ واعتبارا فهل عندك شىء من حكايات الوحوش فقالت اعلم أيها الملك أن ثعلبا وذئبا ألفا وكرا فكانا يأويان اليه مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهرا فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالانصاف وترك الشر والاعتساف فانه أهنأ لطعامك فلم يقبل الذئب قوله وأغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام فى عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشيا عليه فلما أفاق تبسم فى وجه الذئب واعتذر اليه من الكلام الشين وأنشد هذين البيتين

ان كنت قد أذنبت ذنبا سالفا * فى حبكم وأتيت شيأ منكرا
أنا تائب عما جنيت وعفوكم * يسع المسئ اذا أتى مستغفرا

فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه أشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فأنا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عما لا تسئل عنه ولا تجب الى ما لا تدعى اليه وذر الذى لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذل النصيحة للاشرار فانهم يجزونك عليها شرا فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم فى وجهه ولكنه أضمر له مكرا وقال لا بد أن أسعى فى هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فانه صبر على أذى الذئب وقال فى نفسه ان البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان فى الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والآداب اشرف الاكساب ومن الرأى مداراة هذا الباغى ولا بد له من مصرع ثم ان الثعلب قال للذئب ان الرب يعفو ويتوب على عبده ان اقترف الذنوب وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت فى نصحك التعسيف ولو علمت بما حصل لى من ألم لطمتك لعلمت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكنى لا أشتكى من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لى بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت منى مبلغا عظيما عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب أوله صعب شديد وآخره أحلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتى على حذر واعترف لى بالعبودية فقد علمت قهرى لمن عادانى فسجد له الثعلب وقال له أطال الله عمرك ولا زلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مصانعا له ثم ان الثعلب ذهب الى كرم يوما فرأى فى حائطه ثلمة فأنكرها وقال فى نفسه ان هذه الثلمة لا بد لها من سبب وقد قيل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه ويتوق عن الاقدام عليه كان بنفسه مغررا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم ويقدم اليه العنب فى الاطباق لاجل أن يرى ذلك ثعلب آخر فيقدم اليه فيقع فى الهلاك وانى أرى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل ان الحذر نصف الشطارة ومن الحذر أن ابحث عن هذه الثلمة وأنظر لعلى أجد عندها أمرا يؤدى الى التلف ولا يحملنى الطمع على أن ألقى نفسى فى الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآها فاذا هى حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذى يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقا

فتأخرعنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وأرجو أن يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي فأستقل بالكرم وحدي وأعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا وأطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

ليتني أبصرت هذا السوقت في ذى البئر ذئبا * طالما قد ساء قلبي * وسقاني المر غصبا
ليتني من بعد ذا أبقى ويقضي الذئب نحبا * ثم يخلو الكرم منه * وأرى لى فيه منهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى وصل الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيأ لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال انى انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب فى قول الثعلب وادركه الشره فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تضرب باعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الاحسان فأقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزوال الهم والترح وأطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

رق الزمان لحالتي * ورثى لطول تحرقي وأنالني ما أشتهي * وأزال عما اتقي
فلأصفحن عما جنا * ه من الذنوب السبق حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقي
فالذئب ليس له خلا * ص من هلاك موبق والكرم لي وحدي وما * لى من شريك احمق

ثم انه تطلع فى الحفرة فرأى الذئب يبكي ندما وحزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له أمن رحمتك لى بكيت يا ابا الحصين قال لا والذي قذفك فى هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضى وأسفا على كونك لم تقع فى هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعي بك لكنت أرحت واسترحت ولكن أبقيت الى أجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له أيها الذئب رح أيها المسىء فى فعلك لو الدتى وأخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى فقال له الثعلب لقد أوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل ان صاحب المثل يقول من لم يفكر فى العواقب لم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا أبا الحصين انما كنت تظهر محبتي وترغب فى مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد على بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان أجره على الله وقد قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

فقال له الثعلب يا أجهل السباع وأحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وأنت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

فقال له الذئب يا أبا الحصين لا تؤاخذني بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من حسن الذخائر وما أحسن قول الشاعر

بادر بخير اذا ما كنت مقتدرا * فليس فى كل حين أنت مقتدر

ومازال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شىء تخلصنى به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الذئب الماكر المخادع الغادر لا تطمع فى الخلاص فان هذا جزاء لقبيح فعلك وقصاص ثم ضحك بالشدقين وأنشد هذين البيتين

لا تكثرن خداعى * فلن تنال منالا * مارمت منى محال * زرعت فاحصد وبالا

فقال الذئب للثعلب يا حليم السباع أنت عندى أوثق من ان تتركنى فى هذه الحفرة ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين يا من أياديه عندى غير واحدة * ومن مواهبه تنمو عن العدد

ما نابنى من زمانى قط نائبة * الا وجدتك فيها آخذا بيدى

فقال الثعلب أيها العدو الأحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الأنفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وعلقت لك لا رغبة فى احسانك والآن نزلت بك الرجفة وحصلت بك النقمة وأنشد هذين البيتين

يا أيها الملتمس الخديعه * وقعت فى نيتك الشنيعه

فذق وبال المحنة الفظيعه * وكن مع الذئاب فى قطيعه

فقال له الذئب أيها الحكيم لا تكن بلسان العداوة ناطقا وبعينها محدقا وكن وافيا بعهد ائتلافى قبل ان يفوت وقت التلافى وقم وتسبب لى فى حبل تشد طرفه فى شجرة وتدلى طرفه الآخر الى حتى أتعلق به لعلى أنجو مما أنا فيه وأدفع لك جميع ما حوته يدى من الذخائر فقال الثعلب لقد أكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا ترج منى نجاة نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما تضمره لى من الغدر والمكر وأين أنت من الرجم بالحجارة واعلم بأن ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فقال له الذئب يا أبا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم أن من خلص نفسا من الهلاك فقد أحياها ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء تكرهه ولا فساد أظهر من كونى فى تلك الحفرة أتجرع غصص الموت وأنظر الى الهلاك وأنت قادر على خلاصى من الارتباك فقال له الثعلب أيها الفظ الغليظ انى أشبهك فى حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يوما كرما لآكل من عنبه فبينما أنا فيه اذ رأيت بازا انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه البازو ناداه أيها الجاهل انى رأيتك فى البرية جائعا فرحمتك والتقطت لك حبا وأمسكتك لتأكل فهربت منى ولم أعرف لهروبك وجها الا الحرمان فاظهر وخذ ما أتيتك من الحب فكله هنيأ مريئا فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج اليه فأنشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل أهذا الذى ذكرت أنك أتيتنى به من البرية وقلت لى كله هنيأ مريئا فكذبت على جعل الله ما تأكله من لحمى فى جوفك سما قاتلا فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم أيها الذئب ان من حفر لأخيه قليبا وقع فيه قريبا وأنت غدرت بى أولا فقال الذئب للثعلب دعنى من هذا المقال وضرب الامثال ولا تذكر لى ما سلف منى من قبيح الفعال يكفينى ما أنا فيه من سوء الحال حيث وقعت فى ورطة يرثى لى منها العدو فضلا عن الصديق وانظر لى حيلة أتخلص بها وكن فيها غياثى وان كان عليك فى ذلك مشقة فقد يحتمل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسى فيما فيه نجاته العطب وقد قيل ان الصديق الشفيق خير من الاخ الشقيق وان تسببت فى نجاتى لأجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لأعلمنك من الحيل

الغريبة ماتقتحم به الكروم الخصيبة وتجنى الاشجار المثمرة فطب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن ما قالته العلماء في كثير الجهل مثلك قال الذئب وماقالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن غليظ الجثة غليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل لان قولك أيها الماكر الاحمق قد يحمل الصديق المشقة في تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفتني بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك مع خيانتك أحسبتني لك صديقا وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد من رشق السهام ان كنت تعقل وأما قولك انك تعطيني من الآلات ما يكون عدة لي وتعلمني من الحيل ما أصل به الى الكروم المخصبة وأجتني به الاشجار المثمرة فمالك أيها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما أبعدك من المنفعة لنفسك وما أبعدني من القبول لنصيحتك فان كان عندك حيل فتحيل لنفسك في الخلاص من هذا الامر الذي اسأل الله ان يبعد خلاصك منه فانظر ايها الجاهل ان كان عندك حيلة تخلص نفسك بها من القتل قبل ان تبذل التعليم لغيرك ولكنك مثل انسان حصل له مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك ان اداويك من مرضك فقال له الرجل هلا بدأت بنفسك في المداواة فتركه وانصرف وأنت ايها الذئب كذلك فالزم مكانك واصبر على ما أصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انه لا خير له عنده فبكى على نفسه وقال كنت في غفلة من امرى فان خلصني الله من هذا الكرب لأتوبن من تجبرى على من هو أضعف مني ولألبسن الصوف ولأصعدن الجبل ذاكرا لله تعالى خائفا من عقابه وأعتزل سائر الوحوش ولأطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له قلب الثعلب وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفيرة ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه في الحفيرة فعند ذلك قام الذئب ومد يده الى ذنب الثعلب وجذبه اليه فصار في الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بي وقد كنت صاحبي وتحت قهرى وقد وقعت معي في الحفيرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحد كم أخاه برضاع كلبة لارتضعها وما أحسن قول الشاعر

اذا ما الدهر جر على أناس * كلا كله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب فلابد أن أعجل قتلك قبل ان ترى قتلي فقال الثعلب في نفسه انى وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج الى المكر والخدائع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها اليوم الزينة وفي المثل ما ذخرتك يا دمعتي الا لشدتي وان لم أتحيل في أمر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة وما أحسن قول الشاعر عش بالخداع فأنت في * زمن بنوه كاسد بيشة * وأدر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشة * واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشة

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل على بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدى الذي قصدته وان عجلت بقتلي فلا فائدة لك فيه وغوت جميعا ههنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي وسلامتك حتى تسألني التمهيل عليك فأخبرني بقصدك الذي قصدته فقال له الثعلب أما قصدى الذي قصدته فما ينبغي ان تحسن عليه مجازاتي لاني سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الاذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم أظفارك وتكسير أنيابك وان تلبس الصوف وتقرب القربان

القربان لله تعالى ان نجاك مما أنت فيه فأخذتنى الشفقة عليك مع أننى كنت على هلاكك حريصا فلما سمعت منك توبتك وما نذرت على نفسك ان نجاك الله زمنى خلاصك مما أنت فيه فأدليت اليك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التى أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتنى جذبة ظننت منها ان روحى قد خرجت فصرت انا وأنت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى أنا وأنت الا شئ ان قبلته منى خلصت أنا وأنت وبعد ذلك يجب عليك ان تفى بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذى أقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اعلو انا فوق راسك حتى اكون قريبا من ظاهر الارض فانى حين اصير فوقها اخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص انت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئا وقيل من وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما احسن قول الشاعر

لا يكن ظنك الا سيأ * ان سوء الظن من اقوى الفطن
ما رمى الانسان فى مهلكة * مثل فعل الخير والظن الحسن

وقول الآخر

الزم يقينك سوء الظن تنج به * من عاش مستيقظا قلت مصائبه
والق العدو بوجه باسم طلق * وانصب له فى الحشى جيشا يحاربه

وقول الآخر

اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالأيام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل

فقال له الثعلب ان سوء الظن ليس محمودا فى كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغى لك ايها الذئب ان تحتال على النجاة مما انت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان احسنت الظن بى لا اخلو من احد امرين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما انت فيه واما ان اغدر بك فاخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فانى لا آمن ان ابتلى بشئ مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل فى الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغى ان تثق بى فانى لم أكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر أضيق من ان نطيل فيه الكلام فقال الذئب انى مع قلة ثقتى بوفائك قد عرفت ما فى خاطرك من انك أردت خلاصى لما عرفت توبتى فقلت فى نفسى ان كان محقا فيما زعم فانه يستدرك ما أفسد وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها أنا اقبل منك ما أشرت به على فان غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما فى الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الارض ووقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلى لا تغفل عن أمرى ولا تؤخر خلاصى فضحك الثعلب وقهقه وقال أيها المغرور لم يوقعنى فى يدك الا المزح معك والسخرية بك وذلك انى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبى فى الحفرة فجذبتنى فوقعت عندك ثم أنقذنى الله تعالى من يدك فمالى لا أكون عونا على هلاكك وأنت من حزب الشيطان واعلم انى رأيت البارحة فى منامى انى أرقص فى عرس فقصصت الرؤيا على معبر فقال لى انك تقع فى ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل انى عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى انقاذى اياك مع ما سمعت من غلظ كلامك وكيف أسعى فى نجاتك وقد قالت العلماء ان فى موت الفاجر راحة للناس وتطهيرا للارض ولولا مخافة أن احتمل من الالم فى الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر لتدبرت فى خلاصك

فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندما * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك وقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانا وألطفهم مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب أيها الجاهل ان للمزاح حدا لا يجاوزه صاحبه فلا تحسب أن الله يمكنك مني بعد ان انقذني من يديك فقال له الذئب انك لجدير أن ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة وان خلصتني لا بد ان أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قالت الحكماء لا تواخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولا يزينك ولا تواخ الكذاب فانه ان بدا منك خير أخفاه وان بدا منك شر أفشاه وقالت الحكماء لكل شيء حيلة الا الموت وقد يصلح كل شيء الا فساد الجوهر وقد يدفع كل شيء الا القدر وأما من جهة المكافأة التي زعمت اني أستحقها منك فاني شبهتك في مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوي اذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال لها ما شأنك أيتها الحية قالت هربت من الحاوي فانه يطلبني ولئن أنجيتني منه وأخفيتني عندك لاحسن مكافأتك وأصنع معك كل جميل فأخذها اغتناما للاجر وطمعا في المكافأة وأدخلها في جيبه فلما فات الحاوي ومضى الى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية أخبرني في أي عضو أنهشك وقد علمت أننا لا نتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وأنت أيها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل أما سمعت قول الشاعر

لا تأمنن فتى أسكنت مهجته * غيظا وتحسب ان الغيظ قد زالا
ان الافاعي وان لانت ملامسها * تبدي انعطافا وتخفي السم قتالا

فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت اني أهجم على الحصون وأقلع الكروم فافعل ما أمرتك به وقم بي قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل اني تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأنني عبد لك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شدخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكروم ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر أصحاب الكرم في الحفرة فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وأنشد هذه الابيات

أودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت * بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت
فكم سعيت أبا سرحان في تلفي * فاليوم حلت بك الآفات والنهبت
وقعت في حفرة ما حلها أحد * الا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم ان الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب (ومما يحكى) ان فأرة وبنت عرس كانا ينزلان منزلا لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيرا وقد مرض بعض أصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدرا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها باصلاحه فقشرته تلك المرأة وأصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت أكثره وجاءت المرأة

فرأت

فرأت نقصان السمسم وانها لخلست ترصد من يأتي اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت في نفسها ان هذا الفعل عواقب ذميمة واني أخشى من تلك المرأة ان تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولا لي بد أن أعمل عملا حسنا أظهر به براءتي من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في جحرها فرأتها المرأة وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ماهذه سبب نقصه لانها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد احسنت الينا في رد السمسم وما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع وأعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة فقالت لها يا أختي انه لا خير فيمن لا يراعي المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وأنعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت أتى بسمسم فأكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه وقد أخذ منه كل ذي روح فلو أخذت انت الأخرى كنت احق به ممن يأخذ منه فأعجب الفأرة ذلك ورقصت ولعبت ذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفأرة في عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تملك الفأرة نفسها حتى دخلت في السمسم وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها من عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه حكاية مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخلص من الهلكة قالت نعم بلغني أن غرابا وسنورا كانا متواخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى أعلى الشجرة وبقي السنور متحيرا فقال للغراب يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوان عند الحاجة اليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما أحسن قول الشاعر

ان صديق الحق من كان معك ＊ ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ＊ شتت فيك شمله ليجمعك

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا فتبعته الكلاب وصارت في اثره ورفع الراعي رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لا يطير الا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها في أن تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم أن مودة اخوان الصفاء تنجي من الهلكات ﴿وحكي﴾ ان ثعلبا سكن في بيت في الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده أكله من الجوع وان لم يأكل ولده أضر به الجوع وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه أريد أن أعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على مالا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم بانك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على أن في صدري وديعة من محبتك دعتني الى ملاطفتك وبعثتني على

التماس أخوتك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب اعلم أن خير القول أصدقه وربما تحدث بلسانك بما ليس فى قلبك وأخشى أن تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعداوتك فى القلب لانك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذى دعاك الى طلب ما لا تدرك وارادة ما لا يكون وأنت من جنس الوحوش وأنا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاخلاء فأحسن الاختيار فيما يختاره منهم ربما يصل الى منافع الاخوان وقد أحببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا للبعض على أغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات فى حسن الصداقة فان أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك فى أن تبثها لتحدثنى بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلى يحكى عن برغوث وفأرة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا أن فأرة كانت فى بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فرأى بدنا ناعما وكان البرغوث عطشان فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألما فاستيقظ من النوم واستوى قاعدا ونادى بعض أتباعه فأسرعوا اليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هاربا فصادف جحر الفارة فدخله فلما رأته الفارة قالت له ما الذى أدخلك على ولست من جوهرى ولا من جنسى ولست بآمن من الغلظة عليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث انى هربت فى منزلك وفزت بنفسى من القتل وأتيتك مستجيرا بك ولا طمع لى فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك الى الخروج من منزلك وانى أرجو أن أكافئك على احسانك الى بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفارة كلام البرغوث * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الفارة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس ولا تجد الا ما يسرك ولا يصيبك الا ما يصيبنى وقد بذلت لك مودتى ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وأرض بما تيسر لك من العيش فان ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الابيات

سلكت القناعة والانفراد * وقضيت دهرى بما اتفق
بكسرة خبز وشربة ماء * وملح جريش وثوب خلق
فان يسر الله لى عيشتى * والا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفارة قال يا أختى قد سمعت وصيتك وانقدت الى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك الى أن ينقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفارة كفى بصدق المودة فى صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفارة فى مسكنها فاتفق أن التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفارة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفارة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير قال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب الغرض الا أن يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده وليس لك قوة على أخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وأنا لا طاقة لى على ذلك بل ولا على حمل دينار واحد منها فشأنك والدنانير فقالت له الفارة انى أعددت فى جحرى هذا سبعين منفذا أخرج منها متى أردت

الخروج

الخروج وأعددت للذخائر موضعاً حريزاً وان تحيلت أنت على اخراج التاجر من البيت فلست أشك فى الظفر ان ساعد فى القدر فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن جرى للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر وانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيأ فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم أنى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير العاقل الخبير الا ليصل اليك جزاء احسانك الى كما وصل للفأرة جزاء احسانها الى البرغوث فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة وكافأها أحسن المكافأة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن أولا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان أحسنت اليك مع كونك عدوى أكون قد تسببت فى قطيعة نفسى وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له وقد بلغنى من قريب أنك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع أنه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه فكيف أثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذى من غير جنسك وما مثالك معى الا مثال الصقر مع ضوارى الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضوارى الطير فقال الغراب زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الغراب قال زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا أيام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة فى ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فأجمع رأيه على أن يأتى مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت كذلك أيها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست أشك فى أن ما تطلبه من صحبتى حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده فى يدك لان الله أعطانى قوة فى جناحى وحذرا فى نفسى وبصرا فى عينى واعلم ان من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك وأنا أخاف عليك ان تشبهت بمن هو أقوى منك أن يجرى لك ما جرى للعصفور قال الثعلب وما جرى للعصفور فبالله عليك أن تخبرنى به فقال الغراب بلغنى أن عصفورا كان طائرا على مراح غنم فنظر الى المراح واذا بعقاب كبير انقض على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بمخالبه وطار فلما رآه العصفور نشر جناحه وقال أنا أفعل مثل ما فعل هذا وأعجبته نفسه وتشبه بمن هو أكبر منه فطار لوقته وانقض على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه مثل البزاق فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه فى الصوف فأراد أن يطير فلم يستطع الطيران وقد حصل كل هذا والراعى ينظر ما جرى لهما فرجع اليه الصقر غضبان فقبضه ونتف اجنحته وربط فى رجليه خيطا وأتى به الى أولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا تشبه بمن هو أعلى منه فهلك وأنت كذلك أيها الثعلب احذرك أن تتشبه بمن هو أقوى منك فتهلك هذا ما عندى من الكلام واذهب عنى بسلام فلما أيس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ورأى كآبته وحزنه قال أيها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب انما قرعت سنى لانى رأيتك

أخدع مني ثم انه ولى هاربا ورجع الى جحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك فقال
الملك يا شهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شيء مثلها من الخرافات (قالت) ويحكى أن
قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشا فى النخلة وعاشا فوقها عيشا رغدا
فقال القنفذ فى نفسه ان الورشان يأكل من ثمر النخلة وأنا لا أجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال
الحيلة ثم حفر فى أسفل النخلة بيتا واتخذه مسكنا له ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه وأظهر النسك
والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال كم سنة وأنت
هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع
بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل أن أرشد الضال
واعلم الجاهل فقال له الورشان كنت أظن أنك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك
فقال القنفذ انى أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذى لما جاء وقت الزرع قصر فى بذره
وقال انى أخشى ان يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت
الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره من تخلفه ومات اسفا وحزنا فقال الورشان
للقنفذ وماذا اصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وانقطع الى عبادة ربى قال له القنفذ خذ فى الاستعداد
للمعاد والقناعة بالكفاف من الزاد فقال الورشان كيف لى بذلك وانا طائر لا استطيع ان اتجاوز
النخلة التى فيها قوتى ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا استقر فيه فقال القنفذ يمكنك أن تنثر من
ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام انت وزوجتك وتسكن فى وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مل
الى ما نثرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر الى كفاف
من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا حيث ذكرتنى بالمعاد وهديتنى الى الرشاد ثم تعب الورشان
هو وزوجته فى طرح الثمر حتى لم يبق فى النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر
وادخره لقوته وقال فى نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها منى وطمعا فيما عندى
وركنا الى تزهدى وورعى فاذا سمعا نصيحتى ووعظى دنيا منى فاقتنصهما وآكلهما ويخلو لى هذا المكان
وكل ما تساقط من ثمر النخلة يكفينى ثم ان الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد أن نثرا ما عليها
من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان أيها القنفذ الصالح والواعظ الناصح
انا لم نجد للثمر اثرا ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا فقال لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى
الرازق عين الفلاح فالذى شق الاشداق لا يتركها بلا أرزاق ومازال يعظهما بتلك المواعظ ويظهر
لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه واقبلا عليه ودخلا بابه وكره وأمنا من مكره فوثب
الى الباب وقرع الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له اين الليلة من البارحة اما
تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما اصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال
القنفذ وكيف ذلك قال بلغنى أن تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد أحمالا وجهز متاعا
وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيئا من مال ومتاع وأظهرا للتاجر
انهما من التجار وسارا معه فلما نزلا اول منزل اتفقا على المكر به واخذ ما معه ثم ان كل واحد منهما أضمر
المكر لصاحبه وقال فى نفسه لو مكرت بصاحبى بعد مكرنا بالتاجر لصفا لى الوقت وأخذت جميع المال
ثم اضمر البعض منهما نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاما وجعل فيه سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا
يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما أبطا عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كانا

يحتالين

فحتالين واراد المكر به فعاد عليه مامكرهما وسلم التاجر واخذ ما كانا معهما فقال الملك نبهتني ياشهرزاد على شيء كنت غافلا عنه أفلاتزيديني من هذه الامثال (قالت) بلغني ايها الملك السعيد ان رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقا لا يدخل سوقا من اسواق المدينة التي هو فيها الا ويرجع بكسب عظيم فاتفق ان رجلا حمل أثوابا مقطعة ليبيعها فذهب بها الى السوق وصار ينادي عليها فلا يسومها احد وكان لا يعرضها على احد الا امتنع من شرائها فاتفق ان السارق الذي معه القرد رأى الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم اخذ القرد وذهب الى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط ان لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل وأعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها الى زوجته فلما رأت ذلك امرأته قالت ماهذا قال متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لأبيعه وآخذ فائدته فقالت ايها المغبون أيباع هذا المتاع بأقل من قيمته الا اذا كان مسروقا أما تعلم أن من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغني أن حائكا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق ان رجلا من الاغنياء كان ساكنا قريبا منه قد أولم وليمة ودعا الناس اليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال في نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة اخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة وارتفع شأني وعظمت في اعين الناس ثم نظر الى بعض اهل الملاعب الحاضرين في الوليمة وقد صعد سورا شاهقا ثم رمى بنفسه الى الارض ونهض قائما فقال في نفسه لابد ان أعمل مثل عمل هذا ولا اعجز عنه ثم صعد الى السور ورمى نفسه فلما وصل الى الارض اندقت رقبته فمات وانما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوي الخبير بالافاعي العالم بها ربما نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذي لا معرفة له بها ولا علم عنده باحوالها ثم خالف زوجته واشترى المتاع واخذ في تلك العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة الى أن وقع في تهمة فهلك فيها وكان في زمنه عصفور يأتي كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا في جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر في أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهم ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاوس وهو الملك الذي يتردد اليه فاختاروا الطاوس وجعلوه عليهم ملكا فأحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر في الامور ثم ان العصفور غاب يوما على الطاوس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذي أخرك وأنت أقرب أتباعي الي فقال العصفور رأيت أمرا واشتبه علي فتخوفت منه فقال له الطاوس ما الذي رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت أوتادها وبذر في وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك واذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا في وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك ياملك الزمان وما بقيت أسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاوس لا ترحل من مكانك لانه لا ينفع الحذر من القدر فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك ولم يزل

العصفور حذرا على نفسه وأخذ الطعام الى الطاوس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو فى بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال فى نفسه كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل فى جوارى والله لأصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فى وسطها فقام اليه الصياد وأخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم أر أحسن منه فقال العصفور فى نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا الا الطاوس ولم ينفعنى الحذر من القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما أحسن قول الشاعر

مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته * وأخو الجهالة دائما مغبون

فقال الملك يا شهرزاد زيدينى من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة ان أبقانى الملك أعزه الله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية على بن بكار مع شمس النهار﴾

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان فى خلافة هرون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى أبا الحسن على بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوبا عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادمه وينشد عنده الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الا أنه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من أولاد ملوك العجم يقال له على بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كأنهن الأقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفى وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فلما وصلوا الى دكان أبى الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها على بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب اذا حضرنا هذا ما هو انصاف فقال والله يا سيدتى انى هارب مما رأيت وما أحسن قول الشاعر

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لابى الحسن ما اسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريب اسمه على بن بكار ابن ملك العجم والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتى فائت به عندى فقال أبو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر على بن بكار فانه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى أبى الحسن وقالت له ان سيدتى تطلبك أنت ورفيقك فنهض أبو الحسن واخذ معه على بن بكار وتوجها الى دار هرون الرشيد فأدخلتهما فى مقصورة وأجلستهما واذا بالموائد وضعت قدامهما فأكلا وغسلا أيديهما ثم أحضرت لهما الشراب فشربا

ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهي مفروشة بأنواع الفرش مزينة بأحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار أقبلن يتمايلن عجباً كأنهن الاقمار يدهشن الابصار ويحيرن الافكار واصطففن كأنهن من حور الجنان وجاء بعدهن عشر جوار أخر وبأيديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فسلمن عليهما وجعلن يضربن العيدان وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد وأقبل بعدهن عشر جوار مثلهن كواعب أتراب بعيون سود وخدود حمر مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من أنواع الحرير الملون ما يحير العقول ثم وقفن بالباب وجاء من بعدهن عشر جوار أحسن منهن وعليهن الملبوس الفاخر فوقفن بالباب أيضاً ثم خرج من الباب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها لباس أزرق وازار من الحرير بطراز من الذهب وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها علي بن بكار أنشد هذه الاشعار

ان هذي هي ابتداء سقامي * وتمادي وجدي وطول غرامي

عندها قد رأيت نفسي ذابت * من ولوعي بها وبري عظامي

فلما فرغ من شعره قال لابي الحسن لو عملت معي خيراً كنت أخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل أن أوطن نفسي وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال له أبو الحسن يا أخي أنا ما أردت لك الا الخير ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصالها فطب نفساً وقر عيناً فهي بسعدك مقبلة ولقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له أبو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي أمير المؤمنين هرون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتأمل هو حسنها واشتغلا بحب بعضهما وقد أمرت الجواري أن تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول

أعد الرسالة ثانيه * وخذ الجواب علانيه والبك يا ملك الملا * ح وقفت أشكو حاليه

مولاي يا قلبي العزيز * ويا حياتي الغاليه أنعم علي بقبلة * هبة والا عاريه

وأردها لك لا عدمت * بعينها وكما هيه واذا أردت زيادة * خذها ونفسي راضيه

يا ملبسي ثوب الضنى * يهنيك ثوب العافيه

فطرب علي بن بكار وقال لها زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وأنشدت هذه الاشعار

من كثرة البعد يا حبيبي * علمت طول البكا جفوني

يا حظ عيني ويا مناها * ومنتهى غايتي وديني

ارث لمن طرفه غريق * في عبرة الواله الحزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها أنشدي فاطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عيني تمايله

فما السلاف سلتني بل سوالفه * وما الشمول شلتني بل شمائله

لوى بعزمي اصداغ لوين له * وغال عقلي بما تحوي غلائله

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغني فأنشدت هذه الابيات

وجه لمصباح السماء مباهي * يبدو الشباب عليه مرشح مياه

رقم العذار غلالتيه بأحرف * معنى الهوى فى طيها متناهى
نادى عليه الحسن حين لقيته * هذا المنمنم فى طراز الله

فلما فرغت من شعرها قال على بن بكار لجارية قريبة منه أنشدى أنت ايتها الجارية فأخذت العود وأنشدت هذه الابيات

زمن الوصال يضيق عن * هذا التمادى والدلال
كم من صدود متلف * ماهكذا أهل الجمال
فاستغنموا وقت السعو * د بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها تنهد على بن بكار وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وأن واشتكى أحرقها الوجد والغرام وأتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما فى باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملتهما وادخلتهما القبة ورششن عليهما ماء الورد فلما افاقا لم يجدا ابا الحسن وكان قد اختفى فى جانب سرير فقالت الصبية اين ابو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله ان يقدرنى على مكافأتك ياصاحب المعروف ثم اقبلت على على بن بكار وقالت له ياسيدى مابلغ بك الهوى الى غاية الا وعندى أمثالها وليس لنا الا الصبر على ما اصابنا فقال على بن بكار والله ياسيدتى ليس جمع شملى بك يطيب ولا ينطفى اليك ماعندى من اللهيب ولا يذهب ماتمكن من حبك فى قلبى الا بذهاب روحى ثم بكى فنزلت دموعه على خده كانها المطر فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال ابو الحسن والله انى عجبت من امركما واحترت فى شأنكما فان حالكما عجيب وأمركما غريب ماهذا البكاء وانتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فأشارت شمس النهار الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامهم وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على بن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا ايديهم وجاءتهم المباخر بأنواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم أطباق من الذهب المنقوش فيها من أنواع الشراب والفواكه والنقل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام فاختارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهم عندها وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقى الجوارى الى اماكنهن وأمرت بعض الحاضرين من الجوارى أن يضربن بالعود ففعلن ماأمرت به وأنشدت واحدة منهن

بنفسى من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
لقد أبرزت أيدى الغرام سرائرى * وأظهرت للعذال مابين أضلعى
وحالت دموع العين بينى وبينه * كأن دموع العين تعشقه معى

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكاس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلى بن بكار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شمس النهار ملأت الكاس وأعطته لعلى بن بكار ثم أمرت جارية أن تغنى فأنشدت هذين البيتين

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى * فمن مثل مافى الكاس عينى تسكب
فوالله لا أدرى أبالخمر أسبلت * جفونى أم من أدمعى كنت أشرب

فلما فرغت من شعرها شرب على بن بكار كاسه ورده الى شمس النهار فملأته وناولته لابى الحسن فشربه ثم

اخذت

أخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدت الاوتار وأنشدت هذه الاشعار

غرائب الدمع في خديه تضطرب * وجدا ونار الهوى في صدره تقد
يبكي مع القرب خوفا من تباعدهم * فالدمع ان قربوا جاروان بعدوا

وقول الشاعر

نتفداك ساقيا قد كساك الحسن من فرقك المضي ءلساقك
تشرق الشمس من يديك ومن فيك الثريا والبدر من أطواقك
ان أقداحك التي تركتني * غير صاح تدار من أحداقك
أو ليس العجيب كونك بدرا * كاملا والمحاق في عشاقك
أآله تميت أنت وتحيي * بتلاقيك من تشا وفراقك
خلق الله من خليقتك الحسن وطيب النسيم من أخلاقك
لست من هذه البرية بل أنت مليك أرسلت من خلاقك

فلما سمع علي بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال واذا بجارية أقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت يا سيدتي قد وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور وغيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردي عليهم الجواب بقدر ما نتحول من هذا المكان ثم انها أمرت بغلق باب القبة وارخاء الستور على أبوابها وهم فيها وأغلقت باب القاعة ثم خرجت الى البستان وجلست على سريرها وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجواري أن يمضين الى أماكنهن وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لأي شيء جئتم فقالوا ان أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد واحب أن يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتي عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر أمير المؤمنين ثم أمرت باحضار القهرمانات والجواري فحضرن وأظهرت لهن أنها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملا في جميع أموره ثم قالت للخدام امضوا الى أمير المؤمنين وأخبروه أنني في انتظاره بعد قليل الى أن أهيئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى أمير المؤمنين ثم ان شمس النهار قلعت ودخلت الى معشوقها علي بن بكار وضمته الى صدرها وودعته فبكى بكاء شديدا وقال يا سيدتي هذا الوداع فتعيني به لعله يكون عونا على تلف نفسي وهلاك روحي في هواك ولكن أسأل الله أن يرزقني الصبر على ما بلاني به من محبتي فقالت له شمس النهار والله ما يصير في التلف الا أنا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا وأما أنا فسوف أقع في البلاء خصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقني من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي اليك وحبي لك وتعشقي فيك وتأسفي على مفارقتك فبأي لسان أغني وبأي قلب أحضر عند الخليفة وبأي كلام أنادم أمير المؤمنين وبأي نظر أنظر الى مكان ما أنت فيه وكيف أكون في حضرة لم تكن بها وبأي ذوق أشرب مداما ما أنت حاضره فقال لها أبو الحسن لا تتحيري واصبري ولا تغفلي عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ولا تريه تهاونا فبينما هم في الكلام واذا بجارية قدمت وقالت يا سيدتي جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي أبا الحسن ورفيقه واقصدي بهما أعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى الظلام ثم تحيلي في خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهما الى

الروشن وأغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها وصارا ينظران الى البستان واذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الاقمار وعليهن أفخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقدة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجواري ولاقينه من باب البستان وقبلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه الى ان جلس على السرير والذين في البستان من الجواري والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والآلات تضرب الى أن أمرهم بالانصراف والجلوس على الأسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبو الحسن ان هذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شيء من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لي أنني في المنام وقد اندهش عقلي وخفق قلبي وأما علي بن بكار فانه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحا على الارض من شدة العشق فلما أفاق صار ينظر الى هذه الفعال التي لا يوجد مثلها فقال لابي الحسن يا أخي أخشى أن ينظرنا الخليفة أو يعلم حالنا وأكثر خوفي عليك وأما أنا فاني اعلم أن نفسي من الهالكين وما سبب موتي الا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجو من الله الخلاص مما به بلينا ولم يزل علي ابن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدي الخليفة ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجواري وقال هات ما عندك يا غرام من السماع المطرب فأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان أهلها * فحنت الي بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
بأعظم من وجدي بحبي وانما * يرى أنني أذنبت ذنبا بوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشيا عليها من فوق الكرسي الذي كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر اليها علي بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال أبو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان واذا بالجارية التي أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا أبا الحسن انهض أنت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وأنا خائفة أن يظهر أمرنا فقوما في هذه الساعة والا متنا فقال أبو الحسن فكيف ينهض معي هذا الغلام ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من حديد وأخرجت أبا الحسن هو وعلي بن بكار على مصطبة ثم صفقت بيديها فجاء زورق فيه انسان يجذف فأطلعتهما الجارية في الزورق وقالت للذي في الزورق أطلعهما في ذلك البر فلما نزلا في الزورق وفارقا البستان نظر علي بن بكار الى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء تحت فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد بيننا * ولا كان هذا الزاد آخر زادي

ثم ان الجارية قالت للملاح اسرع بهما فصار يجذف لاجل السرعة والجارية معهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملاح صار يجدف لأجل السرعة والجارية معهم الى أن قطعوا ذلك الجانب وعدوا الى البر الثاني ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا في البر وقالت لهما كان قصدي أن لا أفارقكما لكنني لا أقدر أن أسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت وصار علي بن بكار مطروحا بين يدي أبي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبو الحسن ان هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام علي بن بكار يتمشى قليلا وهو لا يستطيع المشي وكان أبو الحسن له في ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به ويركن اليه منهم فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما رحب بهما وادخلهما الى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال له أبو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت وأحوجنا الى هذا الأمر انسان عاملته في دراهم وبلغني انه يريد السفر بمالي فخرجت في هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا علي بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شيء وشق علينا العود في هذا الليل ولم نر لنا محلا غير محلك فجئنا اليك على عوائدك الجميلة فرحب بهما واجتهد في اكرامهما واقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا ماشيين حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على بيت أبي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا ثم افاقا فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشا فاخرا ففعلوا ثم ان أبا الحسن قال في نفسه لا بد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فاني أدرى بأمره ثم ان علي بن بكار لما أفاق استدعى بماء فحضروا له بالماء فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وصار يسلي نفسه بالكلام فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم اليه وقال يا سيدي على الأليق بما أنت فيه أن تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال علي بن بكار افعل يا أخي ما بدا لك فاني على كل حال غير ناج مما أصابني فاصنع ما أنت صانع فقام أبو الحسن واستدعى غلمانه وأحضر اصحابه وارسل الى ارباب المغاني والآلات فحضروا وأقاموا على أكل وشرب وانشراح باقي اليوم الى المساء ثم اوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المنادمة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول

رميت من الزمان بسهم لحظ * فأصماني وفارقت الحبائب
وعاندني الزمان وقل صبري * واني قبل هذا كنت حاسب

فلما سمع علي بن بكار كلام المغنية خر مغشيا عليه ولم يزل في غشيته الى ان طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفا من عاقبة أمره فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه وسار معه أبو الحسن الى أن أدخله منزله فلما اطمأن في بيته حمد الله أبو الحسن على خلاصه في هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم ان أبا الحسن ودعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له علي بن بكار يا أخي لا تقطع عني الاخبار فقال له سمعا وطاعة ثم ان أبا الحسن قام من عنده وأتى دكانه وفتحها وصار يترقب خبرا من الصبية فلم يأته أحد بخبر فبات تلك الليلة في داره فلما أصبح الصباح قام الى ان أتى دار علي بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه واصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيئا أو يجسون يده فلما دخل أبو الحسن ورآه تبسم ثم ان ابا الحسن سلم عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ما هذا الحال فقال علي بن بكار قد شاع خبري أني مريض

وتسامع بذلك أصحابي وليس في قوة أستعين بها على القيام والمشي حتى أكذب من جعلني ضعيفا ولم أزل ماقي مكاني كما ترانى وقد أتت أصحابي الى زيارتي لكن يا أخي هل رأيت الجارية أو سمعت بخبر من عندها فقال ماجاءتني من يوم فارقتنا على شاطئ الدجلة ثم قال له ابو الحسن يا أخي احذر الفضيحة وتجنب هذا البكاء فقال علي بن بكار يا أخي لا أملك نفسي ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

نالت على يدها مالم تنله يدى * نقشا على معصم أوهت به جلدى
خافت على يدها من نبل مقلتها * فألبست يدها درعا من الزرد
جس الطبيب يدى جهلا فقلت له * ان التألم فى قلبي فخل يدى
قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
فأسقطت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

فلما فرغ من شعره قال قد بليت بمصيبة كنت فى أمن منها وليس لى أعظم راحة من الموت فقال له أبو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل ابو الحسن من عنده وتوجه الى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى اقبلت عليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها أثر الكآبة فقال لها أهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال علي بن بكار فأخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الامر ثم قالت ان حال سيدتى أعجب من ذلك فانكم لما توجهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتى مطروحة فى القبة لا تتكلم ولا ترد على أحد وأمير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل فى غشيتها الى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذى أصابك يا شمس النهار وما الذى اعتراك فى هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه وقالت له يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك انه خامرنى خلط فأضرم النار فى جسدى فوقعت مغشيا علىّ من شدة ما بى ولا أعلم كيف كان حالى فقال لها الخليفة ما الذى استعملته فى نهارك قالت أفطرت على شئ لم آكله قط ثم اظهرت القوة واستدعت بشئ من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود الى انشراحه فعاد الى الجلوس فى القبة فلما جئت اليها سألتنى عن أحوالكما فأخبرتها بما فعلت معكما واخبرتها بما أنشده علي بن بكار فسكتت ثم ان أمير المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فأنشدت هذين البيتين

ولم يصف لى شئ من العيش بعدكم * فياليت شعرى كيف حالكم بعدى
يحق لدمعى ان يكون من الدما * اذا كنتم تبكون دمعا على بعد

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأبي الحسن ان سيدتى لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها فأمسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فأفاقت فقلت لها يا سيدتى لا تهتكى نفسك وما يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبرى فقالت هل فى الامر أكثر من الموت فأنا أطلبه لأن فيه راحتى فبينما نحن فى هذا القول اذ غنت جارية بقول الشاعر

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة * فقلت وأين الصبر بعد فراقه
وقد أكد الميثاق بيني وبينه * بقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فأتى مسرعا اليها وأمر برفع الشراب وأن

تعود

تعود كل جارية الى مقصورتها وأقام عندها باقي ليلته الى أن اصبح الصباح فاستدعى الاطباء وأمرهم بعلاجها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام وأقمت عندها حتى ظننت أنه قد ان لح حالها وهذا الذي عاقني عن المجيء اليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتني بالمسير اليكما لآخذ خبر علي بن بكار وأعود اليها فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله اني اخبرتك بجميع ما كان من أمره فعودي الى سيدتك وسلمي عليها وحثيها على الصبر وقولي لها اكتمي السر وأخبريها اني عرفت أمرها وهو أمر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من أمرها * وأما ما كان من أمر أبي الحسن فانه لم يزل في دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وأقفل دكانه وأتى الى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أبا الحسن أوحشتني لتخلفك عني في هذا اليوم وروحي متعلقة بك باقي عمري فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو أمكن فداؤك كنت أفديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتني أنه ما عاقها عن المجيء الا جلوس الخليفة عند سيدتها وأخبرتني بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتأسف علي بن بكار غاية التأسف وبكى ثم التفت الى أبي الحسن وقال له بالله ان تساعدني على ما بليت به وأخبرني ماذا تكون الحيلة واني أسألك من فضلك المبيت عندي في هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل أبو الحسن أمره وأجابه الى المبيت عنده وباتا يتحدثان في تلك الليلة ثم ان علي بن بكار بكى وارسل العبرات وأنشد هذه الابيات

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفري * وفرت برمح القد درع تصبري
وجلت لنا من تحت مسكة خالها * كافور فجر شق ليل العنبر
فزعت فضرّست العقيق بلؤلؤ * سكنت فرائده غدير السكر
وتنهدت جزعا فأثر كفها * في صدرها فنظرت ما لم انظر
أقلام مرجان كتبن بعنبر * بصحيفة البلور خمسة أسطر
يا حامل السيف الصحيح اذا رنت * اياك ضربة جفنها المتكسر
وتوق يارب القناة الطعن ان * حملت عليك من القوام بأسمر

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن أبو الحسن أن روحه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فأفاق وتحدث مع أبي الحسن ولم يزل أبو الحسن جالسا عند علي ابن بكار الى ضحوة النهار ثم انصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية جاءت ووقفت عنده فلما نظر اليها أومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال علي بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد أنحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتي تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال أعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالت لا تأتيني الا بجوابها وافعلي ما أمرتك به وها هي الورقة معي فهل لك أن تسير معي الى علي بن بكار ونأخذ منه الجواب فقال لها أبو الحسن سمعا وطاعة ثم أقفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى دار علي بن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ذهب

بالجارية الى دار على بن بكار وأوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه على بن بكار فرح به فقال له أبو الحسن سبب مجيء أن فلانا أرسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على أدخلوها وأشار له أبو الحسن أنها جارية شمس النهار ففهم الاشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها له فأخذها وقبلها وقرأها وناولها الابي الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

ينبيك هذا الرسول عن خبرى * فاستغن فى ذكره عن النظر
خلفت صبا بحبكم دنفا * وطرفه لايزال بالسهر
أكابد الصبر فى البلاء فما * يدفع خلق مواقع القدر
فقر عينا فلست تبعد عن * قلبي ولا يوم غبت عن بصرى
وانظر الى جسمك النحيل وما * قد حل واستدل بالأثر

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان ونطقت لك بغير لسان وجملة شرح حالى أن لى عينا لايفارقها السهر وقلبا لايبرح عنه الفكر فكأنني قط ماعرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظرا بهيا ولا قطعت عيشا هنيا وكأنني خلقت من الصبابة ومن ألم الوجد والكآبة فعلىّ السقام مترادف والغرام متضاعف والشوق متكاثر وصرت كما قال الشاعر

القلب منقبض والفكر منبسط * والعين ساهرة والجسم متعوب
والصبر منفصل والهجر متصل * والعقل مختبل والقلب مسلوب

واعلم أن الشكوى لاتطفىء نار البلوى لكنها تعلل من أعله الاشتياق وأتلفه الفراق وانى أتسلى بذكر لفظ الوصال وما أحسن قول من قال

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

قال أبو الحسن فلما قرأتها هيجت ألفاظها بلابلى وأصابت معانيها مقاتلى ثم دفعتها الى الجارية فلما أخذتها قال لها على بن بكار أبلغى سيدتك سلامى وعرفيها بوجدى وغرامى وامتزاج المحبة بلحمى وعظامى واخبريها اننى محتاج الى من ينقذنى من بحر الهلاك وينجينى من هذا الارتباك ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودعها ومضى الى دكانه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أبا الحسن ودع الجارية ورجع الى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق صدره وتحير فى أمره ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته وفى اليوم الثانى ذهب الى على بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله على حاله فأخذ فى شكوى الغرام ومابه من الوجد والهيام وانشد قول الشاعر

شكا ألم الغرام الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى لاسمعت ولا رأيت

وقول الشاعر

ولقيت من حبيك مالم يلقه * فى حب ليلى قيسها المجنون
لكننى لم أتبع وحش الفلا * كفعال قيس والجنون فنون

فقال له ابو الحسن أنا مارأيت ولا سمعت بمثلك فى محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد

تعلقت

تعلقت بحبيب موافق فكيف اذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال ابو الحسن فركن على بن بكار الى كلامى وشكرنى على ذلك وكان لى صاحب يطلع على امرى وامر على بن بكار ويعلم اننا متوافقان ولا يعلم احد ما بيننا غيره وكان يأتينى فيسألنى عن حال على بن بكار وبعد قليل يسألنى عن الجارية فقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من امرهما ولكنى دبرت لنفسى أمرا أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال أبو الحسن اعلم انى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون سبب هلاكى وأخذ مالى وهتك عيالى وقد اقتضى رأيى ان أجمع مالى وأجهز حالى وأتوجه الى مدينة البصرة واقيم بها حتى أنظر ما يكون من أحوالهما بحيث لا يشعر بى أحد فان المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشى بينهما الجارية وهى كاتمة لأسرارهما وأخشى ان يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد فيشيع خبرهما ويؤدى ذلك الى هلاكى ويكون سببا للتلف وليس لى عذر عند الناس فقال له صاحبه قد أخبرتنى بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأى هو الصواب فانصرف أبو الحسن الى منزله وصار يقضى مصالحه ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فامضى ثلاثة أيام حتى قضى مصالحه وسافر الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه من مدة ثلاثة أيام الى البصرة لان له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتى فاحتار الرجل فى امره وصار لا يدرى اين يذهب وقال ياليتنى لم أفارق ابا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى على بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لى سيدك لأدخل أسلم عليه فدخل الغلام واخبر سيده به ثم عاد اليه وأذن له فى الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم ان الرجل اعتذر اليه فى تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له ياسيدى ان بينى و بين ابى الحسن صداقة وانى كنت أودعه أسرارى ولا أنقطع عنه ساعة فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من أصحابى مدة ثلاثة أيام ثم جئت اليه فوجدت دكانه مقفلة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم أعلم له صديقا أوفى منك فبالله ان تخبرنى بخبره فلما سمع على بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لى التعب ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

قد كنت أبكى على مافات من فرح * وأهل ودى جميعا غير أشتات
واليوم فرق ما بينى و بينهم * دهرى فابكى على اهل المودات

ثم ان على بن بكار اطرق رأسه الى الارض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار ابى الحسن واسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى اى ناحية توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم اقبل الى سيده وقال انى لما سألت عن ابى الحسن أخبرنى أتباعه أنه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتنى عرفتنى ولم أعرفها وقالت لى هل انت غلام على بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معى رسالة اليه من عند أعز الناس عليه فجاءت معى وهى واقفة على الباب فقال على بن بكار أدخلها فطلع الغلام اليها وادخلها فنظر الرجل الذى عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت الى ابن بكار وسلمت عليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة * قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على

على بن بكار تقدمت اليه وسلمت عليه وتحدثت معه سرا وصار يتبسم فى اثناء الكلام ويحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب ابى الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام مجالا فقال لعلى بن بكار لا شك ولا ريب ان لدار الخلافة عليك مطالبة أو بينك وبينها معاملة فقال ومن أعلمك بذلك فقال معرفتى بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتنى من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهى عقد جوهر فأرسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع على بن بكار كلامه اضطرب حتى خشى عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا أخى سألتك بالله من أين تعرفها فقال له الجوهرى دع الالحاح فى السؤال فقال له على بن بكار لا أرجع عنك الا اذا أخبرتنى بالصحيح فقال له الجوهرى انا أخبرك بحيث لا يدخلك منى وهم ولا يعتريك من كلامى انقباض ولا أخفى عنك سرا وأبين لك حقيقة الامر ولكن بشرط أن تخبرنى بحقيقة حالك وسبب مرضك فأخبره بخبره ثم قال والله يا أخى ما حملنى على كتمان أمرى عن غيرك الا المخافة أن الناس تكشف أستار بعضها فقال الجوهرى لعلى بن بكار وأنا ما أردت اجتماعى بك الا لشدة محبتى لك وغيرتى عليك وشفقتى على قلبك من ألم الفراق عسى أ كون لك مؤنسا نيابة عن صديقى ابى الحسن مدة غيبته فطب نفسا وقر عينا فشكره على بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين

ولو قلت انى صابر بعد بعده * لكذبنى دمعى وفرط نحيبى
وكيف أدارى مدمعا جريانه * على صحن خدى من فراق حبيبى

ثم ان على بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهرى أتدرى ما اسرّته به الجارية فقال لا والله يا سيدى فقال انها زعمت انى اشرت على ابى الحسن بالمسير الى مدينة البصرة وانى دبرت بذلك حيلة لأجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقنى ومضت الى سيدتها وهى على ماهى عليه من سوء الظن لانها كانت تصغى الى ابى الحسن فقال الجوهرى يا أخى انى فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر ولكن ان شاء الله تعالى أ كون عونا لك على مرادك فقال له على بن بكار وكيف تعمل معها وهى تنفر كوحش الفلاة فقال له لابد ان ابذل جهدى فى مساعدتك واحتيالى فى التوصل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن فى الانصراف فقال له على بن بكار يا اخى عليك بكتمان السر ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى ودعه وانصرف وهو لا يدرى كيف يعمل فى اسعاف على بن بكار ومازال ماشيا وهو متفكر فى أمره اذ رأى ورقة مطروحة فى الطريق فأخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الأصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان

جاء الرسول بوصل منك يطمعنى * وكان أكثر ظنى أنه وهما
فما فرحت ولكن زادنى حزنا * علمى بان رسولى لم يكن فهما

وبعد فاعلم يا سيدى أنى لم أدر ما سبب قطع المراسلة بينى وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فأنا أقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فأنا احفظ الود على البعاد فأنا معك كما قال الشاعر

ته احتمل واستطل اصبر وعز أهن * وول أقبل وقل اسمع ومر أطع

فلما قرأها اذا بالجارية اقبلت تتلفت يمينا وشمالا فرأت الورقة فى يده فقالت له يا سيدى ان هذه الورقة وقعت منى فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى ان أقبل على داره ودخل والجارية خلفه

فقالت

فقالت له يا سيدي ردّ لي هذه الورقة فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال يا جارية لا تخافي ولا تحزني ولكن أخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم للاسرار وأحلف يمينًا أنك لا تخفي عني شيئًا من أمر سيدتك فعسى الله أن يعينني على قضاء أغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت يا سيدي ما ضاع سر أنت حافظه ولا خاب أمر أنت تسعى في قضائه اعلم أن قلبي مال اليك فأنا أخبرك بحقيقة الامر لتعطيني الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت الله على ما أقول شهيد فقال لها صدقت فان عندي علما بأصل الخبر ثم حدثها بحديث علي بن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله الى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على أنها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وجميع ما يحصل ترجع اليه وتخبره به فأعطاها الورقة فأخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار أعطتها لي مختومة فاذا قرأها ورد لي جوابها آتيك به ثم ان الجارية ودعته وتوجهت الى علي بن بكار فوجدته في الانتظار فأعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة رد الجواب وأعطاها لها فأخذتها ورجعت بها الى الجوهري حكم الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوبا فيها

ان الرسول الذي كانت رسائلنا * مكتومة عنده ضاعت وقد غضبا
فاستخلصوا لي رسولا منكم ثقة * يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا

وبعد فانني لم يصدر مني جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهدا ولا قطعت ودا ولا فارقت أسفا ولا لقيت بعد الفراق الا تلفا ولا علمت أصلا بما ذكرتم ولا أحب غير ما أحببتم وحق عالم السر والنجوى ما قصدي غير الاجتماع بمن أهوى وشأني كتمان الغرام وان أمرضني السقام وهذا شرح حالي والسلام فلما قرأ الجوهري هذه الورقة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى أعود اليك لانه قد اتهمني بأمر من الامور وهو معذور وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار بأي حيلة فاني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني رد الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهري مشوش الخاطر فلما أصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها أقبلت وهي فرحانة الى أن دخلت عليه فقال لها ما الخبر يا جارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الورقة التي كتبها علي بن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها تحيرت في فكرها فقلت لها يا سيدتي لا تخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب أبي الحسن فاني وجدت من يقوم مقامه وهو أحسن منه وأعلى مقدارا وأهلا لكتمان الاسرار وقد حدثتها بما بينك وبين أبي الحسن وكيف توصلت اليه والى علي بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة مني ووقعت أنت عليها وأخبرتها بما استقر عليه الامر بيني وبينك فتعجب الجوهري غاية العجب ثم قالت له انها تشتهي أن تسمع كلامك لاجل أن تؤكد عليه فيما بينك وبينه من العهود فاعزم في هذا الوقت على المسير معي اليها فلما سمع الجوهري كلام الجارية رأى أن الدخول عليها أمر عظيم وخطر جسيم لا يمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهري للجارية يا أختي اني من أولاد العوام ولم أكن كأبي الحسن فانه كان رفيع المقدار معروفا بالاشتهار مترددا على دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته وأما أنا فان أبا الحسن كان يحدثني وأنا أرتعد بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت في حديثي لها فينبغي ان يكون ذلك في غير دار الخلافة بعيدا عن محل أمير المؤمنين لان جناني لا يطاوعني على ما تقولين ثم انه امتنع من المسير معها وصارت تضمن له السلامة وتقول له لا تخش ولا تخف فبينما هما في هذا الكلام اذ لعبت رجلاه وارتعشت يداه فقالت له الجارية ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة ولا يمكنك المسير معي فأنا أجعلها تسير اليك فلا تبرح من مكانك حتى أرجع اليك بها ثم ان الجارية

مضت ولم تغب الا قليلا وعادت الى الجوهرى وقالت له احذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ما عندى غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمنى فقامت الجارية وأغلقت الابواب بين جارية الجوهرى وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجوهرى فاعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجوهرى نهض قائما ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حتى استراحت ثم كشفت وجهها فخيل للجوهرى أن الشمس أشرقت فى منزله ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذى قلت لى عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت الى الجوهرى وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت انك حملتنا المسير اليك وأن نطلعك على ما يكون من سر ثم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها ان لى دارا غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب والاخوان ليس لى فيها الا ما ذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الامر الى آخره فتأوهت على فراق أبى الحسن وقالت يا فلان اعلم أن أرواح الناس متلائمة فى الشهوات والناس بالناس لا يتم عمل الا بقول ولا يتم غرض الا بسعى ولا تحصل راحة الا بعد تعب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شمس النهار قالت للجوهرى لا تحصل راحة الا بعد تعب ولا يظهر نجاح الا من ذوى مروءة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار بيدك هتكنا وسترنا ولا زيادة لما أنت عليه من المروءة فأنت قد علمت أن جاريتى هذه كاتمة لسرى وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى وقد اختصصتها بمهمات أمورى فلا يكن عندك أعز منها واطلعها على أمرك وطب نفسا فأنت آمن مما تخافه من جهتنا وما يسد عليك موضع الا وتفتحه لك وهى تأتيك من عندى بأخبار على بن بكار وتكون انت الواسطة فى التبليغ بينى وبينه ثم ان شمس النهار قامت وهى لا تستطيع القيام ومشت فمشى بين يديها الجوهرى حتى وصلت الى باب الدار ثم رجع وقعد فى موضعه بعد أن نظر من حسنها ما بهره وسمع من كلامها ما حير عقله وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه ثم استمر يتفكر فى شمائلها حتى سكنت نفسه وطلب الطعام فأكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه الى على بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه الى أن أوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهرى قال له ابطأت على فزدتنى هما على همى ثم صرف غلمانه وأمر بغلق ابوابه وقال له والله ما غمضت عينى من يوم فارقتنى فان الجارية جاءتنى بالامس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال لقد تحيرت فى امرى وقل صبرى وكان لى أبو الحسن انيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهرى كلام ابن بكار ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامى وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم بكى وانشد هذه الابيات

وضاحك من بكائى حين ابصرنى * لو كان قاسى الذى قاسيت ابكاه
لم يرث للمبتلى مما يكابده * الا المعنى مثله قد طال بلواه
وجدى حنينى انينى فكرتى ولهى * الى حبيب زوايا القلب مأواه
حل الفؤاد مقيما لا يفارقه * وقتا ولكنه قد عز لقياه
مالى سواه خليل ارتضى بدلا * وما اصطفيت حبيبا قط الاهو

فلما سمع الجوهرى منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه وأخبره بما جرى له مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة الى احمرار

ويقوى

ويقوى جسمه مرة ويضعف أخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا أخى أنا على كل حال هالك فليت أجلى قريب وأسألك من فضلك أن تكون ملاطفى فى جميع أمورى الى أن يقضى الله ما يريد وأنا لا أخالف لك قولا فقال الجوهرى لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن فى غير هذا المكان الخطير وانما يكون ذلك عندى فى بيت بجنب بيتى الذى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها وهو الموضع الذى اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه تشكوان لبعضكما ما قاسيتما فقال على ابن بكار افعل ما تريد والذى تراه هو الصواب قال الجوهرى فأقمت عنده تلك الليلة أسامره الى أن أصبح الصباح * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال فأقمت تلك الليلة عند على بن بكار أسامره الى أن أصبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت الى منزلى فما استقريت الا قليلا حتى جاءت الجارية وسلمت على فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بينى وبين على بن بكار فقالت الجارية اعلم أن الخليفة توجه من عندنا وأن مجلسنا لا أحد فيه وهو أستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلى هذا فانه أستر لنا وأليق بنا فقالت الجارية ان الرأى ما تراه أنت وأنا ذاهبة الى سيدتى لأخبرها بما ذكرت وأعرض عليها ما قلت ثم ان الجارية توجهت الى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت الى منزلى وقالت لى ان سيدتى رضيت بما قلته ثم ان الجارية أخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت ان سيدتى تسلم عليك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ما يحتاج اليه فأقسمت أنى لا أصرف شيأ منه فأخذته الجارية وعادت الى سيدتها وقالت لها انه ما قبل الدراهم بل دفعها الى وبعد رواح الجارية ذهبت الى دارى الثانية وحولت اليها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه الحال ونقلت اليها أوانى الفضة والصينى وهيأت جميع ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت ما فعلته أعجبها وأمرتنى باحضار على بن بكار فقلت ما يحضر به الا أنت فذهبت اليه وأحضرته على أتم حال وقد راقت محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به ثم أجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيأ من المشموم فى بعض الاوانى الصينى والبلور وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم ان الجارية مضت وغابت الى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت على بن بكار ورآها سقطا على الارض مغشيا عليهما واستمرا ساعة زمانية ولما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران صنعى معهما فقلت لهما هل لكما فى شئ من الطعام فقالا نعم فأحضرت شيأ من الطعام فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما الى مجلس آخر وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لى يا سيدى كمل جميلك وأحضر لنا عودا أو شيأ من آلات الملاهى حتى اننا نكمل حظنا فى هذه الساعة فقلت على رأسى وعينى ثم انى قمت وأحضرت عودا فأخذته وأصلحته ثم انها وضعته فى حجرها وضربت عليه ضربا بليغا ثم أنشدت هذين البيتين

أرقت حتى كأنى أعشق الارقا * وذبت حتى ترامى السقم لى خلقا
وفاض دمعى على خدى فأحرقه * يا ليت شعرى هل بعد الفراق لقا

ثم انها أخذت فى غناء الاشعار حتى حيرت الافكار بأصوات مختلفات واشارات رائقات وكاد المجلس أن يطير من شدة الطرب لما أتت فيه من معانيها بالعجب ثم قال الجوهرى ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤس أطربت الجارية بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وعد الحبيب بوصله ووفى لى * فى ليلة سأعدها بليالى * ياليلة سمح الزمان لنا بها
فى غفلة الواشين والعذالى * بات الحبيب يضمنى بيمينه * فضممته من فرحتى بشمالى
عانقته ورشفت خمرة ريقه * وحظيت بالمعسول والعسالى

ثم ان الجوهرى تركهما فى تلك الدار وانصرف الى دار سكناه وبات فيها الى الصباح ولما أصبح الصبح صلى فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر فى المسير اليهما فى داره الثانية فبينما هو جالس اذ دخل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا أخى ما هان على الذى جرى لك الليلة فى دارك الثانية فقلت له يا أخى وأى شىء جرى فأخبرنى بما حصل فى دارى فقال له ان اللصوص الذين جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا وأخذوا ماله قد رأوك بالامس وأنت تنقل حوائجك الى دارك الثانية فجاؤا اليها بالليل وأخذوا ما عندك وقتلوا ضيوفك قال الجوهرى فقمت أنا وجارى وتوجهنا الى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شىء فتحيرت فى أمرى وقلت أما الامتعة فلا أبالى بضياعها وان كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابى وضاعت فلا بأس بذلك لانهم عرفوا عذرى بذهاب مالى ونهب دارى وأما على بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فأخشى أن يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحى ثم ان الجوهرى التفت الى جاره وقال له أنت أخى وجارى وتستر عورتى فما الذى تشير به على من الامور فقال الرجل للجوهرى الذى أشير به عليك أن تتربص فان الذين دخلوا دارك وأخذوا متاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم فى جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك بغير سعى منك فلما سمع الجوهرى هذا الكلام رجع الى داره التى هو ساكن بها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى لما سمع هذا الكلام رجع الى داره التى هو ساكن بها وقال فى نفسه ان الذى حصل لى هو الذى خاف منه أبو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فأقبلوا اليه من كل جانب ومكان فنهم من هو شامت ومنهم من هو حامل همه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج اليه الجوهرى وسلم عليه فوجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لى حديثا بينى وبينك فأدخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل امض معى الى دارك الثانية فقال الجوهرى وهل تعرف دارى الثانية فقال ان جميع خبرك عندى وعندى أيضا ما يفرج الله به همك فقلت فى نفسى أنا أمضى معه حيث أراد ثم توجهت الى أن أتينا الدار فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير بواب ولا يمكن القعود فيها فامض معى الى غيرها فلم يزل الرجل يدور بى من مكان الى مكان وأنا معه حتى دخل علينا الليل ولم أسأله عن أمر من الامور ثم انه لم يزل يمشى وأنا أمشى معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعنى وصار يهرول فى مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا الى البحر فطلع بنا فى زورق وقذف بنا الملاح حتى عدا بنا الى البر الثانى فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم انه أخذ بيدى ونزل بى فى درب لم أدخله طول عمرى ولم أعلم هو فى أى ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وأدخلنى معه وأغلق بابها بقفل من حديد ثم مشى بى فى دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد وهم اخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمرونى بالجلوس فجلست وكنت ضعفت من شدة التعب فجاؤنى بماء ورد ورشوه على وجهى وسقونى شرابا وقدموا الى طعاما فقلت لو كان فى

الطعام

الطعام شيء مضرما أكلوا معي فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا الى مكان وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمري عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بي اليكم فقالوا أطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلت لهم اعلموا أن حالي عجيب وأمري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم نحن الذين أخذنا أمتعتك في الليلة الماضية وأخذنا صديقك والتي كانت تغني فقلت لهم أسبل الله عليكم ستره أين صديقي هو والتي كانت تغني فأشاروا الي بأيديهم الى ناحية وقالوا ههنا ولكن يا أخي ما ظهر على سرهما أحد منا من حين أتينا بهما لم نجتمع بهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنا عن قتلهما فأخبرنا عن حقيقة أمرهما وأنت في امان على نفسك وعليهما قال الجوهري فلما سمعت هذا الكلام كدت ان أهلك من الخوف والفزع وقلت لهم اعلموا ان المروأة اذا ضاعت لم توجد الا عندكم واذا كان عندي سر أخاف افشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت أبالغ في هذا المعنى ثم اني وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه شمس النهار فقلت لهم نعم فذهبوا اليهما واعتذروا لهما ثم قالوا لي ان الذي أخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا ما بقي منه ثم ردوا الي أكثر الامتعة والتزموا أنهم يعيدونها الى محلها في داري ويردون لي الباقي ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي وقسم منهم على ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من أمري (وأما) ما كان من أمر علي بن بكار وشمس النهار فانهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت الى علي بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين الى أن انتهينا الى المكان الذي فيه الزورق فأطلعونا فيه واذا هو الزورق الذي عدينا فيه بالامس فقذف بنا الملاح حتى أوصلنا الى البر الثاني فأنزلونا فما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلا كالعقبان فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وسار بهم في البحر وبقيت أنا وعلي ابن بكار وشمس النهار على شاطئ البحر لا نستطيع حركة ولا سكونا فقال لنا الخيالة من أين أنتم فتحيرنا في الجواب قال الجوهري فقلت لهم ان الذين رأيتموهم معنا لا نعرفهم واغا رأيناهم ههنا وأما نحن فمغنون فأرادوا أخذنا لنغني لهم فما تخلصنا منهم الا بالحيلة ولين الكلام فأفرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار والى علي بن بكار ثم قالوا لي لست صادقا فأخبرنا من أنتم ومن أين أنتم وما موضعكم وفي أي الحارات أنتم ساكنون قال الجوهري فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم الخيالة وتحدثت معه سرا فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلي بن بكار وفعل بي أيضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل له جماعة من البرية فطلعنا المقدم في زورق وطلع أصحابه في زورق آخر وقدفوا بنا الى ان انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف فدخلت شمس النهار وأما نحن فرجعنا ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المحل الذي نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى أن دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا الى حال سبيلهم وأما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ولا ندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشيا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءني بعض أهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا واخبرنا بسبب الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي وأدرك شهرزاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال لهم يا قوم اسمعوا كلامي ولا تفعلوا بي مكروها واصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح اهله وانصرف الناس عنه ومنعني أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة ثم أشار اليهم ان يطلقوني لأذهب الى منزلي فأطلقوني فخرجت وانا لا أصدق بالخلاص وأتيت الى داري وانا بين رجلين حتى وصلت الى أهلي فلما رأوني على تلك الحالة لطموا على وجوههم فأومأت اليهم بيدي ان أسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان في حال سبيلهما وانقلبت على فراشي بقية ليلتي ولم أفق الى وقت الضحى فوجدت اهلي مجتمعين حولي يقولون ما الذي دهاك وبشره رماك فقلت ائتوني بشيء من الشراب فجاؤا الي بشراب فشربت منه حتى اكتفيت ثم قلت لهم قد كان ما كان فانصرفوا الى حال سبيلهم ثم اعتذرت الى اصحابي وسألتهم عن الذي ذهب من داري هل عاد شيء منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان ورماه في باب الدار ولم نتظره فسليت نفسي وأقمت في مكاني يومين وانا لا أقدر على القيام من محلي ثم قويت نفسي ومشيت حتى دخلت الحمام وأنا قلبي مشغول من جهة ابن بكار وشمس النهار ولم أسمع لهما خبرا في تلك المدة ولم استطع الوصول الى دار علي بن بكار ولم يستقر لي قرار في مكاني خوفا على نفسي ثم تبت الى الله تعالى عما صدر مني وحمدته على سلامتي وبعد مدة حدثتني نفسي ان اقصد تلك الناحية وارجع في ساعة فلما اردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وصرت كلما انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى أحدثك بشيء وانا لم التفت اليها ولم أزل سائرا الى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي ادخل هذا المسجد لأقول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصليت ركعتين ثم تقدمت اليها وانا أتأوه وقلت لها ما بالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي واخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم اني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت ان يكونوا من عند الخليفة فيأخذوني انا وسيدتي فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح انا والوصيفتان ورمينا انفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم اخفينا امرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذي اخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتي لم نعلم لها خبرا فاحملني في الزورق حتى افتش عليها في البحر لعلي اقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم ازل سائرة في البحر حتى انتصف الليل فرأيت زورقا اقبل الى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ولا زال يقذف حتى وصل الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هي شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها ❊ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهري فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرح بعد أن قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها أمرتني أن أدفع للرجل الذي جاء بها ألف دينار ثم حملتها انا والوصيفتان الى أن القيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها

ذلك

ذلك اليوم وفى ثانى يوم أفاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى اطعمتها شيأ من الطعام واسقيتها شيأ من الاشربة وهى ليس لها قابلية فى شىء من ذلك فلما اشتمت الهواء وتوجهت اليها العافية قلت لها ياسيدتى ارفقى بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فانك قد أشرفت على الهلاك فقالت والله ياجارية الجيران الموت عندى أهون مما جرى لى فانى كنت مقتولة لا محالة لان اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجوهرى سألونى وقالوا من أنت وما شأنك فقلت أنا جارية من المغنيات فصدقونى ثم سألوا على بن بكار عن نفسه وقالوا له من أنت وما شأنك فقال أنا من عوام الناس فاخذونا وسرنا معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع فى السير معهم من شدة الخوف فلما استقروا بنا فى أماكنهم تأملونى ونظروا ما على من الملبوس والعقود والجواهر فأنكروا أمرى وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات ثم قالوا أصدقينا وقولى لنا الحق ما قضيتك فلم أرد عليهم جوابا بشىء وقلت فى نفسى الآن يقتلوننى لاجل ما على من الحلى والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا الى على بن بكار وقالوا له من أين أنت فان رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكى فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التى كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهرى فقال واحد منهم أنا اعرفه حق المعرفة وأعرف انه ساكن فى داره الثانية وعلى أن آتيكم به فى هذه الساعة واتفقوا على أن يجعلونى فى موضع وحدى وعلى بن بكار فى موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا أن ينكشف خبركما وانتما فى أمان منا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهرى وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم أحضر لنا زورقا وأطلعونا فيه وعدوا بنا الى الجانب الثانى ورمونا الى البر وذهبوا فأتت خيالة من اصحاب العسس وقالوا من تكونون فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة وقد سكرت وخرجت لبعض معارفى من نساء الوزراء فجاءنى اللصوص فاخذونى وأوصلونى الى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما سمع كلامى مقدم الخيالة عرفنى ونزل عن مركوبه وأركبنى وفعل كذلك مع على بن بكار والجوهرى وفى كبدى الآن من اجلهما لهيب النار لاسيما الجوهرى رفيق ابن بكار فامضى اليه وسلمى عليه واستخبريه عن على بن بكار فلمتها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها ياسيدتى خافى على نفسك فصاحت على وغضبت من كلامى ثم قمت من عندها وجئت فلم اجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة أرتقبك حتى اسألك عنه واعلم ماهو فيه فأسألك من فضلك ان تأخذ منى شيأ من المال فانك ربما استعرت امتعة من اصحابك وضاعت عليك فتحتاج أن تعوض على الناس ماذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهرى فقلت سمعا وطاعة ثم مشيت معها الى ان اتينا الى قرب محلى فقالت لى قف هنا حتى أعود اليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهرى قف هنا حتى اعود اليك ومضت ثم عادت وهى حاملة المال فأعطته للجوهرى وقالت له ياسيدى نجتمع بك فى أى محل قال الجوهرى فقلت لها أتوجه الى دارى فى هذه الساعة وأتحمل الصعوبة لأجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه فى هذا الوقت ثم ودعتنى ومضت فحملت المال وأتيت به الى منزلى وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فأعطيت أهلى منه شيأ ومن كان له عندى شىء أعطيته عوضا عنه ثم انى أخذت غلمانى وذهبت الى الدار التى ضاعت منها الامتعة وجئت بالنجارين والبنائين فأعادوها الى ما كانت عليه وجعلت جاريتى فيها ونسيت ماجرى لى ثم تمشيت واتيت الى دار

على بن بكار فلما وصلت اليها أقبل غلمان على وقال لى واحد منهم ان غلمان سيدى فى طلبك ليلا ونهارا وقد وعدهم ان كل من أتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعا وقد رجعت الى سيدى عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لا بد أن تحضروه لى لحظة ويعود الى حال سبيله قال الجوهرى فمضيت مع الغلام الى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآنى بكى وقال لى أهلا ومرحبا ثم اسندته وأجلسته وضممته الى صدرى فقال لى اعلم يا أخى أنى من حين رقدت ما جلست الا فى هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهرى فلم أزل أسنده حتى أوقفته على رجليه وأمشيته خطوات وغيرت أثوابه وشرب شرابا فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعنى أحد ثم قلت له شد حيلك فأنا أعرف ما بك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا ما يسرك ويداويك ثم ان على بن بكار أمر باحضار الطعام فأحضروه وأشار الى غلمانه فتفرقوا ثم قال لى يا أخى هل رأيت ما أصابنا واعتذر لى وسألنى عن حالى فى هذه المدة فأخبرته بجميع ما جرى لى من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدم ائتونى بكذا وكذا فأتوه بفرش نفيس وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة أكثر من الذى ضاع لى وأعطانى جميع ذلك فأرسلته الى منزلى وأقمت عنده ليلتى فلما أسفر الصبح قال لى اعلم أن لكل شئ نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا الى الموت أقرب فياليتنى مت من قبل الذى جرى ولولا أن الله لطف بنا لافتضحنا ولا أدرى ما الذى يوصلنى الى الخلاص مما أنا فيه ولولا خوفى من الله تعالى لعجلت على نفسى بالهلاك واعلم يا أخى اننى كالطير فى القفص * وان نفسى هالكة من الغصص * ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم ثم افاض دمع العين * وانشد هذين البيتين

شكا ألم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى ما سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره قال له الجوهرى يا سيدى اعلم أنى عزمت على الذهاب الى دارى فلعل الجارية ترجع الى بخبر فقال على بن بكار لا بأس بذلك ولكن أسرع بالعود عندنا لأجل أن تخبرنى قال الجوهرى فودعته وانصرفت الى دارى فلم يستقر بى الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت وهى فى بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقالت يا سيدى اعلم انه حل بنا ما حل من أمر نخافه فانى لما مضيت من عندك بالامس وجدت سيدتى مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب وأراد ردها الى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها استنطقها عن حالها فأخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فأمر بنقل سيدتى شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكل بها عشرين خادما ولم أجتمع بها الى الآن ولم أعلمها بالسبب وتوهمت أنه بسبب ذلك فخشيت على نفسى واحترت يا سيدى ولم أدر كيف أحتال فى أمرى وأمرها ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر منى * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهرى ان سيدتى لم يكن عندها أحفظ لكتمان السر منى فتوجه يا سيدى الى على بن بكار سريعا وأخبره بذلك لأجل أن يكون على أهبة فاذا انكشف الامر نتدبر فى شئ نفعله لنجاة أنفسنا قال الجوهرى فأخذنى من ذلك هم عظيم وصار الكون فى وجهى ظلاما من كلام الجارية وهمت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأى فقالت لى الرأى أن تبادر الى على بن بكار ان كان صديقك وتريد له النجاة وأنت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة وأنا على ان أتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتنى وخرجت

فلما خرجت الجارية قمت وخرجت فى أثرها وتوجهت الى على بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآنى رجعت اليه عاجلا قال لى انى أراك رجعت الى فى الحال فقلت له اقصر من التعلق البطال ودع ما أنت فيه من الاشغال فقد حدث حادث يفضى الى تلف نفسك ومالك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال للجوهرى يا أخى أخبرنى بما وقع فقال له الجوهرى يا سيدى اعلم انه قد جرى ما هو كذا وكذا وانك ان أقمت فى دارك هذه الى آخر النهار فأنت تالف ولا محالة فبهت على بن بكار وكادت روحه أن تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا أفعل يا أخى وما عندك من الرأى قال الجوهرى فقلت له الرأى أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وأن تمضى بنا الى ديار غير هذه قبل أن ينقضى هذا النهار فقال لى سمعا وطاعة ثم وثب وهو متحير فى أمره فتارة يمشى وتارة يقع واخذ ما قدر عليه واعتذر الى أهله وأوصاهم بمقصوده وأخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابة وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقى يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا وغنا فحل علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا واذا باللصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان لما أرادوا أن يمنعوا عنا ثم تركونا مكاننا ونحن فى أقبح حال بعد ان أخذوا المال وساروا فلما قمنا مشينا الى ان أصبح الصباح فوصلنا الى بلد فدخلناها وقصدنا مسجدها ونحن عرايا وجلسنا فى جنب المسجد باقى يومنا فلما جاء الليل بتنا فى المسجد تلك الليلة ونحن من غير أكل ولا شرب ولما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا واذا برجل داخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل أنتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلدة ولم نعرف فيها احدا نأوى عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معى الى دارى قال الجوهرى فقلت لعلى بن بكار قم بنا معه فننجو من أمرين الاول أننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا فى هذا المسجد فنفتضح والثانى أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوى اليه فقال على بن بكار افعل ما تريد ثم ان الرجل قال لنا ثانى مرة يا فقراء أطيعونى وسيروا معى الى مكانى قال الجوهرى فقلت له سمعا وطاعة ثم ان الرجل خلع لنا شيأ من ثيابه وألبسنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج الينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل أمر باحضار بقجة فيها أثواب وشاشات فألبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية أقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فأكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده الى ان دخل الليل فتأوه على بن بكار وقال للجوهرى يا أخى اعلم انى هالك لا محالة وأريد ان اوصيك وصية وهو انك اذا رأيتنى مت تذهب الى والدتى وتخبرها أن تأتى الى هذا المكان لأجل أن تأخذ عزائى وتحضر غسلى وأوصها أن تكون صابرة على فراقى ثم وقع مغشيا عليه فلما أفاق سمع جارية تغنى من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغى اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكى شجنا وحزنا مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الابيات

عجل البين بيننا بالفراق * بعد الف وجيرة واتفاق
فرقت بيننا صروف الليالى * ليت شعرى متى يكون التلاقى
ما أمر الفراق بعد اجتماع * ليته ما أضر بالعشاق
غصة الموت ساعة ثم تقضى * وفراق الحبيب فى القلب باقى
لو وجدنا الى الفراق سبيلا * لأذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجوهرى فلما رأيته مات أوصيت

عليه صاحب الدار وقلت له اعلم أننى متوجه الى بغداد لأخبر والدته وأقاربه حتى يأتوا اليه بزوره ثم انى توجهت الى بغداد ودخلت دارى وغيرت ثيابى وبعد ذلك ذهبت الى دار على بن بكار فلما رآنى غلمانه أتوا الى وسألونى عنه وسألتهم أن يستأذنوا لى والدته فى الدخول عليها فأذنت لى بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله اذا قضى أمراً لامفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا فتوهمت ام على بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك ان تخبرنى هل توفى ولدى فلم أقدر ان أرد عليها جوابا من كثرة الجزع فلما رأتنى على تلك الحالة اختنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت ما كان من امر ولدى فقلت لها اعظم الله أجرك فيه ثم انى حدثتها بما كان من امره من المبتدى الى المنتهى قالت هل أوصاك بشىء فقلت لها نعم وأخبرتها بما اوصانى به وقلت لها أسرعى فى تجهيزه فلما سمعت ام على بن بكار كلامى سقطت مغشيا عليها فلما افاقت عزمت على ما اوصيتها به ثم انى رجعت الى دارى وصرت فى الطريق أتفكر فى حسن شبابه فبينما أنا كذلك واذا بامرأة قد قبضت على يدى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الجوهرى قال واذا بامرأة قد قبضت على يدى فتأملتها فرأيتها الجارية التى كانت تجىء من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا وسرنا حتى اتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر على بن بكار فقالت لا والله فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم انى قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها امير المؤمنين قول احد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار أنت عندى عزيزة وانا أتحملك على رغم أعدائك ثم أمر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك فى قبول عظيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جرى عادته للشراب وحضرت المحاظى بين يديه فأجلسهن فى مراتبهن وأجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد امرها فعند ذلك أمر جارية من الجوارى ان تغنى فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول

ودا ع دعانى للهوى فأجبته * ودمعى خط الوجد خطا على خدى
كأن دموع العين تخبر حالنا * فتبدى الذى أخفى وتخفى الذى أبدى
فكيف اروم السرّ أو أكتم الهوى * وفرط غرامى فيك يظهر ما عندى
وقد طاب موتى عند فقد أحبتى * فياليت شعرى ما يطيب لهم بعدى

فلما سمعت شمس النهار انشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجوارى وقلبها امير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين اوتها وامر ان يكسر جميع ما كان فى الحضرة من الآلات والقوانين وحملها فى حجرة بعد موتها ومكث عندها باقى ليلته فلما طلع النهار جهزها وامر بغسلها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذى كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهرى سألتك بالله ان تعلمنى بوقت خروج جنازة على بن بكار وأن تحضرنى دفنه فقال لها اما أنا ففى أى محل شئت تجدينى وأما أنت فمن يستطيع الوصول اليك فى المحل الذى انت فيه فقالت له ان أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار اعتق جواريها من يوم موتها وانا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها فى المحل الفلانى فقمت معها واتيت الى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت الى حالى ولم ازل أنتظر جنازة على بن بكار الى ان جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهى اشدهن حزنا ولم أر جنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ومازلنا فى

ازدحام

ازدحام عظيم الى ان انتهينا الى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس هذا بأعجب من حديث الملك شهرمان * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان﴾

﴿فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم واعوان الا انه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال اني أخاف اذا مت ان يضيع الملك لانه ليس لي ولد يتولاه بعدي فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فتوكل على الله أيها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعلك تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت في تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولدا ذكرا كأنه البدر السافر في الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى في العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا في الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان ابوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلا ولا نهارا فشكا الملك شهرمان لأحد وزرائه فرط محبته لولده وقال ايها الوزير اني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد ان أزوجه في حياتي فقال له الوزير اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق ولا بأس ان تزوج ولدك في حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان علي بولدي قمر الزمان فحضر وأطرق رأسه الى الارض حياء من ابيه فقال له ابوه يا قمر الزمان اعلم اني أريد ان أزوجك وأفرح بك في حياتي فقال له اعلم يا أبي أنني ما لي في الزواج أرب وليست نفسي تميل الى النساء لاني وجدت في مكرهن كتبا بالروايات وبكيدهن وردت الآيات وقال الشاعر

فان تسألوني بالنساء فانني * خبير بأحوال النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب

وقول آخر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يفوز فتى يعطي النسا رسنه

يعقنه عن كمال في فضائله * ولو سعى طالبا للعلم ألف سنه

ولما فرغ من شعره قال يا ابي ان الزواج شيء لا افعله أبدا ولو سقيت كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتم غما شديدا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام في ذلك ولم يغضبه بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسنا وجمالا وظرفا ودلالا فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت في حسنه الورى وبروى لطفه كل نسيم سرى وصار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كأنه غصن بان اوقضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بدا فقالوا تبارك الله * جل الذي صاغه وسواه

مليك كل الملاح قاطبة * فكلهم أصبحوا رعاياه * فى ريقه شهدة مذوبة
وانعقد الدر فى ثناياه * مكملا بالجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * أشهد أن لا مليح الاهو

فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده اليه وقال له ياولدى أما تسمع منى فوقع قمر الزمان على الارض بين يدى أبيه هيبة واستحى منه وقال له ياأبى كيف لا أسمع منك وقد أمرنى الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم ياولدى أنى أريد ان أزوجك وأفرح بك فى حياتى وأسلطنك فى مملكتى قبل مماتى فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال ياأبت هذا شئ لا أفعله أبدا ولو سقيت كاس الردى وأنا أعلم ان الله فرض على طاعتك فبحق الله عليك لا تكلفنى امر الزواج ولا تظن أنى أتزوج طول عمرى لاننى قرأت فى كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت جميع ماجرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهى ومايحدث عنهن من الدواهى وما احسن قول الشاعر

من كاده العاهرات * فلا يرى من خلاص ولو بنى ألف حصن * مشيدة بالرصاص
فليس يجدى بناها * ولا تفيد الصياصى ان النساء خائنات * لكل دان وقاص
مخضبات بنات * مضفرات عقاص مكحلات جفون * مجرعات غصاص

﴿وما أحسن قول الآخر﴾

ان النساء وان دعين لعفة * رمم تقلبها النسور الحوم
فى الليل عندك سرها وحديثها * وغدا الغيرك ساقها والمعصم
كالخان تسكنه وتصبح راحلا * فيحل بعدك فيه من لا تعلم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جوابا من فرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان طلب وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير قل لى ما الذى أفعله فى قضية ولدى قمر الزمان فانى استشرتك فى زواجه قبل ان أسلطنه فأشرت على بذلك وأشرت على ايضا ان أذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفنى فأشر على الآن بما تراه حسنا فقال له الوزير الذى أشير به عليك الآن ايها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فاذا أردت ان تكلمه بعدها فى امر الزواج فلا تكلمه سرا ولكن حدثه فى يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين فاذا اجتمع هؤلاء فأرسل الى ولدك قمر الزمان فى تلك الساعة وأحضره فاذا حضر فخاطبه فى أمر الزواج بحضرة جميع الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة فانه يستحى منهم ومايقدر أن يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأى الوزير فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مضى عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين عاما وألبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وصار طرفه أسحر من هاروت وماروت وغنج الحاظه أضل من الطاغوت وأشرقت خدوده بالاحمرار

وازدرت

وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره أرق من خيط هميان وردفه أثقل من الكثبان تهيج البلابل على أعطافه ويشتكي خصره من ثقل أردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعرا

قسما بوجنته وباسم ثغره * وبأسهم قد راشها من سحره * وبلين عطفيه ومرهف لحظه
وبياض غرته وأسود شعره * وبحاجب حجب الكرى عن صبه * وسطا عليه بنهيه وبأمره
وعقارب قد أرسلت من صدغه * وسعت لقتل العاشقين بهجره * وبورد خديه وآس عذاره
وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره * وبطيب نكهته وسلسال جرى * في فيه يزري بالرحيق وعصره
وبردفه المرتج في حركاته * وسكونه وبرقة في خصره * وبجود راحته وصدق لسانه
وبطيب عنصره وعالي قدره * ما المسك الا من فضالة خاله * والطيب يروي ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه * وأرى الهلال قلامة من ظفره

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم تكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء والحجاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة ثم ان الملك أرسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الارض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفا يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه يا ولدي اني ما أحضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا الا لأجل أن آمرك بأمر فلا تخالفني فيه وذلك أن تتزوج لاني أشتهي ان أزوجك بنت ملك من الملوك وأفرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام اطرق رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى أبيه ولحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة فقال له اما أنا فلا أتزوج أبدا ولو سقيت كاس الردى وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أليس انك سألتني قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة في شأن الزواج وأنا لا أجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فك كتاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو في غيظه فخجل أبوه واستحى حيث حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بامساكه فأمسكوه وامرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدي الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه ابوه وسبه وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن أنت الى الآن ما أدبك أحد* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان ولكن أنت الى الآن ما أدبك أحد أما تعلم ان هذا الامر الذي صدر منك لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك أمر المماليك ان يحلوا كتافه ويحبسوه في برج من ابراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التي في البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرا لقمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة وفانوسا كبيرا وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما في النهار ثم ان المماليك أدخلوا قمر الزمان في تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادما فعند

ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ماجرى منه فى حق أبيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فياليتنى سمعت من والدى وتزوجت فلو فعلت ذلك كان أحسن لى من هذا السجن هذا ما كان من امر قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر أبيه فانه أقام على كرسى مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له اعلم أيها الوزير انك كنت السبب فى هذا الذى جرى بينى وبين ولدى كله حيث أشرت على بما أشرت فما الذى تشير به على الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك أبدا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك أبدا فقبل الملك رأى الوزير فى ذلك اليوم ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة وهو متشوش الخاطر من أجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كأنه نائم على جمر الغضى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وأنشد قول الشاعر

لقد طال ليلى والوشاة هجوع * وناهيك قلب بالفراق مروع
أقول وليلى زاد بالهم طوله * أما لك يا ضوء الصباح رجوع

وقول الآخر

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت أن صباحه قد ماتا

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان ﴿وأما﴾ ما كان من امر قمر الزمان فانه لما قدم عليه الليل قدم له الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فأكل قليلا وصار يعاتب نفسه حيث أساء الادب فى حق أبيه الملك شهرمان وقال فى نفسه ألم تعلم أن ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمى هو الذى يوقعه فى المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الدموع واحترق قلبه المصدوع وندم على ما خرج من لسانه فى حق الملك غاية الندم وانشد هذين البيتين

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه تقضى بحتفه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الأكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه من الطعام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان صلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك الملك والمعوذتين وختم بالدعاء واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الاطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص مشمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزى أزرق فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كأنه البدر فى ليلة أربعة عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبىء له فى الغيب وما قدره عليه علام الغيوب واتفق ان القاعة

والبرج

والبرج كانا عتيقين من عصور مدة سنين كثيرة وكان في تلك القاعة بئر روماني معمور بجنية ساكنة فيه وهي من ذرية ابليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما استمر قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت في أعلى البئر رأت نورا مضيئا في البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمة في ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك وتعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها أنه لا بد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلتها ووجدت الخادم نائما على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت اليه واستمرت باهتة في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نورا وقد غازلت عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفتر جفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قبلته فاسودت المقل التي * هي فتنتي واحمرت الوجنات
ياقلب ان زعم العواذل أنه * في الحسن يوجد مثله قل هاتوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها والله اني لا أضره ولا أترك أحدا يؤذيه ومن كل سوء أفديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح ولكن كيف هان على أهله حتى نسوه في هذا المكان الخرب فلو طلع له أحد من مردتنا في هذه الساعة لأعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة في الجو الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما أحس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها أقسم عليك بالاسم الاعظم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له انك أقسمت علي بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرني من أين مجيئك في هذه الساعة فقال لها أيها السيدة اعلمي أن مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر وأخبرك بأعجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني أروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك في هذه الساعة أني عتيقك حتى لا يعارضني أحد من أرهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا دهنش فأخبرني ولا تكذب علي وتريد بكذبك أن تنفلت من يدي وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا انتفت ريشك بيدي وخرقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش بن شمهورش الطيار ان لم يكن كلامي صحيحا فافعلي بي ما شئت يا سيدتي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشا قال انى خرجت فى هذه الليلة من الجزائر الداخلة فى بلاد الصين وهى بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله فى زمانها أحسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لسانى عن وصفها كما ينبغى ولكن أذكر لك شيأ من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالى الهجر والانفصال وأما وجهها فكأيام الوصال وقد أحسن فى وصفها من قال

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خد كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها أشهى من الرحيق يطفى مذاقه عذاب الحريق ولسان يحركه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضدان مدمجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وزندان لولا أمسكا بأساور * لسالا من الاكمام سيل الجداول

ولها نهدان كأنهما من العاج حقان يستمد من أشراقهما القمران ولها بطن بأعكان مطوية كطى القباطى المصرية وينتهى ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا قامت ويوقظها اذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه

لها كفل تعلق فى ضعيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
فيوقفنى اذا فكرت فيه * ويقعدها اذا همت تقوم

يحمل ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان وعلى حملهما اقدرهما الابركة الشيخ الذى بينهما وأما غير ذلك من الاوصاف فلا يحصيه ناعت ولا واصف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان صنعة المهيمن الديان فعجبت منهما كيف يحملان ما فوقهما وأما ما وراء ذلك فانى تركته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت دهنش ابن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وأما ما وراء ذلك فانى تركته لانه تقصر عنه العبارة ولا تفى به اشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الاقطار فى الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر وأقاليم وجزائر ومدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حبا شديدا ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلور والقصر الثانى من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصينى والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصر السادس من الذهب والقصر السابع من الجوهر وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخر وأوانى الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما يحتاج اليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن فى كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها أرسل سائر الملوك الى أبيها يخطبونها منه فراودها فى أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها يا والدى ليس لى غرض فى الزواج أبدا فانى سيدة وملكة

احكم على الناس ولا أريد رجلا يحكم علي" وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم ان جميع ملوك جزائر الصين الجوانية أرسلوا الى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه فى أمر زواجها فكرر عليها أبوها المشاورة فى أمر الزواج مرارا عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا أبي ان ذكرت لى الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمه فى الارض وذبابه فى بطنى واتكأت عليه حتى تطلع من ظهرى وقتلت نفسى فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشى أن تقتل نفسها وتحير فى أمرها وفى أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها ان كان ولا بد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج ثم ان أباها أدخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من أن تذهب الى السبع قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل يكاتب الملوك جميعهم وأعلمهم أنها أصيبت بجنون فى عقلها ولها الآن سنة وهى محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة وأنا ياسيدتى أتوجه اليها فى كل ليلة فأنظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهى نائمة بين عينيها ومن محبتى لها لا اضرها ولا أركبها لان جمالها بارع وكل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت عليك ياسيدتى أن ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا ان شئت ان تعاقبينى أو تأسرينى فافعلى فان الامر أمرك والنهى نهيك ثم ان العفريت دهنشا اطرق رأسه الى الارض وخفض أجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه أى شئ هذه البنت التى تقول عنها فما هى الا قوارة بول فكيف لو رأيت معشوقى والله انى حسبت ان معك امرا عجيبا أو خبرا غريبا يا ملعون انى رأيت انسانا فى هذه الليلة لو رأيته ولو فى المنام لانفلجت عليه وسال ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التى ذكرتها وأمره ابوه بالزواج مرارا عديدة فأبى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه فى البرج الذى انا ساكنة فيه فطلعت فى هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش ياسيدتى ارينى هذا الغلام لأنظر هل هو احسن من معشوقتى الملكة بدور أم لا لانى ما اظن ان يوجد فى هذا الزمان مثل معشوقتى فقالت له العفريتة تكذب ياملعون يا أنحس المردة واحقر الشياطين فأنا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش انا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار فهل انت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقى فقال لها بالله عليك ياسيدتى أن تذهبى معى وتنظرى معشوقتى وارجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لا بد من ذلك ياملعون لانك شيطان مكار ولكن لا اجئ معك ولا تجئ معى الا برهن فان طلعت معشوقتك التى أنت تحبها وتتغالى فيها أحسن من معشوقى الذى انا احبه وأتغالى فيه فان ذلك الرهن يكون لك وان طلع معشوقى احسن فان ذلك الرهن يكون لى عليك فقال لها العفريت دهنش ياسيدتى قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالى معى الى الجزائر فقالت له ميمونة ان موضع معشوقى اقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانزل معى لتنظر معشوقى وتروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش سمعا وطاعة ثم انحدرا الى أسفل ونزلا فى دور القاعة التى فى البرج واوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه واشرق ولمع وزها فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها الى دهنش وقالت له انظر ياملعون ولا تكن اقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت اليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك رأسه

وقال لميمونة والله ياسيدتي انك معذورة ولكن بقي شيء آخر وهو أن حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كأنهما قد افرغا في قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت ان تقضي عليه من شدتها وقالت له قسما بنور وجهه وجلاله أن تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتجيء بها سريعا الى هذا المكان حتى نجمع بين الاثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا أيهما أملح وان لم تفعل ما امرتك به في هذه الساعة يا ملعون أحرقتك بناري ورميتك بشرر اسراري ومزقتك قطعا في البراري وجعلتك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش ياسيدتي لك علي ذلك وانا أعرف أن محبوبتي املح واحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم أقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأس كميه هذه الابيات

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

ثم انهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة * قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت والعفريتة نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان أو أخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يا قلب لا تعشق مليحا واحدا * تختار فيه تدللا وتذللا
واهو الملاح جميعهم تلقاهم * ان صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش ان معشوقتي احسن قالت له ميمونة بل معشوقي احسن ويلك يا دهنش هل انت أعمى اما تنظر الى حسنه وجماله وقده واعتداله فاسمع ما أقوله في محبوبي وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما اقول في محبوبي ثم ان ميمونة قبلت قمر الزمان قبلا عديده وأنشدت هذه القصيده

مالي ولاحي عليك يعنف * كيف السلو وأنت غصن أهيف
لك مقلة كحلاء تنفث سحرها * ما للهوى العذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشا * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وانني * بالعجز عن حمل القميص لأضعف
وجدي عليك كما علمت ولوعتي * طبع وعشقي في سواك تكلف
لو ان قلبي مثل قلبك لم أبت * والجسم مني مثل خصرك نحيف
ويلاه من قمر بكل ملاحة * بين الانام وكل حسن يوصف
قال العواذل في الهوى من ذا الذي * أنت الكئيب به فقلت لهم صفوا
يا قلبه القاسي تعلم عطفة * من قده فعسى ترق وتعطف
لك يا أميري في الملاحة ناظر * يسطو علي وحاجب لا ينصف

كذب الذي ظن الملاحة كلها * في يوسف كم في جمالك يوسف
الجن تخشاني اذا قابلتها * وانا اذا ألقاك قلبي يرجف
أتكلف الاعراض عنك مهابة * واليك أصبو جهد ما أتكلف
والشعر أسود والجبين مشعشع * والطرف أحور والقوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشا لما سمع شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وقال انك أنشدتيني فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع أن بالك مشغول به ولكن أنا أبذل الجهد في انشاد الشعر على قدر فكرتي ثم ان دهنشا قام الى معشوقته بدور وقبلها بين عينيها ونظر الى العفريتة ميمونة والى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور

أقوت معاهدهم بشط الوادي * فبقيت مقتولا وشط الوادي
وسكرت من خمر الغرام ورقصت * عيني الدموع على غناء الحادي
اسعى لأسعد بالوصال وحق لي * ان السعادة في بدور سعاد
لم أدر من أي الثلاثة أشتكي * ولقد عددت فأصغ للاعداد
من لحظها السياف أم من قدها الـ * ـرماح أم من صدغها الزراد
قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادي
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أي هذين الاثنين أحسن فقال لها محبوبتي بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقي أحسن من معشوقتك ثم انهما لم يزالا يعارضان بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فذل لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فأبطلي قولك وقولي فان كلا منا يشهد لمعشوقه أنه احسن فنعرض عن كلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالانصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهو كذلك ثم ضربت الارض برجلها فطلع لها من الارض عفريت أعور اجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى الارض ويداه مثل يدي القطرب له أظفار كأظفار الاسد ورجلان كرجلي الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الارض بين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك ياسيدتي يا بنت الملك فقالت له ياقشقش اني أريد أن تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم انها أخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فعند ذلك نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما في الحسن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان * فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفت الى ميمونة ودهنش بعد ان اطال الى الصبي والصبية الالتفات * وأنشد هذه الأبيات

زر من تحب ودع مقالة حاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد * لم يخلق الرحمن احسن منظرا
من عاشقين على فراش واحد * متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد * واذا تألفت القلوب على الهوى

فالناس تضرب فى حديد بارد * يامن يلوم على الهوى أهل الهوى * هل يستطاع صلاح قلب فاسد
يارب يارحمن تحسن ختمنا * قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة والى دهنش وقال لهما والله مافيهما أحد أحسن من الآخر ولا دون الآخر بل هما أشبه الناس ببعضهما فى الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما الا بالتذكير والتأنيث وعندى حكم آخر وهو أن ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأى الذى قلته فأنا رضيته وقال دهنش وأنا أيضا رضيته فعند ذلك انقلب دهنش فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنشا انقلب فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان فى رقبته فى موضع ناعم فمد قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع القرصة من شدة ما أحرقته فتحرك بجنبه فوجد شيئا نائما بجنبه ونفسه أذكى من المسك وجسمه ألين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من رقدته قاعدا ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية أوالقبة المبنية بقامة ألفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها بعض واصفيها

بدت قمرا ومالت غصن بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبى * فساعة هجرها يجد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهى نائمة فى طوله وجد فوق بدنها قميصا بندقيا وهى بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفى عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لا يقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم انه حين شاهد حسنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى الله عليه شهوة الجماع وقال فى نفسه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثانى مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر اليها والى نهودها فازداد فيها محبة ورغبة فصار ينبهها وهى لا تنتبه لأن دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركها ويقول يا حبيبتى استيقظى وانظرى من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر فى أمرها ساعة زمانية وقال فى نفسه ان صدق حذرى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها ومضى لى ثلاث سنين وأنا أمتنع من ذلك فان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لأبى زوجنى بها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال فى نفسه ان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لأبى زوجنى بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصلها وأتملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما أراد أن يقبلها فى فمها استحى من الله ولفت وجهه وقال فى نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدى لما غضب على وحبسنى فى هذا الموضع جاء لى بهذه العروسة وأمرها بالنيام جنبى ليمتحننى بها وأوصاها الى اذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أى شئ فعل بك قمر الزمان فأعلمينى به وربما يكون والدى مستخفيا فى مكان بحيث يطلع على وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية واذا أصبح يوبخنى ويقول لى كيف تقول لى مالى أرب فى الزواج وأنت قبلت تلك الصبية

الصبية وعانقتها فأنا أكف نفسي عنها الثلاثة ينكشف أمري مع والدي فأنا الآن الماس هذه الصبية من تلك الساعة ولا ألتفت لها غير أني آخذ لي منها شيأ يكون أمارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينها اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوي جملة من المال لأن فصه من نفيس الجواهر ومنقوش في دائرته هذه الابيات

لا تحسبوا أني نسيت عهودكم * مهما أطلتم في الزمان صدودكم
يا سادتي جودوا على تعطفا * فعسى أقبل ثغركم وخدودكم
والله اني لست أبرح عنكم * ولو اعتديتم في الغرام حدودكم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره وأدار ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يلمس بيده عليها بل أدار ظهره اليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار أربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شابا نائما بجانبها وهو يغط في نومه وله خدود كشقائق النعمان * ولواحظ تخجل الحور الحسان * وفم كأنه خاتم سليمان وريقه حلو المذاق * وأنفع من الترياق * كما قال فيه بعض واصفيه

سلا خاطري عن زينب ونوار * بوردة خد فوق آس عذار
وأصبحت بالظبي المقرطق مغرما * ولا رأي لي في عشق ذات سوار
أنيسي في النادي وفي خلوتي معا * خلاف أنيسي في قرارة داري
فيا لائمي في هجر هند وزينب * وقد لاح عذري كالصباح لساري
أترضى بان أمسى أسير أسيرة * محصنة أو من وراء جدار

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام * والوجد والغرام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا أعرفه ما باله راقدا بجانبي في فراش واحد ثم نظرت اليه بعيونها وحققت النظر فيه وفي ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله انه شاب مليح مثل القمر الا أن كبدي تكاد أن تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتي منه والله لو علمت أن هذا الشاب هو الذي خطبني من أبي ما رددته بل كنت أتزوجه وأتملى بجماله * ثم ان الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها في وجه قمر الزمان وقالت له يا سيدي وحبيب قلبي ونور عيني انتبه من منامك وتمتع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتي عليك أن تطيعني فانتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا الوقت الى بكرة فقم يا سيدي واتكى على المخدة ولا تنم فلم يجبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطابا بل غط في النوم فقالت الملكة بدور ما لك تائها بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما أنت مليح أنا الاخرى

مليحة فما هذا الذى تفعله هل هم علوك الصدّ عنى أو أبى الشيخ النحس منعك من أن تكلمنى فى هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة وألقى الله محبته فى قلبها ونظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان ياسيدى كلمنى ياحبيبى حدثنى يامعشوقى رد على الجواب وقل لى ما اسمك فانك سلبت عقلى كل ذلك وقمر الزمان مستغرق فى النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجبا بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها فى اصبعه الخنصر فشهقت شهقة وأتبعتها بغنجة وقالت أوه أوه والله أنت حبيبى وتحبنى ولكن كأنك تعرض عنى دلالا مع أنك جئتنى وأنا نائمة وما أعرف كيف عملت أنت معى ولكن ما أنا قالعة خاتمى من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلته رقبته وفتشت على شىء تأخذه منه فلم تجد معه شيأ ورأته بغير سروال فدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها من نعومة جسمه وسقطت على أيره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لان شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته فى اصبعها عوضا عن خاتمها وقبلته فى ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا الا قبلته وبعد ذلك أخذته فى حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه ونامت بجانبه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت ياملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقى وكيف فعل معشوقى من التيه والدلال فلا شك أن معشوقى أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل معه واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى مكانها الان الليل مضى وفاتنى مطلوبى فتقدم دهنش وقشقش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها وأوصلاها الى مكانها وأعاداها الى فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ما هذا الامر كأن أبى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم أخذها سرا لأجل أن تزداد رغبتى فى الزواج ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك ياملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه فقال له ويلك ياصواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبى وأنا نائم فقال الخادم ياسيدى أى شىء الصبية فقال قمر الزمان الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم وراء الباب وهو مقفول والله ياسيدى ما دخل عليك ذكر ولا أنثى فقال له قمر الزمان تكذب ياعبد النحس وهل وصل من قدرك أنت الآخر أنك تخادعنى ولا تخبرنى أين راحت هذه الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ولم تخبرنى بالذى أخذها من عندى فقال الطواشى وقد انزعج منه والله ياسيدى ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له انهم علموك الخداع ياملعون فتعال عندى فتقدم الخادم الى قمر الزمان فأخذ بأطواقه وضرب به الارض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفسه برجله وخنقه حتى غشى عليه ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر وأدلاه

فيه الى أن وصل الى الماء وأرخاه وكانت تلك الايام أيام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ولازال يغطس ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله ياملعون ماأطلعك من هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الصبية وقضيتها ومن الذى أخذها وأنا نائم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

تم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وأوله الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

فهرست الجزء الاول من كتاب ألف ليلة وليله

تمت الفهرست